www.makarem.ir

آية الله العظمى الشيخ

ناصر مكارم الشيرازى «دام ظلّه»

آيـات الولايـة

فى القرآن

إعداد

ابوالقاسم عليان نژادى

www.makarem.ir

مكارم شيرازى، ناصر، ١٣٠٥ -
آيات الولاية فى القرآن / ناصر مكارم الشّيرازى؛ إعداد ابوالقاسم عليان نژادى. ـ قم: مدرسة الامام على بن ابى طالب(عليه السلام)، ١۴٢۵ ق. = ١٣٨٣.
٣٧۶ ص. ISBN 964-8139-32-6
فهرستنويسى بر اساس اطّلاعات فيپا.
عنوان اصلى: آيات ولايت در قرآن
كتابنامه به صورت زيرنويس.
١. ولايت ـ ـ جنبه هاى قرآنى. ٢. على بن ابى طالب(عليه السلام)، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت ـ ۴٠ ق. ـ ـ اثبات خلافت. الف. عليان نژادى، ابوالقاسم، ١٣۴٣ ـ ، گردآورنده. ب. عنوان
٧٠۴٣ م ٨ و / ١٠۴ BP ٢٩٧/١۵٩

هوية الكتاب

إسم الكتاب: ... آيات الولاية فى القرآن
المؤلف: ... آية اللّه العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازى
المطبعة: ... سليمانزاده
الطبعة: ... الاولى
الكمية: ... ٢٠٠٠ نسخة
عدد الصفحات: ... ٣٧۶ صفحة
حجم الغلاف: ... كبير
الناشر: ... مدرسة الامام على ابن أبى طالب(عليه السلام)
عنوان الناشر: ... قم، شارع الشّهداء، فرع ٢٢، تلفكس: ٠٠٩٨-٢۵١-٧٧٣٢۴٧٨

ردمک: ۶-٣٢-٨١٣٩-٩۶۴

عنواننا فى الإنترنت: www.Amiralmomeninpub.com

السّعر: ٣٠٠٠ تومان

www.makarem.ir

www.makarem.ir

www.makarem.ir

المقدّمة

سُمّى عام ١٣٧٩ هـ . ش فى الجمهورية الإسلامية بعام أميرالمؤمنين على بن أبى طالب(عليه السلام)وذلک لأنه تضمّن عيد الغدير فى بدايته وفى نهايته فتحقق فيه عيد الغدير مرتين[١].

ولهذا كان من المناسب جدّاً أن يتحرک المفكّرون وعشّاق هذا الإمام الهمام على مستوى تعريف الناس بفضائله وأحاديثه وأخلاقه وسيرته وسائر شؤونه والقيام بدور فاعل فى هذا المشروع الحضارى الإسلامى.

ومن هذا المنطلق وطبقاً للمعتاد فى شهر رمضان من كلّ عام شرع **سماحة آية الله العظمى مكارم الشيرازى مدّظلّه** بالقاء محاضراته بعد صلاة الظهر والعصر بما يخصّ الأبحاث التفسيرية المتعلقة بولاية أميرالمؤمنين (عليه السلام) لأن شهر رمضان هو شهر القرآن وهو الشهر الذى استشهد فيه الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) فكان البحث تفسيراً للقرآن من جهة، ودراسة متعمقة لمسألة الولاية والإمامة فى دائرة المفاهيم القرآنية من جهة اُخرى.

نأمل أن يشرق نور القرآن فى قلوبنا أكثر وأكثر ببركة القرآن الكريم ومفسّره الأوّل أميرالمؤمنين (عليه السلام) ويساهم فى ترشيد مسارنا فى خطّ الرسالة والإيمان وهداية الاُمّة الإسلامية فى حركتها الحضارية الصاعدة.

الكتاب الحاضر

---

١ . لأن السنة القمرية أقل من السنة الشمسية فى عدد أيّامها.

www.makarem.ir

وهكذا تمّ بحمد الله تدوين تلك البحوث الجذّابة والشيّقة والعميقة المحتوى. وبعد إخراج المنابع والمصادر وإجراء بعض الاصلاح والتهذيب المتعلّق بتحويل الخطاب الكلامى إلى خطاب كتابى تمّ طبع الكتاب وإخراجه بالشكل المطلوب.

ملاحظات

١ ـ لعلّ البعض يتصور أنه مع وجود الجزء التاسع من نفحات القرآن الذى يتحدّث عن مفهوم الولاية والإمامة فى القرآن الكريم، وكذلک ما ورد فى التفسير الأمثل ذيل الآيات المتعلّقة بمسألة الإمامة فما الداعى لتأليف كتاب آخر يتناول هذه المسألة بالذات ؟

ولكن الحقيقة أن الأبحاث المطروحة فى هذا الكتاب أوسع وأشمل ممّا ورد فى ذينک الكتابين، والأهم من ذلک البعد العملى والتطبيقى للآيات الكريمة الواردة فى هذا الكتاب ممّا يمنحه قدرة على معالجة مساحات واسعة من اهتمامات المجتمع الإسلامى المعاصر، مضافاً إلى المواضيع الجديدة التى تناولها هذا الكتاب لم تذكر فى الكتابين السابقين، ولهذا وجدنا أن من الضرورى نشر هذه البحوث القيّمة للقرّاء الأعزاء.

٢ ـ إن القرآن الكريم يتميّز بطراوة وحيوية على مدى الدهور والأعصار حيث يفيض على قارئيه فى كلّ عصر وزمان مطالب جديدة، وعليه لا ينبغى القناعة والإكتفاء بما أورده المفسّرون من مفاهيم سامية فى تفسير آياته الكريمة، بل علينا مواصلة البحث والتنقيب فى معادنه الثمينة مع الإسترفاد من تفاسير الأعاظم وما تركه لنا العلماء من جهود فكرية فى هذا السبيل وكذلک الإستفادة من العلوم والمعارف الجديدة فى عملية استخراج المفاهيم القرآنية الكامنة واستجلاء مضمونها الحضارى.

٣ ـ تمّ تقسيم آيات الولاية والإمامة فى هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام وبحثها فى ثلاثة فصول :

الفصل الأوّل : آيات الخلافة والولاية على المسلمين.

الفصل الثانى : آيات فضائل أهل البيت (عليهم السلام).

www.makarem.ir

الفصل الثالث : آيات الفضائل الخاصّة بأميرالمؤمنين (عليه السلام).

وأخيراً أتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع الأُخوة الذين أعانونى على انجاز هذه المهمة ولا سيّما أبنائى الأعزاء الذين تكفّلوا مهمة مطابقة الكتاب، وأرجو أن نتحرک جميعاً فى خطّ الرسالة والصراط المستقيم بالاستنارة من الأنوار الإلهية للقرآن الكريم من أجل تحويل ولاية أميرالمؤمنين (عليه السلام) إلى واقع حىّ يشمل كلّ تطلعات الإنسان ويعيش أجواء العناية الربانية فى آفاقها الواسعة.

رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّکَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ

قم ـ الحوزة العلمية

أبو القاسم عليـان نـژادى

ربيع الثانى ١۴٢٢

www.makarem.ir

الفصل الأول

آيات الخلافة والولاية

على المسلمين

- آية التبليغ
- آية إكمال الدين
- آية الولاية
- آية أُولى الأمر
- آية الصادقين

www.makarem.ir

www.makarem.ir

آية التبليغ

١

«سورة المائدة / الآية ٦٧»

أبعاد البحث

هذه الآية الشريفة المشهورة التى تُعرف بآية التبليغ تتحدث عن أهم مسألة وقضية فى العالم الإسلامى بعد مسألة النبوّة، و تخاطب النبى الأكرم فى أواخر عمره الشريف بإصرار بالغ أن يتحدث للناس بصراحة تامة عن مسألة الخلافة والخليفة الذى يليه، ويبيّن للناس تكليفهم الشرعى، وقد ذكر علماء السنة والشيعة مطالب مختلفة فى تفسير هذه الآية كما سيأتى.

الشرح والتفسير

إنتخاب الخليفة مرحلة نهائية للرسالة

إنّ القرآن الكريم يخاطب النّبى الأكرم(صلى الله عليه وآله) فى آياته الشريفة بعناوين مختلفة منها:

www.makarem.ir

(يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ)[١].

(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)[٢].

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ)[٣].

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ)[٤].

فالخطاب الأول والثانى يشيران إلى حالة خاصة من حالات الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)الظاهرية، ولكن الخطاب الثالث والرابع يشيران إلى الشأن المعنوى والمقام الإلهى لرسول الله(صلى الله عليه وآله) حيث ورد هذا النحو من الخطاب: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ) مرات عديدة فى القرآن الكريم.

ولكن خطاب: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ) لم يرد فى القرآن سوى فى آيتين أحدهما الآية محل البحث، والأُخرى الآية ٤١ من سورة المائدة والتى تنسجم فى مضمونها مع هذه الآية الشريفة وهذا يدلّ على أهمّية الموضوع الذى يتضمنه هذا الخطاب الإلهى للرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله) حيث يقول بعده:

(بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ...) وهذه المهمّة التى أُمر النّبى بإبلاغها لم تكن سوى تعيين الخليفة من بعده.

(وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...) إنّ هذه المهمّة إلى درجة من الأهمّية بحيث إنّه لو لم يؤدّها للناس فكأنّه لم يؤدّ الرسالة الإلهية بشكل عام حيث تبقى أتعاب ثلاثة وعشرين سنة من تبليغ الرسالة ناقصة.

ومن الواضح أنّ النّبى الأكرم(صلى الله عليه وآله) كان يبلّغ جميع ما نزل عليه من الوحى للناس ويبيّن تعاليم الشريعة المقدسة ولكن هذا التعبير الذى يُفهم من سياق الآية يوحى للمسلمين بأهمية الموضوع الذى تضمنته الآية الشريفة.

---

١ . سورة المزمل : الآية ١.

٢ . سورة المدثر : الآية ١.

٣ . كرر هذا الخطاب فى أكثر من ١٠ آيات قرآنية.

٤ . ورد هذا الخطاب مرتين فى القرآن الكريم.

www.makarem.ir

(وَاللهُ يَعْصِمُکَ مِنْ النَّاسِ...) فبما أنّ هذه المهمّة حساسة جدّاً وفى غاية الأهمّية فمن الطبيعى أن تحوطها الأخطار ومن المتوقع أن تكون هناک ردود فعل شديدة من قبل المنافقين ومن فى قلوبهم مرض سواءً كان بصورة علنية أم بصورة سرّية،

ولذلک فانّ الله سبحانه وتعالى قد وعد نبيّه الكريم(صلى الله عليه وآله) بأن يحفظه من هذه الأخطار المحتملة.

(إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) فعلى الرغم من أنّ الله تعالى يمنّ على جميع الناس بالهداية إلى الحق إلاّ أنّ الأشخاص الذين يصرّون العناد والإصرار على عقائدهم الزائفة وأفكارهم الباطلة لا يستحقون الهداية وسوف لا ينالون نعمة الهداية من الله تعالى.

□□

ومع قليل من التدبر فى مضمون وأجواء الآية محل البحث تتجلى هذه الحقيقة المهمة، وهى أنّ الآية الشريفة تتحرک نحو الإخبار عن موضوع مهم جدّاً، لأنّها تتضمّن فى سياقها تأكيدات كثيرة لم يسبق لها مثيل:

١ ـ تبدأ الآية الشريفة بخطاب (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ) وكما تقدم أنّ هذا الخطاب يدل على الأهمّية الفائقة لمضمون هذا النص الشريف بحيث استلزم أن يقع الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)مورداً للخطاب الإلهى مباشرة.

٢ ـ كلمة «بَلِّغْ» إشارة أُخرى إلى خصوصية المضمون الذى تحمله الآية الشريفة لأنه :

أوّلاً : أنّ هذه الكلمة لم ترد فى القرآن الكريم سوى فى هذه الآية الشريفة.

ثانياً : كما يقول الراغب فى كتابه «مفردات القرآن» إنّ هذه الكلمة فى الواقع فيها تأكيد أشدّ من كلمة «أَبْلِغْ» لأنّه بالرغم من أنّ هذه الكلمة أيضاً لم ترد إلاّ مرّة واحدة فى القرآن الكريم[١]، إلاّ أنّ كلمة «بَلِّغْ» مضافاً إلى مفهوم التوكيد فيها تتضمّن التكرار أيضاً، أى أنّ

١ . سورة التوبة : الآية ٦.

www.makarem.ir

هذا الموضوع إلى درجة من الأهمّية بحيث يجب إبلاغه إلى الناس دفعات وبصورة مكررة[١].

ثالثاً : جملة (وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) شاهد ثالث على الخصوصية المهمّة فى هذه الآية، فانّ النّبى الأكرم(صلى الله عليه وآله) يُؤمر فى هذه الآية بإبلاغ رسالة خاصة تمثّل أساس ومحور الرسالة والنبوّة، لأنّه لو لم يبلّغ النّبى الأكرم(صلى الله عليه وآله) هذه الرسالة الخاصة فكأنّما لم يبلّغ الرسالة كلّها.

رابعاً : ومن العلامات الاُخرى على عظمة وأهمية مضمون هذه الآية الكريمة هو ما ورد فيها من ضمانات إلهية لحفظ الرسول الأكرم من الأخطار المحدقة به.

إنّ مضمون المأمورية التى كلّف بها النّبى الأكرم(صلى الله عليه وآله) فى هذه الآية الشريفة إلى درجة من الأهمّية بحيث يخشى على النّبى من الخطر على حياته من جراء ردود الفعل المختلفة التى ستثيرها هذه المهمّة الرسالية، ولكن الله تعالى يعِد نبيّه الكريم بحفظه من جميع الأخطار وردود الفعل المحتملة.

فما هو الموضوع المهم الذى تضمنته هذه الآية الشريفة؟

ما هى المأمورية المهمّة للنّبى الأكرم(صلى الله عليه وآله) التى تستلزم ضمانات إلهية صريحة بحفظ النّبى من الخطر؟

ما هو المطلب المهم الذى يجب أن يبلّغه النّبى الأكرم(صلى الله عليه وآله) للناس بحيث يساوى جميع الرسالة الإلهية؟

ماذا أراد الله سبحانه وتعالى من النّبى الأكرم(صلى الله عليه وآله) بحيث هدده من جهة ووعده بحفظ حياته من جهة اُخرى؟

والخلاصة ما هو موضوع هذه الآية الشريفة الذى ورد بكل هذه التأكيدات الشديدة ؟

ومن أجل استجلاء الجواب الصحيح على هذه الأسئلة هناك طريقان:

---

١ . وهكذا عمل النبى الأكرم(صلى الله عليه وآله)، حيث ذكر موضوع خلافة على(عليه السلام) على الناس مراراً من الأيّام الاولى لظهور الإسلام وحتى وفاته.

www.makarem.ir

الأوّل : هو التفكر والتأمل والتدبر فى مضمون الآية نفسها بقطع النظر عن ما ورد من طرق الفريقين من السنة والشيعة من الروايات الشريفة فى تفسير هذه الآية ومع قطع النظر عن كلمات المفسّرين والمؤرّخين.

والآخر : هو أن نقوم بتفسير هذه الآية الشريفة مع ما ورد حولها من روايات وأحاديث فى شأن نزولها.

الطريق الأوّل : تفسير الآية بغض النظر عن الشواهد الأخرى

إنّ التدبّر والتعمق والدقة فى الآية الشريفة نفسها وبدون الإستعانة بأُمور أخرى بإمكانه أن يجيب على جميع الأسئلة الواردة أعلاه بشرط الإبتعاد عن التعصّب فى تحكيم عقولنا لاستجلاء الحقيقة، لأنّه:

أوّلاً : أنّ الآية مورد البحث هى الآية (٦٧) من سورة المائدة وكما نعلم فإنّ سورة المائدة هى آخر سورة[١] نزلت على النّبى الأكرم(صلى الله عليه وآله) أو من أواخر السور التى جاء بها الوحى إلى الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله)، أى أنّ هذه الآية نزلت فى السنة العاشرة من البعثة وهى آخر سنة من عمر النبى الأكرم(صلى الله عليه وآله) وبعد ثلاثة وعشرين سنة من تبليغ الرسالة الإلهية.

والسؤال هو : ما هو الموضوع المهم الذى لم يبلّغه الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله) إلى الناس بعد ثلاثة و عشرين سنة من عمر النبوّة والرسالة؟

هل أنّ هذا الموضوع المهم يتعلق بالصلاة، فى حين أنّ المسلمين كانوا يصلّون قبل ذلك بعشرين سنة؟

هل يتعلق بالصيام فى حين أنّ حكم الصوم قد وجب بعد الهجرة وقد مضى على تشريعه ثلاثة عشر سنة؟

هل يتعلق بأمر تشريع الجهاد ونحن نعلم أنّ الجهاد قد شُرّع فى السنة الثانية للهجرة؟

---

١ . حسب الروايات، نزلت هذه السورة بصورة كاملة فى حجة الوداع (الحجة الاخيرة للنبى الأكرم(صلى الله عليه وآله)) بين مكة والمدينة (المنار : ج ٦، ص١١٦).

www.makarem.ir

هل يتعلق بالحج ؟

الجواب : كلاّ، إنّ الانصاف يدعونا إلى إنكار أن يكون هذا الموضوع يتعلق بواحدة من هذه الاُمور فلابدّ من التأمل فى هذه الحقيقة، ونتسائل: ما هى المسألة المهمّة التى بقيت بعد ثلاثة وعشرين سنة من أتعاب الرسالة بدون تبليغ ؟

ثانياً : ويستفاد من أجواء الآية الشريفة أنّ هذه المأمورية للنبى الأكرم(صلى الله عليه وآله) إلى درجة من الأهمّية والخطورة بحيث تعادل الرسالة والنبوّة نفسها، وأمّا الإحتمالات التى ذكرها العلماء فى تفسير واكتشاف مضمون هذه المأمورية كما تقدم آنفاً فانّها رغم أهمّيتها ولكنّها لا تعادل بثقلها الرسالة نفسها، فيجب أن نتفكّر فى ماهيّة هذا الأمر المهم الذى يعادل الرسالة والنبوّة الذى لم يؤدّه النبى لحد الآن.

ثالثاً : الخصوصية الأخرى لهذه المأمورية الإلهية هى أنّ بعض الناس سيتحركون من موقع الرفض والإعتراض ويكون اعتراضهم إلى درجة من الشدّة والجدّية بحيث أنّهم مستعدون لقتل النبى والقضاء عليه ونحن نعلم أنّ المسلمين لم يعترضوا على تشريعات سابقة من قبيل الصلاة والصوم والحج والجهاد وأمثال ذلک.

إذن هذه المأمورية تتضمن مسألة سياسية بحيث تدفع بالبعض إلى الإعتراض والإستنكار والتحرک نحو القضاء على النبى الأكرم(صلى الله عليه وآله) لمنعه من إمتثال هذا التكليف الإلهى.

وعندما نأخذ بنظر الإعتبار جميع هذه الأبعاد المذكورة فى أجواء الآية الشريفة ونتدبّر فى هذا الموضوع من موقع الانصاف والحياد التام ونسعى لفهم الحقيقة بعيداً عن التعصّب والعناد لا نصل إلاّ إلى مسألة الولاية والخلافة بعد النبى الأكرم(صلى الله عليه وآله) والتى قام النبى بتبليغ هذه الرسالة فى غدير خم بصورة رسمية.

أجل! إنّ الموضوع الذى لم يبلّغه النبى الأكرم(صلى الله عليه وآله) للمسلمين إلى آخر عمره الشريف بصورة رسمية والذى يعادل الرسالة والنبوّة والذى تمادى الكثير من الناس لمنع الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) من أداء هذه المهمّة والذى وعد الله عزّ وجلّ نبيّه الكريم بأن يحفظه من الأخطار التى تكتنف أداء هذه الرسالة هى المسألة

www.makarem.ir

المصيرية والمهمّة فى دائرة الخلافة، لأنّه بالرغم من أنّ النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) قد ذكر للناس مسألة ولاية الإمام على فى السابق إلاّ أنّه لم يبلّغها لجميع المسلمين بصورة رسمية لحد الآن، ولهذا السبب فانّه عندما كان عائداً من حجة الوداع قام بتبليغ هذه المأمورية الإلهية الكبيرة فى صحراء غدير خم بأفضل صورة حيث أعلن لجميع المسلمين عن نصبه للإمام على(عليه السلام) خليفة على المسلمين، وبتبليغ هذه المأمورية كمُلت رسالته.

□□

تطبيق العلامات الثلاث على مسألة الولاية

إنّ مسألة خلافة أمير المؤمنين(صلى الله عليه وآله) تنطبق عليها العلائم الثلاث الواردة فى آية التبليغ تماماً لأنّها :

أوّلاً : إنّ الرسول الأكرم كما مرّ آنفاً لم يعلن عن مسألة الخلافة بعده طيلة عمره المبارک بشكل صريح ورسمى وبتلک الأبعاد الواسعة، وهذه هى المسألة المهمة التى بقيت على عاتقه فى الأيّام الأخيرة من عمره الشريف.

ثانياً : إنه ليس من بين القضايا والاُمور الإسلامية مسألة تعادل فى أهميتها وشأنها مسألة النبوة سوى مسألة الخلافة والولاية التى تعتبر استمراراً لمسار النبوة، ومقام الإمامة يرادف مقام النبوة حيث يتكفل الإمام بأداء الوظائف والمسؤوليات التى كانت على عاتق النبى.

ثالثاً : منذ زمان طرح مسألة الإمامة لأميرالمؤمنين بدأت ردود الفعل والمخالفات المتعددة تبرز على السطح بل قد ظهرت فى غدير خم أيضاً حيث جاء شخص إلى النبى
الأكرم معترضاً عليه وقال : «اللّهم إن كان هذا من عندک فأنزل علينا حجارة من السماء» فنزلت عليه حجارة فأهلكته.

وهكذا هلک هذا الشخص كما سيأتى تفصيل القصة لاحقاً.

وإذا ضممنا الآية ٤١ من سورة المائدة إلى هذه الآية يتضح المطلب بصورة جيدة.

www.makarem.ir

والنتيجة هى أنّ الآية الشريفة محل البحث مع غض النظر عن الروايات والأقوال وآراء المفسّرين وما أورده المؤرخون فى كتبهم تدلّ على خلافة وولاية الإمام على (عليه السلام).

□□

سؤال : قد يقال المراد بالمسألة المهمة فى هذه الآية هو إشارة إلى الخطر الكامن فى عدوّين كبيرين للإسلام والمسلمين وهما : اليهود والنصارى الّذين كانوا يتحركون دوماً من موقع العداء للإسلام ومنع تقدّم المسلمين ومع هذا كيف تكون هذه الآية مرتبطة بشأن الولاية والخلافة ؟

الجواب : إنّ من كانت له أدنى مطالعة ومعرفة بتاريخ الإسلام يعلم جيداً أنّ مشكلة اليهود والنصارى تم حلّها فى السنة العاشرة للهجرة حيث تم إخراج قبائل اليهود من بنى قريظة وبنى النظير وبنى قينقاع ويهود خيبر وسائر قبائل اليهود والنصارى من الجزيرة العربية حيث أسلم الكثير منهم وأُجبر الباقى على الهجرة إلى مناطق أُخرى، وعلى هذا الأساس فطبقاً لما ورد فى الآية ٤١ من سورة المائدة أن خوف النبىّ (صلى الله عليه وآله) لم يكن من خارج دائرة المسلمين بل كان خوفه يتمثل فى الأفراد الذين دخلوا الإسلام.

وعلى هذا الأساس فإنّ تفسير الآية باليهود والنصارى لا يكون منسجماً مع أجواء الآية، وكذلک سائر التفاسير الأُخرى التى أوردها البعض سوى القول بأن المقصود هو خلافة أميرالمؤمنين (عليه السلام)، وعليه فإنّ الآية الشريفة محل البحث تمثّل جواباً قاطعاً ومستدلاً ومتيناً على جميع الأشخاص الذين أنكروا إمامة وخلافة الإمام على بن أبى طالب بعد رسول الله.

الطريق الثانى : تفسير آية التبليغ فى دائرة الروايات

الطريق الثانى لتفسير الآية الشريفة يتم بالاستعانة بالأحاديث والروايات الشريفة الواردة فى شأن نزول هذه الآية وكذلک نظريات وآراء المفسّرين وعلماء الإسلام والمؤرخين الذين دوّنوا هذه الحادثة...

www.makarem.ir

هناک العديد من المحدّثين فی صدر الإسلام ذهبوا إلی أن الآية أعلاه نزلت فی شأن أميرالمؤمنين علی بن أبی طالب ومن هؤلاء :

١ ـ «ابن عباس» الراوی والمفسّر المعروف کاتب الوحی الذی هو مورد قبول الشيعة وأهل السنّة.

٢ ـ «جابر بن عبدالله الأنصاری» وهو الشخصية المعروفة والمقبولة لدی جميع الطوائف الإسلامية.

٣ ـ «أبو سعيد الخدری» الذی يعدّ من کبار صحابة النبی ويتمتع باحترام بالغ.

٤ ـ «عبدالله بن مسعود» وهو أحد کتّاب الوحی وأحد المفسّرين المعروفين.

٥ ـ «أبو هريرة» الراوی المعروف والمقبول لدی أهل السنّة.

٦ و ٧ ـ «حذيفة» و «البراء ابن عازب» صحابيان من مشاهير صحابة النبی، وهناک جمع آخر من الصحابة والعلماء الذين يذعنون بهذه الحقيقة وهی أنّ الآية الشريفة محل البحث نزلت فی ولاية الإمام علی.

والجدير بالذکر أنّ الروايات الواردة فی هذه الاسناد والتی أشرنا إلی بعض رواتها آنفاً وردت من طرق مختلفة، فمثلاً الرواية أعلاه وردت بأحد عشر طريقاً عن ابن عبّاس وجابر بن عبدالله الأنصاری.

ومن بين المفسّرين من أهل السنّة جماعة ذکروا الرواية المتعلّقة بولاية أميرالمؤمنين (عليه السلام)ومن بينهم «السيوطی» فی «الدرّ المنثور» / الجزء الثانی / الصفحة : ٢٩٨، و«أبوالحسن الواحدی النيشابوری» فی «أسباب النزول» / الصفحة : ١٥٠، و«الشيخ محمّد عبده» فی «تفسير المنار» / الجزء السادس / الصفحة : ١٢٠، و «الفخر الرازی» فی «التفسير الکبير»، وغيرها من التفاسير الاُخری.

وهنا نورد مقطعاً من کلام الفخر الرازی الذی أورده فی تفسيره کنموذج منها :

يعتبر الفخر الرازی من أساطين المفسّرين وعلماء الإسلام بين أهل السنّة ويعتبر تفسيره متين ومفصّل ويحکی عن کثرة علمه واطّلاعه علی الاُمور «بالرغم من تعصبه

www.makarem.ir

الشديد الذى اسدل على فكره حجاباً فى بعض الأحيان» فإنّه بعد استعراض تسعة احتمالات فى تفسير الآية أعلاه يذكر ولاية أميرالمؤمنين فى الاحتمال العاشر ويقول :

نزلت الآية فى فضل على بن أبى طالب ولمّا نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال : من كنت مولاه فعلى مولاه اللّهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه، فلقيه عمر فقال : هنيئاً لک يابن أبى طالب ! أصبحت مولاى ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة...[١]

وطبقاً لما ورد فى كتاب شواهد التنزيل يقول زياد بن منذر :

كنت عند أبى جعفر محمّد بن على (الباقر) (عليه السلام) وهو يحدّث الناس إذ قام إليه رجل من أهل البصرة يقال له : عثمان الأعشى ـ كان يروى عن الحسن البصرى ـ فقال له : يا ابن رسول الله جعلنى الله فداک إن الحسن يخبرنا أنّ هذه الآية نزلت بسبب رجل ولا يخبرنا من الرجل. فقال : لو أراد أن يخبر به لأخبر به ولكنه يخاف (من حكومة بنى اُمية مضافاً إلى أنه لم تكن له علاقة جيدة مع الإمام على (عليه السلام))... إلى أن قال : فلما ضمن الله **[له]** بالعصمة وخوّفه أخذ بيد على بن أبى طالب ثمّ قال : يا أيّها الناس من كنت مولاه فعلى مولاه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه...[٢].

والملاحظة الملفتة هنا هى أنّ الحاكم الحسكانى مؤلف كتاب شواهد التنزيل الذى أورد الرواية أعلاه هو من أهل السنّة، كما ذكر هذه الرواية جمع آخر من أهل السنّة.

□□

والنتيجة هى أن الأحاديث والروايات وأقوال الصحابة والروايات وآراء المفسّرين والعلماء كلّها تحكى أنّ آية التبليغ نزلت فى موضوع ولاية أميرالمؤمنين الإمام على (عليه السلام).

توصيتان فى آية التبليغ

وبإمكاننا أن نستوحى ملاحظتان أو توصيتان من أجواء الآية الشريفة :

---

١ . التفسير الكبير : ج ١١، ص ٤٩.

٢ . شواهد التنزيل : ج ١، ص ٢٥٣، ح ٢٤٨.

www.makarem.ir

١ ـ أنّه بالرغم من أنّ المخاطب فى هذه الآية الشريفة هو رسول الله بشخصه إلاّ أنّ وظيفة تبليغ مسألة الولاية والإمامة والإجابة على علامات الإستفهام والشبهات التى تثار حولها لا تختص بالرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) بلا شک، بل هى وظيفة جميع العلماء وأهل النظر على طول التاريخ.

٢ ـ الأُخرى فى هذه الآية الشريفة هى أنّ المؤمنين الواقعيين هم الأشخاص الذين يتحركون فى خط الطاعة لله تعالى من موقع التسليم والاذعان للحقّ لا من موقع التعصّب والعناد والميول الفئوية والطائفية والحزبية بحيث يسلّمون أحياناً ويخالفون أحياناً أُخرى.

وأساساً فإنّ السرّ فى وصول نبى الإسلام لتلک المقامات العالية والمنازل المعنوية الرفيعة تكمن فى عبوديته وتسليمه المحض لله تعالى وهو ما نشهد به فى كلّ صلاة قبل الشهادة برسالته ونقول : «**اشهد أن محمّداً عبده ورسوله**».

ونحن إذا أردنا نيل تلک المرتبة السامية من القرب الإلهى وأردنا أن نعيش الإيمان الحقيقى والواقعى وتطبيق إدعائنا فى الإستنان بسنّة النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)فيجب أن نسلّم لأمره على كلّ حال حتّى لو كان على خلاف رغباتنا ومزاجنا وميولنا العاطفية.

□□

ولغرض تكميل هذا البحث نستعرض خلاصة لقصّة الغدير كما وردت فى تفسير «نفحات القرآن»....

واقعة الغدير

أدركنا من البحث الآنف بشكل إجمالى أن هذه الآية وعلى ضوء الشواهد التى لا تحصى قد نزلت بحقّ على (عليه السلام)، وانّ الروايات التى نُقلت فى الكتب المعروفة لأهل السنّة ـ فضلاً عن كتب الشيعة ـ أكثر من أن يستطيع أحدٌ انكارها.

وبالاضافة إلى الروايات أعلاه، فلدينا روايات أُخرى تفيد بصريح القول : إنّ هذه الآية وردت أثناء واقعة الغدير وخطبة النبى (صلى الله عليه وآله) فى التعريف بعلى (عليه

www.makarem.ir

السلام) على أنه الوصى والولى، وعددها يربو على الروايات السابقة، حتّى أنّ المحقّق الكبير العلاّمة «الأمينى» ينقل فى كتاب الغدير، حديث الغدير عن ١١٠ من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالاسناد والوثائق الحية، وكذلک عن ٨۴ من التابعين و٣۶٠ من مشاهير علماء المسلمين ومؤلفيهم.

إنّ كلّ من يلقى نظرةً على مجموعة هذه الأسانيد والوثائق يدرک بأنّ حديث الغدير من أكثر الروايات الإسلامية جزماً، ومصداقاً واضحاً للحديث المتواتر ومن يشک فى تواتره، فعليه أن لا يؤمن بأىّ حديث متواتر.

وحيث إنّ الولوج فى هذا البحث بنحو واسع يخرجنا عن اُسلوب كتابة تفسير موضوعى، فنكتفى بهذا القدر بشأن اسناد الرواية وشأن نزول هذه الآية، ونتطرق إلى مضمون الرواية، ونحيل الذين يريدون المزيد من المطالعة حول اسناد الرواية إلى الكتب التالية :

١ ـ كتاب الغدير، ج ١.

٢ ـ إحقاق الحقّ، تأليف العلاّمة الكبير القاضى «نورالله الشوشترى» مع شرح مفصل لآية الله النجفى، ج ٢ و ٣ و ١۴ و ٢٠.

٣ ـ المراجعات للمرحوم السيّد «شرف الدين العاملى».

۴ ـ عبقات الأنوار للعالم الكبير «ميرحامد الحسينى الهندى» (من الأفضل مراجعة خلاصة العبقات، ج ٧ و ٨ و٩).

۵ ـ دلائل الصدق، تأليف العالم الكبير المرحوم «المظفر»، ج ٢.

مضمون روايات الغدير

وهنا نأتى بقصّة الغدير بشكل مختصر كما يستفاد من مجموع الروايات أعلاه، (وطبقاً فإن هذه الواقعة قد وردت فى بعض الرويات بشكل مفصّل ومطوّل، وفى بعضها بشكل مختصر وقصير، وفى بعضها اشير إلى جانب من هذه القصة وفى البعض إلى جانب آخر، ومنها جميعاً يستفاد ما يلى) :

www.makarem.ir

فى السنّة الأخيرة من حياة النبى (صلى الله عليه وآله) أقيمت مراسم حجة الوداع بكلّ جلال بمشاركة النبى(صلى الله عليه وآله)، وكانت الأفئدة تمتلئ بالمعنويات ولم تزل اللذة المعنوية لهذه العبادة العظيمة ينعكس إشعاعها فى النفوس.

وكان أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذين كان عددهم كثيراً للغاية لا تسعهم أنفسهم نتيجة لادراكهم هذا الفيض والسعادة العظيمة[1].

ولم يكن أهل المدينة وحدهم الذين يرافقون رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى هذا السفر، بل كان المسلمون من مختلف بقاع الجزيرة العربية برفقته (صلى الله عليه وآله) لنيل هذا الفخر التاريخى العظيم.

وكانت شمس الحجاز تضفى على الجبال والأودية حرارة لا تطاق، إلاّ أن حلاوة هذا السفر المعنوى النادر كانت تيسّر كلّ شيء، وقد اقترب الظهر، وأخذت منطقة الجحفة، وصحراء «غدير خم» الجافة الرمضاء تبدو للعيان.

وهذا المكان يعدّ مفرق طرق لأهل الحجاز حيث يتشعب إلى أربعة طرق، فطريق يتجه إلى الشمال نحو المدينة، وطريق إلى الشرق نحو العراق، وطريق إلى الغرب نحو مصر، وطريق إلى الجنوب نحو اليمن، وهنا يجب أن تُطرح آخر المستجدات فى هذا السفر، ويتفرق المسلمون بعد استلامهم لآخر حكم، وهو فى واقع الأمر كان خط النهاية فى الواجبات الناجحة للنبى(صلى الله عليه وآله).

كان ذلک فى يوم الخميس من السنة العاشرة للهجرة، وقد مضت عشرة أيّام على عيد الأضحى، وفجأة صدر الأمر من الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى الذين معه بالتوقف، ونادى المسلمون بأعلى أصواتهم أصحابَهم الذين تقدّموا الركب بالتوقف والعودة، وأمهلوا المتأخرين حتّى يصلوا، وزالت الشمس وصدح صوت مؤذن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالأذان : **الله أكبر**، داعياً الناس إلى صلاة الظهر، وسرعان ما استعد الناس للصلاة، إلاّ أن حرارة الجو كانت إلى الحدّ الذى أُجبر البعض على أن يغطى أرجله

١ . ذكر البعض ان عدد الذين كانوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ٩٠ ألفاً، والبعض ١١٢ ألفاً، وبعضٌ ١٢٠ ألفاً، وبعضٌ ١٢٤ ألفاً.

www.makarem.ir

بقسم من ازاره ويستر رأسه بالقسم الآخر، وإلاّ فإن حصى الصحراء وأشعة الشمس ستحرق أرجلهم ورؤوسهم.

فلا خيمة فى الصحراء، ولا خضرة، ولا نبات، ولا شجرة، سوى بعض الأشجار البرية الجرداء التى تقاوم حرارة الصحراء، والتى لاذ بها البعض، ووضعوا قطعة من القماش على أحداها وجعلوها ظلاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، إلاّ أن الرياح اللاهبة تهب تحتها وتلفها بحرارة الشمس المحرقة.

وانتهت صلاة الظهر، وعزم المسلمون على اللجوء إلى خيامهم الصغيرة التى كانوا يحملونها معهم، بيد أن النبى (صلى الله عليه وآله) أوعز لهم بالاستعداد لسماع بلاغ إلهى جديد يُوضَّح ضمن خطبة مفصلة، ولم يكن بمقدور البعيدين عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)رؤية وجهه الملكوتى وسط زحام الناس، لذا فقد صنعوا له منبراً من أربعة من أحداج الإبل، فارتقاهُ النبى (صلى الله عليه وآله)، وفى البداية حمد الله وأثنى عليه واستعاذ به، ثمّ خاطب الناس قائلاً :

أيّها الناس : يوشک أن أُدعى فأُجيب.

أنا مسؤول، وأنتم مسؤولون.

فكيف تشهدون بحقّى ؟

فصاح الناس : نشهد أنک قد بلّغت ونصحت وجهدت فجزاک الله خيراً، ثمّ قال :

ألستم تشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأنّى رسول الله إليكم، وأن البعث حقّ، وأن الله يبعث من فى القبور ؟ ! فقالوا : نشهد بذلک، قال : **اللّهمّ اشهد،** ثمّ قال :

أيّها الناس أتسمعونى ؟ قالوا : نعم، ثمّ عمّ السكوت الصحراء فلم يُسمع إلاّ صوت الريح، فقال (صلى الله عليه وآله) : **فانظروا ماذا صنعتم بالثقلين من بعدى ؟**

فقال رجل من بين القوم : ما هذا الثقلان يا رسول الله ؟ !

قال (صلى الله عليه وآله) : **أما الثقل الأكبر فهو كتاب الله حبل ممدود من الله إليكم، طرفه بيد الله والطرف الآخر بأيديكم، فلا تدعوه، وأما الثقل الأصغر فهم عترتى وقد**

www.makarem.ir

أخبرنى اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض، فلا تتقدموهما فتهلكوا ولا تتأخروا عنهما فتهلكوا.

ونظر الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يلتفت حوله، وكأنه يبحث عن أحد، ولما وقعت عيناه على على (عليه السلام) التفت إليه وأخذ بيده ورفعها حتّى بان بياض أبطيهما، وشاهدهما جميع القوم، وعرفوا أنه ذلک الفارس المقدام، وهنا ارتفع صوت النبى (صلى الله عليه وآله)، وقال : **أَيُّهَا النّاسُ مَنْ أَوْلَى النّاسِ بِالمُؤمِنينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ؟**

قالوا : الله ورسوله أعلم،

فقال النبى (صلى الله عليه وآله) : **الله مولاى، وأنا مولى المؤمنين وأولى منهم بأنفسهم،** ثمّ قال : **فَمَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ**، وكرر هذا الكلام ثلاث مرّات، وكما قال أرباب الحديث : انه كرره أربعاً، ثمّ رفع رأسه نحو السماء، وقال :

اَللّهمّ والِ مَنْ والاه وَعادِ مَنْ عاداهُ، وَأَحِبّ مَنْ أَحَبَّهُ وَاَبْغِضْ مَنْ أَبْغَضَهُ وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَه وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ وَأَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دارَ.

ثمّ قال (صلى الله عليه وآله) : **أَلا فَلْيُبلّغ الشّاهِدُ الْغائِبَ.**

هنا انتهت خطبة الرسول (صلى الله عليه وآله) وكان العرق يتصبب من النبى (صلى الله عليه وآله) والجميع، ومازال الناس لم يتفرقوا من ذلک المكان حتّى نزل عليه الوحى وقرأ هذه الآية على رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (اَلْيَومَ أَكْمَلتُ لَكُمْ دِينَكُم وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتى)، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

اللهُ أَكْبَرْ، اللهُ أَكْبَرْ عَلَى اِكْمالِ الدِّيْنِ وَاِتْمامِ النِّعْمَة وَرِضَى الرَّبُّ بِرِسَالَتِى وَالْوِلايَةِ لِعَلِىٍّ مِنْ بَعْدى.

فى هذه الأثناء عم الناس النشاط والحركة، وأخذوا يهنئون عليّاً (عليه السلام) بهذا المقام، وكان من الذين هنئوه، أبو بكر وعمر حيث نطقا بهذه العبارة أمام أعين الحاضرين :

بَخٍّ بَخٍّ لَکَ يَابْنَ أَبى طالِب أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مَوْلاىَ وَمَوْلا كُلِّ مُؤمِن وَمُؤمِنَة.

www.makarem.ir

أثناء ذلک قال ابن عبّاس : «والله إنه عهد سيبقى فى أعناقهم»، واستاذن النبى (صلى الله عليه وآله)الشاعر المعروف «حسان بن ثابت» لينشد شعراً بهذه المناسبة، ثمّ استهل قصيدته المعروفة :

يُنادِيْهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيُّهُمْ * بِخُمٍّ وَاَسْمِعْ بِالرَّسُولِ مُنادِيا**
فَقالَ فَمَنْ مَوْلاكُمْ وَنَبِيِّكُمْ ؟ * فَقالُوا وَلَمْ يَبْدُوا هُناکَ التَّعامِيا :**
اِلهُکَ مَوْلانا وَاَنْتَ نَبِيُّنا * وَلَمْ تَلْقِ مِنّا فِي الْوَلايَةِ عاصِيا**
فَقالَ لَهُ قُمْ يا عَلَيُّ فَاِنَّنى * رَضيتُکَ مِنْ بَعْدى اِماماً وَهادِيا**
فَمَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهذا وَلِيُّهُ * فَكُونُوا لَهُ اتْباعَ صِدْق مُوالِيا**
هُناکَ دَعا اَللّهُمَّ وَالِ وَلِيَّهُ * وَكُنْ لِلَّذى عادا عَلِيّاً مُعادِيا**[1]

توضيحات

١ ـ معنى الولاية والمولى فى حديث الغدير

لقد اطلّعنا بشكل إجمالى على حديث الغدير المتواتر، والعبارة المشهورة التى جاءت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى جميع الكتب وهى : «**مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ**» توضح الكثير من الحقائق وإن أصرّ كثيرٌ من كتّاب أهل السنّة على تفسير كلمة «**المولى**» هنا بمعنى «**الصديق والمحبّ والناصر**»، لأنّ هذا أحد المعانى المعروفة لـ «**المولى**».

ونحن نسلّم بأنّ إحدى معانى «**المولى**» الصديق والمحب والناصر، إلاّ أنّ ثمة قرائن عديدة تثبّت أنّ المولى فى الحديث أعلاه تعنى «**الولى والمشرف والقائد**» وهى كما يلى بإيجاز :

١ ـ إن قضية محبة على (عليه السلام) مع جميع المؤمنين لم تكن أمراً خفياً وسريّاً ومعقّداً، بحيث يحتاج إلى هذا التأكيد والإيضاح، وبحاجة إلى إيقاف ذلک الركب العظيم

١ . روى هذا الشعر جماعة من كبار علماء السنّة منهم : الحافظ «أبو نعيم الاصفهانى»، والحافظ «ابوسعيد السجستانى»، و«الخوارزمى المالكى»، والحافظ «أبو عبدالله المرزبانى»، و«الكنجى الشافعى»، و«جلال الدين السيوطى»، و«سبط بن الجوزى»، و«صدرالدين الحموى».

www.makarem.ir

وسط الصحراء القاحلة الساخنة وإلقاء خطبة عليهم لأخذ الاقرار بالولاية له من ذلک الجمع.

فالقرآن يقول بصراحة : (إِنَّمَا المُؤمِنُونَ إِخْوَةٌ)[١].

وفى موضع آخر يقول : (وَالمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْض)[٢].

والخلاصة : إنّ الأُخوة الإسلامية ومودة المسلمين مع بعضهم من أكثر المسائل الإسلامية بداهة، حيث كانت موجودة منذ انطلاقة الإسلام، وطالما أكد عليها النبىُّ (صلى الله عليه وآله)مراراً، بالاضافة إلى عدم كونها مسألة تحتاج إلى بيان بهذا الأُسلوب الحاد فى الآية، وأن يشعر النبى (صلى الله عليه وآله) بالخطر من البوح بها (تأملوا جيداً).

٢ ـ إن عبارة «**أَلَستُ أَوْلى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ**» الواردة فى الكثير من الروايات لا تتناسب أبداً مع بيان مودّة عادية، بل انه يريد القول بأن تلک الأولوية والتصرف الذى لى تجاهكم وأننى إمامكم وقائدكم، فإنه ثابت لعلى (عليه السلام) وأى تفسير لهذه العبارة غير ما قيل فهو بعيد عن الإنصاف والواقعية، لا سيّما مع الأخذ بنظر الإعتبار جملة «**أَنَا أَوْلى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ**».

٣ ـ التهانى التى قدمها الناس لعلى (عليه السلام) فى هذه الواقعة التاريخية، لا سيّما التهانى التى قدمها أبوبكر وعمر، إذ إنها تبرهن على أن القضية لم تكن سوى تعيين الخلافة التى يستحق التبريک والتهانى، فالاعلان عن المودة الثابتة لجميع المسلمين بشكل عام لا يحتاج إلى تهنئة.

وجاء فى مسند الإمام أحمد أن عمراً، قال لعلى بعد خطبة النبى (صلى الله عليه وآله) :

هنيئاً لک يا ابن أبى طالب أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة[٣].

ونقرأ فى العبارة التى ذكرها الفخر الرازى فى ذيل الآية : (يا أَيُّها الرسولُ بلِّغْ مَا أُنزلَ إليکَ) أن عمراً قال : «**هَنيئاً لَکَ يَابْنَ أبى طالِب أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤمِن وَمُؤمِنَة**».

---

١ . الحجرات : الآية ١٠.

٢ . التوبة : الآية ٧١.

٣ . مسند أحمد : ج ٤، ص ٢٨١ (على ضوء نقل الفضائل الخمسة : ج ١، ص ٤٣٢).

www.makarem.ir

وبهذا فإن عمراً يعدُ علياً مولاه ومولى المؤمنين جميعاً.

وفى تاريخ بغداد جاءت الرواية بهذا الشكل :

بَخٍّ بَخٍّ لَکَ يَا ابْنَ أبى طالِب ! أَصْبَحْتَ مَوْلاىَ وَمَوْلى كُلِّ مُسْلِم[1].

وجاء فى «**فيض القدير**»، و«**الصواعق**»، أن أبا بكر وعمراً باركا لعلى بالقول : «**أَمْسَيْتَ يَابْنَ أبى طالِب مَوْلا كُلِّ مُؤمِن وَمُؤمِنَة**»[2].

ومن نافلة القول إن المودة العادية بين المؤمنين ليست لها مثل هذه المراسيم، وهذا لا ينسجم إلاّ مع الولاية التى تعنى الخلافة.

٤ ـ إن الشعر الذى نقلناه آنفاً عن «**حسان بن ثابت**» بذلک المضمون والمحتوى الرفيع، وتلک العبارات الصريحة والجلية شاهد آخر على هذا الادعاء، وتشير إلى هذه القضية بما فيه الكفاية (راجعوا تلک الأبيات مرّة اُخرى).

□□

٢ ـ سورة المعارج تؤيد حديث الغدير

روى كثيرٌ من المفسّرين ورواة الحديث فى ذيل الآيات الاُولى من سورة المعارج : (سألَ سائلٌ بِعَذاب واقع * لِلْكَافِرِيْنَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِن اللهِ ذِى المَعَارِجِ) أنّ شأن النزول فى هذه الآيات هو ما يلى :

إن النبى (صلى الله عليه وآله) عيّن علياً خليفة يوم غدير خم وقال بحقّة : «**مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَه**»، فما لبث أن انتشر الخبر، فجاء «**النعمان بن الحارث الفهرى**» ـ (وكان من المنافقين)[3] ـ إلى النبى (صلى الله عليه وآله) وقال : لقد أمرتنا أن نشهد ان لا إله إلاّ الله وأنک محمّد رسول الله، فشهدنا، ثمّ أمرتنا بالجهاد والحجّ والصلاه والزكاة فقبلنا، فلم ترض بكلّ ذلک، حتّى أقمت هذا الفتى «**مشيراً إلى علىّ** (عليه السلام) **خليفة لک، وقلت : مَنْ كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه فهل هذا منک أم من الله**» ؟ قال النبى (صلى الله عليه

١ . تاريخ بغداد : ج ٧، ص ٢٩٠.

٢ . فيض القدير : ج ٦، ص ٢١٧، الصواعق : ص ١٠٧.

٣ . جاء فى بعض الروايات انه «الحارث بن النعمان» وفى بعضها «النضر بن الحارث».

www.makarem.ir

وآله) «**والله الذى لا معبود سواه انه من الله**»، فالتفت إليه «**النعمان بن الحارث**»، وقال : «**إلهى إن كان هذا حقّاً منک فأنزل علينا حجارة من السماء**» !

وفجأةً نزلت حجارة من السماء على رأسه وقتلته، فنزلت آية «سأل سائل بعذاب واقع».

ما ورد أعلاه هو ما ذكره صاحب «مجمع البيان» عن أبى القاسم الحسكانى[١] وقد نقل هذا المضمون الكثير من مفسّرى أهل السنّة ورواة الأحاديث مع شىء من الإختلاف، مثل : القرطبى فى تفسيرهِ المعروف[٢]، والآلوسى فى تفسير روح المعانى[٣]، وأبو إسحاق الثعلبى فى تفسيره[٤].

وينقل العلاّمة الأمينى هذه الرواية فى كتاب الغدير عن ثلاثين من علماء السنّة (مع ذكر المصدر ونص العبارة)، منها : «السيرة الحلبية»، «فرائد السمطين» للحموينى، «درر السمطين» للشيخ محمّد الزرندى، و«السراج المنير» لشمس الدين الشافعى، «شرح الجامع الصغير» للسيوطى، و«تفسير غريب القرآن» للحافظ أبوعبيد الهروى، و«تفسير شفاء الصدور» لأبى بكر النقاش الموصلى، وكتب أُخرى.

وقد أورد بعض المفسّرين أو المحدّثين الذين يُقرّون بفضائل على (عليه السلام) على مضض اشكالات مختلفة على شأن النزول هذا، أهمها الإشكالات الأربعة التالية التى أوردها صاحب تفسير المنار وآخرون بعد ذكرهم للرواية أعلاه.

الإشكال الأوّل : إن سورة المعارج مكية، ولا تتناسب مع واقعة غدير خم.

والجواب : إن كون السورة مكية لا يعتبر دليلاً على أن جميع آياتها نزلت فى مكّة، فلدينا العديد من سور القرآن الكريم التى تدعى بالمكية وكتبت فى جميع المصاحف على أنها مكية، بيد أن عدداً من آياتها نزلت فى المدينة، وكذا العكس، فعلى سبيل المثال : إن سورة العنكبوت من السور المكية، والحال أن آياتها العشر الأُولى نزلت فى

١ . مجمع البيان: ج ٩ و ١٠، ص ٣٥٢.

٢ . الجامع لأحكام القرآن : ج ١٠، ص ٦٧٥٧.

٣ . روح المعانى : ج ٢٩، ص ٥٢.

٤ . وفقاً لنقل نور الأبصار للشبلنجى : ص ٧١.

www.makarem.ir

المدينة، على ضوء قول الطبرى فى تفسيره المعروف،والقرطبى فى تفسيره وآخرين من العلماء[١].

أو سورة الكهف المعروفة بأنها مكية بينما نزلت آياتها السبع الأُولى فى المدينة استناداً لتفسير «**القرطبى**»، و«**الاتقان**» للسيوطى، وتفاسير عديدة[٢].

وهكذا فهنالک سورٌ عُدت بأنها مدنية بينما نزلت آيات منها فى مكة، مثل سورة «**المجادلة**» فهى مدنية كما هو معروف، إلاّ أن الآيات العشر الأُولى منها نزلت فى مكّة، طبقاً لتصريح بعض المفسّرين[٣].

وموجز الكلام أنه توجد حالات كثيرة بأن تذكر سورة على أنها مكية أو مدنية، ويكتب عليها فى التفاسير والمصاحف هذا الاسم إلاّ أن جانباً من آياتها قد نزل فى موضع آخر.

وعليه فلا مانع أبداً من أن تكون سورة المعارج هكذا أيضاً.

الإشكال الثانى : جاء فى الحديث أن الحارث بن النعمان جاء إلى النبى (صلى الله عليه وآله)فى الإبطح، ومعلوم أن الأبطح اسم لوادى فى مكّة، وهذا لا يتلائم مع نزول الآية بعد واقعة الغدير بين مكّة والمدينة.

الجواب : **أوّلاً** إن عبارة الإبطح وردت فى بعض الروايات فقط لا فى جميعها.

وثانياً : إن «**الإبطح والبطحاء**» تعنى الأرض الرملية التى يجرى فيها السيل، وهنالک مناطق فى المدينة وغيرها يطلق عليها اسم الأبطح أو البطحاء أيضاً، واللطيف انه قد اشير إليها مراراً فى الشعر العربى.

منها الشعر المعروف الذى انشده «**شهاب الدين**» المشهور بـ «**حيص بيص**»[٤] فى رثائه لأهل البيت (عليهم السلام)، عن لسانهم فى مخاطبة قاتليهم :

---

١ . تفسيرالطبرى : ج ٢٠، ص ٨۶، القرطبى : ج ١٣، ص ٣٢٣.

٢ . للمزيد من الاطلاع على الموضوع : راجعوا الجزء الأوّل من كتاب الغدير : ص ٣۵۶و٢۵٧.

٣ . تفسير أبى السعود الذى كتب على هامش تفسيرالرازى : ج ٨،ص ١۴٨، والسراج المنير : ج ۴، ص ٣١٠.

۴ . اسمه «سعد بن محمّد بن سعد بن صيفى التميمى» ويلقّب بـ «شهاب الدين» ومشهور بلقب «حيص بيص»، وكان من فقهاء الشافعية وله معرفة واسعة بالعلوم ولكنه كان أعلم بالشعر والبلاغة، أما السبب فى شهرته بلقب «حيص بيص» فقد

www.makarem.ir

مَلَكْنا فَكانَ الْعَفْوُ مِنّا سَجِيَّةً *** فَلَمّا مَلَكْتُمْ سالَ بِالدَّمِ أَبْطَحُ
وَحَلَّلْتُمُ قَتْلَ الاُسارى وَطالَما *** غَدَوْنا عَنِ الاَسْرى نَعْفُوا وَنَصْفَحُ[1]

ومن الواضح أن مقاتل أهل البيت (عليهم السلام) كانت على الأغلب فى العراق وكربلاء والكوفة والمدينة، وما أُريق دمٌ فى ابطح مكّة أبداً، نعم إن بعض أهل البيت (عليهم السلام)استشهدوا فى واقعة «فخ» التى تبعد عن مكّة ما يقرب من فرسخين، والحال أنّ الابطح يجاور مكّة.

وشاعرٌ آخر يرثى الإمام الحسين (عليه السلام) سيّد الشهداء قائلاً :

وَتَانِّ نَفْسى لَلرُّبُوعِ وَقَدْ غَدا *** بَيْتَ النَّبِيِّ مُقَطَّعُ الاَطْنابِ
بَيْتٌ لاِلِ المُصْطَفى فِى كَرْبَلا *** ضَرَبُوهُ بَيْنَ أَباطِح وَرَوابى[2]

وثمة أشعار أُخرى كثيرة ورد فيها تعبير «**الابطح**» أو «**الاباطح**» لا تعنى منطقة خاصة فى مكّة.

وملخّص الكلام، صحيح أن أحد معانى الابطح هو بقعة فى مكّة، إلاّ أنّ معنى ومفهوم ومصداق الابطح لا ينحصر بتلك البقعة.

□□

٣ ـ كيفية ارتباط هذه الآية بما قبلها وبعدها

إن بعض المفسّرين ومن أجل مجانبة الحقيقة الكامنة فى هذه الآية توسّل بمبرر آخر وهو : إن سياق الآيات السابقة واللاحقة بشأن أهل الكتاب لا تنسجم مع قضية الولاية والخلافة والإمامة، ولا تتناسب هذه الاثنينية فى الخطاب مع بلاغة وفصاحة القرآن[3].

ذكروا أن الناس كانوا فى عسر وضيق فقال : ما للناس فى حيص وبيص ؟ فعرف بهذه الكلمة، توفى عام ٥٥٤ أو ٥٧٤ أو ٥٧٧ هـ . ق، ودفن فى مقابر قريش. (ريحانة الأدب : ج ٢، ص ٩٧).

١. الغدير : ج ١، ص ٢٥٥.

٣ . تفسير المنار : ج ٦، ص ٤٦٦.

www.makarem.ir

الجواب : إن كافة المطّلعين على كيفية جمع آيات القرآن يعرفون أن آيات القرآن نزلت تدريجياً وبمناسبات مختلفة، من هنا فكثيراً ما تتحدث سورةٌ ما حول قضايا مختلفة، فجانبٌ منها يتحدث عن الغزوة الفلانية، والجانب الآخر حول الحكم والتشريع الإسلامى الفلانى، وجانبٌ يخاطب المنافقين، وآخر يخاطب المؤمنين، فمثلاً لو طالعنا سورة النور لوجدناها تحتوى على جوانب متعددة، كلٌّ منها ناظرٌ إلى موضوع، بدءاً من التوحيد والمعاد ومروراً بتنفيذ حدّ الزنا وقصة «الافک»، والقضايا المتعلّقة بالمنافقين، والحجاب وغيرها، (وكذلک سائر السور الطوال إلى حد ما) بالرغم من وجود ارتباط عام بين مجموعة أجزاء السورة.

والسرّ وراء هذا التنوع فى المحتوى ما قيل من أن القرآن نزل تدريجياً وحسب المتطلبات والضرورات وفى مختلف الأحداث، وليس على هيئة كتاب كلاسيكى أبداً بحيث يتابع موضوعاً معداً سلفاً، على هذا الأساس لا مانع على الاطلاق من أن تنزل مقاطع من سورة المائدة بشأن أهل الكتاب، ومقاطع منها فى واقعة الغدير، بالطبع فمن وجهة النظر العامة انهما يرتبطان معاً إذ انّ تعيين خليفة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) يترک أثره على قضايا أهل الكتاب أيضاً، لأنه سيؤدى إلى يأسهم من انهيار الإسلام برحيل النبى (صلى الله عليه وآله)[1].

□□

١ . نفحات القرآن : ج ٩، ص ١٧٥.

www.makarem.ir

آية إكمال الدين

٢

«سورة المائدة / الآية ٣»

أبعاد البحث

تتحدّث هذه الآية الشريفة عن يوم عظيم جداً لدى المسلمين حيث يمثل نقطة عطف فى تاريخ الإسلام، وهو اليوم الذى عاش فيه أعداء الدين اليأس الكامل، وهو يوم إكمال الدين وإتمام النعمة الإلهية ورضى الله تعالى، فأى يوم هو هذا اليوم المبارک ؟

فيما يلى نجيب على هذا السؤال :

الشرح والتفسير

يوم إكمال الدين والنعمة

(اَلْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِين كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ) فبالرغم من أنّ أعداء الإسلام والكفّار المعاندين لم يتوانوا فى التصدى للدعوة السماوية منذ بدايتها وإلى آخر أيّام حياة النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)وبوسائل مختلفة، وفى كلّ مرّة كانوا يهزمون ويولّون الأدبار ولكنهم مع ذلک

www.makarem.ir

لم يفقدوا الأمل فى الإنتصار على الإسلام والمسلمين، ولكن عند نزول هذه الآية الشريفة ندرک جيداً وقوع حادثة مهمة بحيث إنّ هؤلاء الأعداء لم ينهزموا فقط بل فقدوا أملهم بالنصر نهائياً.

وعلى هذا الأساس فإنّ هؤلاء الكفّار والمشركين قد تملّكتهم حالة من اليأس المطبق فى تحقيق النصر على هذه الدعوة الجديدة.

(فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَونِ) فمع هذا النصر الكبير الذى حصل لكم فى هذا اليوم فلا ينبغى لكم بعد ذلک أن تعيشوا حالة الخوف والخشية من الأعداء لأنهم سوف لا يشكلون خطراً عليكم إطلاقاً بل عليكم أن تتحركوا فى امتثال أوامر الله سبحانه وتعالى من موقع الخشية لله والتقوى لأنّ الخطر الأساس فى هذه المرحلة يتمثل فى الأهواء والشهوات والإبتعاد عن خط الطاعة والتقوى والمسؤولية.

(اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَاَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى) ففى هذا اليوم العظيم والمهم أكمل الله لكم دينكم وأتم نعمته عليكم.

(وَرَضيتُ لَكُمْ الإسْلاَمَ دِيناً) إنّ عظمة هذا اليوم وأهمية هذه الحادثة إلى درجة بحيث إنّ الله عزّوجلّ رضى لكم الدين الإسلامى إلى الأبد.

أىّ يوم هو ذلک اليوم ؟

إن اليوم الذى تتحدث عنه الآية الشريفة له خصائص مهمة أربع :

١ ـ إن هذا اليوم هو اليوم الذى شعر فيه الكفّار والمشركون باليأس الكامل.

٢ ـ اليوم الذى أكمل الله لكم الدين.

٣ ـ اليوم الذى أتم الله تعالى نعمته على جميع المسلمين.

٤ ـ اليوم الذى رضى به الله تعالى أن يكون الإسلام ديناً خالداً لجميع الناس فأىّ يوم هذا اليوم المبارک الذى يتمتع بهذه الخصوصيات الأربعة ؟

وللإجابة على هذا السؤال يمكننا اختيار طريقين :

الطريق الأوّل : التأمل والتدبّر فى مضمون الآية الشريفة نفسها ومطالعة ما يمكن استيحاؤه من أجواءها بغض النظر عن الروايات والأحاديث الشريفة الواردة فى تفسير

www.makarem.ir

هذه الآية وبغضّ النظر كذلک عن آراء المفسّرين وعلماء الإسلام وسائر العلائم والقرائن الأُخرى التى تحيط بهذه الآية الشريفة.

الطريق الثانى : تفسير الآية الشريفة بالاستعانة بالروايات الواردة بشأن النزول وكذلک آراء ونظريات المفسّرين وعلماء الإسلام.

الطريق الأوّل : تفسير الآية بدون الاستعانة بالقرائن الخارجية

نتساءل مع أىّ حادثة من الحوادث التاريخية فى زمن النزول يمكن تطبيق هذه الآية الشريفة ؟

وفى مقام هذا الجواب على هذا السؤال فالفخر الرازى له رأيان والمرحوم الطبرسى ذكر رأياً ثالثاً، ونحن بالتوكل على الله تعالى وبالإستعانة بالعقل والمنطق والإبتعاد عن التعصّب ولغة الأحساسات والإبتعاد عن كلّ ما يخلّ بوحدة المسلمين نبحث هذه الآراء والنظريات الثلاث بدقّة :

النظرية الأُولى : وهى أحدى النظريات التى ذكرها الفخرالرازى فى تفسيره للآية الشريفة، وهى أنّ كلمة «**اليوم**» الواردة فى هذه الآية لم ترد بمعناها الحقيقى بل وردت بالمعنى المجازى، أى أنّ كلمة «**اليوم**» هنا تعنى «**المرحلة**» أو البرهة من الزمان لا مقطع خاص منه بما يحكى عن ليلة ونهار واحد.

وطبقاً لهذه النظرية فإنّ اليوم هنا لا يقصد به يوم معين أو حادثة خاصّة بل يشير إلى بداية مرحلة تحكى عن عظمة الإسلام ويأس الأعداء والكفّار من تحقيق النصر على هذه الدعوة السماوية، لا سيّما وأن هذا الإستعمال المجازى لكلمة «**اليوم**» هو استعمال متداول بين الناس كما يقال مثلاً «كنت بالأمس شاباً واليوم أصبحت شيخاً» أى أننى كنت فى مرحلة سابقة من عمرى شاباً وفى هذا الزمان أصبحت شيخاً، فلا تعنى كلمة اليوم أو الأمس يوماً معيناً من الأيّام الزمانية.

ولكن الجواب على هذه النظرية واضح لأنّ المعنى المجازى يحتاج إلى قرينة لصرف الإستعمال عن المعنى الحقيقى، فما هى هذه القرينة الواضحة التى استند عليها الفخرالرازى للقول بالمعنى المجازى ؟

www.makarem.ir

النظرية الثانية : أن المراد بكلمة اليوم فى الآية الشريفة هو المعنى الحقيقى، أى هو يوم خاصّ ومعين وهو «يوم عرفة» الثامن من شهر ذى القعدة، فى حجّة الوداع فى السنة العاشرة للهجرة.

ولكن هذه النظرية بدورها لا تتضمن إقناعاً كافياً لأنّ يوم عرفة فى السنة العاشرة للهجرة لا يختلف عن أيّام عرفة الاُخرى فى السنة التاسعة والثامنة للهجرة، ولولم تحدث فى هذا اليوم حادثة خاصة فكيف ذكرته الآية الشريفة بلغة التعظيم والتبجيل ؟

والخلاصة هى أنّ هذه النظرية غير مقبولة وغيرمنطقية وبالتالى فإنّ كلا النظريتين للفخرالرازى لا تعيننا فى استجلاء مضمون الآية الشريفة واكتشاف السر المستودع فيها.

النظرية الثالثة : وهى التى ذكرها الطبرسى الذى يعد من أساطين المفسّرين لدى الشيعة، فإنّه بعد أن نقل القولين السابقين للفخرالرازى وردّهما ذكر تفسير أهل البيت فى مورد هذه الآية الشريفة الذى هو تفسير جميع مفسّرى الشيعة وعلمائهم.

يرى أصحاب هذه النظرية أن المراد بـ «اليوم» فى هذه الآية الكريمة الذى تحقق فيه يأس الكفّار واستوجب رضى الله تعالى وكمل فيه الدين وتمت فيه النعمة هو اليوم الحادى عشر من شهر ذى الحجّة من السنة العاشرة للهجرة أى يوم عيد الغدير، وهو اليوم الذى نصّب فيه رسول الله الإمام علىّ خليفة له على المسلمين وأعلن فيه خلافته وولايته بصورة رسمية.

سؤال : هل هذه النظرية تتطابق مع مضمون الآية الشريفة ؟

الجواب : إذا نظرنا بعين الإنصاف إلى هذه الآية الشريفة وابتعدنا عن المسبوقات الفكرية والرواسب التراثية لرأينا الآية الشريفة تنطبق تماماً على واقعة الغدير لأنها :

أوّلاً : لأنّ أعداء الإسلام بعد أن فشلوا فى جميع مؤامراتهم وانهزموا فى حروبهم ضد الإسلام والمسلمين وفشلت خططهم فى بثّ التفرقة والإختلاف فى صفوف المسلمين فإنّهم لم يبق لهم سوى شىء واحد يحيى أملهم فى الإنتصار والتغلب على هذا الدين الجديد، وهو أن النبى الأكرم بعد رحيله من هذه الدنيا وخاصّة مع أخذ بالنظر الإعتبار أنّه لم يكن له ولد يخلفه فى أمر الدعوة واستمرارية الرسالة ولم يعيّن لحد الآن

www.makarem.ir

خليفة له من بعده فيمكنهم والحال هذه أن يسددوا ضربة قاصمة للإسلام والدعوة السماوية بعد رحيل الرسول (صلى الله عليه وآله)، ولكنّهم عندما شاهدوا أنّ النبى الأكرم قد جمع المسلمين فى صحراء غدير خم فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجّة فى السنة العاشرة للهجرة واختار خليفة له على المسلمين وهو أعلمهم وأقدرهم فى تدبير اُمور المجتمع الإسلامى فإنّ أملهم هذا قد تبدلّ إلى يأس كامل، وتبخرت حينذاك طموحاتهم وتمنياتهم وأغلقت فيه النافذة الوحيدة للأمل لديهم فيأسوا من هزيمة الإسلام إلى الأبد.

ثانياً : مع انتخاب الإمام على (عليه السلام) خليفة ووصياً للرسول فإنّ النبوة لن تنقطع بل استمرت فى سيرها التكاملى لأن الإمامة هى تكميل للنبوة وبالتالى فالإمامة هى السبب فى كمال الدين، وعلى هذا الأساس فإن الله تعالى قد أكمل دينه بنصبه الإمام على خليفة على المسلمين وهو الشخصية المتميزة من بين المسلمين بالعلم والقدرة والتقوى والفضيلة بما لا يدانيه أحد بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ثالثاً : إن النعم الإلهية قد تمت على المسلمين بنصب الإمام على خليفة وإماماً بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله).

رابعاً : إنّ الإسلام بلا شک سوف لا يكون ديناً عالمياً وشمولياً وخاتم الأديان بدون عنصر الإمامة، لأن الدين الذى يعتبر نفسه خاتم الأديان يجب أن يتضمن أجابات كافية على حاجات الناس المتكثرة والمتوالية فى جميع الأزمان، وهذا المعنى لا يتسنى من دون إمام معصوم فى كلّ زمان من الأزمنة.

والنتيجة هى أن تفسير الآية الشريفة بواقعة الغدير هو التفسير الوحيد والمقبول من جميع الجهات.

المراد من إكمال الدين

وقد ذكر المفسّرون فى تفسير هذا المقطع من الآية الشريفة (اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ...)ثلاث نظريات :

www.makarem.ir

١ ـ إن المراد من «**الدين**» هو القوانين، أى أن ذلک اليوم كملت فيه قوانين الإسلام فلا يوجد فى الإسلام خلأ قانونى وفراغ تشريعى بعد الآن.

ولكنّ الجواب على هذه النظرية يمكن أن يثير سؤال وهو :

ما هذا القانون المهم أو الحادثة المهمة التى وقعت فى ذلک اليوم وأدّت إلى تكميل القوانين الإلهية والتشريعات السماوية ؟

وفى الجواب على هذا السؤال يكمن مضمون الآية الشريفة ومدلولها.

٢ ـ ذهب البعض إلى أن المقصود من كلمة «**الدين**» فى الآية أعلاه هو «**الحجّ**» أى أنّ الله تعالى قد أكمل حجّ المسلمين فى ذلک اليوم العظيم.

ولكن هل أنّ الدين يستعمل بمعنى الحجّ واقعاً، أو أنّ الدين هو مجموعة العقائد والأعمال والعبادات التى يشكل الحجّ أحدها ؟

من الواضح أن احتمال الثانى هو الصحيح، وعليه فإن تفسير الدين بمعنى الحجّ هو تفسير غير مقبول ولا يقوم على دليل متين.

٣ ـ إنّ تحقق مضمون الآية الشريفة فى إكمال الدين وإتمام النعمة فى هذا اليوم بأنّ الله تعالى نصر فيه المسلمين على أعدائهم وخلّصهم من شرّ هؤلاء الأعداء.

ولكن هل يصحّ هذا الكلام ؟ فمن هم الأعداء الذين غلبوا وشعروا باليأس ؟ فبالنسبة إلى المشركين فقد استسلموا ودخلوا فى الإسلام فى السنة الثامنة للهجرة عند فتح مكة، وبالنسبة إلى يهود المدينة وخيبر وقبائل بنى النظير وبنى قينقاع وبنى قريظة فإنّهم قد هزموا فى سنوات سابقة فى معركة خيبر والأحزاب فتركوا الجزيرة العربية وخرجوا إلى خارج الحكومة الإسلامية، وأمّا بالنسبة إلى النصارى فقد أمضوا معاهدة الصلح مع المسلمين، وعليه فإن جميع أعداء الإسلام قد استسلموا قبل السنة العاشرة للهجرة.

نعم، بقى خطر المنافقين الذين يمثّلون أخطر أعداء الإسلام حيث لا زال خطرهم ماثلاً أمام المسلمين، ولكن كيف يمكن القول بأنهم قد انهزموا وأصابهم اليأس ؟

www.makarem.ir

هنا نجد أن هذا السؤال بقى بلا جواب مقنع كما هو حال السؤال المطروح فى النظرية الأُولى والذى لم يتقدم أصحاب هذه النظرية بالجواب على هذا السؤال.

أما تفسير علماء الشيعة فكما تقدّم آنفاً فإنّه يجيب على جميع الأسئلة ويلقى ضوءاً خاصّاً على مفهوم الآية وأجواءها.

أجل ! فإنّ واقعة غدير خم ومسألة الولاية وخلافة أميرالمؤمنين تعتبر أفضل تفسير بل هى التفسير الصحيح لهذه الآية الشريفة، لأنّ مع وقوع هذه الحادثة المهمة فإنّ آمال المنافقين وأعداء الإسلام قد تبددت وتبدلت إلى يأس.

اعتراف جذّاب من الفخر الرازى

يقول الفخر الرازى المفسّر السنّى المعروف :

«**قال أصحاب الآثار انّه لمّا نزلت هذه الآية على النبىّ** (صلى الله عليه وآله) **لم يعمر بعد نزولها إلاّ أحداً وثمانين يوماً أو اثنين وثمانين يوماً ولم يحصل فى الشريعة بعدها زيادة ولا نسخ[1] ولا تبديل البتّة[2]**».

وعلى وفق مقولة الفخر الرازى هذه فإنّ الآية الشريفة قد نزلت قبل رحلة النبى (صلى الله عليه وآله)بواحد وثمانين يوماً أو أثنين وثمانين يوماً، وعلى هذا الأساس فيمكن

---

١ . وفى هذه الأيّام نرى بعض الجهال والمغرضين يطرحون شبهات مختلفة، وأحدها أن الإسلام لا يتحدد بما وصل إلينا من النصوص الدينية فى تراثنا الدينى بل لابدّ من الاستعانة بالعقل والفكر لانتاج المزيد من القوانين الشرعية فى دائرة الدين وأن النبى (صلى الله عليه وآله) لو كان قد عاش أكثر ممّا عاش فإن الوحى سيرفده بقوانين وأحكام جديدة أكثر ممّا هو موجود الآن، وبالتالى فإن الإسلام ليس ديناً كاملاً بل يجب العمل على إكماله.

الجواب : ويتّضح الجواب عن هذه الشبهة والمغالطة بالرجوع إلى ما ذكره الفخر الرازى فى هذا المجال لأن النبى حسب الرواية المذكورة عاش بعد نزول آية إكمال الدين ثمانين يوماً ونيفاً، ولو كانت هناك قوانين شرعية لم تصل إليه بعد لنزل الوحى بها عليه فى هذه المدّة، وهذا يعنى عدم وجود قوانين إلهية وآيات قرآنية لم تنزل على النبى (صلى الله عليه وآله) وأن مهمات المسائل والتعاليم السماوية قد بُيّنت بحيث لو فرض أن النبى كان يعيش أكثر من المدّة المقرّرة ما كان سيزداد شيئاً على قوانين الإسلام.

وهنا لابدّ من إظهار التأسف على أن بعض الأشخاص غير المطلعين على المصادر الدينية يبدون برأيهم من دون تحقيق، فلماذا يكون المرجع فى كلّ علم وفن هم أهل الخبرة والمتخصصين فى ذلك العلم والفن ويكون الحقّ معهم فيما يقولون وليس كذلك فى المسائل الدينية حيث نرى أن كل من هبّ ودبّ يدلى بدلوه ويصرّح برأيه فى هذا الميدان ؟ !

٢ . التفسير الكبير : ج ١١، ص ١٣٩.

www.makarem.ir

حدس وقت نزول الآية الشريفة، ولإيضاح هذا المطلب يلزمنا التعرف على زمن رحلة النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) فإنّ أهل السنّة يرون أنّ النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) قد ولد فى اليوم الثانى عشر من ربيع الأوّل واتفق أنّ وفاته كان فى اليوم الثانى عشر من ربيع الأوّل أيضاً.

وبالطبع فإنّ بعض الشيعة أيّد هذا الرأى ومنهم الكلينى الذى يرى أن تاريخ وفاة النبى (صلى الله عليه وآله)كان فى اليوم الثانى عشر من ربيع الأوّل بالرغم من أنّه يرى أن ولادة رسول الله (صلى الله عليه وآله)كانت فى اليوم السابع عشر من ربيع الأوّل طبقاً لما هو المشهور من علماء الشيعة، وعلى هذا الأساس لابدّ من الرجوع واحداً وثمانين يوماً أو أثنين وثمانين يوماً من الثانى عشر من ربيع الأوّل، ومع الإلتفات إلى أن الأشهر القمرية لا تكون ثلاثين يوماً على التوالى فى ثلاثة أشهر وكذلک لا تكون تسعة وعشرين يوماً على ثلاثة أشهر متوالية ينبغى أن يكون هناک شهران كاملان وبينهما شهر واحد منه تسعة وعشرين يوماً، أو بالعكس بأن يكون هناک شهران لتسعة وعشرين يوماً وشهر واحد لثلاثين يوماً.

فلو أخذنا بنظر الإعتبار شهر محرم وصفر وفرضنا أنّ كلّ واحد منهما تسعة وعشرين يوماً، فالمجموع يكون ثمانية وخمسين يوماً، ومع إضافة أثنى عشر يوماً من شهر ربيع الأوّل يكون المجموع سبعين يوماً، وبالالتفات إلى أن شهر ذى الحجّة لابدّ وأن يكون ثلاثين يوماً فلو توغلنا فيه اثنى عشر يوماً ليكون المجموع اثنين وثمانين يوماً يصادف هذا اليوم هو يوم عيد الغدير الثامن عشر من ذى الحجّة، وعلى هذا الأساس وطبقاً لنظرية علماء السنّة فإنّ الآية الشريفة أعلاه تتعلّق بيوم الغدير لا بيوم عرفة.

وإذا كان المعيار هو واحداً وثمانين يوماً فإنّه يتفق مع اليوم الذى يتلو يوم الغدير لا يوم عرفة حيث تفصله مع يوم عرفة فاصلة كبيرة.

وإذا أخذنا شهر محرم وصفر لكلّ واحد منهما ثلاثون يوماً وشهر ذى الحجّة تسعة وعشرين يوماً فطبقاً لعدد اثنين وثمانين يوماً يكون اليوم التاسع عشر من ذى الحجّة هو

www.makarem.ir

المراد وطبقاً لواحد وثمانين يوماً فإنّ يوم عشرين ذى الحجّة يكون هو زمان الآية الشريفة، أى أن الآية الشريفة نزلت بعد يوم واحد أو يومين بعد واقعة الغدير ونصب الإمام على (عليه السلام)خليفة على المسلمين وناظرة إلى هذه الحادثة التاريخية المهمة ولا ترتبط إطلاقاً بيوم عرفة.

والنتيجة هى أنّ القرائن المختلفة التى تحف بهذه الآية الشريفة تشير إلى أن هذه الآية تتعلّق بواقعة الغدير وأنها نزلت فى شأن خلافة أميرالمؤمنين الإمام علىّ (عليه السلام).

سؤال : إنّ بداية الآية الثالثة من سورة المائدة تتحدّث عن اللحوم المحرمة[١]، وفى آخرها تتحدّث عن الاضطرار والضرورة وأحكامها[٢]، وفيما بينهما تتحدّث الآية عن ولاية وإمامة أميرالمؤمنين، فأىّ تناسب وانسجام بين مسألة الولاية والإمامة وخلافة النبى (صلى الله عليه وآله)مع مسألة اللحوم المحرمة وحكم الاضطرار والضرورة ؟ ألا يكون هذا شاهداً على أن العبارة مورد البحث فى هذه الآية لا يرتبط بمسألة الولاية بل يشير إلى مطلب آخر ؟

الجواب : إنّ آيات القرآن الكريم لم ترد بصورة كتاب منظم كما هو الحال فى الكتب المتعارفة الكلاسيكية بل نزلت متفرقة وعلى فترات مختلفة وقد تكون آيات سورة واحدة قد نزلت فى أوقات متباينة وكان النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) يوصى بكتابة كلّ آية فى سورة معيّنة، وعلى هذا الأساس فيمكن أن يكون صدر الآية مورد البحث الذى يتحدّث عن الأسئلة التى كان المسلمون يسألون النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)عنها وعن اللحوم المحرمة قد نزل قبل واقعة الغدير، وبعد مدّة حدثت واقعة الغدير ونزلت الآية محل البحث وذكرها كتّاب الوحى بعد آية تحريم اللحوم، ثمّ حدثت مسألة الاضطرار أو حدث مصداق من مصاديقها وحكم هذا الاضطرار، لذلك نجد أن ذيل الآية الشريفة يتضمن هذا الحكم الشرعى وقد كتبه كتّاب الوحى بعد الحديث عن واقعة

١ . والآية المذكورة هى : (حرّمت عليكم الميتة والدَّم ولحم الخنزير وما اهلَّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردِّية والنَّطيحة وما أكل السَّبع إلاّ ما ذكَّيتم وما ذبح على النُّصب وأن تستقسموا بالأزلاَم ذلكم فسق).

٢ . يتحدث فى نهاية الآية محل البحث من قوله تعالى : (فمن اضطرَّ فى مخمصة غير متجانف لإثم فإنّ الله غفور رحيم).

www.makarem.ir

الغدير المذكور فى وسط الآية، وبملاحظة النكتة أعلاه فليس بالضرورة أن يكون هناك إنسجاماً معيناً فى سياق الآية الشريفة.

ومع الإلتفات إلى هذه الملاحظة سوف تنحل كثير من الشبهات والإشكالات المتعلّقة بآيات القرآن الكريم.

سؤال آخر : رأينا فيما سبق أن الآية الثالثة من سورة المائدة هى آخر الآيات التى نزلت على النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)، ومع نزول هذه الآية يكون الدين قد كمل وتكون الشريعة

الإسلامية بمجموع مقرراتها وقوانيها قد نزلت بصورة كاملة على النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)، فإذا كان كذلک إذن فلماذا ورد بعد هذه الآية مورد البحث وفى ذيلها حكم الاضطرار والضرورة ؟ أى إذا كانت آية إكمال الدين هى آخر آية وتخبرنا عن إكمال الدين والشريعة، إذن فماذا يعنى هذا القانون الجديد الذى نزل بعدها ؟

الجواب : يمكن الإجابة عن هذا الإشكال بصورتين :

الجواب الأوّل : إنّ مسألة الاضطرار فى زمان القحط والذى ورد فى هذه الآية الشريفة لا يورد حكماً جديداً بل هو حكم تأكيدى لما سبق من الأحكام الشرعية، لأنّ هذا الحكم قد ورد قبل ذلک فى ثلاث آيات من القرآن الكريم :

الف) نقرأ فى آية ١۴۵ من سورة الأنعام وهى سورة مكية قوله تعالى :

(قُلْ لاَ أَجِدُ فِى مَا أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّماً عَلى طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَاِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَاِنَّ رَبَّکَ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

فكما تلاحظون أنّ هذه الآية الشريفة قد نزلت فى مكّة قبل هجرة النبى (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة وتبين حكم الاضطرار أيضاً.

ب) نقرأ فى الآية ١١۵ من سورة النحل التى نزل قسم منها فى مكّة المكرّمة وقسم منها فى المدينة قوله تعالى :

(اِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَاِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

www.makarem.ir

ففى هذه الآية الشريفة التى نزلت قبل الآية مورد البحث قد ذكر فيها حكم الاضطرار.

ج) ونقرأ فى الآية ١٧٣ من سورة البقرة والتى نزلت فى أوائل هجرة النبى (صلى الله عليه وآله)إلى المدينة الحكم الشرعى للاضطرار أيضاً وهى تشبه إلى حدّ كبير الآية التى ذكرناها آنفاً مع تفاوت يسير ولذلک فلا نكررها.

النتيجة : هى أن الحكم الشرعى للاضطرار قد ورد فى القرآن الكريم قبل هذه الآية مورد البحث فى ثلاث موارد أُخرى[١]، وعليه فإنّ الحكم الشرعى فى الآية المذكورة لا يعدّ حكماً جديداً ولا يتنافى مع آية إكمال الدين حيث لم ينزل أىّ قانون جديد بعد هذه الآية على النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله).

الجواب الثانى : إن آيات القرآن الكريم لم تجمع على حسب ترتيب نزولها بل طبقاً للأمر النبىّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) وعلى سبيل المثال فالآية ۶۷ من سورة المائدة تقول : (يا اَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا اُنْزِلَ اِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ...) ومن المعلوم أن هذه الآية نزلت قبل الآية مورد البحث «الآية الثالثة من سورة المائدة».

ولكنّها عند تدوينها قد كتبت بعد تلک الآية، وعليه فلا مانع أن يكون حكم الاضطرار قد نزل قبل آية إكمال الدين ولكن فى حال تدوينها قد كتبت بعد الآية الشريفة.

الطريق الثانى : تفسير الآية فى ضوء الروايات الشريفة

١ . إن مضمون الآيات الكريمة الأربع فى بيان حكم الاضطرار هو أن الإنسان يمكنه أن يتناول من هذه اللحوم المحرّمة عند الضرورة بمقدار رفع الحاجة والاضطرار، وطبعاً فهذا الحكم قليل المصاديق فى العصر الحاضر، ولكن بالنسبة إلى السفر إلى البلاد الأجنبية حيث لا يوجد هناک لحم مذبوح بالطريقة الشرعية، يواجه بعض الأشخاص حرجاً فيما لو انقطعوا عن تناول اللحوم وتكون صحتهم البدنية مهددة. فهنا يجوز لهم تناول مقدار من هذه اللحوم من باب الاضطرار، ولكن بمقدار رفع هذا الاضطرار فقط لا أكثر.

www.makarem.ir

إن الأحاديث والروايات الشريفة الواردة فى شأن نزول هذه الآية الشريفة كثيرة، وقد ذكر العلاّمة الأمينى فى كتابه القيّم «الغدير»[١] هذه الروايات مع الأبحاث المتعلّقة بها بصورة واسعة، فقد أورد حديث الغدير فى هذا الكتاب من مائة وعشرة راو من أصحاب النبى مضافاً إلى ذلک فقد نقله من ثمانين شخصاً من التابعين[٢]، وقد ذكر العلاّمة الخبير الأحاديث المتعلّقة بهذه الحادثة التاريخية من ثلاث مئة وستين من المصادر الروائية والتاريخية لدى المسلمين وبعضها من مصادر أهل السنّة والبعض الآخر من مصادر الشيعة، ولكنّ الملاحظة المهمة هنا هى أنّ جميع هذه الروايات التى تتحدّث عن واقعة الغدير العظيمة لا ترتبط ببحثنا هذا بل الروايات التى تتحدّث عن نزول هذه الآية الشريفة هى التى ترتبط ببحثنا، ولحسن الحظّ أنّ عدد هذه الروايات ليس بالقليل فقد ذكر المحقّق العلاّمة الأمينى فى كتابه المذكور ستة عشر رواية فى هذا المجال[٣]، ونحن نشير إلى بعضها فيما يلى :

١ ـ ما أورده السيوطى وهو من علماء أهل السنّة وكان يعيش فى مصر ويعدّ من كبار علماء أهل السنّة، فقد ذكر هذه الرواية فى كتابه :

«يقول أبو سعيد الخدرى :

لَمَّا نَصَبَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله) **عَلِيّاً** (عليه السلام) **يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ فَنادَى لَهُ بِالوِلاَيَةِ، هَبَطَ جَبْرَئِيلُ بِهذِهِ الآيَةِ : (اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...)**[٤] ».

وطبقاً لهذه الرواية الواردة فى كتب أهل السنّة يكون المراد من كلمة «اليوم» فى الآية الشريفة هو يوم الغدير، والآية مورد البحث تتحدّث عن ولاية وخلافة أميرالمؤمنين (عليه السلام).

---

١ . بالرغم من وجود كتب ومصادر غير الغدير تذكر هذه الواقعة مثل : عبقات الأنوار، المراجعات، إحقاق الحقّ وغيرها، إلاّ أنها لا تصل إلى مستوى كتاب الغدير لأن العلاّمة الأمينى أكثر دقّة وأجود تنظيماً.

٢ . الفرق بين «الصحابة» و«التابعين» أن الصحابة رأوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكانوا يعيشون فى زمانه، وأما التابعين فانهم لم يشاهدوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يعيشوا فى زمانه بل عاشوا فى زمن الصحابة.

٣ . الغدير فى الكتاب والسنّة : ج ١، ص ٢٣٠.

٤ . الدرّ المنثور : ج ٢ ص ٢٥٩.

www.makarem.ir

٢ ـ وقد أورد هذا العالم السنّى رواية أُخرى عن أبى هريرة الراوى المقبول لدى أهل السنّة. «يقول أبو هريرة :

لَمّا كان يَوْمَ غَديرِ خُمٍّ وَهُوَ يَوْمُ ثَمانى عَشَرَ مِنْ ذِى الْحَجَّة، قَالَ النَّبِىُّ (صلى الله عليه وآله) **: مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهَذا عَلِىٌّ مَوْلاهُ، فَاَنْزَلَ اللهُ : (اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ و...)**[١] ».

وهذه الرواية أيضاً تدلّ بوضوح على المطلوب.

٣ ـ وروى الخطيب البغدادى وهو أحد علماء أهل السنّة فى القرن الخامس[٢] الهجرى فى كتابه المعروف «**تاريخ بغداد**» نقلاً عن أبى هريرة حيث قال :

قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله) «**مَنْ صامَ يَوْمَ ثَمانَ عَشَرَةَ مِنْ ذِى الْحَجَّةِ كُتِبَ لَهُ صِيامُ سِتّينَ شَهْراً**»[٣] **وَهُوَ يَوْمُ غَديرِ خُمٍّ لَمّا أَخَذَ النَّبِىُّ** (صلى الله عليه وآله) **بِيَدِ عَلِىِّ بْنِ أَبَى طالِب فَقَالَ : «أَلَسْتُ وَلِىَّ الْمُؤْمِنِينَ» قَالُوا : بَلى يا رَسُولَ اللهِ، قَالَ** (صلى الله عليه وآله) **: «مَنْ كُنْتُ مَولاهُ، فَعَلِىٌّ مَوْلاهُ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ خَطّاب**[٤] **: بَخٍّ بَخٍّ لَکَ يَابْنَ أَبى طالِب أَصْبَحْتَ مَوْلاىَ وَمَوْلاى كُلِّ مُؤْمِن وَمُؤْمِنَة، فَأَنْزَلَ اللهُ (اَلْيَومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...).**[٥]

٤ ـ وذكر الحاكم الحسكانى وهو من علماء القرن الخامس ومن علماء أهل السنّة روايات صريحة فى هذا المجال فى كتابه، ولكننا نصرف النظر عن ذكرها هنا طلباً للاختصار[٦].

---

١ . نفس المصدر السابق.

٢ . بُذلت عناية خاصة بأحاديث الغدير فى القرن الخامس الهجرى، ولهذا تمّ تأليف كتب متعددة فى هذا القرن تختص بهذه الواقعة.

٣ . من الواضح أن السبب فى فضيلة الصيام فى هذا اليوم وهو اليوم الثامن عشر من ذى الحجة إنما هو من أجل الشكر على هذه النعمة العظيمة، وهذا يعنى وقوع حادثة عظيمة فى هذا اليوم، وإلاّ فمن البعيد أن يترتب كلّ هذا الثواب العظيم على صوم هذا اليوم.

٤ . من العجيب جداً أن عمر بن الخطاب الذى أسس الإنحراف عن خط الولاية فهم من كلمة الولى فى خطبة الغدير معنى الرئاسة والزعامة لأنه قال : «أصبحت مولاى ومولى كلّ مؤمن...» فالصداقة والمحبة لم تكن بالشىء الجديد بين على وعمر وباقى المسلمين، ولكن اتباع عمر الذين هم أعلم من عمر قطعاً تأوّلوا هذه الكلمة بمعنىً آخر تعصباً وعناداً.

٥ . تاريخ بغداد : ج ٨، ص ٢٩٠.

٦ . شواهد التنزيل : ج ١، ص ١٥٧.

www.makarem.ir

٥ ـ وذكر أبوحافظ النعيم الاصفهانى فى كتابه «مانزل من القرآن فى علىّ» عن الصحابى المعروف أبى سعيد الخدرى أنّ النبى الأكرم نصب فى يوم غدير خم على بن أبى طالب وصياً وخليفة له وقبل أن يتفرّق الناس فى غدير خم نزلت الآية الشريفة (اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ و...) وهنا قال :

اَللهُ أَكْبَرُ عَلى اِكْمالِ الدّينِ واِتْمامِ النِّعْمَةِ وَرِضَى الرَّبِّ بِرِسالَتى وَبِالْوِلايَةِ لِعَلِيٍّ (عليه السلام)**مِنْ بَعْدى، ثُمَّ قال : مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ، اللّهُمَّ والِ مَنْ والاهُ وَعادِ مَنْ عاداهُ وانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ**[1].

والنتيجة هى أن الروايات التى وردت فى هذا المجال توحى بصورة جليّة أنّ آية إكمال الدين نزلت فى واقعة الغدير وتدلّ بوضوح على إمامة وخلافة الإمام علىّ (عليه السلام).

كلام الآلوسى العجيب

وعلى رغم القرائن والشواهد البيّنة فى هذه الآية الشريفة «والتى سبق ذكرها» والروايات المتعددة الواردة فى مصادر الشيعة والسنّة فإنّ بعض المحدّثين وبسبب التعصّب والعناد قد فسّروا الآية الشريفة وفقاً لميولهم النفسانية وخرجوا عن منهج البحث المنطقى، ومن هؤلاء «الآلوسى» المفسّر السنّى المعروف وكاتب تفسير «**روح المعانى**» الكبير فقد ذكر فى تفسير الآية ٦٧ من سورة المائدة عن واقعة الغدير وقال :

«فقد اعتنى بحديث الغدير أبوجعفر بن جرير الطبرى فجمع فيه مجلدين أورد فيهما سائر طرقه وألفاظه وصاغ الغث والسمين والصحيح والسقيم على ما جرت به عادة الكثير من المحدّثين، فإنهم يوردون ما وقع لهم فى الباب من غير تمييز بين الصحيح والضعيف، وكذلك الحافظ أبو القاسم ابن عساكر أورد أحاديث كثيرة فى هذه الخطبة (ولكننا نقبل من الأحاديث التى ذكرها إلاّ ما كان لا يتحدث عن خلافة على)»[2].

---

١ . التفسير الأمثل : ذيل الآية الشريفة.

٢ . روح المعانى : ج ٦، ص ١٩٥.

www.makarem.ir

وهذا الكلام يثير العجب والحيرة لدى كلّ إنسان منصف.

فهل يمكننا الإعراض عن كتاب بأجمعه بسبب وجود بعض الأحاديث الضعيفة وغير معتبرة فيه ؟

ألا توجد روايات ضعيفة وأحاديث غير معتبرة فى المصادر الحديثية لأهل السنّة ؟

هل يصحّ أن ترفض جميع هذه المصادر بهذه الذريعة الواهية ؟

الإنصاف أن هذا الكلام هو كلام مضحک ولكن ما هو أسوأ منه هو كلامه عن روايات ابن عساكر الذى يحكى عن منتهى العناد والتعصّب والعداوة مع الحقّ والحقيقة وأهل البيت (عليهم السلام)، ففى أىّ مكان من العالم يقول أحد الأشخاص : إننى أقبل فقط كلّ ما يتفق مع ميولى وهوى نفسى ولا أقبل ما يخالف ذلک ؟

هل يقبل هذا الكلام من الإنسان العادى فكيف يقبل من عالم كبير مثل الآلوسى ؟

ولعلّ القارئ العزيز يتعجب كثيراً ويتساءل أن شخصاً كالآلوسى كيف يتحدّث بمثل هذا الحديث الضعيف والكلام الواهى ؟ ولكن فى مقام الجواب نقول إن كلّ إنسان يقف فى مقام القضاء ولا يتجنب المسبوقات الفكرية والرسوبات الذهنية فإنّه قد يقع بمثل هذا المصير.

توصية الآية الشريفة

١ ـ الولاية تبعث على يأس الأعداء

إذا أردنا أن يعيش الأعداء اليأس فعلينا بالتمسّک بالولاية وإحياءها لأنّ الولاية كما أدّت فى ذلک اليوم إلى بث اليأس فى صفوف الأعداء فإنّها فى هذا اليوم أيضاً ومن خلال التمسّک بها وإحياءها ستبعث على نفوذ اليأس فى قلوب المنافقين وأعداء الإسلام.

ينبغى علينا فى هذا اليوم أن نقصر أنظارنا على الإمام الغائب عن الأنظار والحاضر فى القلوب، وهو الإمام الحجّة بن الحسن العسكرى (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وندور حول هذا المحور الإلهى لأن ولاية هذا الإمام العظيم تعد أفضل حلقة وصل لجميع الشيعة فى العالم على اختلاف أذواقهم وسلائقهم، وعلى هذا الأساس فإنّ إحياء

www.makarem.ir

هذه الولاية سوف يشرق الأمل بوحدة واتحاد المؤمنين ويكون ذلک أساساً لسعادتهم وباعثاً على غرس الأمل فى قلوبهم، كما أنّ اختلافهم وتفرقهم يؤدى إلى تعاستهم وانحطاطهم.

إذا تمسّک المسلمون فى بلدان العالم الإسلامى بهذا الأصل الأساسى وعملوا به والتفوا حوله فإنّ حادثة مثل حادثة فلسطين المؤسفة سوف لا تتكرر بعد ذلک ولا يقع المسلمون فى دائرة المظلومية أمام أنظار العالم، وعليه فإن يأس الكفّار لا يتحقّق إلاّ من خلال التمسّک بالولاية.

٢ ـ إتمام الدين وإكمال النعمة فى ظلّ الولاية

ويستفاد من الآية الشريفة أنّ إكمال النعمة وإتمام الدين فى ذلک اليوم قد تحقق فى ظلّ الولاية، وفى هذا اليوم أيضاً فإنّ إتمام النعمة سواءً النعمة المادية أو المعنوية وكذلک إكمال الدين فى جميع أبعاده وفروعاته يتحقّق بظلّ الولاية أيضاً وبدونها حتّى لو عمل الإنسان بأوامر الشريعة وتعاليم الدين ظاهراً إلاّ أنها بلا شک سوف لا تكون مقبولة لدى الحقّ جلّ وعلا، وعلى هذا الأساس فإن إتمام النعمة وإكمال الدين يتحقّق فى كلّ عصر وزمان فى ظلّ التمسّک العملى بالولاية.

مباحث تكميلية

١ ـ الولاية مسألة أساسية فى الإسلام

بالنسبة إلى أهمية الولاية فقد وردت روايات كثيرة تتحدّث عن هذا الموضوع وكمثال ونموذج لهذه الروايات نذكر الرواية الواردة عن الإمام محمّد الباقر (عليه السلام)حيث يقول زرارة نقلاً عن الإمام الباقر أنّه قال :

بُنِيَ الإسْلامُ عَلى خَمْسَةِ أَشْياءَ: عَلَى الصَّلاةِ وَالزَّكاةِ والصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالْولايةِ. قَالَ زُرَارَةُ : فَقُلْتُ : وَأَىُّ شَىْءٍ مِنْ ذَلِکَ أَفْضَلُ ؟ قَالَ (عليه السلام) **: اَلْولايَةُ اَفْضَلُ لاَنَّها مِفْتاحُهُنَّ وَالْوَالى هُوَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِنَّ...**[١]

١ . أُصول الكافى : ج ٣، ص ٣٠، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام، حديث ٥.

www.makarem.ir

وهنا بالإمكان استيحاء نقطتين من هذه الرواية :

ألف) إنّ هذه القضايا الخمسة التى وردت فيها هذه الرواية ترتبط فيما بينها برابطة معيّنة، فالصلاة تمثّل رابطة الإنسان مع الله بل إنّ أفضل وقت لتحقيق الإرتباط مع الله تعالى هو وقت الصلاة.

«الزكاة» بدورها تمثل العلاقة بين الإنسان والآخرين من الأفراد والمجتمع من المحتاجين والمساكين حيث يحققون لهم حياة معقولة وطبيعية بإجراء قانون الزكاة وبذلک يتمكنون من التغلب على مشكلاتهم الاقتصادية التى يفرضها الواقع الصعب.

«الصوم» يمثّل علاقة الإنسان مع نفسه، ومع تقوية هذه العلاقة بالصوم فإنّ الإنسان سيوفق فى مجال مجاهدة النفس والإنتصار على نوازعه الماديّة والدنيوية بل إنّ الصوم هو رمز لمجاهدة النفس وقوّة الأرادة.

«الحجّ» يمثّل الرابطة التى تربط جميع المسلمين فيما بينهم حيث يجتمعون فى كلّ عام لمبادلة الأفكار والرؤى وتبادل وجهات النظر واستعراض المشاكل والتحديات المصيرية التى يواجهها العالم الإسلامى والتفكير الجاد فى حلّها.

«الولاية» هى الضامن الحقيقى والصحيح لتنفيذ وتبيين أحكام هذه المسائل.

وعلى هذا الأساس فإنّ الاُصول الخمسة المذكورة أعلاه لم تجتمع فى هذا الحديث الشريف اعتباطاً بل تربطها رابطة منطقية ومعقولة.

ب : لماذا كانت الولاية أفضل من الاُصول الأربعة الاُخرى ؟

إن الرواية الشريفة نفسها تصرّح بأن عنصر الولاية هو الذى يحقّق محتوى الصلاة والصوم والحجّ والزكاة، أى أنه بدون أمر الولاية والحكومة الإسلامية ستكون هذه الدستورات والتعليمات بمثابة الكتابة على الماء وليس لها رصيد على مستوى الممارسة والعمل كما هو الحال فى نسخة الطبيب التى لا تشافى من المرض بدون العمل بها.

الولاية تعنى تنفيذ قوانين الإسلام بتوسط الأئمّة المعصومين (عليهم السلام)وخلفائهم، وعلى هذا الأساس فإنّ الولاية هى أفضل وأسمى من الصلاة والصوم والحجّ والزكاة،

www.makarem.ir

الولاية هنا تعنى الحكومة الإسلامية والولاية التى انبثقت من غدير خم فى عملية نصب الإمام على (عليه السلام) والياً على المسلمين.

٢ ـ الولاية ذات جهتين

وطبقاً للتفسير المذكور آنفاً فإنّ الولاية لها جهتان :

فمن جهة يتكفّل الولى والإمام والقائد للأُمّة الإسلامية هداية المسلمين ويجيب على أسئلتهم الدينية ويقوم بتحصين الأُمّة من الأخطار والمؤامرات التى يحيكها الأعداء ويتحرّك على مستوى إقرار النظم والإنضباط فى المجتمع الإسلامى ويعيد حقوق المستضعفين والمظلومين ويجرى الحدود الإلهية ويقيم فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

ومن جهة أُخرى فإنّ الواجب على الناس هو السعى على مستوى الممارسة والنشاطات الفردية والإجتماعية لتجسيد أقوال وسلوكيات وأفكار ذلک الإمام والقائد ويتحركون فى خطاهم بموازاة خطوات الإمام وإلاّ فلا يمكن إدعاء الولاية للأئمّة المعصومين بمجرد الكلام فى حين أن الإنسان يرتكب أنواع الذنوب والخطايا.

والملفت للنظر أن رئيس جهاز الساواک فى حكومة الشاه قال لى يوماً حين التحقيق معى : «اننى أعشق الإمام على (عليه السلام) وأصرّح بحبّه وولايته ولكن إذا رأيت بعض الأشخاص الذين يخالفون الشاه فإنى مستعد أن أقتل مليون شخص من هؤلاء». فهل أنّ مثل هذه السلوكيات والأفكار تتناغم وتنسجم مع ولاية أميرالمؤمنين أو أنّها ولاية كاذبة وزائفة ؟

أجل ! فإنّ الولاية الحقيقية هى التى تعنى إنطباق جميع الأعمال والأقوال والأفكار على أعمال وأقوال وأفكار المعصومين (عليهم السلام).

□□

www.makarem.ir

آية الولاية

٣

«سورة المائدة / الآية ٥٥»

أبعاد البحث

إنّ سورة المائدة تشتمل على قسم مهم من آيات الولاية لأنّ هذه السورة كما رأينا نزلت فى أواخر عمر الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، ومن جهة اُخرى فإنّ مسألة الوصى والخليفة تطرح بشكل طبيعى فى أواخر عمر القائد، ولهذا فإنّ هذه السورة تتضمن آيات متعددة من آيات الولاية، وعلى أية حال فإنّ الآية الشريفة أعلاه نموذج آخر من الآيات التى تدلّ بوضوح على ولاية أميرالمؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) .

الشرح والتفسير

علائم الولى

(اِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا).

www.makarem.ir

نحن نعلم أنّ كلمة «إنّما» تدلّ على الحصر، وعليه فإنّ وليكم أيّها المؤمنون هم الثلاثة المذكورون فى هذه الآية الشريفة لا غير، وهؤلاء الثلاثة عبارة عن :

١ ـ الله عزّوجلّ.

٢ ـ رسول الله (صلى الله عليه وآله).

٣ ـ الذين آمنوا.

وبالطبع ليس المراد جميع المؤمنين بل بعضهم الذى يتمتع بالشروط المذكورة فى نفس الآية.

(الَّذِينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاة وَهُمْ رَاكِعُونَ).

فالطائفة الثالثة من أولياء الله المؤمنين ليس هم جميع المؤمنين بل المؤمنين الذين يقيمون الصلاة أوّلاً، ويؤتون الزكاة ثانياً، وأن يكون إيتاء الزكاة فى حال الركوع ثالثاً.

والنتيجة، هى أنّ ولى المؤمنين هم هؤلاء الثلاثة فقط :

١ ـ الله عزّوجلّ ٢ ـ النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) ٣ ـ المؤمنون الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون.

سؤال : ما هو المراد من «الذين آمنوا» فى هذه الآية ؟ وما معنى الولى هنا ؟

إن الآية الشريفة أعلاه تتضمن نقطتين مبهمتين : الأُولى : ما هو المراد من كلمة «**الولى**» فى هذه الآية ؟ حيث نعلم لكلمة الولى معان مختلفة ولهذا يجب السعى لتشخيص المعنى المراد من هذه الكلمة فى هذه الآية.

والآخر هو: ماالمراد بعبارة (الَّذِينَ آمَنُوا) والذين تتوفر فيهم الشروط الثلاثة المذكورة آنفاً ؟ هل المراد بهؤلاء شخص معين، أو أىّ شخص تتوفر فيه هذه الصفات الثلاث ؟

الجواب : هنا بالإمكان أن نسلك طريقين للجواب عن هذا السؤال كما تقدّم فيما سبق، ثمّ نجيب على بعض الأسئلة الأُخرى الذى يطرحها بعض الأشخاص المتعصبين الذين أسدل حجاب التعصّب ستاراً على عقولهم ومنعهم من فهم العقائد الجلية.

الطريق الأوّل : تفسير الآية مع غض النظر عن الروايات الشريفة

www.makarem.ir

فى البداية نأتى لكلمة «ولى» ونبين المراد منها لأنه لو اتضح معنى هذه الكلمة فإن الكثير من المسائل والتعقيدات فى هذه المسألة سوف تجد لها طريقاً إلى الحلّ، فبعض المفسّرين من أهل السنّة وبهدف إبعاد أذهان مخاطبيهم عن المعنى الواضح للآية الشريفة فإنّهم ذكروا معان كثيرة لهذه الكلمة وصلت إلى سبعة وعشرين معنى[1] لكى يقول أن هذه الكلمة هى لفظ مشترك بين معان مختلفة ولا نعلم مراد الله عزّوجلّ منها وأن أىّ معنى من هذه المعانى هو المقصود فى الآية الشريفة، إذن فإنّ هذه الآية مبهمة ولا تدلّ على شىء، ولكن عندما نراجع كتب اللغة وكلمات ونظريات اللغويين نرى أنهم لم يذكروا لمعنى الولى سوى اثنين أو ثلاث معان، وعليه فإن سائر المعانى المذكورة لهذه الكلمة تعود إلى هذه المعانى الثلاثة وهى :

١ ـ «ولى» بمعنى ناصر والولاية بمعنى النصرة.

٢ ـ «الولى» بمعنى القيّم وصاحب الإختيار.

٣ ـ أنها تأتى بمعنى الصديق والرفيق حتّى لو لم يؤد هذا الإنسان حقّ النصرة لرفيقه ولكن بما أنّ الصديق فى دائرة الرفاقة والصداقة ينهض لنصرة صديقه غالباً فإن المعنى الثالث يعود للمعنى الأوّل أيضاً، وعليه فإنّ كلمة «ولى» فى نظر أرباب اللغة تطلق على معنيين، وسائر المعانى المذكورة لها تعود إلى هذين المعنيين.

«ولى» فى استعمالات القرآن

والآن نعود إلى القرآن الكريم لنرى موارد استعمال هذه الكلمة فى الكتاب الكريم.

إنّ كلمة «ولى» و «أولياء» جاءت فى سبعين مورداً فى القرآن الكريم وبمعان مختلفة :

١ ـ نقرأ فى بعض الآيات الشريفة أن كلمة «ولى» جاءت بمعنى الناصر والمعين كما فى الآية ١٠٧ من سورة البقرة حيث يقول تعالى :

(وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصير).

---

١ . وقد ذكر العلاّمة الأمينى فى كتابه القيّم «الغدير» : ج ١، ص ٣٦٢ جميع هذه المعانى السبعة والعشرين.

www.makarem.ir

٢ ـ وجاءت هذه الكلمة فى آيات أُخرى بمعنى المعبود كما فى الآية ٢٥٧ من سورة البقرة :

(اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا... وَالَّذِينَ كَفَرُوا اَوْلِيائُهُمُ الطّاغُوتُ).

فكلمة الولى فى هذه الآية جاءت بمعنى المعبود، فالمعبود للمؤمنين هو الله عزّوجلّ، ومعبود الكفّار هم الطواغيت والشياطين والأهواء النفسانية.

٣ ـ وجاءت هذه الكلمة فى القرآن الكريم بمعنى الهادى والمرشد أيضاً كما نقرأ فى آية ١٧ من سورة الكهف :

(وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً).

فنرى فى هذه الآية الشريفة أنّ كلمة «ولى» جاءت بمعنى الهادى والمرشد.

٤ ـ وقد وردت هذه الكلمة فى كثير من الآيات الشريفة بمعنى القيّم وصاحب الإختيار كما فى الآيات التالية :

ألف) نقرأ فى الآية الشريفة ٢٨ من سورة الشورى قوله تعالى :

(وَهُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ).

ب) ونقرأ الآية ٣٣ من سورة الإسراء فى حديثها عن الولاية التشريعية :

(وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً).

فالولى فى هذه الآية جاء بمعنى القيّم وصاحب الإختيار لأن حقّ القصاص لم يرد فى الشريعة لصديق المقتول بل لوارثه ووليه.

ج) ونقرأ فى أطول آية من آيات القرآن الكريم وهى الآية ٢٨٢ من سورة البقرة وهى تتحدث عن كتابة وثيقة الدَين والقرض[١] وتقول :

(فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بالعَدْلِ).

١ . بالرغم من أن أطول آية فى القرآن تتحدّث عن كتابة وثيقة الدَين والقرض ولكن المؤسف أن هذا الحكم الإسلامى قد أصبح مهجوراً بين المسلمين وكانت النتيجة هى تورطهم بمشكلات كثيرة وبلايا جمّة بسبب تركهم لهذا الحكم الشرعى.

www.makarem.ir

أى أن من كان الحقّ فى ذمته ولا يستطيع أن يملل على الكاتب فيجب أن يملل وليه نيابة عنه مع رعاية العدالة، ففى هذه الآية الشريفة وردت هذه الكلمة بمعنى القيّم وصاحب الإختيار.

د) ونقرأ فى الآية ٣٤ من سورة الأنفال قوله تعالى :

(وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَما كانُوا أَوْلِيائَهُ اِنْ أَوْلِياؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ).

فالولى هنا بمعنى القيّم والمسؤول وصاحب الإختيار وإلاّ فمن الواضح أنّ الكفّار والمشركين ليست لديهم أدنى علاقة وصداقة مع هذا المكان المقدّس.

هـ : ونقرأ فى الآية ۶ و ۵ من سورة مريم :

(فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْکَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ).

ومن الواضح أنّ الورثة يرثون المال بعد موت الولى فلا تأتى هنا بمعنى الصديق والناصر.

والنتيجة هى أن كلمة «الولى» استعملت فى الآيات الشريفة بمعان مختلفة ولكنّها وردت فى أكثر هذه الموارد بمعنى القيّم وصاحب الإختيار.

المراد من الولى فى الآية محل البحث

ونظراً لما تقدّم آنفاً فما هو المراد من كلمة «ولى» فى آية الولاية ؟ هل أنّ المراد منها هو الصديق والناصر ؟

إنّ هذا المعنى يخالف أكثر موارد استعمال هذه الكلمة فى جميع الآيات القرآنية. إذن فالإنصاف يدعونا إلى فهم الولى فى هذه الآية بمعنى القيّم وصاحب اختيار لا بمعنى الصديق والناصر لأنّه :

أوّلاً : كلمة «إنّما» الواردة فى صدر الآية تدلّ على الحصر، أى حصر الولى للمؤمنين بهؤلاء الثلاثة لا غير، فى حين أنّه لو كان المراد من كلمة الولى بمعنى الصديق فلا معنى للحصر حينئذ، لأنّ من الواضح وجود طوائف أُخرى غير هذه الطوائف الثلاثة المذكورة فى الآية يمكن أن يكونوا من أصدقاء وأنصار المؤمنين، مضافاً إلى أنه لو كان

www.makarem.ir

كلمة «**الولى**» بمعنى الصديق أو الناصر فلا معنى لورود كل هذه القيود لكلمة «**الّذين آمنوا**» بأن يشترط فيهم دفع الزكاة فى حال الركوع لأن جميع المؤمنين بل وغير المؤمنين من الذين لا يصلّون يمكنهم أن يكونوا من أصدقاء المسلمين، وعلى هذا الأساس فيستفاد من كلمة «**إنّما**» التى تدلّ على الحصر وكذلک القيود العديدة لكلمة «**الذين آمنوا**» أنّ الولاية فى الآية الشريفة لم تستعمل بمعنى الصديق والناصر بل بمعنى القيّم والقائد وصاحب الإختيار، لذلک يكون مراد الآية أن الله تعالى والنبى والمؤمنين الذين تتوفر فيهم الشروط المذكورة فى الآية هم أوليائكم والقيميّين على أُموركم.

ثانياً : أن الآية ٥۶ من سورة المائدة التى وردت بعد الآية محل البحث أفضل قرينة وشاهد على المدّعى فإنّ الله تعالى ذكر فى هذه الآية الشريفة :

(وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنوا فَاِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغالِبُونَ).

الحزب هنا بمعنى جمع من الناس، ونصرة الحزب بمعنى تفوّقه ونجاحه فى حركته السياسية والإجتماعية، وعلى هذا الأساس فإنّ هذه الآية الشريفة ترتبط بالآية التى قبلها وهى الآية محل البحث، والظاهر أنّهما نزلتا سوية فيستفاد منها أنّ الولاية المذكورة فيها هى الولاية السياسية فيكون معنى الآية هو :

إنّ الأشخاص الذين يقبلون بحكومة الله والنبىّ وحكومة الذين آمنوا فإنّ هؤلاء الأشخاص والطوائف هم الغالبون.

والنتيجة هى أننا لو تدبرنا وتعمقنا فى كلّ كلمة من كلمات هذه الآية الشريفة مع غض النظر عن الروايات الكثيرة الواردة فى تفسيرها يتضّح جيداً أنّ الولى فى هذه الآية جاء بمعنى الإمام والقائد والقيّم، وكلّ من يقبل حكومة الله والرسول والذين آمنوا، الذين تتوفر فيهم الشرائط المذكورة فى الآية الشريفة هم الغالبون والمنتصرون.

مصداق «الّذين آمنوا» فى الآية الشريفة

www.makarem.ir

لقد اتّضح فيما سبق معنى كلمة «**إنّما**» و«**ولى**» ولكن مازال الإبهام يحيط بمعنى وتفسير الآية الشريفة لأنه لم يتضح لحد الآن المراد من عبارة «والذين آمنوا» فى هذه الآية.

وللإجابة على هذا السؤال يجب القول بأنه ليس بين الرواة والمفسّرين وعلماء الإسلام من الشيعة وأهل السنّة إلا ويرى «الإمام علىّ» هو المصداق لهذه الآية الشريفة، وعلى هذا الأساس فهذه الآية تدلّ بالإجماع واتفاق جميع علماء الإسلام على أنّ الإمام على (عليه السلام) هو المصداق لهذه الآية الشريفة، ومن جهة أُخرى فإنّ جملة «**والذين آمنوا**» لا تتحمّل سوى مصداق واحد وليس هذا المصداق سوى علىّ بن أبى طالب.

والنتيجة ممّا تقدّم آنفاً هو أنه يستفاد من الآية الشريفة ثلاثة أُمور «بغضّ النظر عن الآيات وروايات المفسّرين».

١ ـ إن كلمة «**إنّما**» تدلّ على الحصر والولاية هنا منحصرة فى ثلاث طوائف.

٢ ـ إن هذه الولاية فى الآيات الشريفة وردت بمعنى القائد والقيّم وصاحب الإختيار كما فى أكثر موارد استعمالها فى القرآن الكريم.

٣ ـ إن مصداق «**الّذين آمنوا**» فى هذه الآية هو الإمام علىّ (عليه السلام) بلا شک.

الطريق الثانى : تفسير الآية بلحاظ الروايات الشريفة

ينقل المحدّث البحرانى فى «**غاية المرام**» أربع وعشرين حديثاً من منابع أهل السنّة، وتسعة عشر حديثاً من منابع الشيعة فتشكل بمجموعها ثلاثة وأربعين حديثاً، وعليه فإنّ الروايات الواردة فى شأن هذه الآية متواترة[1]، ومضافاً إلى ذلک فإنّ العلاّمة الأمينى أورد فى كتابه القيّم «**الغدير**» روايات من عشرين مصدراً من المصادر الروائية المعروفة لدى أهل السنّة تتحدّث فى شأن الآية الشريفة محل البحث من قبيل تفسير الطبرى، تفسير أسباب النزول، تفسير الفخرالرازى، التذكرة لسبط ابن الجوزى، الصواعق

١ . عندما تكون الروايات فى مورد معيّن من الكثرة بحيث يحصل للشخص اليقين بمضمونها فمثل هذه الروايات تسمى «متواترة» ولا حاجة حينئذ للتحقيق فى سندها.

www.makarem.ir

لابن حجر، نور الأبصار للشبلنجى، وكذلک تفسير ابن كثير وغيرها من المصادر المعتبرة لدى أهل السنّة، وأما رواة هذه الأحاديث فهم عشرة أشخاص من الصحابة المعروفين.

١ ـ ابن عباس، ٢ ـ عمّار بن ياسر، ٣ ـ جابر بن عبدالله الأنصارى، ۴ ـ أبوذرّ الغفارى «الذى نقل أدقّ وأطول رواية فى هذا المجال»، ۵ ـ أنس بن مالک، ۶ ـ عبدالله ابن سلام، ٧ ـ سلمة بن كهيل، ٨ ـ عبدالله بن غالب، ٩ ـ عقبة بن حكيم، ١٠ ـ عبدالله ابن أُبى.

ومضافاً إلى ذلک فإنّه قد وردت روايات من الإمام على (عليه السلام) أيضاً فى شأن نزول هذه الآية الشريفة وقد استدلّ بها الإمام علىّ كراراً.

وأما مضمون الروايات أعلاه فهو أنه : كان الإمام على (عليه السلام) يوماً يصلى فى مسجد النبى، فدخل سائل إلى المسجد وطلب حاجته من المسلمين فلم يعطه أحد شيئاً[١]، وكان الإمام فى حال الركوع فأشار للسائل إلى خاتمه فجاء وانتزع الخاتم من إصبع الإمام وخرج من المسجد، فنزلت حينئذ الآية الشريفة.

وهذا المضمون للروايات الشريفة ورد فى أكثر من أربعين رواية من الروايات التى وردت فى شأن نزول الآية محل البحث، ونحن نقتصر هنا على استعراض ثلاث روايات منها، وهى ما أورده الفخر الرازى فى تفسيره :

١ ـ رَوى عَطا عن اِبْنِ عَبّاسْ أنها نَزَلَتْ فِى عَلِىٍّ بْنِ أبى طالِب[٢].

٢ ـ روى أن عبدالله بن سلام قال : لَمّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ، قُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ أنَا رَأَيْتُ عَلِيّاً تَصَدَّقَ بِخاتَمِهِ عَلى مُحْتاج وَهُوَ راكِعٌ فَنَحْنُ نَتَوَلاّهُ[٣].

٣ ـ وهى الرواية الأهم من بين الروايات فى هذا الباب وهى نقلاً عن أبى ذرّ الغفارى وهذه الرواية أوردها الفخر الرازى عن أبى ذرّ أنه قال :

---

١ . حيث كان الوضع المادى والإقتصادى للمسلمين فى ذلک الوقت عسيراً وكانوا يعيشون فى ضائقة شديدة حتّى فى ضروريات الحياة.

٢ و ٢ ـ التفسير الكبير : ج ١٢، ص ٢۶.

www.makarem.ir

قالَ : صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله) يَوْماً صَلاةَ الظُّهْرِ، فَسَأَلَ سائِلٌ فِي الْمَسْجِدِ فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ فَرَفَعَ السّائِلُ يَدَهُ إِلَى السَّماءِ وَقَالَ : «اللّهُمَّ اشْهَدْ اَنِّى سَأَلْتُ فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ فَما أَعْطانِي أَحَدٌ شَيْئاً !» وَعَلِيٌّ كَانَ راكِعاً، فَأَوْمَأ إِلَيْهِ بِخِنْصِرِهِ الْيُمْنى وَكَانَ فِيها خَاتَمٌ فَأَقْبَلَ السّائِلُ حَتّى أَخَذَ الْخاتَمَ بِمَرْأى النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله) فَقالَ (صلى الله عليه وآله) : اللَّهُمَّ اِنَّ أَخِي مُوسى سأَلَکَ فَقالَ : (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هارُونَ أَخِي * اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي)[1] فَأَنْزَلْتَ قُرْآناً ناطِقاً : (سَنَشُدُّ عَضُدَکَ بِاَخيکَ وَنَجْعَلُ لَکُما سُلْطاناً)[2] اللّهُمَّ وَأَنَا مُحَمَّدٌ نَبِيُّکَ وَصَفِيُّکَ فَاشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي، عَلِيّاً، اُشْدُدْ بِهِ ظَهْرِي. قَالَ أَبُو ذَر : فَوَاللهِ مَا أَتَمَّ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله) هذِهِ الْكَلِمَةِ حَتَّى نَزَلَ جِبْرَئِيلُ، فَقالَ : يا مُحَمَّدُ : إِقْرَأ (إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ...).[3]

وبعد أن ينقل الفخرالرازى هذه الروايات الثلاثة يقول : إنّ جميع الروايات الواردة فى هذه المسألة هى هذه الروايات الثلاثة فقط.

ملاحظتان

١ ـ إن رواية أبى ذرّ تشير إلى أنّ صدقة الإمام على (عليه السلام) فى حال الصلاة لم تكن صدقة عاديّة لمسكين من الناس بل أدّت إلى حفظ وجاهة وقدسيّة مسجد النبىّ الذى يعد مركز الإسلام والصحابة والمسلمين لأنّ المسكين عندما خرج من مسجد النبى لم يجد من يمدّ له يد العون، ولهذا اشتكى إلى الله من ذلک، فعليه فإنّ صدقة الإمام فى حالة الركوع مضافاً إلى أنها رفعت حاجة السائل فإنّها أدّت إلى حفظ اعتبار مسجد النبى (صلى الله عليه وآله)وقداسته وحرمة أصحاب النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) أيضاً.

---

١ . سورة طه : الآيات ٢٥ ـ ٣٢

٢ . سورة القصص : الآية ٣٥.

٣ . التفسير الكبير : ج ١٢، ص ٢٦.

www.makarem.ir

٢ ـ إنّ ادعاء الفخرالرازى المبنى على أنّ مجموع الروايات الواردة فى هذا الباب ليس بأكثر من ثلاث روايات هو كلام بلا أساس لأنّه كما تقدّم آنفاً أن الوارد من الروايات فى هذا الباب أكثر من أربعين رواية، والملفت للنظر أنّ أكثر هذه الروايات وردت فى كتب ومصادر أهل السنّة ولكنّ التعصّب والعناد إذا أخذ بناصية الإنسان أدّى إلى أن ينطق بكلمات غير مسؤولة وغيرمتوقعة رغم كونه علاّمة كبير مثل الفخر الرازى، مضافاً إلى أنه يمكننا أن ندّعى أنّه إذا قد وصلت لنا أكثر من أربعين رواية فى شأن نزول الآية محل البحث فإنّ هناك عدد أكثر من هذا قد اختفى فى طيّات التاريخ ولم يصل إلينا وخاصّة فى فترة الحكم الاُموى الذى كان بنواُمية يتحركون بصراحة وشدّة فى حذف فضائل ومناقب أهل البيت (عليهم السلام)وطمس معالمها فلم يتجرأ أحد على بيان هذه الفضائل ونشرها.

وكم من الأشخاص الذين لم يكونوا يمتلكون الجرأة على بيان فضائل ومناقب أميرالمؤمنين (عليه السلام) وذهبت تلك الفضائل معهم إلى القبر ! ! إنّ أجواء الإرهاب كانت إلى

درجة من الشدّة بحيث إن من يذكر فضيلة واحدة لأهل البيت كان يتعرض للعقاب الشديد بل لو أنّ أحداً سمّى ابنه عليّاً كان يتعرض للعقاب أيضاً.

ومع هذه الظروف الصعبة فعندما تصل إلينا أربعين رواية فيمكن أن نحدس أنّ أضعاف هذا المقدار قد تلف فى طيّات التاريخ.

والنتيجة هى أنه مع الأخذ بنظر الإعتبار كثرة الروايات التى تصل إلى حدّ التواتر وقد أوردنا بعضها بالتفصيل فلا يبقى شكّ أن الآية الشريفة (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ) نزلت فى شأن أميرالمؤمنين وأنه (عليه السلام) هو الولى بعد الله ورسوله.

شبهات واشكالات

www.makarem.ir

وعلى الرغم من وضوح دلالة الآية الشريفة على ولاية أميرالمؤمنين فإنّ بعض العلماء قد ذكر بعض الشبهات والإشكالات حول دلالة هذه الآية، وفى الواقع فإنّ الكثير من هذه الإشكالات ليست سوى ذرائع وحجج واهية[١].

وعلى سبيل المثال :

الإشكال الأوّل : كلمة إنّما لا تدلّ على الحصر

رأينا فى عملية الإستدلال بالآية أعلاه أنها تقوم على ثلاث دعائم : أحدها أن كلمة «إنّما» فى الآية الشريفة تدلّ على الحصر وأنّها تحصر الولاية بثلاث موارد، وعليه فإنّ الولاية مورد البحث لا تثبت لغيرهم.

ولكنّ بعض المفسّرين من أهل السنّة قالوا بأنّ «إنّما» فى الآية لا تدلّ على الحصر لأن فى القرآن آية أُخرى أيضاً وردت فيها كلمة «إنّما» وليس لها دلالة على الحصر. وهى الآية الشريفة ٢٠ من سورة الحديد حيث يقول الله تعالى :

(اِعْلَمُوا أَنَّما الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكاثُرٌ فِي الْأَمْوالِ وَالْأَوْلادِ...).

فهنا نرى أنّ كلمة «أنّما» فى الآية أعلاه لا تدلّ على الحصر لأننا نعلم أن الحياة الدنيا لا تنحصر فى هذه الموارد المذكورة فى الآية الشريفة بل تشمل لذاّت أُخرى وعبادات ونشاطات وتحصيل علم وغير ذلک من الأُمور، وعليه فكما أنّ كلمة «أنّما» فى هذه الآية لا تدلّ على الحصر فكذلک فى آية الولاية لا تدلّ على الحصر، فالإستدلال بهذه الآية على المطلوب ناقص.

الجواب : هذا الإشكال من جملة الإشكالات الواهية التى لا تقوم على أساس متين لأننا نعتقد بأنه :

---

١ . طبعاً لاشک فى أن السؤال نافذة للعلم ومفتاح حلّ المشكلات والمجهولات، ولذا ورد الحث عليه فى القرآن الكريم بصورة مطلقة، حيث يقول تعالى فى الآية ٤٣ من سورة النحل، وكذلک فى الآية ٧ من سورة الأنبياء : (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)

هذه الآية الشريفة مطلقة من كلّ جهة، فكلّ من لديه سؤال يمكنه أن يسأل أهل العلم والخبرة، وقد ورد فى هذا المورد روايات عديدة، ولكن المهم هو أن يكون السؤال بقصد التوصل إلى الحقيقة لا بدافع من العناد والتعصّب كما فى الكثير من أسئلة علماء أهل السنّة حول آية الولاية.

www.makarem.ir

أوّلاً : إنّ كلمة «إنّما» فى هذه الآية أيضاً وردت بمعنى الحصر، فالدنيا فى نظر الإنسان المؤمن والعارف ليست فى حقيقتها سوى اللهو واللعب وأمثال ذلک، وقد يتصور الإنسان المتورط فى حبائل الدنيا اُموراً اُخرى فى هذه الدنيا ولكن لو نظر بعين الحقيقة لرأى أنّ جميع أشكال الحكومات والمقامات الدنيوية والقصور الفخمة وأمثالها من مظاهر الدنيا ليست سوى لهو ولعب حيث يلهو بها أبناء الدنيا.

ثانياً : وعلى فرض أنّ كلمة «إنما» هنا لم ترد فى معناها الحقيقى فهذا لا يدلّ على أنّ الموارد الاُخرى فى استعمال هذه الكلمة تحمل على غير معناها الحقيقى.

والنتيجة هى أنّ كلمة «إنّما» الواردة فى الآية الشريفة تدلّ على الحصر بلا شکّ والإستدلال بهذه الآية كامل.

الإشكال الثانى : إعطاء الخاتم فعل كثير مبطل للصلاة

أمّا الإشكال الثانى الذى ذكره بعض المفسّرين من أهل السنّة فهو أننا سلّمنا أن الآية الشريفة نزلت فى شأن الإمام علىّ (عليه السلام) ولكن القيام بهذا الفعل من قبل علىّ بن أبى طالب فى الصلاة «إنّما هو فعل كثير» والفعل الكثير يؤدى إلى بطلان الصلاة فهل يعقل أن الإمام على(عليه السلام) يتصرف فى صلاته بما يؤدى إلى بطلان الصلاة.

الجواب : **أوّلاً** : إن فعل الكثير كما هو الظاهر من هذه الكلمة يطلق على أداء أعمال كثيرة لا ربط لها بالصلاة بحيث تهدم هيئة الصلاة للمصلّى كأن يقوم شخص فى أثناء الصلاة وبسبب سماعه لخبر مفرح بالتصفيق والقفز ويمتلكه الهياج وأمثال ذلک، وأما أن يشير إلى السائل والمسكين ليأخذ خاتمه من يده بحيث إنّ الإمام نفسه لم يخرج الخاتم من يده، فهل يقع ذلک فى دائرة «الفعل الكثير»[1] ؟

كيف يكون مثل هذا العمل فعلاً كثيراً فى حين أنّ الروايات الشريفة تبيح للمصلّى بأن يغسل أنفه فيما لو خرج الدم منه بالماء فى أثناء الصلاة ويستمر فى صلاته ؟ ولو أنه واجه حيواناً خطراً على مقربة منه جاز له قتله والاستمرار فى الصلاة.

---

١ . وقد اعترف الزمخشرى فى تفسيره «الكشاف» : ج ١، ص ٦٤٩ أن هذا العمل ليس من الفعل الكثير.

www.makarem.ir

هل هذه الأفعال ليست بأفعال كثيرة ولكن الإشارة هى فعل كثير ؟

ثانياً : إنّ أمثال هذه الحجج والمعاذير ترد على الله أيضاً لأن الله تعالى مدح الإمام علىّ (عليه السلام)فى هذه الآية على عمله، فلو كان ذلک العمل باعثاً على بطلان الصلاة فهل أن الله تعالى يمدحه ويثنى عليه وينزل فى حقّه آية من القرآن ؟ !

النتيجة هى أن هذا الإشكال بمثابة ذريعة وتبرير نابع من التعصّب واللجاجة لا أكثر.

الإشكال الثالث : الخاتم الثمين

طبقاً لبعض الروايات أن ذلک الخاتم كان ثميناً جداً حتّى أنه ورد أن ثمنه يعادل خراج منطقة بكاملها مثل الشام، ألا يعتبر تملک مثل هذا الخاتم الثمين من قبل علىّ بن أبى طالب من الإسراف المحرّم ؟

أمّا جواب هذه الشبهة فواضح لأنه :

أوّلاً : لم يرد هذا المطلب فى أيّة رواية معتبرة بل الظاهر أن الخاتم المذكور لم يكن سوى خاتماً عادياً لأنه لم يتم للمسلمين فى ذلک الزمان فتح ايران والشام وأمثال ذلک ولم تصل مثل هذه الثروات الكبيرة إلى أيدى المسلمين بل الفتوحات المذكورة حدثت بعد رحلة الرسول وفى عصر الخلفاء، مضافاً إلى أن الإمام على (عليه السلام) الذى كان طعامه فى أيّام حكومته وخلافته بسيطاً إلى درجة أنه لا يأكل سوى من اِدام واحد والغالب انه كان يكتفى بقرص الشعير ويلبس الثياب البسيطة من الكرباس والليف فكيف يعقل أن يمتلک مثل هذا الخاتم الثمين ؟ !

وعلى هذا الأساس فلا شكّ فى ضعف الرواية التى لا تنسجم مع روايات الباب ولا مع سيرة الإمام على (عليه السلام) ولا تتناغم مع أجواء تاريخ النزول، ولذلک فانها قد وضعت تحت ظروف خاصّة.

ثانياً : كيف يعقل أن يمتلک الإمام على مثل هذا الخاتم الثمين بحيث يدخل فى باب الإسراف المحرم ثمّ يتصدّق به فى سبيل الله وينال الثناء الإلهى ؟ وعليه فإنّ المستفاد مما ورد من المدح والثناء فى هذه الآية الشريفة على هذا العمل كذب هذه الرواية وزيفها وأنها وضعت لتحقيق أغراض معيّنة.

www.makarem.ir

الإشكال الرابع : إنّ هذا العمل لا ينسجم مع حضور القلب

بما أن الإمام على (عليه السلام) كان عندما يصلّى خاصّة يتوجه إلى الله تعالى بكلّ قلبه ويغرق فى صفات جلاله وجماله ولا يكون له التفاتٌ إلى غيره أبداً بحيث إنهم كانوا يخرجون السهام من بدنه الشريف فى حال الصلاة[1] ولم يكن يتسنى لهم ذلک فى الحالات العادية لصعوبته وشدّة ألمه، فمثل هذا الإنسان العارف والمتعلق بالله تعالى إلى هذه الدرجة كيف يلتفت أثناء الصلاة إلى كلام السائل ويتصدّق عليه فى حال الركوع بالخاتم ؟ والخلاصة أن هذه المسألة تتنافى مع حضور القلب فى الصلاة لأميرالمؤمنين (عليه السلام).

الجواب : أوّلاً : إن السائل بعد أن تملكه اليأس من الحصول على مساعدة الأصحاب توجه إلى الله تعالى بالشكاية وشرع بالقول «**اللّهُمَّ أشهد**....» وعليه فإنّ هذا الكلام وذكر اسم الله ألفت نظر الإمام علىّ إلى وجود السائل، وهذا لا يتقاطع مع حضور قلبه واستغراقه فى عالم العبودية فى الصلاة.

مضافاً إلى ذلک ألا يعقل أن يسمع المأموم فى صلاة الجماعة صوت المكبّر أو صوت الإمام ليتابعه فى أعمال الصلاة ؟ إذا لم يكن يسمع ذلک فكيف يمكنه الاقتداء به فى الصلاة ؟ وإذا كان يسمع فهل يعنى هذا أن حضور القلب غير ممكن فى كلّ صلاة جماعة ؟

ثانياً : هل أن سماع صوت السائل الذى ورد التعبير عنه فى الرواية الشريفة بأنه رسول من الله فيه إشكال ؟ إن سماع صوت الرسول الإلهى كيف يتقاطع مع حضور القلب فى الصلاة ؟[2]

---

١ . ذكرنا تفاصيل هذه الحادثة مع وثائقها المعتبرة فى كتاب «١١٠ قصة من سيرة الإمام على (عليه السلام)».

٢ . ورد فى الحديث عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) : «إن المسكين رسول الله إليكم فمن منعه فقد منع الله، ومن أعطاه فقد أعطى الله» (وسائل الشيعة : ج ٦، أبواب الصدقة، باب ٢٢، ح ١١).

www.makarem.ir

ثالثاً : ألا يكون سماع صوت المظلوم وحل مشكلته حتّى فى أثناء الصلاة من العبادة ؟[1] فلو كان هذا العمل عبادة فالإمام علىّ (عليه السلام) قد يستغرق فى هذه العبادة ويأتى بها من دون أن يكون هناك إشكال فى البين بل هى عبادة ضمن عبادة.

أمّا ما يمكن أن يكون محل إشكال هو التوجّه إلى النفس والذات الفردية أثناء العبادة والصلاة، وأمّا التوجّه إلى المظلوم وقضاء حاجته الذى يعد فى نفسه عبادة فلا إشكال فيه.

والنتيجة هى أن هذا الإشكال مردود أيضاً، وفى الحقيقة أن هدف المغرضين من طرح هذا الإشكال والإشكالات الأُخرى هو تهميش هذا العمل وتضعيف دلالة الآية الشريفة على ولاية أميرالمؤمنين (عليه السلام).

الإشكال الخامس : لماذا تعود الضمائر فى الآية إلى الجمع ؟

وكما تقدّم فى الآية الشريفة أنها تقرر الولاية لثلاث طوائف، وفى الثالثة تعود الضمائر فى الأفعال واسم الموصول إلى الجمع كما فى قوله :

١ ـ الَّذين ٢ ـ آمنوا ٣ ـ الّذين ۴ ـ يقيمون ۵ ـ يؤتون ۶ ـ هم ٧ ـ راكعون.

فالكلمات السبعة المذكورة فى الآية تتناسب مع الجمع، ومعنى هذه الكلمات هى أن هناك أشخاصاً متعددين قد تصدّقوا على الفقير فى حال الركوع فى حين أن جميع الروايات تذكر الإمام علىّ (عليه السلام) فقط كمصداق للآية الشريفة حيث تصدّق بخاتمه على الفقير فى حال الركوع وبالالتفات إلى هذا المطلب فهل هناك روايات أُخرى وردت فى شأن نزول الآية الشريفة تتناغم مع أجواء الآية ؟ ومن الواضح أنه لو كان هناك اختلاف وتباين بين الآية الشريفة والروايات التى تتحدّث فى شأن نزولها فلابدّ من الإعراض عن الرواية أو الروايات والعمل بمضمون الآية الشريفة. إذن فالتعارض المذكور بين الآية الشريفة والروايات المذكورة يتسبب فى عدم اعتبار هذه الروايات.

---

١ . هناك روايات كثيرة فى فضيلة الصدقة وآثارها، منها ما ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال : «لأن أحج حجّة أحبّ إلىّ من أن أعتق رقبة ورقبة حتّى انتهى إلى عشر ومثلها حتّى انتهى إلى سبعين، ولإن أعول أهل بيت من المسلمين اشبع جوعتهم وأكسو عورتهم وأكفّ وجوههم عن الناس أحبّ إلىّ من أن أحجّ حجّة وحجّة حتّى انتهى إلى عشر ومثلها حتّى انتهى إلى سبعين. (وسائل الشيعة : ج ۶، أبواب الصدقة، الباب ٢، ح ٣).

www.makarem.ir

الجواب : إنّ العلماء والمفسّرين من أهل السنّة قد أجابوا على هذا الإشكال فالفخر الرازى يقول فى الجواب على هذا السؤال :

«إنّ الجمع يطلق أحياناً على المفرد للاحترام وعلى سبيل التعظيم والآية مورد البحث من هذا القبيل»[١].

ويذكر الآلوسى فى روح المعانى جواباً آخر ويقول :

«قد يستعمل الجمع فى المفرد لبيان عظمة الشخص تارة، ولبيان عظمة العمل أُخرى، وهذا مشهور فى لغة العرب ولكن بما أن هذا الإستعمال على سبيل المجاز فيحتاج إلى قرينة»[٢].

وأمّا جوابنا على هذا السؤال فهو :

أوّلاً : أنه كما رأينا أن استعمال صيغة الجمع بدل المفرد قد يكون متداولاً لبيان احترام المخاطب وبيان عظمته، وفى الآية مورد البحث قد ورد مثل هذا الإستعمال فى سياقها والقرينة على مجازية هذا الإستعمال الوارد فى الآية هو أن أىّ واحد من العلماء حتّى المتعصبين من أهل السنّة لا يرون غير الإمام على (عليه السلام)مصداقاً لها والذى تصدّق بخاتمه فى حال الركوع، وهذا هو أفضل قرينة على استعمال لفظ الجمع فى مورد المفرد.

ثانياً : هناك موارد كثيرة وردت فى القرآن الكريم واستعملت فيها صيغة الجمع للمفرد، وكمثال على ذلک نكتفى بذكر سبعة موارد منها :

١ ـ نقرأ فى الآية ٢١٥ من سورة البقرة قوله تعالى :

(يَسئَلُونَکَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْر فَلِلْوالِدَيْنِ وَالاَقْرَبِينَ وَالْيَتامى وَالْمَساكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ وَما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْر فَاِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ).

ففى هذه الآية الشريفة وردت جملة «**يسألونک، ينفقون، انفقتم وما تفعلوا**» بصورة الجمع، وفى البداية يظهر من الآية أن جماعة من المسلمين طرحوا السؤال المذكور

---

١ . التفسير الكبير : ج ١٢، ص ٢٨.

٢ . روح المعانى : ج ٦، ص ١٦٧.

www.makarem.ir

ولكن طبقاً لشأن نزول الآية فلم يكن السائل سوى شخص واحد واسمه «عمرو بن جموح»[١] الذى كان رجلاً ثرياً، وعليه ففى هذه الآية الشريفة ورد لفظ الجمع واستعمل فى المفرد إما على أساس بيان عظمة هذا العمل وهو الانفاق أو بيان الاحترام للسائل وهو عمرو بن جموح.

ملاحظة : إنّ الموضوع الملفت للنظر فى هذه الآية الشريفة هو أن الله تعالى فى مقام جوابه على سؤال عمرو بن جموح ذكر مطلباً آخر لأن عمرو سأل عن نوع المال الذى يجب انفاقه، والله تعالى تحدّث عن الأشخاص الذين يجب الإنفاق عليهم، فعليه فمثل هذا الجواب يبين أهمية مصرف الإنفاق وأن الإنسان يجب أن يهتم بالدرجة الأُولى بأبيه وأُمّه وأقربائه ثمّ يتوجّه إلى الآخرين فى عملية الإنفاق.

٢ ـ يقول سبحان وتعالى فى الآية ٢٧۴ من سورة البقرة :

(الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ).

ففى هذه الآية الشريفة نقرأ عبارات من قبيل «**الّذين، ينفقون، أموالهم، فلهم، أجرهم، ربّهم، عليهم، هم، يحزنون**» فكلّها جاءت بصيغة الجمع ولكنّ الكثير من المفسّرين قالوا بأن المراد منها هو الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام) الذى كان ينفق بالليل والنهار وسراً وعلانيةً، وطبقاً لرواية واردة فى هذا المجال أن الإمام كان يمتلك أربعة دراهم فتصدّق بأحدها ليلاً وبالآخر نهاراً وبالثالث علانية وبالرابع سراً فنزلت الآية أعلاها لتشير إلى شأن هذا الإنفاق[٢].

سؤال : هل يعقل أن تنزل آية قرآنية على بعض الأعمال الجزئية من قبيل إنفاق أربعة دراهم ؟

الجواب : إنّ المهم فى نظر الإسلام هو كيفية العمل لا مقداره، وعليه فإذا كان العمل قد أتى به المكلّف بإخلاص بالغ فيمكن أن تنزل آية قرآنية حتّى على إنفاق أقل من

١ . الكشّاف : ج ١، ص ٢٥٧.

٢ . الكشّاف : ج ١، ص ٣١٩.

www.makarem.ir

أربعة دراهم ولو أن شخصاً أنفق جبلاً من ذهب ولكن لم يكن يتزامن مع الإخلاص والتوجّه القلبى إلى الله تعالى فليس له أية قيمة ولا تنزل فى حقّه آية شريفة.

٣ ـ ونقرأ فى الآية ١٧٣ من سورة آل عمران :

(الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النّاسُ إِنَّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إيماناً وَقالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ).

هذه الآية الشريفة نزلت فى حرب أُحد عندما تخلّف بعض المسلمين عن امتثال أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتركوا مواقعهم واشتغلوا بجمع الغنائم الحربية فاستفاد الأعداء من هذه الفرصة ومن غفلة المسلمين وداروا حول جبل أُحد وهجموا على المسلمين من ورائهم وحقّقوا نصراً كبيراً على المسلمين وقتلوا سبعين مسلماً فى تلك الواقعة.

إن الكفّار والمشركين لم يقنعوا بهذا النصر على المسلمين فعندما كانوا يعودون إلى مكّة

قال أحدهم : نحن الذين حقّقنا هذا النصر فلماذا لم نقتل محمّداً لنختم على هذه الدعوة الجديدة ونقلعها من جذورها ؟ فإذا لم نفعل ذلک فى هذا اليوم فالإسلام والمسلمين سوف يزدادون قوّة ويتفوّقون علينا فى المستقبل.

وقد أثر كلامه هذا فى أفراد جيش المشركين وعزموا على العودة إلى المسلمين وقتالهم، ولكن كان بينهم شخص يدعى «نعيم بن مسعود» أو «معبد الخزاعى» الذى لم يقبل باستمرار القتال وقبل أن يصل الكفّار إلى المسلمين أخبر هذا الشخص المسلمين بعزم الكفّار وتصميمهم على القتال فخاف من ذلک بعض المسلمين واصابهم الرعب وقالوا : إننا قد خسرنا المعركة وكنّا أقوياء وسالمين ولكن الآن وبعد الهزيمة وكثرة القتلى والمجروحين كيف يمكننا الوقوف أمام جيش الكفّار، ولكن بعضاً آخر من المسلمين قالوا : «نحن لسنا على استعداد فقط لقتالهم بل سوف نذهب إليهم ونتحرک لقتالهم مع المجروحين من جيش الإسلام، فعندما فهم الأعداء ذلک وأن المسلمين

www.makarem.ir

توجّهوا إليهم مع المجروحين منهم دبّ فى قلوبهم الخوف والرعب وقنعوا بذلک المقدار من النصر وانصرفوا عن قتال المسلمين مرّة اُخرى.

الآية الشريفة أعلاها تتحدّث عن هذه الواقعة وتعبّر عن «نعيم ابن مسعود» أو «معبد الخزاعى» الذى أبلغ المسلمين بعزم الكفّار بكلمة «الناس» فى حين انه لم يكن سوى نفر واحد ولكن بما أن عمله هذا كان عظيماً للغاية، فلأجل بيان أهمية هذا العمل ذكرت الآية الشريفة كلمة الجمع بدل المفرد.

٤ ـ يقول تعالى فى الآية ٦١ من سورة آل عمران :

(فَمَنْ حاجَّکَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جائَکَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْنائَنا وَأَبْنائَکُمْ وَنِسائَنا وَنِسائَکُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَکُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْکاذِبِينَ).

هذه الآية الشريفة نزلت فى واقعة المباهلة، ففى هذه الواقعة كما هو معروف لدى الجميع أن النبىّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) جاء مع علىّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)لميدان المباهلة، والمراد من «أبْنائنا» فى الآية الشريفة هم الحسن والحسين (عليهما السلام)والمراد من «نِسائنا» فاطمة الزهراء(عليها السلام) والمراد من «أَنْفُسَنا» علىّ بن أبى طالب (عليه السلام). وهكذا ترى أنها كلمات وردت بصيغة الجمع واُريد بها المفرد[1].

٥ ـ ونقرأ فى أول آية من سورة الممتحنة قوله تعالى :

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّکُمْ أَوْلِياءَ...).

ذكر الكثير من المفسّرين أن هذه الآية الشريفة نزلت فى «حاطب ابن أبى بلتعة» وكان رجلاً واحداً واستعملت فى حقّه صيغة الجمع «**الّذين، آمنوا، لا تتّخذوا، عدوّكم**» وهذا يدلّ على العمل العظيم الذى أراد القيام به، وهو أن رسول الله (صلى الله عليه وآله)عندما عزم على فتح مكّة قام بسد المنافذ والطرق المؤدية إلى مكّة لكى لا يصل خبر تجهيز جيش المسلمين إلى الكفّار والمشركين فى مكّة ليتم الفتح بسهولة ويسر ومن دون إراقة دماء ولكن (حاطب) الذى كان يمتلک بعض المال والثروة فى مكّة قال

١ . الكشّاف : ج ١، ص ٣۶٨.

www.makarem.ir

فى نفسه : إننى لو أخبرت أهل مكّة عن استعداد جيش المسلمين لقتالهم فأضمن سلامة أموالى وأتمكن من إخراجها من أيدى المشركين وكما يقول السياسيون فى عصرنا الحاضر : «أربح امتيازاً».

ولهذا كتب رسالته بهذا الغرض إلى رؤساء مكّة وسلّمها لأمرأة تدعى «سارة» لتوصلها إلى مكّة فاخفت الرسالة فى طيات شعرها وتوجهت إلى مكّة.

فنزل جبرئيل وأخبر النبى (صلى الله عليه وآله) بالمؤامرة المذكورة فارسل الإمام علىّ (عليه السلام)وبعض الأشخاص لكشف هذه المؤامرة، فتوجّهوا نحو المرأة المذكورة وأخيراً استطاعوا أن يكتشفوا الرسالة ويعودوا إلى المدينة، وهنا نزلت الآية الشريفة فى توبيخ حاطب وقال بعض الأصحاب : دعنا نقتل حاطب ولكن النبى (صلى الله عليه وآله) الذى رأى حالة الندم على حاطب وكان من المجاهدين سابقاً واشترک فى حرب بدر عفى عنه وأطلقه[1].

ففى هذه الآية نرى أيضاً أن «حاطب» رجل واحد ولكنّ الآية وردت بصيغة الجمع.

٦ ـ نقرأ فى الآية ٥٢ من سورة المائدة :

(فَتَرَى الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشى أنْ تُصِيبَنا دائِرَةٌ...).

حيث أمر النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) المسلمين بقطع علاقاتهم وروابطهم مع الكفّار والمشركين ولكن أحد المنافقين وهو «عبدالله بن أُبى» قال : إذا قطعنا العلاقة معهم فإنّ حياتنا ومعيشتنا ستتعرض للاهتزاز والإرتباک ونصاب بمشكلات عديدة، فنزلت الآية المذكورة فى شأن هذا المنافق[2].

وهكذا نرى أن الشخص الذى كان يتحدّث عن ضرورة إبقاء الرابطة مع الكفّار والمشركين شخص واحد، ولكن الآية الشريفة وردت بصيغة الجمع «الّذين، قلوبهم،

١ . الكشّاف : ج ٤، ص ٥١١.

٢ . الكشّاف : ج ١، ص ٦٤٣.

www.makarem.ir

يسارعون، يقولون، نخشى وتصيبنا» وهذا يعنى أن استخدام صيغة الجمع فى حقّ المفرد لا بأس به.

٧ ـ ويقول تبارک وتعالى فى الآية ٨ من سورة المنافقين :

(يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ).

الآية أعلاها نزلت بعد غزوة بنى المصطلق فى السنة السادسة للهجرة فى منطقة «قديد» وكان هناک اختلاف بين أحد المهاجرين وأحد الأنصار فما كان زعيم المنافقين «عبدالله بن اُبى» إلاّ أن قال : أوقد فعلوها ؟ قد كاثرونا فى بلادنا، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذل[1].

وهكذا نرى أن القائل لم يكن سوى رجلاً واحداً ولكن الآية تحدّثت عنه بصيغة الجمع «يقولون، رجعنا».

والنتيجة هى أن القرآن الكريم أورد فى هذه الآيات السبعة المذكورة آنفاً وفى آيات اُخرى أيضاً صيغة الجمع بدل المفرد، وهذا يدلّ على أن مثل هذا الإستعمال شائع فى أجواء الآيات القرآنية.

وعلى هذا الأساس فإنّ آية الولاية إذا ذكرت صيغة الجمع فى حقّ المفرد وهو «علىّ بن أبى طالب» الذى تصدّق فى ركوعه فلا يوجد محذور فى مثل هذا الإستعمال بل يدلُّ على عظمة هذا العمل الذى قام به الإمام على (عليه السلام).

الإشكال السادس : ماذا تعنى ولاية الإمام علىّ (عليه السلام) فى حياة النبى (صلى الله عليه وآله) ؟

الإشكال الآخر الذى أورده الفخر الرازى وآخرون هو : «أنا لو حملنا الولاية على التصرف والإمامة لما كان المؤمنون المذكورون فى الآية موصوفين بالولاية حال نزول الآية، لأن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ما كان نافذ التصرف حال حياة الرسول، والآية تقتضى كون هؤلاء المؤمنين موصوفين بالولاية فى الحال. أما لو حملنا الولاية

١ . انظر تفاصيل هذه القصة فى التفسير الأمثل : ج ١٨، سورة المنافقين، الآية ٥، ص ٣٥٦.

www.makarem.ir

على المحبة والنصرة كانت الولاية حاصلة فى الحال، فثبت أن حمل الولاية على المحبة أولى من حملها على التصرف»[١].

الجواب : وجواب هذا الإشكال واضح لأن ولاية الولى والوصى والخليفة تكون بالقوّة لا بالفعل، وأساساً فإنّ هذا المطلب موجود ضمن سياق الآية الشريفة حيث إنّ زكريّا الذى طلب من الله تعالى الولى والوارث واستجاب الله تعالى لطلبه وأعطاه يحيى[٢]فهل أنّ يحيى كان وارثاً ووليّاً لأبيه فى حياة زكريا أو أن ذلک تحقّق له بعد وفاة الأب ؟

من الواضح أن هذه الأُمور تحققت له بعد وفاة أبيه.

وهذه المسألة سائدة فى العرف وسيرة العقلاء، فمن يكتب وصية ويعين وصياً له فهل أن هذا الوصى له ولاية واختيار قبل وفاة صاحب الوصية أو أن هذه الوصية تتعلق بما بعد الوفاة ؟ الفخر الرازى كان قد كتب وصيته حتماً وقد عيّن وصياً له، فهل أن ذلک الوصى وهذه الوصية كانت فعلية فى زمن حياته أو بعد مماته ؟ وأكثر من ذلک فإنّ جميع القادة والزعماء والملوک فى العالم يتحركون فى أواخر حياتهم لتعيين خليفة لهم، ولكنّ هؤلاء الخلفاء لهم لم يكونوا أصحاب قدرة فعلية فى حياة هؤلاء الملوک والزعماء بل كانت قدرتهم ومسؤولياتهم تتحقق لهم بعد وفاة القائد الفعلى.

وعلى هذا الأساس فإن الولاية فى الآية الشريفة جاءت بمعنى القيّم وصاحب الإختيار وإمام الأُمّة ولكن جميع هذه المعانى لا تكون فعلية للإمام علىّ (عليه السلام) إلاّ بعد رحيل الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله).

مضافاً إلى ذلک فإنّ مسألة تعيين الخليفة لا تختص بهذه الآية الشريفة بل إنّ النبىّ الأكرم(صلى الله عليه وآله) وطيلة زمن نبوته ٢٣ سنة كان يذكر مسألة الوصية بالخلافة للإمام على (عليه السلام)دائماً، وأوّل مورد لذلک هو ما ورد فى حديث يوم الدار، وذلک عندما تحرک النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)بعد ثلاثة سنوات من الدعوة السرية إلى

١ . التفسير الكبير : ج ١٢، ص ٢٨.

٢ . سورة مريم : الآية ٥ و ٦.

www.makarem.ir

الإعلان والإجهار بإبلاغ الرسالة وفى أوّل خطوة لذلک جمع قادة قريش ودعاهم إلى ضيافته وبعد أن انتهوا من تناول الطعام طرح مسألة النبوّة والرسالة وقال لهم فى آخر المطاف :

أَيُّكُمْ يُوازِرُنِى عَلى هذَا الأَمْرِ.

فلم يكن يجيب بالإيجاب على هذا الطلب سوى أميرالمؤمنين (عليه السلام)، فما كان من رسول الله إلاّ أن قال له فى ذلک المجلس :

«**اَنْتَ وَصِيّى**».

فى حين أن النبى الأكرم كان على قيد الحياة، وماذا يصنع بالوصى والخلافة فى ذلک الوقت ؟

النتيجة أن الجواب على مثل هذه الإشكالات والشبهات واضح، وفى الحقيقة أنها لا تعدو سوى حجج وتبريرات غير منطقية وبعيدة عن خط الحقّ والإنصاف.

الإشكال السابع : ما هو المراد من الزكاة ؟

رأينا أنّ البعض أورد حجج وشبهات مختلفة حول دلالة آية الولاية بحيث أنهم ذكروا شبهات لكلِّ كلمة من كلمات الآية محل البحث من قبيل «**إنّما**»، «**ولىّ**»، «**راكعون**»، «**الزكاة**» فكلّها وردت فى حقها إشكالات وشبهات.

ويتساءل الفخرالرازى وآخرون : ما المراد من الزكاة فى هذه الآية الشريفة ؟ هل المقصود الزكاة المستحبة أو الواجبة. ومعلوم أنه ليست لدينا زكاة مستحبة، وعليه فإنّ المراد من الزكاة هنا هو الزكاة الواجبة، وإذا كان كذلک وقلنا بأن الآية الشريفة نزلت فى علىّ ابن أبى طالب(عليه السلام) سنقع فى تناقض لأنّ الإمام على لم يكن من حيث التمكّن المادى والاقتصادى بحيث تجب عليه الزكاة وتتعلق الزكاة الواجبة فى أمواله لأنه طبقاً لما ورد فى شأن نزول سورة الإنسان (سورة الدهر) بأن الإمام على وأهله كانوا قد صاموا فى ذلک اليوم وجاء سائل على الباب وطلب منهم طعاماً فأعطوه طعامهم الذى كانوا قد أعدّوه للافطار وأفطروا ذلک اليوم بالماء القراح، والخلاصة أن

www.makarem.ir

الإمام على لم يكن يمتلک طعاماً ليوم آخر، فكيف تتعلق فى ماله الزكاة الواجبة حتّى يؤديها فى حال الركوع ؟

الجواب : فى مقام الجواب على هذا الإشكال وبالأحرى هذه الشبهة نقول :

أوّلاً : إنّ الأحكام الشرعية فى الإسلام تتضمن الزكاة الواجبة والمستحبة لأن جمع الزكاة تم بعد هجرة النبى إلى المدينة فى حين أن السور المكيّة تتحدّث عن الزكاة أيضاً وكانت تحث المسلمين على أداء الزكاة فى مكّة، والمراد منها حتماً الزكاة المستحبة أو الزكاة الواجبة التى لم تكن تجمع قبل زمن تشكيل الحكومة الإسلامية.

ونلفت النظر إلى ثلاث نماذج من الآيات الشريفة النازلة فى مكّة :

ألف) نقرأ فى الآية الرابعة من سورة المؤمنون التى هى سورة مكيّة :

(وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ).

فى هذه الآية الشريفة ذكرت صفة من صفات المؤمنين وهى أداء الزكاة، وبما أن هذه السورة مكيّة والآية نزلت قبل تشريع حكم الزكاة فنعلم أن المراد من الزكاة هنا هى الزكاة المستحبة.

ب) ونقرأ فى الآية الثالثة من سورة النمل فى وصف المؤمنين :

(الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ).

ومعلوم أن سورة النمل من السور المكيّة، وعليه يكون المراد من الزكاة هنا هى الزكاة المستحبة.

ج) ونقرأ فى الآية ٣٩ من سورة الروم :

(وَما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاة تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ).

فهذه السورة من السور المكيّة أيضاً والمراد من الزكاة هنا الزكاة المستحبة.

وعليه فطبقاً لما ورد فى القرآن الكريم أن الزكاة تشمل الواجبة والمستحبة كما ورد فى فقه الشيعة أن بعض الأجناس تتعلق بها الزكاة الواجبة وبعضها تتعلق بها الزكاة المستحبة.

www.makarem.ir

ثانياً : أنه ليس من الصحيح قياس الحالة الاقتصادية للإمام على (عليه السلام) عند نزول آية الولاية التى نزلت فى أواخر عمر النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) مع زمان نزول آيات سورة الدهر لأن وضع المسلمين فى بداية ظهور الإسلام فى مكّة لم يكن وضعاً مناسباً بصورة عامة وكان أغلب المسلمون يعيشون فى ضائقة مالية وخاصة أنهم كانوا فى مكّة يعيشون الحصار الإقتصادى، ولكنهم عندما هاجروا إلى المدينة وتخلّصوا من الحصار الإقتصادى الذى فرضه عليهم المشركون فى مكّة واشتغلوا بالزراعة والتجارة تحركت حالتهم الإقتصادية وانفتحت عليهم أبواب الرزق وتحسنت حالتهم المعيشية بحيث إن وضع أغلب المسلمين فى أواخر عمر النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)كان جيداً من الناحية الإقتصادية، ونظراً إلى أن آيات

سورة المائدة نزلت فى أواخر عمر النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) فإنه لم يكن من البعيد أن تتعلق الزكاة الواجبة بأموال الإمام على (عليه السلام) ولا ينبغى قياس حالة الإمام علىّ (عليه السلام) الإقتصادية فى هذا الزمان الذى كان المسلمون يعيشون فى حالة الإنفتاح الإقتصادى والتمكّن المالى مع زمان نزول آيات سورة الإنسان (التى نزلت فى أوائل الهجرة كما يقول الشيعة أو قبل الهجرة كما يقول بعض أهل السنّة).حيث كان المسلمون يعيشون أزمة اقتصادية ومالية لأن ذلک يعنى أن التناقض المزعوم يفتقد بعض شروط الوحدة وهى الوحدة فى المكان والآخر الوحدة فى الزمان لكى يصح دعوة التناقض، وهنا لا يوجد مثل هذا التوحّد فى الزمان والمكان.

مضافاً إلى كلّ ذلک فقد ورد فى الروايات الواردة فى شأن أميرالمؤمنين (عليه السلام)أنه «**اَعْتَقَ اَلْفَ مَمْلُوک مِنْ كَدِّ يَدِهِ**»[1].

فمن الواضح أن الإمام علىّ (عليه السلام) لم يتسنى له العمل والكسب فى زمان خلافته لكى يمكن

القول بأنه أعتق هذا المقدار من العبيد من كدّ يده، إذن فهذا العمل كان قد صدر منه قبل تصديه للحكومة والخلافة قطعاً.

---

١ . بحار الأنوار : ج ٤١، ص ٤٣.

www.makarem.ir

والنتيجة هى أن دفع الخاتم من قبل الإمام على (عليه السلام) حتّى لو قلنا بأنه من قبيل الزكاة الواجبة لم يكن ذلک بمستبعد وعجيب.

والحقيقة أن هؤلاء المخالفين وقعوا فى تناقض بيّن، فإنهم من جهة يذكرون أن الإمام على قد دفع خاتماً ثميناً جداً إلى الفقير بحيث يدخل فى دائرة الإسراف والتبذير، ومن جهة أُخرى يشكّون فى أصل هذا العمل بسبب عدم التمكّن المالى للإمام على (عليه السلام).

□□

والنتيجة هى أنه على رغم الإشكالات والشبهات الكثيرة التى احتفت بدلالة آية الولاية والتى ذكرنا أهمها آنفاً وأجبنا عنها فإن دلالة الآية الشريفة على الولاية لا تخفى على أحد حيث تقرر الآية الشريفة الولاية والقيادة والإمامة لثلاث أولياء : ١ ـ الله تعالى ٢ـ النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) ٣ ـ أميرالمؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام).

ملاحظة مهمة جداً !

إذا كان من المقرر أن تطرح مثل هذه الشبهات والإشكالات التى مرت آنفاً حول كلّ آية من آيات القرآن الكريم فإنّ أوضح الآيات وأحكمها كآيات التوحيد لا تتخلص من الإشكال، فلا يبق شىء يصلح للاستدلال، فى حين أننا نرى أن مثل هذه الإشكالات والشبهات لا تطرح حول سائر الآيات القرآنية، والظاهر أن هذا الأُسلوب من طرح الشبهات يختص بالآيات المتعلقة بفضائل أهل البيت (عليهم السلام)وولايتهم فقط.

وإذا أردنا استكشاف السبب فى مثل هذه المواجهة المتباينة مع الآيات القرآنية فلابدّ من القول أن مثل هؤلاء الأشخاص لم يذعنوا للقرآن الكريم ولم يتعاملوا معه بأدب ونزاهة كما هو المتوقع، والمفروض على المسلم أن يجلس أمام القرآن كالتلميذ أمام أُستاذه بل يريد هؤلاء أن يكونوا أساتذة للقرآن ويستخرجوا منه ما يؤيد

www.makarem.ir

مسبوقاتهم الفكرية، وهذا هو التفسير بالرأى الذى ورد النهى عنه بشدّة فى الروايات الإسلامية[١].

أيها القارئ الكريم ! إذا أردنا أن نستفيد من القرآن والوحى أو روايات المعصومين (عليهم السلام)استفادة صحيحة ونتوصل من خلالها إلى كشف الحقيقة فيجب علينا أن نتتلمذ على يد القرآن والأحاديث الشريفة ونستوحى مفاهيمنا الدينية من هذين المنبعين الغنيين بتعاليم الوحى والدين حتّى لو كانت على خلاف رغباتنا وميولنا وإلاّ فإنّ التفسير بالرأى وبذر الإشكالات والشبهات حول مدلول الآيات الشريفة سينتهى إلى عواقب وخيمة وإنكار المسلّمات الدينية.

وورد فى رواية شيّقة تتحدّث عن عاقبة نوعين من أنواع التعامل مع القرآن الكريم حيث قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

«... مَنْ جَعَلَهُ اَمامَهُ قادَهُ اِلَى الْجَنَّة وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ ساقَهُ إلَى النّارِ».[٢]

والحقيقة أن هذه الرواية الشريفة يجب أن تهز كيان الأشخاص الذين يتعاملون مع القرآن من موقع التفسير بالرأى وإسقاط مفاهيمهم وأحكامهم المسبقة على الآيات الشريفة.

توصية آية الولاية

إنّ الآية الشريفة محل البحث مضافاً إلى أنها تثبت ولاية أميرالمؤمنين (عليه السلام)فإنها تتضمن توصية مهمة لشيعة وأتباع هذا الإمام بل لجميع المسلمين فى العالم وهى :

إن الإمام على (عليه السلام) لم يكن ولياً وإماماً للمسلمين وخليفة للنبىّ الأكرم (صلى الله عليه وآله)بصورة اعتباطية بل وصل إلى هذا المقام بسبب عوامل مهمة قد ذكرت فى الآية نفسها، فالإيمان الراسخ وإقامة الصلاة والمحافظة على الإرتباط الوثيق بين العبد

١ . انظر تفاصيل هذا الموضوع فى كتاب (التفسير بالرأى) لمؤلفه آية الله العظمى مكارم الشيرازى «مدّ ظلّه».
٢ . بحار الأنوار : ج ٧٤، ص ١٣٤.

www.makarem.ir

وخالقه ودفع الزكاة وتوثيق العلاقة بين الإنسان وأفراد المجتمع كلّها من الأسباب التى رشّحت الإمام علىّ (عليه السلام)ليكون أميراً للمؤمنين[١].

وعليه فإن الآية الشريفة أعلاه توصى شيعة أميرالمؤمنين بأنه إذا أردتم أن تكونوا من شيعة هذا الإمام وتصلوا إلى المراتب العليا من الكمالات المعنوية والإلهية، فيجب عليكم أن تتحلوا بالإيمان الراسخ والقوى، وتسعوا إلى تقوية هذا الإيمان وتعميق الرابطة مع الله تعالى وعدم الغفلة عن الصلاة والعبادة، وكذلک عدم الغفلة عن دفع حقوق الآخرين من قبيل الزكاة حتّى فى أثناء الصلاة وخاصّة فى شهر رمضان المبارک شهر العبادة واليقظة وتهذيب النفس، فيجب مضاعفة السعى فى هذا المجال والتدبّر فى مضامين الأدعية الواردة فى هذا الشهر الكريم ليتسنّى للإنسان أن يخطو عملاً نحو رفع الفقر والمحرومية عن المساكين والمحتاجين والمرضى والذين لا يستطيعون أداء ديونهم وأن نتحرک فى دعاءنا ومناجاتنا مع الله تعالى فى طلب المغفرة للمرحومين والذين انتقلوا إلى الدار الأُخرى ونسعى فى التقليل من مصاب البائسين ونواسيهم فى آلامهم وهمومهم.

□□

١ . كما فى اصطلاح الفقهاء «أن التعليق على الحكم مشعر بالعليّة» أى إذا ورد حكم لوصف، فمفهومه أن هذا الوصف علّة لهذا الحكم، مثلاً لو قيل : احترم العلماء. فمعنى ذلک أن العلم فى هؤلاء الأشخاص هو السبب فى لزوم الإحترام.

www.makarem.ir

آية أُولى الأمر

٤

«سورة النساء / الآية ٥٩»

أبعاد البحث

الآية أعلاه تسمّى «آية الإطاعة» وهى آية أُخرى تدلّ على ولاية أميرالمؤمنين (عليه السلام)، ومحور البحث فى هذه الآية هى جملة «أُولى الأمر» حيث تتضمن نظريات وآراء مختلفة سيأتى شرحها وبيانها وما ذكر حولها من إشكالات.

الشرح والتفسير

من هم أُولى الأمر ؟

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولى الأَمْرِ مِنْكُمْ).

يخاطب الله تعالى فى هذا المقطع من الآية الشريفة جميع المؤمنين فى أقطار العالم وفى جميع الأزمنة والأعصار إلى يوم القيامة بتقديم الطاعة المطلقة لثلاثة من الأولياء :

الأوّل : إطاعة الله تعالى، ثمّ إطاعة النبى، والثالث إطاعة أُولى الأمر.

www.makarem.ir

والقسم الثانى من الآية الشريفة يبيّن المرجع للمسلمين فى حال نشوب الإختلاف والنزاع وكأن الغرض هو تأسيس جهاز قضائى مستقل للمسلمين ويقول :

(فَاِنْ تَنازَعْتُمْ فِى شَىء فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَومِ الاْخِرِ) فلا ينبغى التوجّه فى حلّ الإختلافات التى تحدث بين المسلمين إلى الأجانب ومرجعيات غير إسلامية.

وبالإلتفات إلى قيد الإيمان بالله واليوم الآخر (إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَومِ الاْخِرِ)يتضح جيّداً أن المسلمين الذين يتوجهّون فى اختلافاتهم إلى غير المنابع والمحاكم الإسلامية فإنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر.

والملاحظة الأُخرى الملفتة للنظر هى أن الآية الشريفة أوردت فى صدرها وجوب إطاعة أُولى الأمر من جملة الأولياء الثلاثة ولكنها عند ذكرها لمرجع الإختلاف فى المقطع الثانى لم تذكر أُولى الأمر، وهذا المطلب هو الذى أثار علامات استفهام مهمة فى تفسير الآية الشريفة أعلاه وسوف يأتى تفصيل ذلک فى المباحث القادمة.

(ذلِکَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) هذه الجملة فى الحقيقة هى تعليل للجملتين السابقتين، فلماذا يجب على المؤمنين إطاعة الله ورسوله وأُولى الأمر ؟

ولماذا يحرم على المسلمين اختيار مرجعية أُخرى فى حلّ اختلافاتهم غير الله ورسوله ؟

لأنّ الآية توضح ذلک وتقول إن هذا الحكم هو خير للمؤمنين وهو أفضل عاقبة لهم.

حدود إطاعة أُولى الأمر

النقطة المبهمة فى الجملة المذكورة أعلاه تكمن فى المراد من أُولى الأمر وعندها يتّضح تفسير الآية بصورة جيّدة، ولذلک نجد أن المفسّرين قد اهتموا ببيان مصداق أُولى الأمر وطرحوا لذلک سبع نظريات.

www.makarem.ir

سؤال : قبل الدخول فى تفاصيل نظريات المفسّرين حول معنى أُولى الأمر لابدّ من توضيح حقيقة مهمة لها دورٌ فى فهم معنى أُولى الأمر، وهى : هل أن إطاعة أُولى الأمر مقيّدة ومشروطة، أو أنها مطلقة كما فى إطاعة الله ورسوله ؟ وبعبارة أُخرى هل أنّ إطاعة أُولى الأمر مقيّدة بقيود زمانية ومكانية وغير ذلک، أو أنها واجبة على الإنسان فى كلّ زمان ومكان وفى مختلف الظروف ؟

الجواب : الظاهر أن الآية الشريفة أطلقت وجوب إطاعة أُولى الأمر ولم تقيّدها بقيد وشرط معيّن، وببيان آخر أن إطاعة أُولى الأمر فى الآية الشريفة لم يقيد بعدم الإشتباه والخطأ الحاصل لدى أُولى الأمر، وببيان ثالث كما أن إطاعة الله ورسوله واجبة مطلقاً فكذلک إطاعة أُولى الأمر أيضاً قد وردت فى الآية بصورة مطلقة، وعليه فلابدّ أن يكون أُولو الأمر من المعصومين لأن إطلاق وجوب الإطاعة لا يصحّ إلاّ إذا كان المطاع معصوماً، لأنه لا يصحّ فرض طاعة الشخص الذى يرتكب الخطأ والإشتباه فى أحكامه، ولذلک نحن نعتقد بأن القاضى إذا أخطأ فى إصدار حكمه وعلم أحد طرفى الدعوة بخطأ القاضى فى صدور الحكم له على صاحبه، فلا يمكنه بمجرد إصدار القاضى لحكمه أن يتملک ما حكم له أو يلقى بالذنب على صاحبه.

وحتّى مراجع التقليد الذين يجب على المكلّفين تقليدهم لو أنهم أخطأوا فى مسألة من المسائل فإنه لا يجب اتباعهم وطاعتهم فى هذه المسألة كما فى رؤية الهلال إذا لم يثبت لمرجع التقليد رؤية الهلال فى الليلة الثلاثين من شهر رمضان المبارک وحكم بصوم اليوم الثلاثين ولكنّ بعض المقلِدين يرى بعينه هلال شوّال فى الليلة الثلاثين، فهنا لا يمكنه التمسّک بفتوى مرجعه واتباعه فى صوم اليوم الثلاثين بل يجب عليه أن يفطر فى ذلک اليوم لأنه يعلم بخطأ المرجع فى هذه الفتوى.

وعلى هذا الأساس فإنّ الإطاعة المطلقة لا تصحّ إلاّ من المعصومين، وبما أن الآية الشريفة ذكرت إطاعة أُولى الأمر بصورة مطلقة فلذلک نعلم بأن أُولى الأمر يجب أن يكونوا من المعصومين.

www.makarem.ir

اختلاف النظريات حول معنى أُولوا الأمر

أما بالنسبة إلى تفسير ومعنى كلمة أُولى الأمر، فكما تقدّم هناك نظريات مختلفة فى هذا المجال ونشير إلى بعضها :

الأوّل ـ المراد من أُولى الأمر قادة الأُمّة : فإن كلٌّ من استلم زمام الحكم فى المجتمع الإسلامى يطلق عليه «أُولى الأمر» ويجب إطاعته بصورة مطلقة حتّى لو أنه تسلّم هذا المقام بالقوّة والقهر ومن دون رضى الناس وحتّى لو كان من أفسق الناس فتجب إطاعته، وعليه فإن إطاعة الحكام حتّى لو كانوا من أمثال المغول والتتر فيما لو تسلطوا على المجتمع الإسلامى تكون واجبة.

وقد ذهب إلى هذه النظرية جمع من علماء أهل السنّة.

ولكن هل يصحّ الإلتزام بهذه النظرية عقلاً ؟

أليس مراد الله ورسوله إقامة العدل والقسط فى المجتمع الإسلامى[1] ؟ إذن فكيف يمكن للظالم والحاكم بالجور أن يصبح خليفة لرسول الله ويقلع أُسس العدالة من المجتمع الإسلامى ويقيم حكمه على الظلم والجور ؟

إنّ هذا التفسير لمعنى أُولى الأمر لا ينسجم مع أىّ برنامج إصلاحى فى الإسلام فهل أن القائلين بهذا الكلام يرون أنه لو تسلط الحاكم الظالم بقوّة السيف على المجتمع الإسلامى وسحق جميع القيم الإسلامية تحت قدمه وأشاع الفحشاء والمنكر وقضى على المعروف والقيم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية واستهان بالواجبات الإلهية، فمع ذلك يجب على المسلمين أن يعترفوا بأنه من أُولى الأمر وأنه خليفة رسول الله وعليهم أن يطيعوا هذا الإنسان الظالم والمنحرف ؟

مع الأسف إنّ هؤلاء يرون وجوب إطاعة مثل هذا الشخص الفاسد والظالم كما هو الحال فى معاوية وابنه يزيد حيث يرون أنهم من أُولى الأمر.

ليت أن هؤلاء العلماء لم يذكروا مثل هذا التفسير للآية الشريفة.

---

١ . ورد هذا المعنى فى الآية ٢٥ من سورة الحديد.

www.makarem.ir

الثانى ـ وذهب بعض المفسّرين إلى عصمة أُولى الأمر ورفضوا النظرية السابقة وبما أن الناس بصورة عامة غير معصومين فلذلک يكون المراد بأُولى الأمر مجموع الأُمّة الإسلامية، وبديهى أن الأُمّة الإسلامية معصومة من الخطأ فلا يمكن أن يقع جميع المسلمين فى وادى الضلالة والخطأ رغم أن كلُّ فرد غير معصوم، وعلى هذا الأساس فكما أن إطاعة الله ورسوله واجبة فكذلک يجب اتباع الأُمّة الإسلامية أيضاً.

ولكن نقول فى مقام الجواب على هذه النظرية : كيف يمكن تحصيل رأى جميع أفراد الأُمّة الإسلامية ؟ ألا يجب تحصيل جميع آراء ونظريات المسلمين ؟ وإذا لم يجب تحصيل رأى كلّ فرد من المسلمين وانتخب المسلمون وكلاء ونوّاب عنهم وقلنا بكفاية اتفاق وإجماع هؤلاء الوكلاء والنوّاب للأُمّة الإسلامية فإنه يقال : هل يمكن أن يحصل اتفاق فى آراء هؤلاء الوكلاء للأُمّة الإسلامية ؟

إنّ الغالب هو عدم إمكانية تحصيل الإتفاق فى الآراء حتّى لوكلاء ونوّاب الأُمّة الإسلامية، فلو قيل إنّ اتفاق الآراء غير لازم بل المعيار هو الأكثرية، فكلما رأت أكثرية النوّاب للأُمّة الإسلامية فى مسألة معيّنة الحلّ بصورة معيّنة فيجب اتباعهم بعنوانهم أُولى الأمر، فهل أن معنى أُولى الأمر يصدق حقيقةً على أكثرية النوّاب والوكلاء للأُمّة الإسلامية ؟

الثالث ـ وذهب البعض إلى أكثر من ذلک وبسبب ضعفهم عن مواجهة الثقافة الغربية فإنّهم رأوا أن الديمقراطية الغربية هى مصداق أُولى الأمر ألا تكون مثل هذه النظريات من التفسير بالرأى ؟ ألا تكون هذه الآراء من قبيل تحميل المسبوقات الفكرية على القرآن ؟ ألا تعتبر مثل هذه النتائج ظالمة بحقّ القرآن ؟

مضافاً إلى ذلک فإنّ الديمقراطية الغربية ليست سوى فكرة برّاقة وأنيقة فى الظاهر فحسب والغربيون أنفسهم لا يرون أن ديمقراطيتهم منهج مثالى للحكومة بل وجدوا أنفسهم مضطرين لقبولها لأنهم رأوا أنهم لولم يتمسّكوا بالديمقراطية لعاشوا فى ظروف أسوأ منها، فهى من قبيل قبول «أقل ضرراً» وألاّ فأىُّ إنسان عاقل يقبل أنّ ٥٠٪ من

www.makarem.ir

أفراد الشعب يشتركون بالإنتخابات فيفوز مرشح ٢٦٪ ثمّ يكون هذا المرشح هو الحاكم على جميع أفراد الشعب ! ! فهل هذا من العدالة والإنصاف ؟ !

إنّ الأشخاص الذين يعيشون الإستيلاء وضعف الشخصية فى مقابل الديمقراطية الغربية يرون فى حكومة أمريكا النموذج الكامل للديمقراطية، ولحسن الحظّ ففى الآونة الأخيرة تجلت فضيحة كبيرة لهذه المزاعم فى عملية الإنتخابات الأمريكية لرئاسة الجمهورية وتجلّت الماهية الحقيقية لهذا النوع من الديمقراطية لجميع الشعوب بالعالم حيث إن الحكومة الأمريكية التى تقوم بإدارة جميع المصانع والإدارات بأحدث الأجهزة الالكترونية والكامبيوترية وصل بهم الحال أن يختلفوا فى عشرة إلى خمسة عشر ألف رأى وأنه هل يحسبونها بجهاز الحاسوب أو باليد ؟ فماذا يعنى هذا الإختلاف ؟ ولماذا كلّ هذه المناقشات والمنازعات على هذا الأمر بحيث أقاموا الدنيا وأحدثوا ضجة فى العالم ؟

إنّ هذه الأُمور تعدّ علامة على زيف المدّعين للديمقراطية بحيث إنهم لا يعتمدون حتّى على أجهزتهم الفنية ! ! يجب على العالم أن يضحک على هذه الإنتخابات الزائفة والديمقراطية الكاذبة ويجب على المحقّقين أن يدرسوا هذه الحادثة بدقّة حتّى يكشفوا حقيقة هؤلاء المدّعين للديمقراطية وخاصّة لمن يرى أن الغرب هو كعبة آماله وطموحاته، والإنصاف أن تفسير أُولى الأمر بالديمقراطية هو خلاف ظاهر الآية الشريفة بل ظلم كبير للقرآن الكريم.

الرابع : نظرية جميع علماء الشيعة، وهى أن المراد بأُولى الأمر هم المعصومون (عليهم السلام)**ولا يمكن أن يكون فى كلّ زمان إلاّ شخص واحد معصوم، وهذا الشخص كان فى زمن نزول القرآن وبعد رحيل النبى الأكرم**(صلى الله عليه وآله) **هو أميرالمؤمنين** (عليه السلام) **وبعده أحد عشر من ذرّيته من الأئمّة المعصومين** (عليهم السلام).

التوضيح : ألف) كما تقدّم فى أن أُولى الأمر (وبمقتضى الآية الشريفة أن إطاعة الله ورسوله وأُولى الأمر واجب بصورة مطلقة) يجب أن يكونوا معصومين ليتسنّى للمكلّفين إطاعتهم بدون سؤال وترديد، أى أن ولىّ الأمر يجب أن يكون مصوناً من الخطأ والذنب

www.makarem.ir

والإشتباه، وبعبارة أُخرى أن العصمة هى قدرة معنوية ومرتبة سامية من التقوى بحيث إن الشخص المعصوم لا يصدر منه أى ذنب أو خطأ أو اشتباه بالرغم من أنه مختار فى سلوكه العملى وغير مجبر ويمكنه ارتكاب الذنب والخطأ، ولكنه ببركة هذه المرتبة السامية من التقوى فإنه لا يقدم على ذلک.

وبعبارة ثالثة أن التقوى لها مراتب مختلفة، أحدها هو التقوى من الذنوب الكبيرة وعدم ارتكابها بحيث أنه لو اتفق وأن أذنب فى بعض الأحيان فإنه يتوب فوراً من ذلک، وفى المرحلة الثانية مضافاً إلى عدم ارتكابه للذنوب الكبيرة فإنه يجتنب الذنوب الصغيرة أيضاً، فلو صدر منه أحياناً ذنب صغير فإنه يتوب كذلک، والمرحلة الثالثة هى أعلى ممّا تقدّم بأن

يكون مضافاً إلى اجتنابه الذنوب الكبيرة والصغيرة فإنّه يجتنب المكروهات أيضاً، وهكذا يتدرج الإنسان المؤمن فى مراتب التقوى إلى أن يبلغ الذروة وهى مرتبة العصمة المطلقة من الذنوب والخطأ والإشتباه، وعليه فإنّ العصمة لا تعنى الجبر كما يتوهم البعض بل هى أعلى مرتبة من مراتب التقوى.

ب) إنّ أُولى الأمر المعصومين كما تقدّم آنفاً لا يمكن أن يكونوا جميع الأُمّة الإسلامية أو العلماء والمفكرين من وكلاء ونوّاب الأُمّة أو أكثريتهم بل يجب أن يكون المعصوم شخصاً خاصاً وفرداً معيناً منهم.

ج) بما أن العصمة مرتبة معنوية عالية ودرجة كاملة من التقوى فإنّه لا يمكن للناس تشخيص المصداق لهذا المعيار، ولذلک فإنّ أُولى الأمر يجب أن يعيّنوا من قبل الله تعالى أو النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وهكذا يقوم كلّ معصوم بتعيين المعصوم الذى يليه للناس.

والنتيجة هى **أوّلاً** : يجب أن يكون أُولوا الأمر معصومين.

ثانياً : يجب أن يكون المعصوم فرداً خاصاً ومعيّناً.

ثالثاً : إنّ تعيين المعصوم من أُولى الأمر يجب أن يكون من قبل الله تعالى.

□□

www.makarem.ir

وهنا يجب التوجه إلى القسم الثانى من هذا البحث، أى الروايات الواردة فى شأن نزول الآية الشريفة لنرى هل أن هذه الروايات عيّنت مصداق أُولوا الأمر للمسلمين ؟ وهل أن الله تعالى أو نبيّه الكريم قد نصب هذا القائد المعصوم للناس ؟

تفسير الآية فى ظلال الروايات

هناک روايات متعددة فى دائرة تعيين المعصوم المراد من الآية (اطيعوا الله...)وأهمها «حديث الثقلين».

وطبقاً لما ورد فى هذا الحديث فإنّ النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) صرّح للمسلمين فى أواخر عمره الشريف وقال :

«إنّى قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمُ الثِّقْلَيْنِ ما إنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِما لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِى... كِتابَ اللهِ... وَعِتْرَتِى أَهْلَ بَيْتِى».[1]

ومعنى هذا الحديث أن القرآن الكريم مصون من الخطأ والإشتباه، ولذلک فإنّ الشخص الذى يتحرک فى خط القرآن فإنّه مصون من الوقوع فى الخطأ أيضاً، إذن فلابد أن يكون أهل البيت معصومين أيضاً من الخطأ والإشتباه كيما يصحّ التمسّک بهم ويكون التحرّک فى خطّهم مصوناً من الوقوع فى أشكال الزلل والزيغ وإلاّ فلا معنى أن يكون أهل البيت غير معصومين والشخص الذى يسير فى خطّهم ويتبعهم يكون مصوناً من الوقوع فى الخطأ.

إذن فطبقاً لهذه الرواية فإنّ أهل البيت معصومون، وكما تقدّم فى شرح الآية الشريفة (اطيعوا الله...) يجب أن يكون هذا الفرد المعصوم معيّن من قبل الله تعالى،وهذا يعنى أن الأئمّة المعصومين معيّنون ومنتخبون بأفرادهم من قبل الله تعالى.

أهمية حديث الثقلين

إن حديث الثقلين يعتبر من الأحاديث المهمّة جدّاً فى دائرة موضوع الولاية والإمامة بحيث لا نجد نظيراً له بين الروايات والأحاديث الواردة فى هذا الشأن، فهذا الحديث من

---

١ . ميزان الحكمة : الباب ١٦١، حديث ٩١٧.

www.makarem.ir

جهة الدلالة قويٌّ جدّاً وصريح، ومن جهة السند فإنّ الرواية متواترة ومذكورة فى جميع مصادر الفريقين (السنّة والشيعة) بشكل واسع، ويستفاد من مجموع الروايات الواردة فى هذه المصادر أن النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) لم يتحدّث بهذا الحديث مرّة واحدة بل تكرر منه ذلک مرّات عديدة، والرواية أعلاه وردت فى المصادر الأصلية والمعتبرة للشيعة (تهذيب الأخبار، الإستبصار، الكافى، من لا يحضره الفقيه)[1] وفى مصادر أهل السنّة (الصحاح الستّة) أيضاً. وهذه الصحاح الستّة عبارة عن :

١ ـ «**صحيح البخارى**» الذى يعدُّ أهم كتاب من بين هذه الصحاح الستّة وكاتبه هو «البخارى» الذى توفى سنة ٢٥۶ هجرية.

٢ ـ «**صحيح مسلم**» الذى يأتى بعد صحيح البخارى فى الأهمّية، ومؤلفه هو «مسلم ابن حجار» الذى توفى سنة ٢۶١ هجرى ويسمى هذين الكتابين بالصحيحين، ويطلق على مؤلفيهما لقب «الشيخين».

٣ ـ «**سنن ابن داود**» وقد توفى ابن داود سنة ٢٧۵ هجرى.

۴ ـ «**سنن الترمذى**» الذى توفى سنة ٢٧٩ هجرى.

۵ ـ «**سنن النسائى**» الذى توفى سنة ٣٠٣ هجرى.

۶ ـ «**سنن ابن ماجة**» الذى توفى سنة ٢٧٣ هجرى.

إنّ جميع الروايات المذكورة فى هذه الكتب الستّة هى من الصحاح ومن الروايات المعتبرة لدى أهل السنّة، ولكن جميع الروايات المعتبرة لديهم لا تنحصر فى هذه الكتب الستّة، ولذلک كتب «الحاكم» كتاباً باسم «مستدرک الصحيحين» وذكر فيه روايات معتبرة أُخرى لم تذكر فى صحيح البخارى ومسلم[2].

---

١ . «التهذيب» و«الاستبصار» من تأليف الشيخ الطوسى، و«من لا يحضره الفقيه» من تأليف الشيخ الصدوق، و«الكافى» للشيخ الكلينى، وهؤلاء الثلاثة من أساطين علماء الشيعة، والجدير بالذكر أن ما يقال من أن هذه الكتب الأربعة من المصادر المعتبرة لدى الشيعة لا يعنى أن جميع رواياتها صحيحة ومعتبرة ولا حاجة إلى التحقيق فى سندها، بل المراد أن أغلب روايات هذه الكتب معتبرة، ويتبيّن ذلک بعد التحقيق فى اسنادها.

٢ . يقول ابن أبى الحديد : سألت استاذى عبدالوهاب : هل أن جميع الأحاديث الصحيحة واردة فى الصحاح الستّة، أو هناک روايات صحيحة أُخرى فى غيرها من الكتب ؟ فقال : هناک روايات صحيحة كثيرة لم تذكر فى الصحاح، فقلت : هل أن حديث (لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ على) صحيح ؟ فقال : نعم هو صحيح ومعتبر.

www.makarem.ir

ويذكر مؤلف هذا الكتاب : إنّ جميع الروايات المذكورة فى مستدرک الصحيحين متطابقة مع المعايير المذكورة فى البخارى وصحيح مسلم.

وقد ذكرت رواية الثقلين فى ثلاث من هذه الكتب السبعة أى صحيح مسلم وسنن الترمذى[١] ومستدرک الصحيحين[٢] وكمثال على ذلک نذكر ما ورد فى صحيح مسلم :

«يقول يزيد بن حيان : انطلقت أنا وحصين بن مسيرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم فلمّا جلسنا إليه قال حصين : لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت معه، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله)فقال يا ابن أخى كبر سنّى وقدم عهدى ونسيت بعض الذى كنت أعى من رسول الله (صلى الله عليه وآله)فما

حدثتكم فانقلوه وما لا فلا تكفلونيه ثمّ قال (رضى الله عنه) : قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوماً خطيباً فينا بماء يدعى خماً بين مكّة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ ثمّ قال :

«أَيَّهَا النّاسُ ! فَإِنَّما أَنَا بَشَرٌ يُوشَکُ أَنْ يَأْتِىَ رَسُولُ رَبّى فَأُجِيبَ وَأَنَا تارِکٌ فِيکُمْ ثِقْلَيْنِ أَوَّلُهُما کِتَابُ الله فِيهِ الْهُدى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِکِتابِ الله وَاسْتَمْسِکُوا بِه «فَحَثَّ عَلى کِتَابِ الله وَرَغَّبَ فِيهِ» ثُمَّ قَالَ : «وَأَهْلُ بَيْتى أُذَکِّرُکُمُ اللهَ فِى أَهْلِ بَيْتِى....»[٣].

مضافاً إلى هذه الكتب الثلاثة فإنّ الرواية محل البحث وردت أيضاً فى **خصائص النسائى**[٤]، والملفت للنظر أن ابن حجر وهو رجل متعصب جدّاً وقد كتب كتاباً ضد الشيعة باسم «الصواعق المحرقة» قد أورد الرواية أعلاه أيضاً[٥].

والأهم من ذلک أن ابن تيميّة مؤسس فرقة الوهابية المنحرفة أورد رواية الثقلين أيضاً فى كتابه «منهاج السنّة»[١].

---

١ . سنن الترمذى : ج ٥، ص ٦٦٢، الحديث ٣٧٨٦ (نقلاً عن نفحات القرآن : ج ٩).

٢ . مستدرک الصحيحين : ج ١، ص ٩٣ و ج ٣، ص ١٠٩.

٣ . صحيح مسلم : ج ٤، ص ١٨٧٣.

٤ . خصائص النسائى : ص ٢٠ (نقلاً عن نفحات القرآن : ج ٩، ص ٦٦).

٥ . الصواعق المحرقة : ص ٢٢٦، طبع عبداللّطيف مصر (نقلاً عن نفحات القرآن : ج ٩، ص ٦٧).

www.makarem.ir

والخلاصة أن هذا الحديث الشريف والعميق المغزى «حديث الثقلين» هو رواية متواترة فى كتب الشيعة وأهل السنّة[٢].

وهذا المطلب يدلّ على أن الرواية المذكورة تتمتع بأهمية خاصّة، ولهذا نجد الإمام الراحل بدأ فى وصيته التاريخية بهذا الحديث الشريف لأنه محدّث خبير ويعلم أن هذا الحديث هو رواية محكمة لا يدخل فيها الشكّ والريب.

ومن خلال حديث الثقلين يثبت أن المراد من أُولى الأمر هم الأئمّة الأطهار الذين يجب إطاعة كلّ واحد منهم فى زمانه ولا يشترط فى إطاعتهم واتباعهم أى شرط.

ومضافاً إلى حديث الثقلين هناك روايات أُخرى واردة فى شأن هذه الآية الشريفة ولكننا نذكر هنا اثنين منها :

١ ـ يقول الشيخ سليمان الحنفى القندوزى فى «ينابيع المودّة» الصفحة ١١٦ :

«سمعت عليّاً صلوات الله عليه يقول : وأتاه رجل فقال : أرنى أدنى ما يكون به العبد مؤمناً وأدنى ما يكون به العبد كافراً وأدنى ما يكون به العبد ضالاً، فقال له : قد سألت فافهم الجواب : أما أدنى ما يكون به العبد مؤمناً أن يعرفه الله تبارك وتعالى نفسه فيقر له بالطاعة ويعرفه نبيه (صلى الله عليه وآله) فيقر له بالطاعة ويعرفه إمامه وحجته فى أرضه وشاهده على خلقه فيقر له بالطاعة.... قلت يا أميرالمؤمنين : صفهم لى، قال : الذين قرنهم الله تعالى بنفسه وبنبيه، فقال : يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولى الأمر منكم، فقلت له جعلنى الله فداك أوضح لى. فقال : الذين قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى مواضع وفى آخر خطبة يوم قبضه الله عزّوجلّ إليه :

إنّى تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلّوا بَعْدِى إنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِما كِتابَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَعِتْرَتِى أَهْلَ بَيْتى.

فنرى فى هذه الرواية الرابطة الوثيقة بين حديث الثقلين وأُولى الأمر.

٢ ـ ينقل أبوبكر المؤمن الشيرازى عن ابن عبّاس قوله :

---

١ . منهاج السنّة : ج ٤، ص ١٠٤ (نقلاً عن نفحات القرآن : ج ٩، ص ٦٩).

٢ . ومضافاً إلى ما ذكر أعلاه من الكتب والمصادر، فإن هناك كتب مهمة أُخرى لدى أهل السنّة تذكر حديث الثقلين، ولمعرفة المزيد من التفاصيل يراجع «نفحات القرآن : ج ٩»، و«احقاق الحقّ : ج ٤، ص ٤٣٨).

www.makarem.ir

«إن هذه الآية [آية الإطاعة] نزلت فى على (عليه السلام) حيث خلفه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى المدينة (فى غزوة تبوك) فقال يا رسول الله : أتخلفنى فى النساء والصبيان ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

أما تَرْضى أنْ تَكُونَ مِنِّى بِمَنْزَلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسى، حِينَ قالَ : اُخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ، فَقالَ عَزَّوَجَلَّ وَاُولُوا الأَمْرِ مِنْكُمْ».[1]

يعنى أن الآية الشريفة ناظرة إلى عملک وسعيک وأنت مصداق اُولى الأمر.

والنتيجة هى أن الآية الشريفة مع قطع النظر عن الروايات تدلُّ على أن اُولى الأمر يجب أن يتحدد بمصداق معيّن ومعصوم ومنصوب من قبل الله تعالى، وكذلک يفهم من خلال الروايات الشريفة أن المراد هو فرد معيّن ومنصوب بالنصب الإلهى، وهم الأئمّة الاثنا عشر، أى الإمام علىّ وأحد عشر من ذرّيته وأبنائه الطاهرين.

أسئلة وأجوبة

هناک أسئلة وعلامات استفهام عديدة قد تثار حول مدلول هذه الآية الشريفة وأهمها ثلاثة أسئلة :

السؤال الأوّل : إذا كان الإمام علىّ (عليه السلام) هو مصداق اُولى الأمر كما يقول الشيعة إذن فلماذا لم تكن إطاعته واجبة فى زمان حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى حين أن الآية الشريفة تقرر وجوب إطاعة اُولوا الأمر كما هو الحال فى وجوب إطاعة الله ورسوله ؟

وبعبارة اُخرى أن الإمام علىّ (عليه السلام) كان فى عصر النبى مأموراً أيضاً ولم يكن آمراً وقائداً تجب إطاعته على المسلمين، وعليه فإنّ التفسير المذكور للآية لا ينسجم مع وجوب الإطاعة الفعلى لاُولى الأمر.

الجواب : ويمكن الجواب عن هذا السؤال بنحوين :

ألف) لابدّ فى البداية من معرفة المراد من «الرسول» و «اُولوا الأمر»، فلو فهمنا الفرق بين هاتين الكلمتين سيتضح لنا الجواب على السؤال أعلاه، «الرسول» هو

---

١ . احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٤٢٥.

www.makarem.ir

الشخص المرسل من قبل الله تعالى لبيان أحكامه وإبلاغ دينه وإنذار الناس، أى أنه مضافاً إلى «النبوّة» وتبليغ الأحكام فإنه مرسل لإنذار الناس من العذاب الإلهى وببيان أوضح أن الرسول هو الشخص المأمور لبيان الأحكام وتبليغ الرسالة.

وأمّا «أُولوا الأمر» فلا يتحملون مسؤولية التقرير والتشريع بل مسؤولية حراسة هذا القانون وتجسيده على مستوى الواقع الإجتماعى، وبعبارة أوضح يمكن القول أن «النبى» يمكن تشبيهه بالمشرّع والمقنن، بينما «أُولوا الأمر» هم القائمون على تنفيذ وإجراء هذه القوانين.

ومع الإلتفات إلى هذا البيان فإنّ المقنن فى زمن الرسول هو النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)وكذلک كان النبى الأكرم مسؤولاً عن تنفيذ القانون وإجرائه فى الوسط الإجتماعى، وعلى هذا الأساس ففى زمن حياة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) كان (صلى الله عليه وآله)رسولاً وفى نفس الوقت «ولى الأمر» أيضاً كما فى مورد النبى إبراهيم (عليه السلام) أيضاً حيث يقرر القرآن الكريم هذه الحقيقة وهو أنه قد نال مقام الإمامة مضافاً إلى مقام النبوّة، أى أنه مضافاً إلى مرتبة التشريع والتقنين نال مرتبة مسؤولية إجراء القانون، إذن فمقام الرسالة هو مقام التقنين، ومقام الإمامة وأُولوا الأمر هو مقام إجراء القانون، وفى زمن حياة النبى (صلى الله عليه وآله) كان النبى «رسولاً» و «ولى الأمر» ولكن بعد رحلت النبى (صلى الله عليه وآله) فإنّ الشخص المعصوم المنصوب من قبل الله تعالى ورسوله هو المعنى بـ «أُولى الأمر» ولم يكن ذلک إلاّ الإمام على (عليه السلام) ومن بعده سائر الأئمّة المعصومين واحداً بعد الآخر، لأنه لم يرد إدعاء النصب الإلهى لهذا المقام إلاّ للإمام على وذريته الطاهرين.

والنتيجة هو أن ادّعاء فعلية الإطاعة لا يضر بتطبيق كلمة «أُولوا الأمر» على الإمام على (عليه السلام) بعد رحلة الرسول (صلى الله عليه وآله) وعلى أبنائه الطاهرين بعد رحلة الإمام على (عليه السلام)كما هو المستفاد من الأحاديث الشريفة.

ب) أما الجواب الآخر فهو أن الإمام على (عليه السلام) كان فى حياة النبى (صلى الله عليه وآله) أيضاً من أُولى الأمر، وعلى الأقل فى فترة معيّنة من حياته الشريفة، وذلک

www.makarem.ir

عندما توجه النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)إلى غزوة تبوك وأبقى الإمام على (عليه السلام) على المدينة بعنوان خليفته. ولتوضيح المطلب أكثر لابدّ من إلقاء بعض الضوء على واقعة تبوك :

غزوة تبوك

إن هذه الغزوة هى آخر غزوة من غزوات النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) طيلة فترة رسالته حيث وقعت أحداثها فى السنة الأخيرة من سنوات عمره الشريف، ومكانها يقع فى أعلى نقطة من منطقة الحجاز وفى الحدود المشتركة بين الجزيرة العربية والروم الشرقية.

عندما اتسعت رقعة الإسلام واستحكمت دعائمه فى المدينة وانتشر خبره فى أرجاء المعمورة أحست الدول المجاورة لدولة الإسلام ومنها الروم الشرقية «سورية وفلسطين» بالخطر من هذه الدعوة الجديدة وفكروا فى الهجوم على المسلمين لصد هذا الخطر الذى يهدد عروشهم وتيجانهم[1] ولذلک أقدم الروم على تشكيل جيش مقداره أربعين ألف جندى بكامل العدّة والعدد وتحركوا باتجاه الحجاز.

وعندما وصل هذا الخبر إلى المسلمين وإلى النبىّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) أمر النبىّ (صلى الله عليه وآله)المسلمين بأن يستعدوا لمواجهة هذا العدو وبالتحرک باتجاهه ولا يجلسوا فى المدينة بانتظار قدومه، وكانت هذه الاستراتيجية العسكرية مناسبة جدّاً لهذه الواقعة لأنه ليس من المناسب التقوقع فى حالة دفاعية وانفعالية اتجاه هذا الخطر بل ينبغى أن يقابل هذا الهجوم بهجوم آخر.

---

١ . لم تكن بلاد الحجاز مطمعاً للدول الكبيرة فى ذلک الزمان، لأنها لم تكن تشكل خطراً مهماً من جهة سكّانها ولا يوجد فيها موارد اقتصادية مهمة ولا حضارة متفوقة، بل كان أهل الحجاز نصف متوحشين حيث يعيشون الحروب الدائمة بينهم، فلم تكن والحال هذه تشكل خطراً على البلدان المجاورة، فحتّى لو أُعطيت الحجاز مجاناً إلى البلدان الأُخرى لم تقبل بها، ولهذا كانت بعيدة عن أهداف الحكومات الاستعمارية، ولكن مع ظهور الإسلام واتحاد القبائل العربية فيما بينها تحت لواء الإسلام وظهور حضارة جديدة، أحسّ الأعداء بالخطر.

www.makarem.ir

واتفق فى زمن وقوع هذه الحرب أنها كانت فى أجواء صعبة وغير مناسبة لأنها من جهة كانت حرارة الصيف على أشدها فى الحجاز، ومن جهة أُخرى فإن المحصولات الزراعية لهذه السنة على وشك النضج وقد فرغت المخازن الغذائية للسنة الماضية لدى المسلمين، ومن جهة ثالثة فإنّ الفاصل بين المدينة ومنطقة تبوک فاصلة كبيرة جداً حيث ينبغى على المسلمين طى هذا المسير مشياً على الأقدام غالباً لأنه لم يكن لكلّ عشرة أشخاص سوى مركب واحد، وعلى هذا الأساس عليهم أن يتناوبوا فى الركوب، وعلى أية حال فقد صدر الأمر بالتوجه إلى منطقة تبوک فجمعوا ما تبقى لديهم من الأغذية من قبيل بعض التمر اليابس وقد يكون فاسداً أيضاً وتوجه المسلمون بجيش بلغ مقداره ثلاثين ألف شخص بقيادة رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى تبوک. وكان العطش والجوع يلم بجيش الإسلام وقد تورمت أقدام الكثير منهم بسبب المشى فى الصحراء المحرقة ولكنهم وبالرغم من هذه الصعاب والمشاكل استمروا فى طريقهم وقد تحمل جنود الإسلام فى ذهابهم وإيابهم الكثير من الصعاب وواجهوا تحديات الواقع المفروض عليهم ولهذا سمّى هذا الجيش بـ «جيش العسرة»[1].

وعندما وصل الخبر إلى جيش الروم بأن جيش المسلمين الذى يبلغ ثلاثين ألف نفر قادم إليهم من المدينة وبأقل مقدار من الإمكانات العسكرية ومشياً على الأقدام وبقلوب مليئة بالعشق إلى الجهاد ضد أعداء الله عزموا على العودة والتراجع. حيث أصدر «أى القيصر» ملک الشام الأمر بذلک، وعندما وصل المسلمون إلى تبوک علموا بفرار العدو وتراجعه وشكروا الله على هذا التوفيق العظيم.

ثمّ إن النبى الأكرم استشار أصحابه بالنسبة إلى الرجوع إلى المدينة أو مواصلة الطريق والهجوم على العدو فى الشام، وكانت نتيجة الشورى هى التصميم على العودة إلى المدينة لأن الإسلام لم يزل فى بداياته ولم تكن للمسلمين القدرة الكافية والتجربة

١ . بدون شک لولا تلک الإستقامة والصبر من المسلمين فى تلک الواقعة لم يكن الإسلام يصل إلينا بالتأكيد. ولهذا لا ينبغى التساهل فى أمر حفظ هذا الدين لأنه لم يصل إلينا بيسر.

www.makarem.ir

الوافية لفتح البلدان والمناطق الاُخرى، وعلى هذا الأساس كان هذا الاقدام العسكرى فى غاية الخطورة بالنسبة إلى الدولة الإسلامية الفتية.

وبملاحظة ما تقدّم فإن غزوة تبوک كانت تختلف تماماً عن غزوات الإسلام الاُخرى «وخاصّة لطول مدّة عدم حضور النبىّ والمسلمين فى المدينة وبُعد المسافة بين المدينة وتبوک» فكان من المحتمل جداً أن يتآمر المنافقون فى المدينة بالتوافق مع الأعداء خارج المدينة، ولهذا كان من المفروض أن يخلف النبى الأكرم أقوى وأشجع المسلمين ليحفظ دار الإسلام وعاصمة البلد الإسلامى من شر الأعداء ومؤامرات المنافقين المحتملة، ولم يكن هذا الشخص سوى الإمام على (عليه السلام) ولهذا فإن النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) عينه على المدينة كما تقدّم فى رواية أبى بكر المؤمن الشيرازى المتقدّمة بعنوان أنه اُولوا الأمر.

وعلى هذا الأساس فإن الإمام على (عليه السلام) كان يتصف بصفة «اُولوا الأمر» حتّى فى زمان النبى الأكرم رغم أن ذلک كان بشكل مؤقت فكانت طاعته مترادفة مع إطاعة الله ورسوله وواجبة على المسلمين فى المدينة، وعليه فإن هذا الإشكال أى إشكال فعلية الإطاعة فى الآية الشريفة يتضح جوابه ممّا تقدّم بيانه.

السؤال الثانى : إن كلمة «**اُولوا الأمر**» تدلّ على الجمع والإمام علىّ شخص واحد، فهل المراد من «اُولوا الأمر» هو الإمام على لوحده ؟

الجواب : صحيح أن كلمة «اُولوا الأمر» صيغة للجمع ولكن المراد ليس هو الإمام علىّ

فقط بل تشمل جميع الأئمّة الاثنا عشر للشيعة الذين يقول بهم الشيعة كما ورد ذلک فى حديث الثقلين بعنوان «**عترتى أهل بيتى**» حيث لا تختص بالإمام على بل تشمل جميع الأئمّة المعصومين.

والشاهد على هذا الكلام الرواية التى وردت آنفاً فى «ينابيع المودّة» حيث ذكر فيها أن اُولوا الأمر هم المقصودين من حديث الثقلين وقلنا أن المراد من «عترتى أهل بيتى» فى حديث الثقلين هم جميع الأئمّة المعصومين (عليهم السلام).

www.makarem.ir

والنتيجة هى أن المراد من أُولى الأمر جميع الأئمّة الاثنا عشر كلّ واحد فى زمانه الخاصّ حيث يجب إطاعته بدون قيد أو شرط على جميع المسلمين.

السؤال الثالث : لماذا لم تتكرر كلمة «أُولوا الأمر» فى ذيل الآية بحيث يرجع إليهم المسلمون فى حلّ اختلافهم ومشاكلهم ؟

الجواب : **أوّلاً** : إن هذا الإشكال لا يرد على الشيعة بالخصوص بل على أهل السنّة أيضاً لأنهم بأى معنى فسّروا كلمة «أُولوا الأمر» فهذا الإشكال وارد عليهم.

ثانياً : إنّ علّت عدم تكرار «أُولوا الأمر» فى المقطع النهائى من الآية الشريفة هو ما تقدّم من الفرق بين «الرسول» و «أُولوا الأمر» فالرسول هو المسؤول عن تقنين الشريعة و «أُولوا الأمر» هم المسؤولون عن تنفيذ هذه القوانين، ومن الواضح أنه إذا حصل شک لدى أحد الأشخاص فى الحكم الإلهى لزم أن يراجع المقنن لا المنفذ للحكم.

وعليه فإن عدم تكرار هذه الكلمة لا يعدُّ نقصاً فى مفهوم الآية الشريفة بل يؤكد بلاغة القرآن الكريم وفصاحته المدهشة.

والجدير بالذكر أن الأئمّة المعصومين بأجمعهم هم القائمون على تنفيذ قوانين الإسلام، ولو تحركوا من موقع بيان أحكام الإسلام وتشريعاته فإن ذلک مقتبس من رسول الله (صلى الله عليه وآله)**قطعاً**.

وهناک روايات وردت فى «جامع أحاديث الشيعة» المجلد الأوّل، الصفحة ١٨٣ تقرر أن أئمّة الهدى (عليهم السلام)قد أخذوا جميع علومهم فى مجال الأحكام الشرعية من رسول الله (صلى الله عليه وآله).

والنتيجة هى أن «أُولى الأمر» لا تعنى الأشخاص الذين يتولون تقنين الأحكام وتشريعها بل بمعنى القيام على تنفيذها والعمل على إجراء القانون الإلهى، ولهذا لا داعى لذكره مرّة أُخرى فى الآية الشريفة.

توصيات الآية

www.makarem.ir

١ ـ إنّ أهم توصية فى الآية الشريفة هى أن المسلمين يجب أن يذعنوا تماماً فى مقابل الأحكام الإسلامية ويعملوا بالتكاليف الإلهية ويطيعوا الله ورسوله بدون سؤال وترديد، ولا ينبغى لهم أن يختاروا ما هو الملائم لمزاجهم والمتناغم مع أهواههم من هذه الأحكام ليعملوا به ويتركوا الباقى بل عليهم أن يتحركوا فى خط الطاعة والرسالة ولو كان على خلاف ميولهم ورغباتهم فإنّ مثل هذا الشخص هو المؤمن الحقيقى والمسلم الواقعى.

ويحدّثنا القرآن الكريم بعبارة شيقة فى الآية ٦٥ من سورة النساء فى هذا الصدد :

(فَلا وَرَبِّکَ لا يُؤْمِنُونَ حَتّى يُحَكِّموکَ فيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً).

هذه الآية الشريفة بإمكانها أن تكون معياراً جيداً ودقيقاً لتشخيص مقدار حالة التسليم والإذعان فى واقع الإنسان، وطبقاً لهذه الآية الشريفة فإن المسلم الواقعى هو الذى يتحرک من موقع التسليم لحكم النبى حتّى وإن كان على خلاف مصلحته ورغبته فلا يكتفى فقط بعدم إظهار الإنزعاج والتبرم بل ينبغى أن يشعر بالرضا والتسليم فى قلبه وأعماق نفسه، أى أنه يسلم نفسه لله تعالى فى العمل والقول والعواطف القلبية وإلاّ فإنه لو أحسّ بالتبرم فى نفسه من أحكام الإسلام فإن ذلک يدلّ على أنه لن يحقق الإسلام الواقعى فى وجوده، لأن المسلم الواقعى يجب أن يرضى بما رضى به الله ورسوله لا بما ترضى به نفسه وأهواءه.

الإمام على (عليه السلام) يقول فى حديث جميل :

لاَنْسُبَنَّ الاْسْلامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسُبْها أَحَدٌ قَبْلى : الاْسْلامُ هُوَ التَّسْلِيمُ، وَالتَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقينُ، وَالْيَقينُ هُوَ التَّصْدِيقُ، وَالتَّصْدِيقُ هُوَ الاْقرارُ، والاْقرارُ هُوَ الأَداءُ، وَالأَداءُ هُوَ الْعَمَلُ.[١]

فطبقاً لهذا الحديث الشريف فإنّ الإسلام يبدأ من واقع الإنسان وقلبه ثمّ يطوى المراحل المختلفة ليصل إلى مرحلة العمل والممارسة، أى أن الإسلام بدون الإعتقاد

١ . نهج البلاغة : الكلمات القصار، الكلمة ١٢٥.

www.makarem.ir

القلبى وبمجرد أداء بعض التكاليف والعبادات لا يكفى فى تحقق الغرض كما أن الإعتقادات لوحدها لا تكفى من دون أداء العبادات والتكاليف العملية وعليه فإنّ الإسلام هو مجموعة من الإعتقادات والأعمال الأخلاقية والدينية.

٢ ـ كلمة «أمر» تدلّ على مفهوم إيجابى واسع، ففى هذه الكلمة تكمن القدرة والقوّة، وهذا يعنى أن «أُولوا الأمر» يجب أن يتحركوا مع الناس من موقع القدرة والقوّة والحكومة لا أنهم يطلبون هذا المقام ويمارسون نشاطاتهم بالتوسل وحالة الإستعطاف من الناس، وهذا المعنى وارد أيضاً فى كلمة «الأمر بالمعروف» فإنّ الأمر هنا يجب أن يكون من موقع القدرة ولكن لابدّ من الإلتفات إلى أن موقع القدرة لا يتنافى مع استخدام أُسلوب المرونة والمداراة مع الناس لتحقيق المعروف وكما ورد فى القصة المعروفة عن الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) حيث تقول الرواية : «ومن حلمه ما روى عن الكامل للمبرّد وغيره أنّ شامياً رآه راكباً فجعل يلعنه والحسن لا يردّ، فلما فرغ أقبل الحسن فسلّم عليه وضحک فقال : أيها الشيخ أظنک غريباً ولعلّک تشبّهت، فلو استعتبتنا أعتبناک، ولو سألتنا أعطيناک، ولو استرشدتنا أرشدناک، ولو استحملتنا أحملناک، وإن كنت جائعاً أشبعناک، وإن كنت عرياناً كسوناک، وإن كنت محتاجاً أغنيناک، وان كنت طريداً آويناک، وإن كان لک حاجة قضيناها لک، فلو حرّكت رحلک إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالک كان أعود عليک لأنّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً. فلمّا سمع الرجل كلامه بكى، ثمّ قال : أشهد انّک خليفة الله فى أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت أنت وأبوک أبغض خلق الله إلىّ والآن أنت أحبّ خلق الله إلىّ، وحوّل رحله إليه وكان ضيفه إلى أن ارتحل وصار معتقداً لمحبّتهم»[١].

القارئ المحترم يدرک جيداً أن الفاصلة بين أفضل الناس على الأرض وأشر الناس كم هى كبيرة، ولكن الإمام الحسن (عليه السلام) باتخاذه هذا الأُسلوب السليم والأخلاقى فى عملية الأمر بالمعروف قد قطع كلّ هذه المسافة الشاسعة.

---

١ . منتهى الآمال : ج ١، ص ٤١٧.

www.makarem.ir

ونحن أيضاً يجب علينا الإستفادة من هذا الدرس الكبير والإلتفات إلى أن المخالفين على قسمين :

١ ـ الأشخاص الذين وقعوا تحت تأثير الإعلام المسموم والدعايات المغرضة فصدرت منهم ممارسات شائنة وكلمات لامسؤولة، فهؤلاء يجب التعامل معهم بالأُسلوب اللين لهدايتهم كما هو الحال فى هذا الرجل الشامى الذى وقع تحت تأثير دعايات بنى أُمية المضللة وأصبح من أعداء أهل البيت (عليهم السلام)، وكما رأينا أن الإمام الحسن قد جذبه إلى الحقّ وهداه إلى الدين بأخلاقه الحميدة.

٢ ـ الأشرار المعاندون الذين يعاندون طريق الحقّ ويبغضون أهل الحقّ عن علم ودراية، فهؤلاء لا معنى للتساهل والتسامح فى التعامل معهم بل ينبغى التعامل معهم من موقع القدرة والشدّة.

إن معرفة الأشخاص وتشخيص هذين القسمين ثمّ التعامل مع كلّ طائفة بما ينبغى التعامل معها عمل دقيق ويستلزم الكثير من الدقّة والتدبّر.

ربنا ! وفقنا إلى نيل التسليم الكامل فى مقابل أحكامک وأوامرک ووفقنا لأداء فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر المقدسّة كما يريد منّا الإسلام.

□□

www.makarem.ir

آية الصادقين

٥

«سورة التوبة / الآية ١١٩»

أبعاد البحث

إنّ الآية أعلاه تسمّى بـ «آية الصادقين»، وهى إحدى الآيات المتعلقة بمسألة الولاية والإمامة الواردة فى شأن الإمام علىّ والأئمّة الأحد عشر من أولاده المعصومين (عليهم السلام)، ففى هذه الآية الشريفة يأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين باتباع «الصادقين» فمن هم هؤلاء الصادقون ؟ وما هى خصوصياتهم وعلاماتهم ؟

معرفة إجمالية لسورة التوبة

من الضرورى أن نتعرف على سورة التوبة بصورة إجمالية لتتضح جيداً أجواء نزول آية الصادقين الواردة ضمن هذه السورة، ولأجل ذلک لابدّ من بيان عدّة اُمور :

ألف) أسماء السورة وعلة تسميتها

www.makarem.ir

هذه السورة لها إسمان متباينان «التوبة» و «براءة» والسبب فى تسميتها «براءة» أن هذه السورة تبدأ بهذه الكلمة «براءة» مضافاً إلى أن هذه السورة تتضمن إعلان البراءة من المشركين وأعداء الإسلام.

ولهذا السبب فهذه السورة لم تبدأ بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» التى تتضمن الرحمة والرحمانية والحنان واللطف.

وأمّا سبب تسمية هذه السورة بـ «التوبة» فهو أن الكثير من آيات هذه السورة تدعو الناس للتوبة والعودة إلى الله تعالى، أى أنها على الرغم من إعلانها الحرب على الكافرين والبراءة من المشركين وشرارات الحرب تملأ أجواء هذه الآية فإنّ آيات هذه السورة تتضمن كذلک مفهوم التوبة بصورة واسعة بحيث إنها بعد إعلان البراءة من المشركين تقول قبل نهاية الآية الخامسة[1] من هذه السورة :

(...فَاِنْ تابُوا وَاَقامُوا الصَّلوةَ وَاتَوا الزَّكاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إنَّ اللهَ غَفُورٌ رحيمٌ)

أى بالرغم من أن الكفّار والمشركين قد تآمروا كثيراً على الإسلام والمسلمين وارتكبوا جرائم كثيرة ولكنهم لو تابوا وتمسّكوا بتعاليم الإسلام فإنّ توبتهم ستكون مقبولة.

والسبب فى أن لهذه السورة اسمين متضادين هو كثرة الآيات التى تشير إلى التوبة ضمن الآيات التى تعلن الحرب والبراءة من الأعداء والمشركين ولعلّ ذلک لغرض بيان هذه الحقيقة، وهى أن الإسلام لم يغلق باب العودة وخط الرجعة على المذنبين والمجرمين حتّى فى حال الحرب والقتال مع المسلمين فإنّ الإسلام لا يقصد الإنتقام منهم بل يهدف من تعاليمه حتّى من إقامة الحرب إصلاح الناس، ولهذا فلو أن الأعداء رغبوا فى التوبة فى أثناء الحرب وأظهروا عملاً التزامهم بالتوبة فإنّ الإسلام سوف يرفع عنهم حكم القتل بل سيتحرک نحو حمايتهم وتأييدهم.

وبعبارة أُخرى إنّ تركيب الآيات لهذه السورة واختيار اسمين لها، يشير إلى حقيقة مهمة على المستوى التربوى للناس وهى :

---

١ . بل إن مسألة التوبة وردت قبل هذه الآية أى فى الآية الثانية.

www.makarem.ir

إنّ الإنسان يحتاج فى عملية التعليم والتربية إلى عنصر الخشونة والمداراة سويةً، فلو اتخذت الحكومة فى تعاملها مع الناس أُسلوب الخشونة لأدى ذلک إلى نفور الناس وتفرقهم، ولو تحدّثت الحكومة معهم من موقع المداراة واللطف فقط لأساء المجرمون والذين فى قلوبهم

مرض الإستفادة من هذا اللطف والمداراة وأمعنوا فى توغلهم فى أعمال الشر والجريمة، ولكنّ استخدام أُسلوب يجمع بين الخشونة والمداراة كلٌّ فى موقعه المناسب بإمكانه أن يحلُّ الكثير من المشكلات، ولذلک كان من اللازم استخدام «الشدّة» و«اللطافة» وأيضاً «العقوبة» و«التوبة».

ب) زمان نزول آيات سورة التوبة

إنّ الآيات الأُولى من سورة التوبة نزلت فى أواخر السنة التاسعة للهجرة يعنى سنة واحدة قبل وفاة النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وطبقاً لما ذكره المفسّرون فإنّ النبى (صلى الله عليه وآله)فى هذه السنة وعلى أساس التعليمات الواردة فى هذه الآيات أمر الإمام على (عليه السلام)[1] بالتوجه إلى مكّة فى مراسم الحجّ والإعلان عن أربعة أُمور :

١ ـ أنه لا يحقّ بعد هذا العام وهو العام التاسع للهجرة أن يطوف بعض الناس وهم عراة.

سؤال : وهل أن البعض يطوف حول البيت عارياً إلى ذلک الزمان ولماذا ؟

الجواب : نعم فإن بعض الرجال وحتّى بعض النساء كانوا يطوفون حول البيت وهم عراة تماماً لأنّ أحد عقائد الوثنيين الخرافية هى أنه إذا طاف الشخص بثيابه يجب عليه أن يتصدّق بهذه الثياب على الفقير، ولهذا السبب فإنّ الأشخاص الذين لم يكن لديهم سوى ثوب واحد كانوا يقومون باقتراض ثوب لهم من شخص آخر حين الطواف

١ . يتفق جميع المفسّرين والمؤرّخين تقريباً على أنه لما نزلت الآيات الأُولى من سورة براءة وفيها الغاء للعهود مع المشركين، أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى البداية أبابكر بابلاغها إلى الناس فى وقت الحجّ فى مكّة، ثمّ أخذها منه وسلّمها إلى على (عليه السلام) وأمره بابلاغها فى مراسم الحجّ (وتفصيل الواقعة التاريخية التى أراد البعض إخفاءها، مذكورة فى التفسير الأمثل : ج ٥، بداية سورة التوبة).

www.makarem.ir

ويطوفون به لكى لا يشملهم الحكم المذكور. وأما الأشخاص الذين لم يتهيأ لهم اقتراض ثوب من شخص آخر ولا يرغبون فى التصدّق بثوبهم كانوا يطوفون وهم عراة تماماً.

٢ ـ انه لا يحقّ للمشركين وعبّاد الأوثان الطواف بالكعبة بعد هذا العام.

سؤال : أليس الإسلام يرى الحرية فى العقيدة، إذن لماذا منع أتباع سائر الأديان بالطواف حول الكعبة ؟

الجواب : إنّ الإسلام يرى حرية المذاهب والأديان ولكن الشرك وعبادة الأوثان لا يحسب ديناً ومذهباً بل هو مجموعة من العقائد التى تقوم على أساس خرافى.

٣ ـ إنّ المسلمين يلتزمون بعهودهم ومواثيقهم مع المشركين إلى آخر المهلة المقررة فى الميثاق ولكنهم بعد ذلک لا يقومون بتجديد هذا العهد والميثاق مع المشركين.

٤ ـ إنّ المشركين الذين لا تربطهم مع المسلمين رابطة عهد وميثاق سوف يُمهلون لمدّة أربعة أشهر لأصلاح عقائدهم ونبذ الشرک وعبادة الأوثان وإلاّ فإنهم سيتعرضون لقتال المسلمين.

وعلى أيّة حال فانّ الآيات الأُولى من سورة التوبة والتى وردت الإشارة إلى مضمونها نزلت فى أواخر السنة التاسعة للهجرة، ويحتمل قوياً أن بقية سورة البراءة ومنها هذه الآية محل البحث نزلت فى السنة التاسعة للهجرة، أى فى السنة الأخيرة من عمر النبىّ الأكرم (صلى الله عليه وآله).

وعلى هذا الأساس فإنّ «آية الصادقين» نزلت فى أواخر عمر النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)وبذلک عملت على تهيئة الأرضيّة اللازمة لولاية وخلافة أميرالمؤمنين (عليه السلام).

الشرح والتفسير

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ) نرى فى هذه الآية الشريفة أن الله تعالى يخاطب المؤمنين والمسلمين ويأمرهم بأمرين :

www.makarem.ir

الأوّل : أن يلتزموا بتقوى الله تعالى والتى تعدُّ أهم رأس مال المؤمن وميزان القرب من الله تعالى، وكلّما ازدادت حالة التقوى فى السالک إلى الله فإنه سيكون أقرب إلى الله تعالى، وكلّما قلّ منسوب التقوى فى الإنسان كان ذلک علامة على ابتعاده من الله تعالى حيث نقرأ فى الآية ١٣ من سورة الحجرات :

(يا أَيُّهَا النّاسُ إنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَر وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ اَتْقاكُمْ إنَّ اللهَ عَليمٌ خَبيرٌ).

ونقرأ فى الآية ٦٣ من سورة مريم أن التقوى هى بمثابة جواز عبور الإنسان على الصراط ودخوله الجنّة :

(تِلْکَ الْجَنَّةُ الَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيّاً).

فالتقوى فى نظر الإسلام مهمة فى عملية الصعود بالإنسان إلى مدارج الكمال وتعنى أن يعيش الإنسان الخوف والخشية من الله تعالى بحيث يدفعه ذلک إلى اجتناب الذنوب ولا يحتاج معها إلى ضوابط خارجية.

الثانى : هو أن الله تعالى يأمر المؤمنين فى هذه الآية الشريفة أن يكونوا مع الصادقين.

من هم الصادقين ؟

سؤال : هل أن المراد من «الصادقين» فى هذه الآية الشريفة، والذين أمر الله تعالى المسلمين باتباعهم هم أشخاص معيّنون، أو أن المراد هو المعنى اللغوى لهذه الكلمة، أى أن يتبع الإنسان كلُّ شخص صادق ؟

الجواب : نحن نرى أن المراد من «الصادقين» فى هذه الآية الشريفة ليس كلُّ إنسان صادق بل أفرادٌ مخصوصون، والشاهد على ذلک وجود قرينتين فى هذه الآية :

١ ـ أنه لو كان المراد من كلمة «الصادقين» هو المعنى العام لا الخاصّ فيجب أن يقول «كونوا من الصادقين» لا «مع الصادقين» لأن الواجب على جميع المسلمين أن يكونوا صادقين لا مجرد أن يكونوا مع الصادقين، وعلى هذا الأساس يتّضح من وجوب

www.makarem.ir

اتباع الصادقين والكون معهم أن المراد بهم هم أشخاص معيّنون بحيث يجب على المسلمين إتباع هؤلاء الأشخاص.

٢ ـ والشاهد الآخر على هذا المعنى أن ظاهر الآية يدلّ على أن إتباع هؤلاء غير مقيّد بقيود أو شروط، وعليه فإنّ إطلاق وجوب إتباعهم يدلُّ على ضرورة أن يكون هؤلاء الصادقون معصومين ومصونين من الخطأ والإشتباه والزلل لأنه لولم يكونوا كذلک فلا يصحّ للمسلمين إتباعهم مطلقاً بل عليهم الإبتعاد عنهم فى حالات الزيغ والخطأ والمعصية.

وعلى هذا الأساس فبما أن وجوب اتباع «الصادقين» ورد بصورة مطلقة لزم أن يكون هؤلاء الصادقين أشخاصاً معينين ومعصومين من الخطأ والذنب ليتسنّى للآخرين اتباعهم بصورة مطلقة.

والنتيجة هى أنه إما أن يكون اتباع هؤلاء الصادقين ورد بصورة مطلقة فيكون «الصادقون» يراد بهم أشخاص معينون، أو أن ترد كلمة «الصادقين» بصورة مطلقة وتشمل جميع من كان صادقاً فيلزم التقيد فى إتباعهم، ونظراً لما تقدّم من القرينتين فى هذه الآية الشريفة فإنّ الاحتمال الأول هو الصحيح، فعليه فإنّ كلمة «الصادقين» مقيّدة والإتّباع مطلق، والمراد منه أشخاص معيّنين الذين يمكن للمسلمين إتّباعهم بصورة مطلقة.

نظرية علماء أهل السنّة

أما المفسّرون من أهل السنّة فقد أنقسموا فى تفسيرهم لهذه الآية إلى قسمين، فبعضٌ لم يبحث هذه المسألة بصورة جيدة ولم يهتم لتفسير كلمة «الصادقين» فيها ومرّ عليها مرور الكرام.

وبعض آخر ذكر مطالب متنوعة فى تفسيرها حتّى أنهم ذهبوا إلى أن «الصادقين» يجب أن يكونوا معصومين أيضاً لأنّ الاطاعة والإتباع ورد بصورة مطلقة ولا يصحّ

www.makarem.ir

ذلک إلاّ بإتباع المعصوم ولكن مع ذلک فإنّ المسبوقات الفكرية والأحكام الذهنية لم تسمح لهؤلاء أن يصلوا إلى الحقيقة فى تفسيرهم لهذه الآية.

الفخر الرازى من جملة المفسّرين من الطائفة الثانية فمضافاً إلى أنه يرى أن «الصادقين» يجب أن يكونوا معصومين يعتقد كذلک أن هذه الآية لا تختص بعصر نزول النصّ وزمان حياة النبىّ (صلى الله عليه وآله) بل فى كلّ زمان يكون هناک شخص صادق معصوم فى الاُمّة الإسلامية يجب على المسلمين إطاعته شرعاً.

ولكنه عندما أراد تشخيص مصداق «الصادقين» تورط فى مسبوقاته الذهنية وابتلى بالتفسير بالرأى وقال : «نحن نعترف بأنه لابدّ من معصوم فى كلّ زمان، إلاّ أنا نقول : ذلک المعصوم هو مجموع الاُمّة».

أى أن الاُمة الإسلامية لو اتفقت على رأى واحد فى مسألة معيّنة فيجب على الجميع إتباع هذا الرأى، والنتيجة هى أن قوله تعالى «**كونوا مع الصادقين**» هو أن يكون المسلمون فى كلّ عصر وزمان يسيرون جنباً إلى جنب مع مجموع الاُمّة الإسلامية.

ولكننا نسأل من الفخرالرازى : هل أن هذا التفسير كان يتبادر إلى ذهن المسلمين فى عصر نزول الوحى وفى أذهان الصحابة فى وقت نزول الآية ؟ وأساساً فإنّ مسألة «الإجماع» طرحت بعد قرون من عصر النزول فكيف يستنبط الفخر الرازى من هذه الآية «إجماع الاُمّة» ؟

ولا شكّ أن هذا التفسير مجانب للصواب وأن أصحاب النبىّ (صلى الله عليه وآله) لم يفهموا من كلمة «الصادقين» سوى عدّة من الأشخاص المعينين الذين يتمتعون بمقام العصمة.

وعلى هذا الأساس، فلا شكّ فى أن «الصادقين» يتمتعون بمقام العصمة من الذنوب والأخطاء، هذا أوّلاً...

وثانياً : أنهم موجودون فى كلّ عصر وزمان ولا يختص وجودهم فى زمان النبى الأكرم(صلى الله عليه وآله).

www.makarem.ir

ثالثاً : أن عددهم معيّن ومحدد.

فالاُمور الثلاثة أعلاه تستفاد من نفس هذه الآية الشريفة كما مرّ تفصيل الكلام عنه آنفاً[1] ولكنّ مصداق «الصادقين» لا يتضح ويتبين من الآية نفسها بل لابدّ من الإستفادة من الروايات الشريفة.

تفسير آية الصادقين بضميمة الآيات الاُخرى

لو جلسنا فى مقابل القرآن جلسة التلميذ وأبعدنا أذهاننا عن المسبوقات الذهنية والمذهبية وتدبرنا فى آيات هذا الكتاب العظيم بإخلاص ورغبة صادقة فإنّ القرآن الكريم يعرّف لنا الصادقين فى آيات اُخرى حيث يقول تعالى فى الآية ١٥ من سورة الحجرات :

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا وَجاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُون).

فطبقاً لهذه الآية الشريفة فإن «الصادقين» مضافاً إلى إيمانهم بالله ورسوله أو إيمانهم بالمبدأ والنبوّة التى يشترک فى هذه العقيدة جميع المسلمين فإنّهم يختصون بخصوصيات اُخرى لا يشترک معهم سائر المسلمون :

١ ـ إنهم بعد الإيمان بالله ورسوله لم يعيشوا الريب والشک ولا للحظة واحدة بل كانوا يعيشون الإيمان واليقين الراسخ فى جميع مراحل حياتهم.

٢ ـ والآخر أن هذا الإيمان المذكور لم ينحصر فى عالم القلب واللسان فحسب، بل إنّ آثاره تجلت بوضوح على مستوى الممارسة والعمل، ولهذا فإنّهم يتحركون فى جهادهم فى سبيل الله من موقع القرب من الله وبدافع من طلب رضاه فقط لا بدوافع اُخرى فيبذلون المال والأنفس فى هذا السبيل.

---

١ . لو تخلّى الإنسان من قيود التعصّب والمسبوقات الذهنية وتدبّر فى مفهوم الآية الشريفة والآيات المشابهة لها لحصل على نتائج جيدة، ومن هؤلاء الأشخاص الدكتور التيجانى الذى كان من علماء أهل السنّة وقد اهتدى إلى الحقّ بعد التدبّر فى الآية الشريفة وأمثالها وفى جوابه لمن سأله : لماذا اخترت مذهب التشيع ؟ كتب كتاباً باسم «لأكون مع الصادقين» حيث يدور البحث فيه حول الآية الشريفة المذكورة أعلاه.

www.makarem.ir

ومع الإلتفات إلى هاتين الخصوصيتين النادرتين يجب علينا التفتيش والفحص بين أصحاب الرسول الأكرم لنعثر على الشخص الذى يتمتّع بهذه الصفات والخصوصيات ويكون من الصادقين.

ولدى رجوعنا لتاريخ صدر الإسلام نصل إلى هذه الحقيقة، وهى أن الشخص الوحيد الذى يتمتع بهذه الصفات هو علىّ بن أبى طالب (عليه السلام) لأن جميع حياته كانت مليئة بالجهاد بالمال والنفس ولم يشک أو يتردد طرفة عين فى إيمانه وعقيدته.

ومن أجل إثبات هذه الحقيقة نذكر ثلاث وقائع مختلفة مما يذكره التاريخ الإسلامى عن حياة هذا الإمام وجهاده بالمال والنفس وإيمانه الراسخ بالله ورسوله :

١ ـ عندما تحرک المشركون فى مكّة للقضاء على الإسلام وتآمروا فى كيفية الطريق إلى تحقيق هذه الغاية وصمّموا على تنفيذ مؤامرة قتل النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله). ومن أجل أن لا تقوم عشيرة النبى (صلى الله عليه وآله) بالإنتقام من القاتل أو الإقتصاص منه قرّروا أن يقوم بهذه العملية عدّة أشخاص من جميع القبائل فاختاروا لذلک أربعين شخصاً من الأقوياء والشجعان فى القبائل العربية ليهجموا على بيت النبوّة ليلاً وينفّذوا هذه العملية.

ولكنّ الله تعالى أخبر نبيّه الكريم بواسطة الوحى بهذه المؤامرة الخطيرة، فقام النبى لأجل التخلص من هذه المؤامرة بالهجرة إلى المدينة ولكن من أجل أن لا يلتفت الأعداء إلى غيبته لزم أن يختار شخصاً شجاعاً مستعداً للموت لينام على فراش النبى فى الليلة المقررة فكان أن اختار النبى الإمام على (عليه السلام) لهذه المهمة.

وطبقاً للروايات[١] الواردة فى هذه الحادثة فإن رسول الله قال لأميرالمؤمنين (عليه السلام)عندها :

إننى قد أُمرت أن أُهاجر إلى المدينة ولكنّ هناک أربعين رجلاً مسلّحاً من أربعين قبيلة يحاصرون هذا البيت وينتظرون طلوع الفجر ليهجموا على هذا البيت ويقتلوننى فهل أنت يا علىّ مستعد لتنام فى فراشى لأتمكن من التحرک نحو المدينة ؟

١ . وقد أورد المحدّث القمّى (رحمه الله) فى منتهى الآمال : ج ١، ص ١١٠ هذه الواقعة بالتفصيل.

www.makarem.ir

فأجاب على (عليه السلام) الذى ملأ قلبه العشق للنبىّ وللرسالة ولم يتردد أو يشک لحظة فى إيمانه وعقيدته : «يا رسول الله إذا أنا نمت فى فراشک فهل تصل سالماً إلى المدينة ؟»

كان هذا السؤال مهماً جداً بالنسبة إلى الإمام على (عليه السلام) فلم يسأل عن مصيره هو والخطر المحدق به فى هذه الليلة بل كان فكره مشغولاً فقط بسلامة معشوقه وحبيبه رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) : نعم سأصل سالماً إن شاء الله.

فوقع الإمام على (عليه السلام) من فوره على الأرض ساجداً لله تعالى سجدة الشكر على سلامة الرسول ولعلّ هذه كانت أوّل سجدة شكر فى الإسلام.

فهل نجد شخصاً غير على ابن أبى طالب يعيش العشق والحبّ لرسول الله (صلى الله عليه وآله)إلى هذه الدرجة ؟

نحن بدورنا نعشق هذا الإمام ونتّبع فى عقيدتنا وسلوكنا هذا الإنسان الكامل.

وهكذا نام الإمام على (عليه السلام) فى فراش النبى ووصل النبى سالماً إلى المدينة فلما أصبح الصباح هجم الأعداء على بيت النبى فنهض الإمام على (عليه السلام) عندما سمع الضجة من فراشه، فوجد الأعداء أن هذا النائم ليس هو مرادهم ومقصودهم فسألوا عليّاً : أين محمّد ؟

وبدون أن تتخلل ذرة من الخوف فى قلب الإمام على (عليه السلام) قال : وهل أودعتموه عندى حتّى تسألوا هذا السؤال ؟

فبهت الأعداء من هذا الجواب القاطع لهذا الشاب الشجاع وقالوا فيما بينهم : إنّ هذا شاب ساذج وقد خدعه محمّد (صلى الله عليه وآله).

فلمّا سمع الإمام على (عليه السلام) ذلک منهم وأنهم يتحدّثون عن حبيبه بلغة الإهانة قال لهم كلاماً جميلاً جداً وعميق المغزى :

www.makarem.ir

إنّ اللهُ قَدْ أَعْطانِي مِنَ الْعَقْلِ ما لَوْ قُسِّمَ عَلى جَمِيعِ حُمَقاءِ الدُّنيا وَمَجانِينها لصارُوا بِهِ عُقَلاء وَمِنَ القُوَّةِ ما لَوْ قُسِّمَ عَلى جَمِيعِ ضُعَفاءِ الدُّنْيا لَصارُوا بِهِ أَقْوياءَ، وَمِنَ الشُّجاعَةِ ما لَوْ قُسِّمَ عَلى جَميعِ جُبَناءِ الدُّنْيا لَصارُوا بِهِ شَجْعاناً.[1]

عندما سمع الأعداء هذا الجواب تملكهم اليأس وأطرقوا برؤوسهم خارجين من المنزل.

فلو كان لدى الإمام على (عليه السلام) ذرة من الشک والتردد بالنسبة إلى إيمانه بالله والرسول فهل يعقل أن يخاطر بحياته مثل هذه المخاطرة ؟

٢ ـ فى واقعة أُحد تمكن الأعداء من تحقيق نصر عسكرى على المسلمين بسبب غفلة المسلمين وطمعهم فى حطام الدنيا ومضافاً إلى ذلک فقد استفاد الأعداء من هذه الغفلة وتحركوا من موقع الحرب النفسية ضد المسلمين حيث صاح أميرهم لما رأى النبى (صلى الله عليه وآله)جريحاً فى ميدان القتال «لقد قُتل محمّد !» ولما سمع المسلمون هذا النداء هرب الكثير منهم من ميدان القتال كما تقول الرواية، ولكنّ الإمام على (عليه السلام)الذى كان مؤمناً بانتصار الإسلام وبوعد الله تعالى ولم يتردد لحظة فى هذه العقيدة الراسخة لم يلتفت إلى هذا النداء وبقى مستمراً فى قتال الأعداء حتّى أصاب جسده الشريف جراح كثيرة ولكنه استمر فى القتال والدفاع عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بحيث أدّت شجاعته وإيمانه وسعيه البالغ فى دفع الخطر عن النبى(صلى الله عليه وآله) إلى إجهاض كيد العدو وأدرک المسلمون أن النبى (صلى الله عليه وآله) لم يقتل لحد الآن، ولذلک عاد الكثير منهم إلى ميدان القتال، وعلى أيّة حال انتهت الحرب بكلِّ ما تضمنته من صعوبات وتحديات واندحر الأعداء وهم مصابون باليأس من الغلبة على الإسلام وتوجهوا إلى مكّة، وهكذا أُصيب الإمام على (عليه السلام)فى هذه المعركة بما يقارب من ٩٠ جرحاً فأرسل له النبىّ (صلى الله عليه وآله)طبيبين ليعالجاه ويضمدا جراحه ولكنهم سرعان ما عادوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهما يقولان : يا رسول الله إنّ جراح

١ . بحار الأنوار : ج ١٩، ص ٨٣ .

www.makarem.ir

على ابن أبى طالب إلى درجة من الكثرة والتقارب بحيث أننا كلّما سعينا لمعالجة جرح انفتح علينا جرح آخر.

يقول الشبلنجى العالم المعروف لدى أهل السنّة فى كتاب «نور الأبصار» : إنّ علىّ بن أبى طالب بعد واقعة أُحد قال لرسول الله (صلى الله عليه وآله) : لقد أصابتنى فى هذه المعركة الشديدة مع المشركين ستة عشر ضربة عميقة بحيث إننى وقعت على الأرض أربع مرّات وفى كلّ مرّة كنت أرى شخصاً نورانياً يساعدنى على النهوض من الأرض ويقول : انهض ودافع عن رسول الله، فمن هو يا رسول الله ؟[1]

قال النبىّ (صلى الله عليه وآله) : لتقر عينک يا علىّ هذا جبرئيل أمين الوحى.

نعم إنّ هذة الواقعة يصدقها القرآن الكريم بقوله : (إنَّ الَّذينَ قالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاّ تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِروا بِالْجَنَّةِ الَّتى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ)[2].

والخلاصة هى أن هذه الحادثة تدلُّ على المرتبة العليا لجهاد الإمام على (عليه السلام)بماله ونفسه من جهة وكذلک على إيمانه الراسخ ويقينه القوى بالله ورسوله وما وعده الله تعالى من نصر الإسلام على المشركين من جهة أُخرى. إذن فهو مصداق كلمة «الصادقين» فى هذه الآية الشريفة.

٣ ـ وفى حرب الأحزاب عندما تقدّم عمرو بن عبدود العامرى بطل العرب وعبر الخندق وأخذ ينادى المسلمين ويطلب البراز فلم يستجب له إلاّ علىّ بن أبى طالب (عليه السلام)وتكرر هذا العمل ثلاث مرّات وفى كلّ مرّة ينهض الإمام على (عليه السلام) من مكانه وهو مستعد لمبارزته.

وهكذا توجه على بن أبى طالب نحو هذا العدو الغاشم بإيمان راسخ وشجاعة عظيمة فدعى له رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالنصر، ثمّ إن المعركة بين على وعمرو بن عبدود انتهت بغلبة الإسلام على الكفر، وانتصر الإمام على (عليه السلام) على عدوه فى هذه المواجهة والمبارزة.

---

١ . نور الأبصار : ص ٩٧.

٢ . سورة فصّلت : الآية ٣٠.

www.makarem.ir

وبينما كان الإمام على (عليه السلام) جالساً على صدر عمرو بن عبدود لحزّ رأسه، بصق عمرو فى وجه الإمام على (عليه السلام) وشتمه[١] فما كان من الإمام على (عليه السلام) إلاّ أن نهض وأخذ يتمشّى فى ميدان المعركة، وكان المسلمون ينظرون إلى مجريات الحادثة بدقة وتعجب، وبعد دقائق عاد بطل حرب الأحزاب إلى مكانه وقطع رأس عدو الله.

وبعد هذه الحادثة سُئل الإمام على (عليه السلام) عن سبب قيامه وانتظاره لحظات قبل أن يقدم على قتل عمرو فقال :

قَدْ كانَ شَتَمَ أُمِّى وَتَفَلَ فى وَجْهى فَخَشِيتُ أَنْ أَضْرِبَهُ لِحَظِّ نَفسى فَتَرَكْتُهُ حَتَّى سَكَنَ ما بى ثُمَّ قَتَلْتُهُ فِى اللهِ.[٢]

وفى هذا يقول الشاعر الشيخ الازرى (رحمه الله) وهو يحكى هذه الواقعة المهمّة :

ظهرت منه فى الورى سطوات * ما أتى القوم كلّهم ما أتيها**
يوم غصّت بجيش عمرو بن ودّ * لهوات الفلا وضاق فضاها**
فدعاهم وهم الوف ولكن * ينظرون الذى يشبّ لظاها**
فابتدى المصطفى يحدث عما * يوجر الصابرون فى أُخريها**
فالتووا عن جوابه كسوام * لا تراها مجيبة من دعاها**
فإذا هم بفارس قرشى * ترجف الأرض خيفة أن يطاها**
قائلاً ما لها سواى كفيل * هذه ذمة علىّ وفاها**
فانتضى مشرفيه فتلقى * ساق عمرو بضربة فبراها**
يا لها من ضربة حوت مكرمات * لم يزن ثقل أجرها ثقلاها**
هذه من علاه احدى المعالى * وعلى هذه فقس ما سواها**

---

١ . بحار الأنوار : ج ٢١، ص ٢۶.

٢ . بحار الأنوار : ج ۴١، ص ۵١ (نقلاً من مظهر الولاية : ص ٣۶۵).

www.makarem.ir

وعلى هذا الأساس فإنّ علائم الإيمان الراسخ مشهودة فى حياة الإمام على (عليه السلام) كلّها، وحينئذ نفهم جيّداً بالإستفادة من القرائن وبمعونة الآيات القرآنية الاُخرى أن المراد من «الصادقين» هو علىّ بن أبى طالب (عليه السلام).

الصادقين فى الروايات

لو اقتصرنا على رواية الثقلين المهمة وضممناها إلى الآية الشريفة لرأينا أنها تلقى ضوءاً قوياً على مفهوم الآية وتوضح مصداق «الصادقين» وهم الأشخاص الذين ذكرتهم رواية الثقلين بأنهم أهل البيت الأئمّة المعصومين (عليهم السلام) الذين ينبغى التمسّک بهم دائماً، فيكون التمسّک بهم مانعاً من الضلال، ومضافاً إلى الرواية المذكورة هناک روايات متعددة ناظرة إلى هذه الآية الشريفة، وكمثال على ذلک نورد ما يلى :

١ ـ نقل خمس أشخاص من مشاهير وكبار علماء أهل السنّة وهم : السيوطى[١]، الخوارزمى[٢]، العلاّمة الثعلبى[٣]، العلاّمة الكنجى[٤]، والحاكم الحسكانى[٥]، وهؤلاء كلّهم يروون عن الصحابى المعروف ابن عبّاس أو جابر بن عبدالله الأنصارى حيث يقول :

«كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ، أىْ كُونُوا مَعَ عَلِىِّ بْنَ أبى طالِب».

ووردت بعض العبارات فى هذه الروايات «هو علىّ بن أبى طالب» أو «نزلت فى علىّ ابن أبى طالب»[٦] وهى كلّها تؤدى معنى واحداً.

٢ ـ نقل الحاكم الحسكانى فى «شواهد التنزيل» مضافاً إلى الرواية المذكورة آنفاً رواية اُخرى عن «عبدالله بن عمر» حيث قال :

«مَعَ الصَّادِقِينَ أىْ مَعَ مُحَمّد وَأهْلِ بَيْتِه».[٧]

---

١ . الدرّ المنثور : ج ٣ ص ٢٩٠.

٢ . نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣ ص ٢٩٨.

٣ . تفسير الثعلبى نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣ ص ٢٩٧.

٤ . كفاية الطالب : ص ١١١، ونقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٢٩٧.

٥ و ٦ ـ شواهد التنزيل : ج ١، ص ٢٦٠.

٧ . شواهد التنزيل : ج ١ ص ٢٦٢.

www.makarem.ir

والملفت للنظر أن هذه الرواية تذكر سائر أهل البيت المعصومين (عليهم السلام)فى عداد الصادقين.

٣ ـ ويروى سليم بن قيس الذى يقول عنه العلاّمة المجلسى فى بحار الأنوار أنه شخص ثقة حيث يقول فى تفسير كلمة «الصادقين» :

«فقال سلمان : يا رسول الله، أعامة هى أم خاصّة ؟ فقال : أما المؤمنون فعامة لأن جماعة المؤمنين أُمروا بذلک، وأما الصادقون فخاصّة لأخى على والأوصياء من بعده إلى يوم القيامة»[١].

وطبقاً لهذه الرواية فإن «الصادقين» هم الأئمّة المعصومين (عليهم السلام).

٤ ـ ويقول العلاّمة الكنجى فى كتاب «كفاية الطالب» و«ابن الجوزى» فى كتابه «التذكرة» : قال علماء السِير : معناه كونوا مع علىّ وأهل بيته[٢] وهكذا يروى المؤرّخون فى معنى «كونوا مع الصادقين» أن المراد بهم هم علىّ وأهل بيته (عليهم السلام).

وطبقاً لهذا الحديث فإنّ «الصادقين» هم الأئمّة الاثنا عشر (عليهم السلام) للشيعة.

توصية آية الصادقين

ومما تقدّم من صفات وخصائص المعصومين (عليهم السلام) وأنهم المجاهدون، العابدون، الراكعون، الساجدون، القائمون، الصائمون، الزاهدون، العالمون، المتقون، الذاكرون، الخاشعون، وأمثال ذلک فإنّ هذه الصفات تجتمع فى مصداق كلمة «الصادقين»، وهذا يعنى أن حالة «الصدق» لها دور مهم جداً فى مصير الإنسان «وليس المسلم فحسب»، ولهذا السبب فإنّ الآية الشريفة وصفت أئمّة الهدى بهذه الصفات.

ومع الإلتفات إلى أهمية هذا الموضوع نذكر بعض ما ورد عن الإمام على (عليه السلام)فى هذا الصدد :

١ ـ «الصِّدْقُ عِمادُ الإسْلامِ وَدَعامَةُ الإيمانِ».[٣]

---

١ . أسرار آل محمّد : ص ٢٩٧.

٢ . نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣ ص ٢٩٧.

٣ . ميزان الحكمة : باب ٢١٩٠، ح ١٠١٨٥.

www.makarem.ir

فلو سقط عمود البناء لانهار البناء تماماً، فلو أن المسلم لم يتّصف ويتحلّى بصفة الصدق فلا معنى لإسلامه وإيمانه.

٢ ـ «الصِّدقُ أَقْوى دَعائِمِ الأيمانِ»[١]

وهذا يعنى أن الصدق يقترن مع مفهوم عمود الخيمة بحيث لو زال العمود لحظة لانهدمت الخيمة.

٣ ـ «الصِّدقُ صَلاحُ كُلِّ شَىء وَالْكِذْبُ فَسادُ كُلِّ شَىء»[٢].

وفى الحقيقة فإنّ الصدق لو ساد فى المجتمع وكان جميع أفراد المجتمع يتحلّون بهذه الصفة وكان الرجل وزوجته يعيشان حالة الصدق فى البيت، وكذلک الموظفون فى الإدارات والشركاء فى محيط التجارة والحكّام فى دائرة الحكومة والسياسة والطلاب والتلاميذ فى أجواء المدرسة والجامعة، والخلاصة لو كان جميع أفراد المجتمع يتحركون فى تعاملهم وتفاعلهم مع الآخرين من موقع الصدق فإن ذلک بلا شکّ سوف يحلّ الكثير من المشاكل والتحدّيات التى يواجهها المجتمع البشرى.

إنّ جميع المشاكل والمصاعب تنبع من عدم الصدق فى التعامل وفى الكلام.

وهذا المعنى يصدق أيضاً فى البعد العالمى للمجتمع البشرى، وعلى سبيل المثال إذا كانت الدول والحكومات التى تدّعى حقوق الإنسان صادقة فى الإستفادة من هذا العنوان الجميل لكانت البشرية فى عالمنا المعاصر تعيش حالة أفضل بكثير ممّا هى عليه الآن. ولكننا نرى أن هذا الإدعاء قد انحرف عن مسيره فلا نجد معالم الصدق فى التعامل بين الدول التى لا تفكر إلاّ بمصالحها الذاتية وعلى حساب الظلم والجور والفساد الفاحش، وعلى هذا الأساس فلو أن جاسوساً اسرائيلياً يقدم للمحاكمة فى نقطة من العالم فإن صراخ هؤلاء المدّعون لحقوق الإنسان سيعلو ويطغى على كلّ شىء، ولكن إذا تم سحق الشعب الفلسطينى وقتل آلاف الأشخاص من أفراد هذا الشعب

---

١ . ميزان الحكمة: باب ٢١٩٠، ح ١٠١٨٤.

٢ . ميزان الحكمة : باب ٢١٨٩، ح ١٠١٦٦.

www.makarem.ir

المظلوم فلا نجد أى اعتراض من هؤلاء بل مع كثير التعجب والتأسف نجدهم يقدّمون معالم التأييد السياسى والاقتصادى والعسكرى إلى الظالم على حساب المظلوم.

وهكذا ندرک جيداً عمق ما تحدّث به أميرالمؤمنين : «إنّ الكذب فساد كلّ شىء».

والنتيجة هى أن آية «الصادقين» توحى لجميع المسلمين بل جميع البشرية بأن يكونوا مع الصادقين.

□□

www.makarem.ir

الفصل الثانى

آيات فضائل أهل البيت (عليهم السلام)

- آية التطهير
- آية المودة
- آية المباهلة
- آية سورة الدهر
- آية التوبة لآدم

www.makarem.ir

آية التطهير

١

«سورة الأحزاب / الآية ٣٣»

أبعاد البحث

إن آية التطهير هى آية أُخرى من الآيات التى تتعلّق بولاية أميرالمؤمنين والأئمّة المعصومين (عليهم السلام). هذه الآية الشريفة والتى ينبغى التدبّر فى كلّ كلمة من كلماتها تدلُّ أيضاً على عصمة الأئمّة الأطهار (عليهم السلام).

مقدّمة

إنّ الآيات ٢٨ ـ ٣٤ من سورة الأحزاب كلّها وردت فى خطاب نساء النبىّ (صلى الله عليه وآله)ومن بين هذه الآيات الشريفة السبعة وردت آية التطهير بلسان متفاوت ومضمون مختلف، ومن ذلک تغيير الضمائر فى هذه الآية، فإننا نرى فى الآيات الشريفة قبلها ورد خمس وعشرين ضمير أو فعل يدلُّ على المؤنث، وبعد آية التطهير أيضاً نجد ضميرين وفعل كذلک يدلُّ على التأنيث ولكنّ جميع الضمائر والأفعال فى آية

www.makarem.ir

التطهير التى تقع وسط ٢٧ ضميراً وفعلاً مؤنثاً قد وردت بلسان المذكر، أو أن الضمير فيها يعود على المذكر والمؤنث كليهما، والخلاصة أن الضمائر فيها لا تختصّ بالمؤنث.

فهل أن هذا التفاوت هو من باب الإتفاق والصدفة، أو أن له حكمة خاصّة ؟

بلا شكّ أنه لم يقع صدفةً بل له علّة خاصّة لابدّ من أخذها بنظر الإعتبار.

فإذا كان المراد من آية التطهير هو نساء النبى (صلى الله عليه وآله) فلماذا تبدلّ الخطاب فى هذه الآية ولم يرد فيها الضمائر الخاصّة بالمؤنث ؟

لا شكّ أن مضمون الآية ومحتواها وتغيير الضمائر والأفعال يدلُّ على أن المراد منها ليس هو نساء النبى (صلى الله عليه وآله)، وسيأتى توضيح أكثر لهذا الموضوع فى البحوث القادمة.

الشرح والتفسير

آية التطهير، برهان واضح للعصمة

تقدّم أنه ينبغى التدبر فى كلّ كلمة من كلمات هذه الآية الشريفة مورد البحث لاستجلاء المراد الحقيقى منها :

١ ـ كلمة «إنّما» تستعمل للحصر فى اللغة العربية ويتّضح من هذه الكلمة أن المضمون الوارد فى هذه الآية الشريفة لا يتعلق بجميع المسلمين وإلاّ لا معنى لاستخدام هذه الكلمة.

«الرجس» الذى تحدّثت عنه هذه الآية لم يرفع من الجميع بل أراد الله رفعه من بعض الأفراد بخصوصهم، مضافاً إلى أن «الرجس» يراد به رجس خاصّ، وقد أراد الله إزالته عن أفراد معينين وتطهيرهم منه.

وبما أن التقوى العادية تستوعب جميع المسلمين والواجب على جميع المسلمين تطهير أنفسهم من الرذائل والذنوب، فإنّ المراد من هذه الآية وما يختصّ بهؤلاء الأفراد المعينين يجب أن يكون أعلى ممّا يراد من الأشخاص العاديين فى تقواهم وحركتهم فى خط الطاعة والإيمان.

٢ ـ (يُريدُ اللهُ).

www.makarem.ir

فما هو المراد من إرادة الله ؟ هل هى الإرادة التشريعية أو الإرادة التكوينية ؟

الجواب : للإجابة على هذا السؤال يلزمنا بعض التوضيح حول مفهوم الإرادة التكوينية والتشريعية :

الإرادة التشريعية : هى الإرادة التى تعنى أوامر الله تعالى ودستوراته من الواجبات والمحرمات الواردة فى الشريعة المقدّسة، والآية ١٨٥ من سورة البقرة هى أحد الآيات التى وردت فيها الإرادة الإلهية بمعناها التشريعى حيث ذكر الله تعالى فى هذه الآية الشريفة بعد بيان وجوب صوم شهر رمضان المبارک واستثناء هذا الحكم بالنسبة إلى المسافر والمريض يقول :

(يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ).

فالمقصود من الإرادة الإلهية هنا هى الإرادة التشريعية، أى أن أحكام الله تعالى فى شهر رمضان سهلة ويسيرة للإنسان المؤمن بل إن جميع أحكام الإسلام هى كذلک، ولذلک قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

«بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ بِالْحَنَفِيَّةِ السَّمْحَةِ السَّهْلَةِ».[١]

«**الإرادة التكوينية**» هى الإرادة التى تستخدم فى مقام الخلق والتكوين فقد أراد الله تعالى خلق العالم وخلق سائر الكائنات والمخلوقات.

وكمثال على هذه الإرادة الإلهية ما ورد فى الآية ٨٢ من سورة يس حيث يقول تبارک وتعالى فى هذه الآية :

(إِنَّما أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ).

فالمقصود من هذه الإرادة فى الآية الشريفة هى الإرادة التكوينية، وفى الحقيقة أن قدرة الله تعالى على هذا الكون وسلطته على الكائنات إلى درجة من الشدّة والإستحكام بحيث إنه إذا أراد أن يخلق مثل هذا العالم الذى نعيش فيه فيكفى أن يصدر أمره بذلک، وطبقاً للأقوال العلماء أن الشمس أكبر من الأرض بمليون ومائتين ألف مرّة ويحتوى على مائة ميليارد نجم فى المنظومة الشمسية فى مجرتنا لوحدها وحجم كلٌّ واحد

١ . بحار الأنوار : ج ٦٥، ص ٣٤٦.

www.makarem.ir

منهما بحجم الشمس بالمقدار المتوسط، فلو أراد الله أن يخلق مثل هذا العالم لكفى أن يأمر ويقول : كن فيكون «اَلْعَظَمَةُ لله الْواحِدِ الْقَهّارِ».

وبعد أن تعرّفنا على هذين المعنيين للإرادة الإلهية نتساءل : هل أن المراد بالإرادة الإلهية فى آية التطهير هى الإرادة التشريعية أو التكوينية ؟ أى أن الله تعالى هل أراد من أهل البيت أن يعيشوا الطهارة والإبتعاد عن الرجس والرذائل، أو أن الله تعالى هو الذى سيقوم بتطهير هؤلاء الأشخاص من الرجس والرذيلة ؟

الجواب : بلا شكّ أن المراد هنا الإرادة التكوينية، لأن الأمر بالطهارة والتقوى لا يختص بأهل البيت بل هو دستور عام وتشريع شامل لجميع المسلمين، فى حين أننا قرأنا سابقاً أن مقتضى كلمة «إنّما» هو الحصر بدائرة معيّنة، وهم أهل البيت (عليهم السلام)ولا يشمل جميع المسلمين.

والنتيجة هى أن الله تعالى بإرادته التكوينية أراد أن يسجّل فضيلة وموهبة اُخرى لأهل البيت (عليهم السلام) ويمنحهم «العصمة» فى واقعهم الروحى وملكاتهم الأخلاقية بحيث يبتعدون عن كلّ رجس ورذيلة ويعيشون الطهارة من الذنوب والخطايا.

سؤال : هل أن العصمة فى هؤلاء المعصومين تتمتع بحالة من الجبر ؟

وبعبارة اُخرى : هل أن هؤلاء العظماء يجتنبون المعاصى والذنوب من دون اختيار منهم ؟ فلو كان كذلك فإنّ العصمة لا تعنى شيئاً فى دائرة الإمتياز الأخلاقى والإيمانى.

الجواب : إنّ الشىء إذا كان محالاً فى دائرة أعمال الإنسان فهو على قسمين : ١ ـ المحال العقلى، ٢ ـ المحال العادى.

«المحال العقلى» هو أن يكون وقوع الشىء محالاً كأن تكون هذه اللحظة من الزمان ليلاً ونهاراً فى آن واحد، فهذا عقلاً محال، أو تقرأ كتاباً عدد صفحاته ٤٠٠ و ٥٠٠ صفحة فى نفس الوقت، فهذا من المحال عقلاً لأنه جمع بين النقيضين والجمع بين النقيضين محال عقلاً[١].

١ . للتعرف أكثر على هذا الإصطلاح المنطقى يراجع كتاب «التعرف على العلوم الإسلامية، المنطق والفلسفة» للشهيد العلاّمة المطهرى : ص ٦٥ فما بعد.

www.makarem.ir

ولكن تارة يكون وقوع العمل ممكن عقلاً ولكنه عادة ممتنع، ومثاله أن كلُّ إنسان عاقل لا يظهر فى الشارع وأمام الناس عارياً، فهذه المسألة ممكنة عقلاً ولكنها محالٌ عادةً، وعليه فالناس بالنسبة إلى هذه الحالة معصومين لأن عقلهم لا يبيح لهم ارتكاب مثل هذا العمل الذى قبحه واضح وجلى، إذن فجميع أفراد البشر يمكن أن تكون لهم عصمة جزئية بالنسبة إلى بعض الذنوب والأفعال.

ولو تقدّمنا خطوة إلى الامام رأينا أن بعض الناس قد تكون لهم عصمة جزئية بالنسبة إلى بعض الأفعال التى هى محال عادةً، من قبيل أن من المحال أن يقوم رجل دين معروف فى اليوم الواحد والعشرين من شهر رمضان المبارک وفى محراب المسجد وهو جالس على سجادة الصلاة بشرب الخمر أمام الناس، فهذا من المحال، ولكنه ليس من المحال العقلى بل إن صدوره من مثل هذا الشخص محال عادةً لأن عقله لا يسمح له بارتكاب مثل هذا العمل فى هذا المكان وهذه الموقعيّة.

وأمّا المعصومون (عليهم السلام) فيتمتعون بمقام العصمة فى مقابل جميع الذنوب والخطايا، أى أنه رغم كونهم من الناحية العقلية يمكن صدور الذنب والمعصية منهم، ولكنّه غير ممكن عادةً لأن عقلهم وتقواهم ومعرفتهم بالنسبة إلى جميع الذنوب والمعاصى كعلم الشخص العادى بالنسبة إلى الخروج عارياً إلى الشارع، فكما أن الإنسان العادى معصوم من مثل هذا الذنب، فالأئمّة المعصومون (عليهم السلام)أيضاً يتمتعون بمقام العصمة فى مقابل جميع الذنوب، فمن المحال عادةً أن يقوموا بارتكاب المعصية حتّى لو كان صدورها منهم ممكن عقلاً.

إذن فالعصمة هنا ليست أمراً جبرياً وليست بحيث تكون خارجة عن اختيار المعصومين (عليهم السلام) وإلاّ فلا قيمة لمثل هذه الأعمال.

والنتيجة هى أن الإرادة الإلهية فى هذه الآية الشريفة هى إرادة تكوينية، والعصمة هنا لا تسلب الإختيار والإرادة من الأئمّة المعصومين (عليهم السلام) ولا تجبرهم على ترک المعصية والذنوب بل إنّ هؤلاء الرجال لا يتوجهون نحو الذنوب بكمال حريتهم واختيارهم.

www.makarem.ir

٣ ـ المراد من «الرِّجس»

الرجس بمعنى القبيح، فتارةً يطلق على الأُمور المادية القبيحة، وأُخرى على الأُمور المعنوية القبيحة، وثالثة قد يطلق ويستعمل على كلا الأمرين كما ذكر ذلك الراغب فى مفرداته.

ولكلٍّ مورد من هذه الموارد الثلاثة فى استعمال كلمة «الرجس» هناك شاهد من القرآن الكريم :

ألف ـ الرجس المعنوى : وهو ما ورد فى الآية ١٢٥ من سورة التوبة.

(وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كافِرُونَ).

فإنّ عبارة «**فى قلوبهم مرض**» تطلق غالباً على المنافقين ومن كانوا يعيشون المرض القلبى حقيقةً فى نفاقهم، وإلاّ فإنّ الإنسان السليم إمّا أن يقبل الأوامر الإلهية ويكون مسلماً أو يردّها ويكون كافراً، ولكن أن يقبلها فى الظاهر وفى عالم العمل والممارسة ولكنه لا يعتقد بها فى قلبه، فهذا هو النفاق وهو نوع من المرض القلبى.

وعلى أيّة حال فإنّ كلمة «الرجس» فى هذه الآية الشريفة وردت بمعنى القبح المعنوى فإنّ النفاق نوع من القبح المعنوى لا القبح المادى الظاهرى.

ب ـ الرجس الظاهرى والمادى : وهو ما ورد فى الآية ١٤٥ من سورة الأنعام :

(قُلْ لاَ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ...).

ومن الواضح أن الرجس استخدم فى هذه الآية الشريفة بمعنى القبح المادى والظاهرى.

ج ـ الرجس المعنوى والمادى : ونقرأ فى الآية ٩٠ من سورة المائدة أن «الرجس» استخدم بكلا المعنيين :

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيسِرُ وَالأَنْصابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).

www.makarem.ir

وهنا نجد أن «**الرجس**» فى هذه الآية الشريفة استخدم فى كلا المعنيين المادى والمعنوى لأن الخمر له حكم النجاسة المادية، ولكن القمار والأزلام ليست كذلك بل هى من الرجس المعنوى.

والنتيجة هى أن كلمة «الرجس» فى الآيات الشريفة لها معنى عام وتشمل جميع القبائح الظاهرية والمعنوية والأخلاقية والعقائدية والجسمية والروحية، وعليه فإنّ الله تعالى فى آية التطهير وبإرادته التكوينية قد طهّر أهل البيت (عليهم السلام) من جميع أنواع الرجس بمعناه الواسع.

والدليل على أن الرجس استخدم فى هذه الآية الشريفة فى جميع أنواع الرجس المادى والمعنوى هو إطلاق هذه الكلمة، أى أن هذه الكلمة لم ترد بالآية الشريفة مقيّدة بقيد أو مشروطة بشرط بل وردت بصورة مطلقة وبدون قيد أو شرط، فلذلک تستوعب فى مضمونها جميع أنواع الرجس.

(وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) هذه الجملة فى الواقع تأكيد وتفسير للجملة السابقة (لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ) فطبقاً لهذه الآية فإن «**أهل البيت**» طاهرون من الرجس وكلُّ عمل قبيح بالإرادة الإلهية التكوينية، فهم يتمتعون بمقام العصمة المطلقة.

من هم أهل البيت ؟

يستفاد من الآية الشريفة محل البحث أن «أهل البيت» يتمتعون بخصوصية تميّزهم عن سائر المسلمين وهى مقام الطهارة والعصمة المطلقة، ولكن هنا يثار هذا السؤال وهو : من هم أهل البيت ؟

وفى مقام الجواب عن هذا السؤال هناک نظريات مختلفة فى تفسير كلمة «أهل البيت» حيث نكتفى هنا بذكر أربعة منها :

١ ـ ما ذكره بعض المفسّرين من أهل السنّة من أن المراد من أهل البيت هنا زوجات النبىّ الأكرم (صلى الله عليه وآله)[١] وطبقاً لهذا التفسير لا يكون الإمام علىّ وفاطمة والحسن

١ . القرطبى ـ تفسير الفرقان : ج ۶، ص ۵۲۶۴، وقد نقل هذه النظرية عن «الزجاج».

www.makarem.ir

والحسين (عليهم السلام)من أهل البيت، وبعبارة أُخرى أن أهل البيت هم الذين يرتبطون بالنبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) برابطة سببية لا نسبية.

ودليلهم على هذه النظرية هى أن آية التطهير وردت ضمن آيات قرآنية تتعلق بنساء النبيّ (صلى الله عليه وآله) فهناک آيات قبلها وبعدها تتحدّث عن نساء النبيّ (صلى الله عليه وآله)، وسياق الآية يقتضى أن هذه الآية الشريفة أيضاً متعلّقة بنساء النبيّ (صلى الله عليه وآله).

ولكن هذه النظرية باطلة لِدليلين:

الأوّل : أنه كما تقدّم سابقاً من أن الآيات الخمسة قبل آية التطهير وكذلک صدر الآية ٣٢ من سورة الأحزاب التى وقعت آية التطهير فى ذيلها تتضمن ٢٥ ضمير وفعل وردت بصياغة المؤنث وفى الآية التى تليها «الآية ٣٣» هناک فعل وضمير يختص بالمؤنث أيضاً، ولكن ضمائر وأفعال آية التطهير كلّها تعود إلى المذكر أو تشمل المذكر والمؤنث وعليه لا تكون شاملة لبعض نساء النبى لوحدهنّ قطعاً.

وعلى هذا الأساس ونظراً إلى أن القرآن هو كلام الله تعالى وقد ورد بأبلغ بيان وأفصح عبارة، ولذلک لابدّ أن يكون هناک سبب فى تغيير الضمائر والأفعال حيث يكون المراد من أهل البيت هم أفراد غير نساء النبى بحيث إن الله تعالى غيّر من سياق الآية وجعلها متميّزة عن بقية الآيات الشريفة.

فطبقاً لهذا البيان يكون المراد من أهل البيت ليس نساء النبى قطعاً بل المقصود أشخاص آخرون لابدّ من البحث عنهم من خلال الأدلّة والبراهين.

الثانى : هو أنه بالإلتفات إلى ما تقدّم من شرح وتفسير آية التطهير فإنّ أهل البيت يتمتعون بمقام العصمة المطلقة، ولا نجد من العلماء والمفسّرين من الشيعة والسنّة يقولون بعصمة نساء النبى، فإن نساء النبى رغم أنهنَّ نساء مؤمنات ولكن لا يمكن ادعاء العصمة لهنّ بل يمكن ادعاء أن البعض قد ارتكبن ذنوب كبيرة ثبتت بالأدلة القاطعة وكنموذج على ذلک :

www.makarem.ir

كان علىّ بن أبى طالب (عليه السلام) الخليفة الوحيد الذى كان يتمتع من جهة بالتنصيب من قبل الله تعالى، ومن جهة أُخرى تمت خلافته بانتخاب المسلمين وكان هذا الانتخاب يختلف عن الإنتخابات السابقة للخلفاء، لأن الخليفة الأوّل لم ينتخبه سوى عدّة قليلة فى سقيفة بنى ساعدة ثمّ أجبروا الناس على بيعته لاحقاً، وأما الخليفة الثانى فتم نصبه من قبل الخليفة الأوّل، والخليفة الثالث تولّى سدة الخلافة بثلاث آراء من الشورى الذين نصبهم الخليفة السابق، ولكن الإمام على (عليه السلام) واجه فى مسألة بيعته للخلافة رغبة جميع الناس وازدحامهم وإصرارهم على البيعة رغم أن ذلک كان على خلاف ميله ورغبته حتّى أنه قال :

«**حتّى لقد وُطىء الحسنان**».[١]

ولكن بالرغم من ذلک فإننا نرى أن إحدى نساء النبىّ رفعت لواء المعارضة والمخالفة لهذا الخليفة ووصى النبى (صلى الله عليه وآله) بالحقّ ونقضت بيعته وتحركت على خلاف وصية النبى لنساءه بأن لا يخرجن من بيوتهن، فتحركت وخرجت من المدينة وركبت الجمل متوجهة إلى البصرة، وعندما وصلت إلى منطقة الحوأب وسمعت صوت الكلاب تذكرت قول النبى (صلى الله عليه وآله) لها وقالت : «إنا لله وإنا إليه راجعون ! ردّونى ردّونى، هذا الماء الذى قال لى رسول الله : لا تكونى التى تنبحک كلاب الحوأب».[٢]

عندما سمعت باسم هذه المنطقة وقيل لها أنها تدعى «الحوأب» عزمت على الرجوع ولكن الأشخاص المتصدين لتثوير الناس للحرب منعوها من ذلک بشتّى الحيل واستمرت فى مسيرها.

فهل أن مثل هذه المرأة التى خالفت كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورفعت لواء المعارضة والحرب على خليفته بالحقّ وسببت فى سفک دماء أكثر من ١٧ ألف نفر من المسلمين هل أنها معصومة وطاهرة من الرجس والمعصية ؟

---

١ . نهج البلاغة : الخطبة ٣ (الخطبة الشقشقية).

٢ . تاريخ اليعقوبى : ج ٢، ص ١٨١.

www.makarem.ir

والملفت للنظر أن هذه المرأة هى قد اعترفت بخطأها بنفسها، وفى مقام الجواب على من سألها عن سبب إقامتها هذه الحرب الضروس وأنه من المسؤول عن كلّ هذه الدماء ؟ أظهرت الأسف وقالت انه من التقدير الإلهى وتمنت أن هذه الواقعة لم تكن قد وقعت.

وعلى الرغم من أنها اعترفت بخطأها بحيث لا يمكن قبول أىّ توجيه وتبرير لذلک فإنّ بعض العلماء المتعصبين من أهل السنّة ذهبوا إلى أن ذلک نوع من الإجتهاد وأن عائشة لم تكن على خطأ فى ذلک.

فهل يصحّ هذا الكلام والإدعاء ؟ هل أن الإجتهاد فى مقابل خليفة النبىّ بالحقّ والذى تقول عنه عائشة «انه أفضل الناس وكلُّ من أبغضه كافر» اجتهاد صحيح ؟ فإذا فتحنا هذه الذريعة وقبلنا بهذا التبرير فى هذا المورد فلا يبقى أىُّ مذنب على وجه الأرض، لأن كلّ خطأ له تبرير واجتهاد ويمكن للإنسان أن يحمل معصيته على سبيل الإجتهاد والإستنباط.

والنتيجة هى أن حرب الجمل لم يكن لها أىُّ تبرير منطقى، ولا شكّ فى أنّ الأشخاص الذين تولّوا إشعال هذه الحرب من المذنبين والخاطئين ولا يمكن القول أنهم مطهرون من الرجس والذنب.

٢ ـ النظرية الثانية أن المراد من أهل البيت هنا الرسول الأكرم والإمام علىّ والحسن والحسين وفاطمة (عليهم السلام) ونساء النبى[١].

وطبقاً لهذه النظرية فإنّ أحد الإشكالات الثلاثة المتقدمة على النظرية الأُولى (الإشكال الأوّل) سينتهى، وبما أن مجموعة النساء والرجال فى مقام الخطاب فانه يستعمل فى حقّهم ضمير المذكّر وصحّ مجى هذه الآية بضمير المذكر، ولكن يبقى الإشكالين الآخرين (حيث تقدّم بيانهما فى الردّ على النظرية الأُولى) وعليه فإنّ هذه النظرية غير قابلة للقبول.

١ . التفسير الكبير : ج ٢٥، ص ٢٠٩.

www.makarem.ir

٣ ـ وذهب بعض آخر من المفسّرين إلى أن المراد من «أهل البيت» هم القاطنون فى مكّة المكرّمة، وقالوا إنّ المراد من «أهل البيت» هنا هو بيت الله الحرام والكعبة المعظمة، وعليه فإنّ «أهل البيت» فى هذه الآية هم أهالى مكّة.

وبطلان هذه النظرية واضح أيضاً حيث يرد عليها الإشكالين السابقين فى النظرية الأُولى، مضافاً إلى أن أهالى مكّة لا يمتازون عن أهالى المدينة حتّى يقال بأن الله تعالى أذهب عنهم الرجس وطهّرهم من الذنب.

٤ ـ وهى نظرية جميع علماء الشيعة والتى لا يرد عليها أى من واحد من الإشكالات السابقة وهى أن المراد من «أهل البيت» فى هذه الآية هم أشخاص معينون من أهل البيت، أى الإمام علىّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وعلى رأسهم النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله).

والشاهد على صحّة هذه النظرية انه لا يرد أىّ من الإشكالات الثلاثة المذكورة فى النظرية الأُولى، مضافاً إلى الروايات الكثيرة الدالّة على صحّة هذه النظرية الرابعة حيث يقول العلاّمة الطباطبائى فى «الميزان» بأن عدد هذه الروايات يبلغ أكثر من سبعين رواية[١]، والملفت للنظر أن أكثر هذه الروايات مذكورة فى مصادر أهل السنّة المعتبرة ومنها :

١ ـ صحيح مسلم[٢] الذى هو من أهم الكتب الحديثية المعتبرة لديهم.

٢ ـ صحيح الترمذى[٣] وهو أحد الصحاح الستة لدى أهل السنّة.

٣ ـ المستدرک على الصحيحين[٤].

٤ ـ السنن الكبرى للبيهقى[٥] هذا الكتاب رغم أنه يحوى غالباً الروايات الفقهية إلاّ أنه يتضمن روايات غير فقهية.

---

١ . الميزان مترجم : ج ٣٢، ص ١٧٨.

٢ . صحيح مسلم : ج ٤، ص ١٨٨٣، ح ٢٤٢٤ (نقلاً عن نفحات القرآن : ج ٩، ص ١٤٣).

٣ . احقاق الحقّ : ج ٢، ص ٥٠٣.

٤ . المستدرک على الصحيحين : ج ٢، ص ٤١٦ (نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٢ ص ٥٠٤).

٥ . السنن الكبرى : ج ٢ ص ١٤٩.

www.makarem.ir

٥ ـ الدرّ المنثور للسيوطى.[١]

٦ ـ شواهد التنزيل[٢] للحاكم الحسكانى النيشابورى.

٧ ـ مسند أحمد[٣].

وعلى هذا الأساس فإن الروايات التى تفسر «أهل البيت» بالخمسة من آل الكساء هى من جهة أكثر عدداً، ومن جهة أُخرى مذكورة فى الكتب المعتبرة جداً لدى أهل السنّة.

الفخر الرازى يتحدّث عن هذه الروايات ومقدارها وميزان اعتبارها ويعترف بهذه الحقيقة ويقول فى ذيل تفسير آية المباهلة «الآية ٦١ من آل عمران» :

واعلم أن هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث[٤].

والنتيجة هى أن الروايات التى تفسر «أهل البيت» بهؤلاء الخمسة لا تقبل النقاش من حيث المقدار والإعتبار، ونكتفى هنا بذكر رواية واحدة من مجموع هذه الروايات، وهى رواية الكساء.

هذه الرواية ذكرت فى المصادر الحديثية على نحوين :

١ ـ بالتفصيل ٢ ـ باختصار.

أما حديث الكساء المفصّل والذى يُقرأ عادةً لشفاء المرضى وحل المشكلات فليس بحديث متواتر، ولكن حديث الكساء المختصر متواتر فى مضمونه حيث تقول الرواية :

«عن أُمّ سلمة (زوجة النبى) أن النبى كان فى بيتها وجاءته فاطمة بالطعام، فقال لها : ادع لى بعلك وابنيک. فجاؤوا فتناولوا الطعام ثمّ نشر (صلى الله عليه وآله) عليهم الكساء وقال :

اَللّهُمَّ إنَّ هؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتى وَخاصَّتى اَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ، فَنَزَلَ جِبْرَئيلُ (إنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً).

---

١ . الدرّ المنثور : ج ٥، ص ١٩٨.

٢ . شواهد التنزيل : ج ٢، ص ١٠ ـ ٩٢.

٣ . مسند أحمد : ج ١،ص ٣٣٠،و ج ٤، ص ١٠٧ و ج ٦، ص ٢٩٢ (نقلاً عن نفحات القرآن : ج ٩، ص ١٤٤).

٤ . تفسير الفخر الرازى : ج ٨، ص ٨٠ .

www.makarem.ir

فقلت : يا رسول الله وأنا معكم ؟ فقال : إنكِ على خير»[١].

وفى حديث آخر نقلت هذه الواقعة عن عائشة أيضاً[٢].

والنتيجة أن أهل البيت طبقاً لهذه الروايات هم الخمسة من أهل الكساء.

سؤال : ما هى الحكمة من هذا العمل ؟ ولماذا أقدم الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) على ضمّ أهل بيته تحت الكساء وأن يقول هذه العبارة الجميلة ؟ ولماذا لم يأذن لأُمّ سلمة وعائشة أن يدخلا تحت الكساء ؟

الجواب : إنّ هدف النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) من كلّ هذه التشريفات والدقائق المحفوفة بهذه الواقعة هو أنه أراد أن يميّز أهل البيت ويعرّفهم للناس بحيث لا يبقى معه أىُّ غموض أو إبهام وحتّى لا يقول الأشخاص الذين يأتون بعد ذلک الزمان أن المراد من «أهل البيت» هم أشخاص آخرين.

ولهذا السبب فإنّ الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) لم يكتفِ بهذه التشريفات أيضاً بل طبقاً للرواية المذكورة فى مصادر مختلفة منها «شواهد التنزيل» نقلاً عن أنس بن مالک الخادم الخاص لرسول الله تقول : أن رسول الله بعد هذه الحادثة كان يأتى كلّ يوم قبل أذان الصبح وقبل إقامة صلاة الجماعة إلى بيت علىّ وفاطمة ويقف أمام البيت ويكرر هذه العبارة :

«**اَلصَّلاةَ يا أَهْلَ الْبَيْتِ. (إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)**.

وهذا العمل استمر إلى ستة أشهر بلا انقطاع[٣].

هذه الرواية أعلاه نقلت أيضاً عن أبى سعيد الخدرى حيث يقول أيضاً :

«إنّ النبى الأكرم كان يعمل هذا العمل لمدّة ثمانية أشهر»[٤].

---

١ . شواهد التنزيل : ج ٢، ص ٢۴ و ٣١.

٢ . شواهد التنزيل : ج ٢، ص ٣٧ و ٣٨.

٣ . شواهد التنزيل : ج ٢، ص ١١ و ١٢ و ١٣ و ١۴ و ١۵.

۴ . شواهد التنزيل : ج ٢، ص ٢٨.

www.makarem.ir

ولعلّ النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) قد استمر على هذا العمل أكثر من هذه المدّة ولكن أنس ابن مالک اقتصر على ستة أشهر وأبو سعيد الخدرى اقتصر على ثمانية أشهر[١].

وعليه فإنّ هدف النبى فى فصل أهل البيت عن نسائه وتعيين المصداق الكامل والواضح لكلمة «أهل البيت» هو بيان هذه الحقيقة للمسلمين بشكل واضح وجلى بحيث لا نجد مورداً آخر قام النبى (صلى الله عليه وآله) بتكرار عمل معيّن إلى هذه الدرجة، فهل أن كلّ هذه التأكيدات والتوصيات والتوضيحات لا تكفى للقول بأن أهل البيت هم هؤلاء الخمسة ؟ وهل من الصحيح أن نفسّر هذه الآية بتفسيرات بعيدة عن أجواءها ؟

لماذا يذهب البعض فى مثل هذه القضية الواضحة كالشمس فى رابعة النهار إلى مذاهب متفرقة ويوقعوا أنفسهم والآخرين فى مزالق الضلالة والإنحراف ؟

الجواب على هذا السؤال واضح أيضاً، وهو أن التفسير بالرأى والمسبوقات الفكرية لهؤلاء تشكل حجاباً سميكاً على بصيرتهم فلا يدركوا معه ما يخالف نظراتهم المسبقة حتّى وإن كانت كوضح الصبح أو لا يريدون أن يقبلوا بالحقيقة.

ربّنا ! نسألک أن تأخذ بأيدينا فى طريق الهداية والحقّ دائماً ولا تحرمنا من أنوار هدايتک لحظة واحدة.

إلهنا ! جنبنا من الوقوع فى التفسير بالرأى وخاصة بالنسبة إلى القرآن الكريم والمعارف الدينية وإعنا بالبرهان القاطع على الوصول إلى الحقّ والحقيقة.

□□

الجواب على الأسئلة

قد تثار بعض الأسئلة وعلامات الإستفهام حول آية التطهير، حيث نستعرض هنا نماذج من هذه الأسئلة ونجيب عليها :

١ . وقد نقل عن أبى سعيد الخدرى أن المدّة كانت ٩ أشهر (انظر : شواهد التنزيل : ج ٢، ص ٢٩).

www.makarem.ir

السؤال الأوّل : إنّ أكثر ما تدلُّ عليه آية التطهير هو عصمة أهل البيت، أى الإمام على، وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وعلى رأسهم النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)، ولكن الآية محل البحث لا ترتبط بمسألة الإمامة والولاية.

وبعبارة أُخرى : إننا نبحث هنا عن الآيات الشريفة التى تدلُّ على ولاية وإمامة أميرالمؤمنين (عليه السلام)، والآية المذكورة لا تدلُّ على هذا الأمر بل غاية ما تدلُّ عليه هو عصمة أهل البيت، فلماذا نستدلّ بهذه الآية الشريفة على الإمامة ؟

الجواب : لو ثبت مقام العصمة لأهل البيت (عليهم السلام) فإنّ الإمامة سوف تثبت لهم أيضاً، لأنه كما تقدّم أن الطاعة للإمام هى مطلقة وغير مقيّدة بقيد أو شرط، ولا يمكن تحقق هذا المعنى من الطاعة إلاّ لمن كان يتحلّى بمقام العصمة، أى أن الإمام يجب أن يكون معصوماً، ومن جهة أُخرى فلو تقرر أن يكون الإمام منتخباً من الناس أو منصوباً من قبل غيره فإنّه مع وجود المعصوم لا ينبغى التمسّک بإطاعة غير المعصوم.

يقول تبارک وتعالى فى الآية ١٢٤ من سورة البقرة فى حديثه عن النبى إبراهيم (عليه السلام)عندما نصبه الله تعالى إماماً للناس بعد أن نجح فى الإبتلاءات والإمتحانات الصعبة وبعد أن كان يتحلّى بمقام النبوّة وكان من أُولى العزم وخليلاً للرحمن، فإنّ إبراهيم بعد أن نال مقام الإمامة طلب من الله تعالى استمرار الإمامة فى ذرّيته (ومن ذرّيتى) فأجابه الله تعالى :

(لايَنالُ عَهْدى الظَّالِمين).

ومن هنا نعلم أن العصمة جزءٌ لا يتجزأ من الإمامة، والأشخاص الذين تلوثوا بالظلم لا يصلحون لهذا المقام الشريف حتّى لو كانوا قد انحرفوا وتلوثوا بالمعصية فى أزمنة سابقة.

السؤال الثانى : سلمنا أن الإمام يجب أن يكون معصوماً، ولكن هل يعنى هذا أن كلّ معصوم إمام ؟ ألم تكن فاطمة الزهراء (عليها السلام) معصومة، إذن فلماذا لم تكن إماماً ؟

www.makarem.ir

الجواب : إنّ العصمة بالنسبة إلى النساء لا تستلزم مقام الإمامة، ولكنها بالنسبة إلى الرجال هناك ملازمة بينهما، ولهذا لا نجد معصوماً بين رجال العالم غير النبىّ والأئمّة الطاهرين (عليهم السلام).

السؤال الثالث : تقدّم فى الأبحاث السابقة أنّ اختلاف الضمائر فى آية التطهير مع الضمائر قبلها وبعدها والتى تتحدّث فيها الآية الشريفة عن نساء النبى (صلى الله عليه وآله) هو السبب فى أن يكون المخاطب فى آية التطهير غير نساء النبى، فى حين أننا نجد مثيلاً لهذا الإختلاف فى الضمائر فى قصة البشارة لإبراهيم (عليه السلام) بالولد فى شيخوخته، لأنّ المخاطب فى الآية الشريفة هو زوجة النبىّ إبراهيم (عليه السلام)فى قوله تعالى :

(قالُوا أَتَعْجَبينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ).[1]

فطبقاً لهذه الآية أنّ المخاطب بضمير «عليكم» هو زوجة النبىّ إبراهيم.

الجواب : إنّ المخاطب فى جملة «أتعجبين» هو زوجة إبراهيم فقط، ولهذا ورد الفعل بصورة المفرد للمخاطب المؤنث، ولكنّ المخاطب بكلمة «عليكم» هو جميع أفراد أُسرة النبىّ إبراهيم من الزوج والزوجة، فى حين أن المخاطب فى آية التطهير وطبقاً للأدلّة السابقة لا يمكن أن يكون نساء النبى لا بالإستقلال ولا بالإنضمام إلى الخمسة أصحاب الكساء.

السؤال الرابع : إذا كان المخاطب فى آية التطهير هو الخمسة من أصحاب الكساء فقط، إذن فلماذا وردت آية التطهير ضمن الآية التى تتحدّث عن نساء النبى ؟

الجواب : إنّ آيات القرآن الكريم كما ذكر العلاّمة الطباطبائى[2] وآخرون لم تنزل فى وقت واحد، بل كانت الجمل المذكورة تنزل أحياناً فى آية واحدة على فترات متباعدة، حيث إنّ آيات القرآن نزلت بحسب الحاجة والحوادث الواقعة، وعلى هذا الأساس فمن الممكن أن تكون الآية التى تتحدّث عن نساء النبى (صلى الله عليه وآله)قد نزلت فى فترة

١ . سورة هود : الآية ٧٣.

٢ . الميزان، ذيل الآية أعلاه.

www.makarem.ir

معيّنة ثمّ نزلت بعد ذلک آية التطهير وبعد طلب النبيّ الكريم المبنى على طهارة أهل البيت، وبعد ذلک نزلت آيات اُخرى تتعلق بظروف خاصّة وحوادث معيّنة اُخرى، وعليه فلا يلزم من ذلک أن يكون هناک ارتباط وثيق بين آيات القرآن الكريم أجمع.

النتيجة : إن آية التطهير تدلُّ من جهة على عصمة الخمسة من أصحاب الكساء (عليهم السلام)، وتدلُّ أيضاً على ولاية وإمامة أميرالمؤمنين (عليه السلام) من جهة اُخرى.

□□

www.makarem.ir

آية المودة

٢

«سورة الشورى / الآية ٢٣»

أبعاد البحث

عندما نستعرض آراء ونظرات علماء أهل السنّة ومفسّريهم حول هذه الآية نجد أنهم قد تورطوا فى ظاهرة التفسير بالرأى نتيجة المسبوقات الفكرية والذهنية لديهم، ولهذا نرى أن تفسيرهم لهذه الآية الشريفة عجيب وغريب جدّاً حيث سنتطرق إليه لاحقاً، وأما علماء الشيعة فنجد لديهم تفسيراً واضحاً وجليّاً لهذه الآية الشريفة من خلال الإستيحاء من تعاليم أهل البيت (عليهم السلام).

نظرة إلى الآيات السابقة

ونرى من اللازم لأجل توضيح المطلب فى تفسير آية المودّة أن يكون لدينا بحث إجمالى حول الآية السابقة، أى الآية ٢٢ من سورة الشورى، وكذلک صدر آية المودّة الذى لم نذكره آنفاً.

تقول الآية : (والّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلوُا الصَّالِحاتِ).

www.makarem.ir

بعد أن ذكر الله تعالى فى الآيات السابقة عاقبة الظالمين تتطرق هذه الآية لذكر مستقبل المسلمين الذين يتحركون من موقع الإيمان والعمل الصالح ولا يقنعون بمجرد الشهادة بالتوحيد ونبوّة النبى الأكرم بل يتحركون على مستوى الممارسة والعمل للإتيان بالخيرات والأعمال الصالحة، وفى هذه الآية الشريفة وضمن بيان العاقبة الحسنة للمؤمنين هؤلاء تقرر ثلاثة أنواع مهمة من الثواب الأُخروى المعدّ لهم :

١ ـ «**فِي رَوْضاتِ الْجَنّاتِ**» فأوّل ثواب يحصل عليه هؤلاء المؤمنين فى الآخرة هو دخولهم إلى الجنّة.

سؤال : أين تقع «روضات الجنّات» ؟

الجواب : عندما نستقرى الآيات القرآنية فإننا لا نجد هذه العبارة سوى فى آية ٢٢ من سورة الشورى، والعرب يطلقون على الحدائق الطرية والبساتين النضرة كلمة «روضة» وجمعها «روضات».

وبالطبع أحياناً تطلق هذه الكلمة على محل اجتماع الماء، ولكن المراد بكلمة «روضة» فى هذه الآية هو المعنى الأوّل، إذن فروضات الجنّات تعنى بساتين الجنّة اليانعة.

سؤال : نظراً إلى أن جميع أماكن الجنّة ومناطقها على شكل بساتين وحدائق نضرة ويانعة، فما معنى عبارة «فى روضات الجنّات» ؟

الجواب : يستفاد من العبارة أعلاه أنه مضافاً إلى دخولهم الجنّة فإنّ بساتين خاصّة تكون من نصيب هؤلاء المؤمنين.

والنتيجة هى أن أوّل ثواب وامتياز للمؤمنين الذين يعملون الصالحات هو «**روضات الجنّات**».

٢ ـ «**لَهُمْ ما يَشاءُونَ**» فإنّ المؤمنين الذين يعملون الصالحات مضافاً إلى الإمتياز الأوّل وسكنهم فى روضات الجنّات فإنّهم ينالون هناك كلّ ما يشاءون، وفى الحقيقة أننا لا نجد مسألة يمكن أن تتصور أعلى من هذا المعنى بالنسبة إلى النعم المادية، بحيث إن الإنسان ينال كلّ ما يريده ويطلبه.

www.makarem.ir

٣ ـ «عِنْدَ رَبِّهِمْ» ويشمل هذا النِعم المادية والمعنوية فى الجنّة، فمن حيث النِعم المادية فقد تقدّم أن المؤمنين الذين عملوا الصالحات يعيشون فى أحسن الأحوال، ومن الجهة المعنوية

كذلک أيضاً لأنهم يعيشون مقام القرب الإلهى «عند ربّهم» وهو المقام الذى ذكر للشهداء فى سورة آل عمران الآية ١٦٩، وأما المراد بعبارة «عند ربّهم»، وما هى البركات المترتبة على هذا المقام ؟ فغير معلوم لنا.

«ذلِکَ هُوَ الْفَضلُ الْکَبِيرُ» فبما أن هؤلاء المؤمنين يعيشون فى أفضل الحالات المادية والمعنوية فى روضات الجنّات فلذلک عبّر الله تعالى عن هذا المقام بأنه «فضل كبير»، وعندما يطلق الله تعالى هذه الكلمة على نعمة وموهبة من المواهب الإلهية يتبيّن من ذلک عظمة هذه النعمة والموهبة بحيث تفوق حدّ التصور.

والنتيجة : أن معيار العبودية لله تعالى أمران : الإيمان والعمل الصالح، وعليه فإنّ الأُمور الأُخرى من قبيل العلم والثروة والقدرة والإعتبار الإجتماعى وأمثال ذلک لا تكون ذات قيمة إلاّ إذا قيست بهذا المعيار وتحرّک الإنسان معها فى خطّ الإيمان والعمل الصالح.

(ذلِکَ الَّذِى يُبَشِّرُ اللهُ عِبادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلوُا الصَّالِحاتِ) ففى هذه الآية الشريفة تكرر القول بأن الأُمور المذكورة سابقاً «روضات الجنّات»، «لهم ما يشاءُون» و«عند ربّهم» هى مواهب يبشّر الله تعالى بها المؤمنين من ذوى الأعمال الصالحة لكى تساهم هذه البشارة فى رفع ثقل الطاعة وتحمل المسؤولية وتمنح الإنسان قوّة فى خط التصدى للأهواء والشهوات.

ومع الإلتفات إلى ما ذكرنا أعلاه حول الآية الشريفة، نبدأ بشرح وتفسير آية المودّة :

الشرح والتفسير

مودّة أهل البيت، أجر الرسالة

www.makarem.ir

(قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً) لاشكّ أن نبى الإسلام (صلى الله عليه وآله) تحمّل فى طريق إبلاغ الرسالة ونشر الدعوة السماوية، أتعاباً كثيرة ومشقّات باهظة ولكنه بالرغم من ذلك لم يطلب أجراً مقابل هذه الأتعاب والمشقّات، وعندما جاءه بعض المسلمين وقالوا له : إذا كنت تشكو من فاقة ونقص مالى فإننا نضع بين يديک أموالنا بدون قيد أو شرط، فنزلت الآية أعلاه[١]

وأكدّت على أن النبى لا يريد أجراً فى مقابل أداء الرسالة وتبليغ الدعوة.

(إلاَّ الْمَودَّةَ فِي الْقربى) وهنا يستثنى القرآن الكريم من الأجر شيئاً واحداً، وهو أن نبى الإسلام لا يطلب من المسلمين شيئاً بعنوان أجر الرسالة إلاّ «المودّة» لأقربائه وأرحامه.

والنتيجة هى أن نبى الإسلام لم يطلب شيئاً بعنوان أجر فى مقابل أتعابه وزحماته للإسلام والمسلمين سوى أمراً واحداً وهو «مودّة أقربائه وأرحامه».

من هم القربى ؟

إنّ جميع الأبحاث التى تدور حول هذه الآية الشريفة تتركز على كلمة «القربى» وتفسيرها، فمن هم القربى فى هذه الآية والذين طلب رسول الله من المسلمين مودّتهم ومحبّتهم بعنوان أجر الرسالة ؟

بعض العلماء والمفسّرين مرّوا على هذه الآية مرور الكرام ولم يتعبوا أنفسهم فى تدبّرها والتأمل فيها، ولعلّ ذلک لأنهم لم يجدوا فيها إنسجاماً مع تصوراتهم القبلية ومسبوقاتهم الفكرية، فى حين أن الآية الشريفة عميقة المغزى، ولأجل أن ندرک عظمة هذه الآية بما فيها من معان عميقة علينا أن نستوحى ونستعين لهذا الغرض من الآيات القرآنية الأُخرى التى تتحدّث فى هذه المسألة على لسان سائر الأنبياء (عليهم السلام).

لو أمعنّا النظر فى سورة الشعراء لرأينا أن مسألة أجر الرسالة قد طرحت قبل نبى الإسلام على لسان خمسة من الأنبياء العظام وهم : نوح، هود، صالح، لوط، وشعيب

١ . التفسير الأمثل : سورة الشورى، الآية مورد البحث.

www.makarem.ir

(عليهم السلام)، ولكن هؤلاء الأنبياء لم يذكروا فى استغنائهم عن الأجر مسألة المودّة فى القربى، حيث ذكروا جميعاً هذه المسألة بقولهم :

(وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعالَمِينَ)[١].

وهنا يثار هذا التساءل : كيف لم يطلب هؤلاء الأنبياء أجراً فى مقابل أداء الرسالة ولكن

رسول الإسلام طلب الأجر عليها بعنوان «المودّة فى القربى» ؟

هل أنّ مقام هؤلاء الأنبياء أعلى من مقام نبى الإسلام ؟

بلا شكّ أن محمّد المصطفى أفضل من جميع الأنبياء، ولهذا ورد فى القرآن الكريم أن كلُّ نبىٍّ من الأنبياء يأتى يوم القيامة شاهداً على اُمّته ولكنّ نبى الإسلام يأتى شاهداً على جميع هؤلاء الشهداء (فَكَيْفَ إذا جِئْنا مِنْ كُلِّ اُمَّة بِشَهيد وَجِئْنا بِكَ عَلَى هؤُلاءِ شَهيداً)[٢].

والحقيقة أن هذه المسألة تزداد غموضاً وعمقاً، فكيف يطلب نبى الإسلام الذى هو أفضل الأنبياء الإلهيين أجراً على عمله فى حين أن جميع الأنبياء لم يطلبوا أجراً من أقوامهم ؟

الحقيقة أن الآية الشريفة تحتاج إلى مزيد من البحث والدقّة والتدبّر، رغم أن البعض قد تهاون فى ذلک ومرّ عليها مرور الكرام ليمنع من يقظة الضمير ولئلاّ يبتلى بعذاب الوجدان.

سؤال : ما هو غرض النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) من طلب هذا الأجر؟ هل أنه يهدف من طلبه هذا إرضاء مصالحه الشخصية، أو أنه يهدف من وراء ذلک إلى تحقيق غايات مقدسة اُخرى يعود نفعها على المسلمين أنفسهم ؟

الجواب : وفى مقام الجواب على هذا السؤال نرى من الضرورى أن نضع آيتين من القرآن الكريم إلى جانب آية المودّة لكى تفسّر الآيات بعضها بعضاً :

١ ـ نقرأ فى الآية الشريفة ٤٧ من سورة سبأ :

---

١ . سورة الشعراء : الآيات ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠. وقد ورد هذا المضمون فى آيات اُخرى من القرآن الكريم على لسان الأنبياء الكرام.

٢ . سورة النساء : الآية ٤١.

www.makarem.ir

(قُلْ ما سَأَلْتُكُم مِنْ أَجْر فَهُوَ لَكُمْ إنْ أَجْرِيَ إلاّ عَلَى اللهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْء شَهيدٌ).

هذه الآية الشريفة توضح بعض الإبهام فى آية المودّة حيث يتّضح أن نبى الإسلام (صلى الله عليه وآله)لم يطلب أجراً من قومه كما هو حال سائر الأنبياء، إلاّ أن مسألة «المودّة فى القربى» فى الحقيقة تعود للناس أنفسهم.

٢ ـ ونقرأ فى الآية ٥٧ من سورة الفرقان والتى هى فى الحقيقة مفسّرة للآية ٤٧ من سورة سبأ حيث تبيّن الفائدة والنفع من «المودّة فى القربى» :

(قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْر إلاَّ مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إلى ربِّه سَبيلاً).

فالآية السابقة بيّنت على أن أجر الرسالة لم يكن بدافع المصلحة الشخصية للنبى (صلى الله عليه وآله)، بل يعود النفع فيها للناس، وهذه الآية الشريفة تبيّن أن مسألة أجر الرسالة يستوحى مقوّماته من استمرار الأهداف الإلهية من الرسالة، وفى الحقيقة أن النفع يعود إلى أصل الدين.

النتيجة هى أن مسألة «أجر الرسالة» لم يكن يقوم على أساس النفع الشخصى لنبى الإسلام بل كان النبىّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) كسائر الأنبياء فى عدم طلبه الأجر الشخصى من الناس، ولكنّ أجر الرسالة المذكور فى آية المودّة هو فى الحقيقة باعث على استمرار الرسالة ودوام الدين، ومع الإلتفات إلى هذه الحقيقة وهى أن «مودّة القربى» لها هذا الإعتبار الكبير بحيث تمثّل عاملاً مهماً لاستمرار الرسالة، فهل يصحّ التعامل مع هذه الآية الشريفة من موقع عدم الإهتمام بالتدبّر فيها حذراً من انقلاب الآراء والأفكار المسبقة ؟

تفسير «القربى» فى نظر الشيعة

يتفق علماء الشيعة على أن المراد من «القربى» فى هذه الآية الشريفة هم أهل بيت النبوّة (عليهم السلام)، ولاشكّ أن «الولاية» هى استمرار للرسالة وعدل النبوّة، ولهذا فإنّ هذا الأجر «مودّة القربى» ينسجم مع الرسالة، مضافاً إلى أن الولاية تقود الناس فى خطّ الإيمان والتقوى والإنفتاح على الله تعالى.

www.makarem.ir

إذا فسّرنا آية المودّة وفقاً لما ذكره علماء الشيعة ومفسّروهم فسوف يتّضح جيداً المعنى الكامل فى آية المودّة مضافاً إلى الآيات الاُخرى المتعلقة بها، وسوف يتبين أن الإرتباط فيما بينها هو ارتباط منطقى وصحيح، والملفت للنظر أن دعاء الندبة الذى هو فى الحقيقة دورة كاملة من المعارف الإلهية المشحونة بالولاية يذكر فى مضامينه الآيات الثلاث المذكورة آنفاً، ويستنتج منها نتيجة مهمة ويتّضح أن الأئمّة هم الطرق والوسائل إلى الله تعالى والذين يقودون الناس إلى رحمة الله ورضوانه.

نظرات أهل السنّة فى معنى «القربى»

وقد ذكر أهل السنّة تفاسير مختلفة لهذه المفردة القرآنية لا تنسجم كلّها مع الآية الشريفة، وإليک بعض النماذج منها :

١ ـ قيل إن المراد من «القربى» هو محبة أهل بيت النبى (صلى الله عليه وآله) ومودتهم ولكن من دون الولاية والإمامة والخلافة، أى الإكتفاء بالإرتباط العاطفى والعلاقة الظاهرية فقط بأهل بيت النبى(صلى الله عليه وآله).

ولكن هل يمثل هذا المعنى والمفهوم من المودّة عدلاً للرسالة ؟

هل أن المحبة العاطفية فقط وبدون الولاية والإمامة يمكنها أن تكون أجراً للرسالة وبمثابة العدل لها ؟

مضافاً إلى ذلک كيف يطلب نبى الإسلام (صلى الله عليه وآله) أجر الرسالة بالمعنى الذى ذكروه لها، فى حين أن جميع الأنبياء السابقين لم يطلبوا من أقوامهم مثل هذا الأجر بل كانوا يطلبون أجرهم من الله تعالى ؟ وعليه فإنّ مثل هذا التفسير لا يمكن قبوله.

٢ ـ وذهب آخرون إلى أن المراد من «القربى» هو الأعمال الصالحة التى تقرب الإنسان من الله تعالى، وعليه فإنّ «المودّة فى القربى» تعنى العشق والشغف بالأعمال الحسنة والرغبة فى الصلاة، الصوم، الحجّ، الجهاد، صلة الرحم، احترام الكبار وأمثال ذلک، فهذه الأعمال الصالحة والسلوكيات الحسنة هى التى تمثل أجر الرسالة.

www.makarem.ir

٣ ـ وذهب البعض إلى أن كلمة «فى» الواردة فى هذه العبارة بمعنى «اللام»، وفى هذه الصورة يكون معنى الآية هو «أن أجر رسالتى وما عملته فى تبليغ الرسالة الإلهية لكم هو أن تحبوننى لأننى من أرحامكم وأقرباءكم» ثمّ ذكروا شجرة النسب للنبى (صلى الله عليه وآله) وتفاصيل ارتباطه النسبى مع قريش لبيان مقصودهم بحيث تبيّن أن جميع القبائل العربية يرتبطون بشكل أو بآخر مع النبىّ الأكرم (صلى الله عليه وآله)فى النسب.

ولكن هذا التفسير واضح البطلان لأنه :

أوّلاً : إن استعمال «فى» بمعنى «اللام» قليل جداً ونادر فى لغة العرب وليس هناك دليل وشاهد على أن المراد من العبارة المذكورة هو هذا المعنى.

ثانياً : إن محبة النبى (صلى الله عليه وآله) لوحدها لا تمثل عدل النبوّة والرسالة ويجب أن يكون أجر الرسالة متناسبة مع الرسالة نفسها.

فهل أن قوله «عليكم أن تحبوننى ولا تؤذوننى لأننى من أقربائكم» يمثل عدل الرسالة ؟

ألا يكون مثل هذا التفسير باعثاً على هبوط المعنى السامى للآية الشريفة ؟

٤ ـ والتفسير الآخر الذى هو أوهن من التفسير السابق هو أن يقال : إنّ المراد من الآية الشريفة هو «المودّة فى قرباكم وأن أجر رسالة النبى هو أن تحبّوا أقرباءكم وأرحامكم».

الإنسان يجد فى نفسه رغبة شديدة فى عدم تصديق وجود مثل هذا التفسير لدى هؤلاء العلماء، ولكنّ مع الأسف نجد البعض يصرّحون بذلك.

إنّ بطلان هذا الرأى هو أوضح من أن يحتاج إلى كلام، فهل أنّ مودّة الأقرباء للإنسان المسلم تمثل عدل للرسالة ؟ وهل أن مودّة الأقرباء تعتبر استمراراً للنبوّة ؟

أجل، عندما نتعامل مع الآيات الشريفة بسذاجة وسطحية ونحكّم المسبوقات الفكرية عليها فسوف نبتلى بمثل هذه الأخطاء والتفاسير التعسفية.

فهل أن هذا التفسير والتفسير السابق يتناسب وينسجم مع الآية الشريفة، أو أن كلّ إنسان له اطلاع قليل على لغة العرب وبلاغتهم سوف يلتفت إلى عدم انسجام مثل هذه

www.makarem.ir

التفاسير مع الآية الشريفة ؟ ولهذا السبب فإنّ هؤلاء العلماء أنفسهم اعترفوا أن هذه التفاسير مجازية وغير حقيقية، أو أنها من قبيل الإستثناء المنقطع وهو أيضاً بدوره نوع من المجاز.

لماذا نفسّر الآية القرآنية بشكل يوقعنا فى هوة المعانى المجازية وغير الحقيقية ؟

لماذا لا نفسر المودّة فى القربى بمعنى الولاية والإمامة والذى ينسجم تماماً مع الآية محل البحث وسائر الآيات المتعلّقة بها ؟

اعتراف مفروض

ومن عجائب الأيّام أن الكثير من مفسّرى أهل السنّة رووا حديثاً مفصّلاً عن النبىّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) فى ذيل هذه الآية الشريفة حول محبّة أهل البيت ومودتهم، بحيث إنّ الإنسان عندما يقرأ هذا الحديث الطويل والجذّاب ويتفكر قليلاً فى مضامينه السامية ومعانيه الراقية يمتلكه العجب والحيرة من تلكم التفاسير الجوفاء والبعيدة عن روح الآية الشريفة وأجواءها.

وهنا ننقل ما أورده الفخر الرازى فى تفسيره من الحديث النبوى حيث يقول :

«نَقَلَ صاحِبُ الكَشّافِ[1] عَنِ النَّبِيِّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) قوله (ثمّ يورد اثنى عشر فقرة جذّابة وعميقة المضامين فى هذا الحديث الشريف).

١ ـ مَنْ ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمَّد ماتَ شَهيداً.

فهل أن مثل هذه المحبّة هى محبّة عادية وطبيعية وفارغة من الولاية والإمامة ؟

إذا كانت كذلك فهل يعقل أن يكون هذا المحبّ فى صفوف الشهداء ؟

أو أن المراد من هذه المحبّة هى الحالة التى تدفع الإنسان فى مدارج الكمال والمعنويات إلى أن يصل إلى مرتبة الشهداء، وهى المحبّة المشروطة بالولاية والإمامة ؟

٢ ـ أَلا وَمَنْ ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمَّد ماتَ مَغْفُوراً لَهُ.

---

١ . جاءت هذه الرواية فى تفسير الكشّاف : ج ٤، ص ٢٢٠ و ٢٢١.

www.makarem.ir

ما هى هذه المحبّة التى تعمل على تطهير الإنسان من الذنوب والآثام بحيث أنه عندما يحين أجله فإنه سيموت طاهراً من كلِّ ذنب وستغفر له جميع الذنوب والمعاصى ؟ هل أن مثل هذه المحبّة والمودّة هى محبّة اعتيادية ؟

٣ ـ ألا ومَنْ ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمّد ماتَ تائِباً.

أى أن هذه المحبّة تقع بديلاً للتوبة، فلو أن الإنسان لم يوفق للتوبة من الذنوب فى هذه الدنيا وكان محبّاً لأهل البيت فإنه يموت كما يموت التائب من الذنوب، فما هى حقيقة هذه المحبّة ؟

٤ ـ ألا وَمَنْ ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمَّد ماتَ مُؤْمِناً مُسْتَكْمِلَ الأيمانِ

فهل يعقل أن يرتبط الإنسان بأهل البيت (عليهم السلام) برابطة اعتيادية وطبيعية ثمّ يفضى ذلک إلى كمال الإيمان ؟

من المسلّم وجود مضمون عميق فى هذه الكلمات بحيث يؤدى بالإنسان إلى الترقّى والسير فى خطّ الإيمان والتقوى ليصل بالتالى إلى أعلى مرتبة منه.

٥ ـ ألا وَمَنْ ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمّد بَشَّرَهُ مَلَکُ الْمَوْتِ بِالْجَنَّةِ ثُمَّ مُنْكِرٌ وَنَكيرٌ

ونتساءل : ما هذه المحبّة والمودّة التى تسبب فى أن ينال الإنسان البشارة بالجنّة عند موته ؟

٦ ـ ألا وَمَنْ ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمّد يُزِفُّ إلَى الْجَنَّةِ كَما تُزِفُّ الْعَرُوسُ إلى بَيْتِ زَوْجِها

أى سوف يقاد إلى الجنّة باحترام فائق وتقدير كبير، أجل فإنّ إكسير محبّة آل محمّد (عليهم السلام)له مثل هذه الآثار والمعطيات العجيبة.

٧ ـ ألا وَمَنْ ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمَّد فُتِحَ لَهُ فِى قَبْرِهِ بابانِ إلَى الْجَنَّةِ

سؤال : لماذا يفتح له بابان إلى الجنّة ؟

الجواب : لعلّ إحداهما ببركة النبوّة والأُخرى ببركة الولاية والإمامة.

٨ ـ ألا وَمَنْ ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمّد جَعَلَ اللهُ قَبْرَهُ مَزارَ مَلائِكَةِ الرَّحْمَةِ

هل يعقل أن تكون المحبّة العادية سبباً فى تحويل قبر المؤمن إلى مزار للملائكة ؟

www.makarem.ir

٩ ـ أَلا وَمَنْ ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمّد مات عَلَى السُّنَّةِ وَالْجَماعَةِ

فى هذه العبارات المذكورة أعلاه، نرى بوضوح آثار المحبّة والمودّة لأهل البيت، ثمّ إن الحديث الشريف يذكر ثلاث عبارات أُخرى تتحدّث عن العاقبة السيئة لبغض وعداوة أهل البيت (عليهم السلام).

١٠ ـ أَلا وَمَنْ ماتَ عَلى بُغْضِ آلِ مُحَمَّد جاءَ يَوْمَ الْقِيامَةِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ

إنّ من يعيش البغض لآل محمّد (صلى الله عليه وآله) من شأنه أن يهوى إلى أسفل درجات الشقاء بحيث يكون آيس من رحمة الله.

١١ ـ أَلا وَمَنْ ماتَ عَلى بُغْضِ آلِ مُحَمَّد ماتَ كافِراً

هذا الأثر السيىء لبغض آل محمّد هو أسوأ مما قبله.

١٢ ـ أَلا وَمَنْ ماتَ عَلى بُغْضِ آلِ مُحَمَّد لَمْ يَشُمَّ رائِحَةَ الْجَنَّةِ

والجدير بالذكر أن رائحة الجنّة كما ورد فى بعض الروايات تصل إلى مسافة ألف عام[١].

وطبقاً لهذه الرواية الشريفة فإنّ معنى العبارة أعلاه أن الشخص الذى يعيش حالة البغض لآل محمّد ليس فقط أنه يكون محروماً من دخول الجنّة، بل سوف يبتعد عنها بمسافة ٥٠٠ عام بحيث لا يتمكن من شم رائحتها، والخلاصة أن مثل هذا الشخص بعيد عن الجنّة جداً.

كيف يستطيع الإنسان أن يصدّق بأن عالماً كبيراً مثل الفخر الرازى يروى هذه الرواية الجميلة والعميقة المضمون والمحتوى وبكلّ هذه المعطيات المهمة والآثار الجليلة ثمّ يفسّر المحبّة والمودّة ومن دون التدبّر فى هذه المضامين بالمحبّة الظاهرية والعاطفة الطبيعية ؟ والأعجب من ذلک أنه بعد أن نقل الرواية المذكورة آنفاً شرع بتوضيح المراد من آل محمّد (عليهم السلام) الذين هم محور هذه الرواية فقال :

---

١ . ميزان الحكمة : الباب ٥٥٣، ح ٢٥٨٥. يقول الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) فى هذا لرواية :
«أخبرنى جبرئيل أن ريح الجنّة توجد من مسيرة ألف عام، ما يجدها عاق، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان...».

www.makarem.ir

«هذا هو الذى رواه صاحب الكشاف وأنا أقول : آل محمّد صلّى الله عليه وسلم هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكلّ من كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم الآل، ولا شک أن فاطمة وعلياً والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله صلّى الله عليه وسلم أشدّ التعلقات وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر»[١].

من الملفت للنظر هو أن هذه العبارات ذكرها عالم سنّى متعصب، والمفهوم من هذه الكلمات هو أقرب ما يكون إلى ما يقوله الشيعة بحيث إننى عندما كنت أقرأ هذه الكلمات شككت فى لحظة أن هذا الكتاب الذى أقرأه هل هو من تفاسير السنّة أو الشيعة ؟ فلعلنى أقرأ تفسيراً لأحد علماء الشيعة، ولكن عندما نظرت إلى الغلاف انتبهت إلى أننى أقرأ تفسير الفخر الرازى.

سؤال : نظراً لما ورد فى متن آية المودّة وكذلک ما ورد فى الآيات الاُخرى المرتبطة بها وبالتأمل والدقّة فى الرواية الشريفة المذكورة آنفاً، هل يعقل أن تكون المحبّة والمودّة التى هى محور البحث فى الآية الكريمة والرواية الشريفة يراد منها المحبّة العادية بدون الولاية والإمامة ؟

ألا يمكن أن نقطع ونتيقن بأن المراد من المودّة هنا هو الولاية والإمامة التى هى استمرار للرسالة وعدل النبوّة ؟

لولم يكن كذلک فما هو التفسير المناسب الذى يمكن بواسطته تفسير الآيات والروايات المذكورة فى محل البحث ؟

علينا أن نشكر الله تعالى على ما وفقنا لمحبّة وولاية أهل البيت (عليهم السلام) وكذلک نشكر والدينا اللذين غرسا فى قلوبنا ولاية آل محمّد (عليهم السلام).

تفسير المودّة فى كلمات الإمام الصادق (عليه السلام)

ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله :

---

١ . تفسير الفخر الرازى : ج ٢٧، ص ١٦٥ و ١٦٦. وأصل الرواية فى تفسير القرطبى : ج ٨، ص ٥٨٤٣ وكذلک نقلت فى تفسير الثعلبى، ذيل الآية محل البحث.

www.makarem.ir

«**ما أَحَبَّ اللهَ مَنْ عَصاهُ**»[١].

وعلى هذا الأساس فإنّ الإنسان الذى يتحرّک فى سلوكه الفردى والإجتماعى من موقع المخالفة للإمام على (عليه السلام) فإنه لا يحبّه قطعاً، ولهذا فإنّ المحبّة الحقيقية هى التى تقود الإنسان فى خط الطاعة والعبودية لله تعالى، ولهذا السبب نقول أن المحبّة والمودّة بدون الإتباع العملى والطاعة والعبودية هى أساساً ليست بمحبّة حقيقية ومودّة واقعية.

وهنا نلفت النظر إلى هذه القصة :

كان «حاجب» أحد الشعراء الماهرين ويتمتع بقريحة جيدة وصفاء قلب، وأحياناً كان يقوم بنضم بعض الأبيات الشعرية على مذاق العوام، وفى أحد الأيّام أنشد قصيدة فى وصف التعلّق بأميرالمؤمنين على (عليه السلام) وقال :

يا حاجب إذا كانت المعاملة فى الحشر مع على * فأذنب ما شئت فإنى ضامن**

أى أن حبّ علىّ (عليه السلام) كافل للنجاة يوم القيامة حتّى لو غرق الإنسان فى بحر الذنوب، وبهذا تكون المحبّة للإمام علىّ (عليه السلام) كما وردت فى الشعر أعلاه بمثابة ضوء أخضر للمذنبين ليرتكبوا ما يشاؤون من الذنوب والمعاصى.

وفى نفس الليلة رأى هذا الشاعر الإمام على (عليه السلام) فى عالم الرؤيا فقال له الإمام (عليه السلام) :

ـ يا حاجب ما هذا الشعر الذى قلته ؟

فقال حاجب : وكيف أقول ؟

فأصلح له الإمام هذا البيت من الشعر وقال :

يا حاجب إذا كانت المعاملة فى المحشر مع علىّ * فأخجل من على وقلل من الذنب**

وعليه فإنّ المحبّة والمودّة هنا بمعنى التحرّک فى خطّ الطاعة والرسالة والتقوى والإبتعاد عن الذنوب.

---

١ . روضة المتّقين : ج ١٣، ص ١٥٦.

www.makarem.ir

تفسير آية المودّة من خلال الروايات

لقد وردت فى شرح وتفسير هذه الآية الشريفة روايات مختلفة من طرق الشيعة والسنّة، وفيما يلى نماذج من هذه الروايات :

١ ـ نقل «أحمد» من كبار علماء أهل السنّة فى كتابه «فضائل الصحابة» عن سعيد ابن جبير عن عامر هذه الرواية :

لَمّا نَزَلَتْ (قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلاَّ الْمَوَدّةَ فِى الْقُرْبى) قالُوا : يا رَسُولَ اللهِ ؟ مَنْ قَرابَتُکَ ؟ مَنْ هؤُلاءُ الَّذِينَ وَجَبَتْ عَلَيْنا مَوَدَّتُهُمْ ؟ قالَ : عَلِىٌّ وَفاطِمَةُ وَابْناهُما، وقالَها ثَلاثاً.[1]

ونستوحى من هذه الرواية الشريفة عدّة أُمور :

الأوّل : إنّ الرواية أعلاه تصرّح بأن المراد من القربى فى هذه الآية هم أهل بيت النبى (صلى الله عليه وآله)لا النبى نفسه ولا أقرباء المسلمين ولا مطلق الأعمال الصالحة والخيّرة.

مضافاً إلى أن كلمة القربى هنا لا تستوعب جميع أقرباء النبى (صلى الله عليه وآله)، بل تتحدّد بأشخاص معدودين ذُكرت أسماءهم فى هذه الرواية.

الثانى : ونستوحى أيضاً أن هذا السؤال والإستفهام عن القربى كان يدور فى أذهان الصحابة أيضاً ولذلک لم يتوجّهوا صوب الإحتمالات الواهية التى ذكرها بعض علماء أهل السنّة بل فهموا بصورة مباشرة من المودّة هنا هى مودّة أهل بيت النبى (صلى الله عليه وآله)، وكذلک أدركوا أن الآية لا تقصد بالقربى جميع أقرباء النبى (صلى الله عليه وآله) ولذلک طلبوا من النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) أن يحدّد لهم هؤلاء الذين وجبت مودّتهم.

الثالث : أن أصحاب النبى (صلى الله عليه وآله) فهموا من هذه الآية وجوب المودّة والمحبّة للقربى كما ذهب إليه جميع علماء الشيعة وكذلک أهل السنّة أيضاً، ومع غض

١ . احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٢. وذكرت هذه الرواية أيضاً فى الدرّ المنثور : ج ٦، ص ٧.

www.makarem.ir

النظر عن التفاسير الواردة فى كلمة «القربى» فإنّهم يرون وجوب مودّة أهل البيت (عليهم السلام)ومحبتهم، ولكن نكرر السؤال هنا وهو : لماذا وجبت محبّة أهل بيت النبى (صلى الله عليه وآله) ؟

هل أن هذه المسألة حال بعض الأحكام الشرعية التى لا ندرک مغزها وفلسفتها، أى من قبيل الأُمور التعبدية ؟ أو ليست كذلک بل الغرض منها واضح وهو أن هذه المحبّة تقع مقدمة لسلوک الإنسان فى خط الإطاعة لهؤلاء العظماء واتباعهم ؟

إذا أردنا أن يكون لدينا تفسير صحيح لآية المودّة وسائر الآيات المرتبطة بها بالإستعانة بالرواية المطوّلة التى ذكرها الفخر الرازى والرواية المذكورة آنفاً والروايات التى ستأتى لاحقاً، لوجد القوم بأن الحكمة فى هذه المحبّة والمودّة هى ما يقود الإنسان نحو الولاية والحكومة والخلافة، الولاية التى تقع رديفاً للرسالة وعدلاً للنبوّة، فكما أن الرسالة هى عماد الإسلام فكذلک الولاية هى أساس قوامها واستمرارها.

ولاسيّما إذا التفتنا إلى هذه الحقيقة، وهى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالرغم من وجود أقرباء وأرحام مثل العبّاس وأولاده وكذلک أولاد أبى طالب وسائر أبناء عبدالمطلب وأحفاده فإنه أشار بالتحديد إلى علىّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، فهذا يمكنه أن يكون قرينة قويّة على أن المراد بالمودّة هنا هى الولاية والإمامة، حيث إنّ المحبّة العادية تشمل جميع أقوام النبى ويجب على الإنسان مودّتهم أجمع.

٢ ـ أورد المرحوم الطبرسى فى «مجمع البيان» عن الحاكم الحسكانى فى «شواهد التنزيل» نقلاً عن أبى امامة الباهلى الرواية التالية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)ونقرأها أيضاً فى مضمونه فى دعاء الندبة حيث يقول :

«إنَّ اللهَ تَعالى خَلَقَ الاَنْبياءَ مِنْ أَشْجار شَتّى وَخَلَقَ أَنَا وَعَلِيّاً مِنْ شَجَرَة واحِدَة فَاَنَا أَصْلُها وَعَلِيٌّ فَرْعُها وَفاطِمَةُ لِقاحُها وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ثِمارُها وَأَشْياعُنا أَوْراقُها، فَمَنْ تَعَلَّقَ بِغُصْن مِنْ أَغْصانِها نَجا وَمَنْ زاغَ عَنها هَوى وَلَوْ أَنَّ عبداً عَبَدَ اللهَ بَيْنَ الصَّفا

www.makarem.ir

وَالْمَرْوَةِ اَلْفَ عام ثُمَّ اَلْفَ عام ثُمَّ اَلْفَ عام حَتَّى يَصيرَ كَالشَّنِّ الْبالى[١] ثُمَّ لَمْ يُدْرِكَ مَحَبَّتَنا كَبَّهُ اللهُ عَلى مِنْخَرَيْهِ فِى النّارِ ثُمَّ تَلا : (قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبى).[٢]

فى هذه الرواية الشريفة نتلاحظ عدّة نقاط :

الأوّل : إنّ هذه الرواية أيضاً تصرّح بأن «المودّة بالقربى» هى مودّة أهل البيت الطاهرين (عليهم السلام)، وتدلُّ بصورة جليّة وبتعبيرات مثيرة جدّاً على أن هذه المحبّة والمودّة ليست اعتيادية بل هى المحبّة التى تفضى إلى الولاية والخلافة.

الثانى : إنّ الرواية المذكورة آنفاً ترسم فى الحقيقة معالم «الشجرة الطيبة»[٣] الواردة فى القرآن الكريم، وأحد تفاسير الشجرة الطيبة يماثل فى مضمونه ما ورد فى هذه الرواية.

الثالث : إنّ أوراق الأشجار تقوم بحفظ وحراسة الثمار، فلو لم تكن للشجرة أوراق فإنّ الثمار ستتعرض للذبول فى مقابل أشعة الشمس وسائر الآفات المحتملة.

إنّ وظيفة الشيعة وفقاً لهذه الرواية الذين يمثّلون أوراق هذه الشجرة الطيبة هى حفظ وحراسة الثمار الطيبة لهذه الشجرة، أى الإمامة والولاية والزعامة.

الرابع : ويستفاد من هذه الرواية أيضاً أن العبادة بين الصفا والمروة لها شأن خاص لا يوجد فى سائر أماكن المسجد الحرام، ولكن حتّى هذه العبادة فى هذا المكان المقدّس لا تساوى شيئاً بدون الولاية.

الخامس : نكرر أيضاً أنه لو كان المراد من المحبّة فى هذه الرواية وسائر الروايات المشابهة هى المحبّة العادية فإنّ هالة من الإبهام والغموض ستحيط بجميع هذه

---

١ . «شنّ» تعنى القربة البالية، والعرب يطلقون على جميع الآنية والظروف المصنوعة من الجلد (شن)، ولكن تطلق هذه الكلمة على (القِربة العتيقة) خاصة، والبالى يعنى العتيق، وعليه فالمراد من هذه العبارة أن الشخص قد يصير بسبب كثرة العبادة وطول العمر والعجز الشديد كالقِربة البالية الفارغة من الماء.

٢ . مجمع البيان : ج ٩، ص ٢٨.

٣ . سورة إبراهيم : الآية ٢٤.

www.makarem.ir

الأحاديث والروايات، ولكن إذا فسّرنا المودّة هنا بالولاية والإمامة فسيرتفع ذلک الغموض ويتّضح المعنى بصورة جليّة.

٣ ـ يروى السيوطى فى «الدرّ المنثور» رواية معروفة عن الإمام زين العابدين حيث يقول : «عندما أنزلوا اسارى كربلاء فى مكان من المسجد الجامع جاء شيخ ودنا من نساء الحسين وعياله فقال : الحمد لله الذى قتلكم وأهلككم وأراح البلاد من رجالكم وأمكن أميرالمؤمنين (يزيد) منكم. فقال له على بن الحسين (عليهما السلام) :

ـ يا شيخ هل قرأت القرآن ؟

قال : نعم.

قال : فهل عرفت هذه الآية (قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ المَوَدَّةَ فى الْقُربى)؟

قال : نعم.

قال على : فنحن أهل القربى يا شيخ.

قال : فبكى الشيخ ساكتاً نادماً على ما تكلم به وقال : بالله إنكم هم ؟ فقال علىّ ابن الحسين : تالله إنا لنحن من غير شک وحقّ جدّنا رسول الله...»[١].

إنّ مجموع هذه القرائن والشواهد تدلُّ على أن المودّة المذكورة فى الآية الشريفة والروايات المتعلّقة بها لا يمكن أن تكون مودّة عادية ومحبّة بمعنى التعلّق العاطفى فقط.

ملاحظات مهمة

١ ـ وفقاً لبعض آيات القرآن الكريم فإنّ المحبّة يجب أن تقود الإنسان للطاعة والعبودية، حيث يقول تبارک وتعالى فى الآية ٣١ من سورة آل عمران :

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونى يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحيمٌ).

وعلى هذا الأساس فإنّ الإنسان إذا أحبّ شخصاً وجب عليه إطاعته، ونحن عندما ندّعى محبّة أهل البيت (عليهم السلام) يجب علينا اتباعهم واطاعتهم وإلاّ فإنّ إدّعاءنا المحبّة والمودّة لا يكون صادقاً، وسنتطرق لاحقاً إلى شرح أكثر حول معطيات هذه الآية الشريفة.

---

١ . الدرّ المنثور : ج ٦، ص ٧; اللهوف : ص ١٧٦.

www.makarem.ir

٢ ـ تقدّم أن آية المودّة تدلُّ مع قطع النظر عن جميع الروايات والآيات الاُخرى على ولاية وإمامة أميرالمؤمنين والأئمّة المعصومين (عليهم السلام) ومع الأخذ بنظر الإعتبار الروايات الواردة فى شأن نزولها فإنّ دلالتها ستكون أوضح بكثير، وإذا وضعنا هذه الآية إلى جانب الآيات الاُخرى المتعلّقة بالولاية مثل آية إكمال الدين، آية التبليغ، آية الصادقين وآيات مماثلة اُخرى فإنّ دلالتها ستكون واضحة جدّاً.

٣ ـ أما الآلوسى المفسّر المعروف من أهل السنّة فقد ذكر إشكالين فى تفسيره «روح المعانى» وقد اتّضح جوابهما من خلال الأبحاث السابقة، ولذلک سنكتفى هنا بذكر هذين الإشكالين فحسب :

الف : كيف طلب رسول الله (صلى الله عليه وآله) من المسلمين محبّة ومودّة ذوى القربى بعنوانها أجر الرسالة فى حين لم يطلب سائر الأنبياء مثل هذا الأجر من أقوامهم ؟

والجواب على هذا السؤال كما تقدّم هو أن هذا الأجر يعود بالفائدة على جميع أفراد المجتمع الإسلامى لا على الرسول (صلى الله عليه وآله) نفسه.

ب : لو سلّمنا بأن المراد من القربى هنا هم أهل بيت النبى (صلى الله عليه وآله) والمفروض محبّتهم ومودّتهم، ولكن ما العلاقة بين هذه المودّة من جهة وبين الإمامة والخلافة من جهة اُخرى كما يدّعى الشيعة ؟

والجواب على هذا السؤال أيضاً واضح، حيث إنّ أجر الشىء لابدّ وأن يماثله فى القيمة ويتطابق معه فى الإعتبار، والمحبّة التى تفضى إلى الولاية والإمامة هى التى تنسجم وتتناسب مع الرسالة، وأما المحبّة العادية والفارغة من الولاية فلا شكّ أنها بعيدة عن مضمون الرسالة، وبما أننا نعتقد بأن الله تعالى حكيم ويجازى الأعمال بمثلها وبما يناسبها من الجزاء، وكذلک النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) حكيم أيضاً ولا يطلب إلاّ الأجر المناسب أيضاً، يكون المراد بلا شكّ من المحبّة مورد البحث هو الإمامة والولاية.

معطيات آية المودّة

www.makarem.ir

ماذا تعنى المودّة المذكورة فى الآية الشريفة بعنوان أجر الرسالة ؟

وماذا يفهم من حبُّ على (عليه السلام) وذريته الطاهرين (عليهم السلام) ؟

وفى مقام الجواب ينبغى القول أن المحبّة والمودّة على نحوين :

١ ـ المحبّة الكاذبة والزائفة.

٢ ـ المحبّة الحقيقية والواقعية.

ومن أجل توضيح المطلب بصورة جليّة ينبغى التوغل إلى أعماق النفس ونرى الدافع لمثل هذه المحبّة والمودّة.

فلماذا نحبّ الإمام على ؟ هل لأجل أمواله، أو لأجل كمالاته الإنسانية والمعنوية، أو لأجل علمه، أو لشجاعته، أو لكرمه وتقواه، أو لإيثاره وتضحيته، أو لجهاده وحمايته النبى الأكرم(صلى الله عليه وآله)، أو لأجل أُمور أُخرى ؟

إذا كنّا نحبّ الإمام على لأجل القيم الأخلاقية والمثل الإنسانية التى كان يعتقد بها، فهل نشعر فى أنفسنا باشعاعة من تلك القيم الرفيعة ؟ فإن لم نشعر بذلك فمثل هذه المحبّة والمودّة كاذبة وزائفة، وإن كانت فينا بارقة من هذه القيم والمُثل الإنسانية فإنّ المودّة هنا تكون حقيقية وواقعية.

ينبغى أن نمتحن أنفسنا بهذا المعيار والملاك ونتحرك نحو تشخيص نوع المحبّة والمودّة فينا نحو الإمام على بهذا المقياس لكى لا نعيش التوهم الزائف وندّعى كذباً حبُّ على بن أبى طالب، ولو كنّا نعيش مثل هذه المحبّة الزائفة فعلينا تغييرها والسعى نحو التحلّى بالمحبّة من النوع الثانى ونتحرك فى سبيل تقويتها وترشيدها.

إنّ أحد القيم التى كان أميرالمؤمنين (عليه السلام) ملتزماً بها بشدّة هى تقديم الضابطة على الرابطة، والمثال على ذلك هو قصّة الحديدة المحماة التى سمعتموها مراراً، ولكن لا بأس باستعراضها مرّة أُخرى :

عندما وصلت الخلافة إلى الإمام على (عليه السلام) بعد سنوات من السكوت والمظلومية والجلوس فى البيت جاء إليه أخوه عقيل، وكان فقيراً ومعيلاً، من المدينة إلى الكوفة لعلّه يحصل على نصيب أوفر من بيت المال، وكان الإمام حينذاك يتناول

www.makarem.ir

عشاءه على سطح البيت لشدّة حرارة الجوّ فى مدينة الكوفة ولكنّ عشاءه لم يكن شبيهاً بعشاء السلاطين والأُمراء ولذلک لم يشاركه عقيل فى تناول العشاء وقال لأخيه :

أعطنى ما أقضى دينى وعجّل سراحى حتّى أرحل عنک، قال : فكم دينک يا أبا يزيد ؟ قال : مائة ألف درهم، قال : لا والله ما هى عندى ولا أملكها ولكن اصبر حتّى يخرج عطائى فاواسيكه ولولا أنّه لابدّ للعيال من شىء لأعطيتک كلّه، فقال عقيل : بيت المال فى يدک وأنت تسوفّنى إلى عطائک ؟ وكم عطاؤک ؟ وما عساه يكون ولو أعطيتينه كلّه ؟ فقال : ما أنا وأنت فيه إلاّ بمنزلة رجل من المسلمين. وكانا يتكلمان فوق قصر الأمارة مشرفين على صناديق أهل السوق فقال له على : إن أبيت يا أبا يزيد ما أقول فأنزل إلى بعض هذه الصناديق فاكسر أقفاله وخذ ما فيه، فقال : وما فى هذه الصناديق ؟ قال : فيها أموال التجار، قال أتأمرنى أن أكسر صناديق قوم قد توكلّوا على الله وجعلوا فيها أموالهم ؟ فقال أميرالمؤمنين (عليه السلام) : أتأمرنى أن أفتح بيت مال المسلمين فأعطيک أموالهم وقد توكلّوا على الله وأقفلوا عليها ؟ وإن شئت أخذت سيفک وأخذت سيفى وخرجنا جميعاً إلى الحيرة فإنّ بها تجاراً مياسير فدخلنا على بعضهم فأخذنا ماله، فقال : أوسارقاً جئت ؟ قال : تسرق من واحد خير من أن تسرق من المسلمين جميعاً[1].

ثمّ إنّ الإمام على (عليه السلام) أحمى حديدة وقرّبها من يد أخيه عقيل فلمّا رأى عقيل أن أخاه غير مستعد لخروج عن خطّ العدالة ولو للحظة واحدة نهض قائماً وغادر المكان.

أين نجد فى تاريخ البشرية أن سلطاناً مقتدراً وبيده اختيار الخزانة يتصرف مثل هذا التصرف مع أخيه من أجل حفظ العدالة ؟

إلهنا، وفقّ المسؤولين فى حكوماتنا الإسلامية ليكونوا مثل أمير الأحرار ويتحركوا فى أداء مسؤولياتهم من موقع تقديم «الضوابط» على «الروابط».

---

١ . بحار الأنوار : ج ٤١، ص ١١٣.

www.makarem.ir

مراتب المحبّة

إنّ للمحبّة كما فى سائر الأُمور مراتب متعدّدة ومراحل مختلفة، ومحبّة الناس لأميرالمؤمنين(عليه السلام) ليست بمرتبة واحدة، فبعضهم يعيش المحبّة الكاذبة فهى مجرد لقلقة لسان ولا تمتد بجذورها إلى القلب، والبعض الآخر تمتد محبّتهم إلى قلوبهم ولكنّها ليست عميقة الجذور بل سطحية، والطائفة الثالثة تمتد محبّتهم إلى أعماق قلوبهم بحيث تستوعب جميع وجودهم ونفوسهم وترسم معالم شخصيتهم بلون المحبوب، فسلوك مثل هؤلاء الأشخاص هو سلوك علوى، وكلامهم كلام علوى، وأخلاقهم أخلاق علوية، والخلاصة أن كلَّ وجودهم وأفعالهم وسلوكياتهم تفوح برائحة الإمام على، وهذه أعلى مراتب المحبّة، المرحلة التى يجد الإنسان نفسه غير مستعد لأن يبادل هذه المحبّة بأىِّ شىء آخر بل يجد نفسه مستعداً للتضحية بنفسه من أجل هذه المحبّة والمودّة.

وكمثال على هذه المحبّة الخالصة نذكر هذا النموذج :

ميثم التمّار، العاشق الخالص

فى أحد الأيّام قال الإمام على (عليه السلام) لأحد عشاقه الذى كان يعيش الولاء المطلق له :

ـ سوف تُصلب فى المستقبل القريب بسبب دفاعك عنى وحبّك لى فكيف يكون حالك حينئذ ؟

ولكنّ هذا العاشق لم يتردد لحظة ولم يشعر بشىء من الخوف ولم يتهرب من المسؤولية والولاية بل أظهر السرور البالغ وقال : سيّدى أين المكان الذى سوف أُصلبُ فيه ؟

فأشار الإمام على (عليه السلام) إلى نخلة من نخيل الكوفة وقال : سوف تُصلب على جذع هذه النخلة.

www.makarem.ir

هذا العاشق الخالص لم يبتعد عن الإمام ولم يهرب من تلك المدينة ويترك أهله وديارہ بل أزداد حبّاً وعشقاً للإمام على.

كان فى كلّ يوم يتوجّه إلى تلك النخلة ويهتم بعنايتها وسقيها ويصلّى ركعتين عندها ويتحدّث معها حديث العاشق لمعشوقه :

ـ أيتها النخلة لقد خُلقت لى وخلقت لک وسوف يصلب بدنى على جذعک بسبب حبّى للإمام على (عليه السلام)...[1] أين نحصل على مثل هذا الإنسان العاشق فى تاريخ البشرية ؟

وحان اليوم الموعود وتمّ صلب هذا العاشق على ذلک الجذع ولكنّ عشقه لمحبوبه لم يخفّ لحظة بل أزداد توهجاً واشتعالاً وشرع بذكر فضائل ومناقب الإمام على (عليه السلام) حتّى أن الأعداء لم يتحملوا منه ذلک وأمروا بقطع لسانه وهكذا ضحّى بنفسه فى سبيل مراده.

سؤال : أليست التقية واجبة فى نظر الإسلام ؟ إذن فلماذا لم يستخدم هؤلاء الأشخاص عنصر التقية للمحافظة على أنفسهم واجتناب إلقاء أنفسهم فى التهلكة ؟

الجواب : إنّ التقية كما هى واجبة فى بعض الموارد فكذلک تكون حراماً فى موارد أُخرى، فعندما يتعرض أساس الدين والمذهب للخطر وتسود الظلمة والإنحراف جميع أرجاء المجتمع الإسلامى ويتعرض الأحرار للسجن والقتل فحينذاک يجب على من يتمكن من إيصال صوته إلى الناس أن يفضح قوى الإنحراف هذه ويتصدى بكلّ وسيلة لجهاز الحكم، وفى هذه الصورة فإنّ التقية ليست فقط غير واجبة بل إذا تستر الإنسان المسلم بالتقية فإنه يكون قد ارتكب معصية كبيرة.

□□

١ . تختلف طريقة الاعدام فى السابق عن هذا الزمان، ففى هذا الزمان يتم اعدام الشخص بأن يوضع حبل حول عنقه ويعلق على خشبة الاعدام أو يُسحب الكرسى من تحت قدميه فيموت فى أقرب مدّة، ولكن الاعدام فى السابق كان على شكل صلب بأن يشدّ الحبل على يديه وعلى قدميه ويربط على خشبة أو جذع ويبقى هكذا تحت الشمس لعدّة أيّام إلى أن يموت من الحر أو البرد ومن الجوع والعطش وحتّى أنه تبقى جثته مدّة بعد موته ليكون عبرة للآخرين إلى أن يتحول إلى عظام فحسب.

www.makarem.ir

آية المباهلة

٣

«سورة آل عمران / الآية ٦١»

أبعاد البحث

إنّ آية المباهلة هى إحدى الآيات الاُخرى المتعلّقة بولاية أميرالمؤمنين (عليه السلام)والحسن والحسين (عليهما السلام)، فى هذه الآية الشريفة التى تتحدّث عن موضوع المباهلة بين المسلمين ونصارى نجران تثبت من جهة حقّانيّة الإسلام ورسوله الكريم (صلى الله عليه وآله)ومن جهة اُخرى تبين سمو مقام أهل بيت النبى (عليهم السلام) وعلو درجتهم، ومن جهة ثالثة بالإمكان إثبات ولاية وخلافة أميرالمؤمنين (عليه السلام) بواسطتها.

مقدّمة

قبل الشروع بتفسير آية المباهلة الشريفة نرى من اللازم التنبيه على نقطتين :

١ ـ المباهلة آخر الدواء

www.makarem.ir

إنّ الآيات ٣٥ إلى ٦٠ من سورة آل عمران تتحدّث عن النبى عيسى (عليه السلام) وتذكر فى
طياتها قصة ولادة هذا النبى الكريم ومقاماته المعنوية وشخصية اُمّه وفضائلها الكريمة وحديثه مع الملائكة والمائدة السماوية ومسائل اُخرى، وبعد كلّ هذه الأبحاث المطوّلة عن النبى عيسى (عليه السلام)يوصى الله تبارک وتعالى نبى الإسلام ويقول بأن النصارى بعد بيان كلّ هذه الاُمور بشكل منطقى ومستدل لو لم يقبلوا الإسلام واختاروا طريقاً آخر وأصرّوا على عنادهم فعليک بمباهلتهم ليتّضح الحقّ.

٢ ـ ماذا تعنى المباهلة ؟

«المباهلة» من مادة «بَهْل» ويعنى فى لغة العرب ترک الشىء، والعرب عندما تلد الناقة يشدون على ثدييها لئلاّ يشرب طفلها جميع اللبن فى ضرعها ولكن أحياناً يفتحون الضرع ليشرب طفل الناقة ما يشاء من اللبن، فيقال حينئذ لهذه الناقة التى انفتح ضرعها «ابل باهل».

وأما فى الإصطلاح فلها معنى آخر فهو : عندما يتقدم شخصان للحوار فيما بينهما بأدلة عقلية ومنطقية ولا يستطيع أحدهما إقناع الآخر برأيه وعقيدته فهنا يحقّ لكلٍّ واحد منهما أن يباهل الآخر ويقول : «إذا كنت أنا على الحقّ وأنت على الباطل فعليک غضب الله»، ويكرر الآخر هذه العبارة، فيقال لهذا العمل مع توفر شرائطه «مباهلة».

ومن الواضح أن هذا المعنى الإصطلاحى يرتبط بالمعنى اللغوى لأن الشخص الذى يدّعى أنه على حقّ يقول : إننى أترک الطرف الآخر لقضاء الله واُحيله إلى قدرة الله.

الشرح والتفسير

الدعوة إلى المباهلة

(فَمَنْ حَاجَّکَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ) أى : أيّها النبى بعد البحث والمناقشة مع هؤلاء النصارى عن عيسى ابن مريم (عليهما السلام) وبعد تقديم الأدلّة المتقنة والبراهين الساطعة حول تفاصيل حياة عيسى ابن مريم فإنهم إذا أصرّوا مع ذلک على عنادهم

www.makarem.ir

ولجاجتهم ولم يبصروا الحقّ والحقيقة فهناک طريق آخر لاستمرار الدعوة الإلهية وهو اختيار المباهلة معهم.

(فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْنائَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِسائَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ).

فى هذا المقطع من الآية الشريفة يعيّن القرآن الأشخاص الذين سيشتركون فى مراسم المباهلة، وعليه يوجّه الخطاب إلى النبى الأكرم ويقول : أيّها النبى قل لهؤلاء تعالوا لنتباهل وليأتى كلٌّ طرف منا بأربع فئات من جماعته وأهل ملّته ليشتركوا فى هذه المراسم :

١ ـ رئيس المسلمين، أى النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) من جهة ورئيس نصارى نجران من جهة اُخرى.

٢ ـ أبناءنا وأبناءكم.

٣ ـ نساءنا ونساءكم.

٤ ـ أنفسنا وأنفسكم.

وسيأتى فى الأبحاث اللاحقة الكلام عن المراد من «أبنائنا» و «نسائنا» و «أنفسنا» بشكل مفصل.

(ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكاذِبِينَ) فبعد أن ذكرت الآية الشريفة الطوائف الأربع المفروض اشتراكهم فى مراسم المباهلة، ذكرت كيفية إجراء هذه المراسم بأن تتم بهذه الصورة : إن كلٌّ شخص كاذب ويدّعى أنه على الحقّ كذباً وزوراً فإن عليه لعنة الله وعذابه، ليتّضح الحقّ للناس وتتجلّى معالم الحقيقة للجميع.

هل تحققت المباهلة ؟

وهنا يثار سؤال : هل تحققت مراسم المباهلة وفقاً للشروط التى ذكرها القرآن الكريم ؟ وفى صورة تحقّقها فماذا كانت النتيجة ؟

الجواب : إنّ القرآن الكريم لم يذكر شيئاً عن وقوع المباهلة فى الواقع الخارجى ولا يمكننا استيحاء وقوعها من سياق الآيات الكريمة، ولكنّ هذه الواقعة معروفة ومشهورة فى تاريخ الإسلام.

www.makarem.ir

فطبقاً لما ذكرته كتب المؤرخين أن النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) طرح موضوع المباهلة وكيفيتها مع نصارى نجران وعيّن اليوم الخاصّ لإجراء المباهلة، ولكنّ الاسقف الأعظم للنصارى الذى يعدّ أعلى مقام دينى لدى النصارى قال لهم :

«انظروا محمّداً فى غد، فإن غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلته. وإن غدا بأصحابه فباهلوه فإنه على غير شىء».

وعلى أيّة حال فقد حل اليوم الموعود وشاهد النصارى النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) قادماً ومعه طفلين هما الحسن والحسين (عليهما السلام) وكذلک على وفاطمة (عليهم السلام)، فقال الأسقف الأعظم عندما رأى هذا المنظر :

«إنى أرى وجوهاً لو دعوا الله لاستجاب لهم وفى ذلک هلاككم»[١].

وهكذا امتنع من المباهلة ووافق النبى الأكرم على انسحابهم وتراجعهم.

لقد ذكرت كتب التواريخ قصة المباهلة بشكل مختصر كما مرّ آنفاً، يقول أبوبكر الجصّاص من علماء القرن الرابع الهجرى فى كتابيه «أحكام القرآن» و «معرفة علوم الحديث» عبارتين جميلتين فى هذا الصدد :

١ ـ قال فى كتاب «أحكام القرآن» :

إنّ رواة السّير ونقلة الأثر لم يختلفوا فى أنّ النبى (صلى الله عليه وآله) **أخذ بيد الحسن والحسين وعلى وفاطمة ودعا النصارى الذين حاجّوه إلى المباهلة**[٢].

٢ ـ ويقول أيضاً فى كتاب «معرفة علوم الحديث» :

قد تواترت الأخبار فى التفاسير عن عبدالله بن عبّاس وغيره أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخذ يوم المباهلة بيد على والحسن والحسين وجعلوا فاطمة ورائهم ثمّ قال : هؤلاء أبناؤنا وأنفسنا ونساؤنا[١].

---

١ . لابدّ من توفّر شرطين لمن يريد الإشتراک فى المباهلة :

الأوّل : أن يكون مؤمناً بما يدعى، لأن الشخص الإنتهازى والكذاب لا يجرأ على المباهلة.

الثانى : أن تكون له رابطة قوية مع الله تعالى بحيث إنه إذا رفع يديه للدعاء ودعا على أحد الأشخاص فإن الله يستجيب دعاءه، وقد لاحظ علماء نجران (٣ أو ١٠ أشخاص) توفّر هذين الشرطين فى سيماء النبى ومرافقيه فأحجموا عن المباهلة.

٢ . أحكام القرآن : ج ٢، ص ١٦ (نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٤٨).

www.makarem.ir

وعلى هذا الأساس هناک روايات وأحاديث كثيرة جدّاً فی شأن نزول وتفسير آية المباهلة حيث نكتفی هنا بذكر رواية واحدة منها :

جاء فی كتاب صحيح مسلم فی باب «فضائل الصحابة» رواية مثيرة وجذّابة رواها سعد بن أبی وقاص : أن معاوية قال لسعد : «ما منعک أن تسبّ أباتراب[٢] ؟ قال : أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله فلن أسبّه لئن تكون لی واحدة منها أحبّ إلیّ من حمر النعم، ثمّ ذكر قصة تبوک عندما استخلف النبی علياً على المدينة، فلما قال الإمام على : أتخلّفنی على النساء والأطفال ؟ قال له رسول الله : «ألا ترضی أن تكون منی كهارون من موسى إلاّ أنه لا نبی بعدی، والثانية فی معركة خيبر عندما أرسل رسول الله الأوّل والثانی لفتح خيبر فرجعا آيسين فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله) : «لأعطينّ الراية غداً لرجل لا يملّ من الحرب ولا يدير ظهره للعدو». فتطاولت الأعناق لذلک، فنظر رسول الله فيهم فلم ير علياً، فسأل عنه فقيل : هو أرمد، فقال : علیّ به، فجاء الإمام على فتفل رسول الله فی عينه فشفی من ساعته فدفع إليه الراية وكان الفتح على يده. وأما «الثالثة» فهی لما نزلت هذه الآية «قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم...» حيث دعا رسول الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : اللّهم هؤلاء أهلی...

وقال سعد بعد ذلک لمعاوية : هل يحقّ لی بعد هذا أن أسبّ علياً ؟ فسكت معاوية وندم على مقولته»[٣].

من هم أبناءنا، نساءنا، أنفسنا ؟

---

١ . معرفة علوم الحديث : ص ٥٠ طبع مصر. (نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣ ص ٤٨).

٢ . هذا الكلام يعكس غاية ما فيه الإمام على من المظلومية وذروة الحقد الدفين فی قلوب بنی أُمية عليه بحيث اشاعوا سبّه ولعنه بين المسلمين بحيث لو امتنع أحد من سبّه لتعرض للعقاب الشديد، والعجيب من بعض أهل السنّة الذين يدافعون عن بنی أُمية ومعاوية مع كلّ هذه الجرائم الفضيعة ويعبّرون عن «مصدر الخبائث» بـ «سيّدنا معاوية» ! !

٣ . صحيح مسلم : ج ۴، ص ١٨٧، ح ٣٢.

www.makarem.ir

لا خلاف ظاهراً بيننا وبين أخوتنا من أهل السنّة فى أن المراد من «نساءنا» هو فاطمة الزهراء بنت رسول الله (عليها السلام) وكذلک اتّفق علماء الشيعة وأهل السنّة أن المراد من «أبناءنا» الحسن والحسين (عليهما السلام).

وعلى هذا الأساس فإن المحور الأصلى فى هذا البحث يدور حول تفسير كلمة «أنفسنا» ولذلک نرى من الضرورى تفصيل البحث حول هذه العبارة.

يقول القاضى نورالله الشوشترى فى كتابه القيّم «احقاق الحقّ» :

أجمع المفسّرون على أن «أبناءنا» إشارة إلى الحسن والحسين (عليهما السلام) و«**نساءنا» إشارة إلى فاطمة** (عليها السلام) و«**أنفسنا» اشارة إلى على** (عليه السلام).

وذكر آية الله العظمى المرعشى فى حاشيته على هذا الكتاب نقلاً عن ستين كتاباً «من كتب أهل السنّة» ما يؤيد هذا المطلب[١]، والمفهوم من هذا الكلام واضح جدّاً بحيث ذكره أهل السنّة قاطبة فى كتبهم.

ولكن مع الأسف نجد أن بعض مفسّرى أهل السنّة وعلى الرغم جميع هذه الروايات تورطوا بشراک التعصّب والتفسير بالرأى فذكروا تفسيرات مدهشة لهذه الآية الشريفة، ونكتفى هنا بذكر نموذجين منها :

١ ـ يقول الألوسى فى «روح المعانى» بعد اعترافه بعدم وجود شخص آخر مع النبى (صلى الله عليه وآله)فى المباهلة غير على وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) ومع تأكيده بأنه لا ينبغى لكلّ إنسان مؤمن الشک فى هذه المسألة يستعرض دليل علماء الشيعة ويدّعى أن المراد من «أنفسنا» هو النبى نفسه، وأما الإمام على فيندرج فى كلمة «أبناءنا» لأن العرب تطلق على الصهر كلمة الابن أيضاً[٢].

وجواب هذا الكلام واضح جدّاً، لأنه طبقاً لهذه الآية الشريفة فإنّ النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) قد دعى : أبناءنا وأنفسنا ونساءنا، فلو كان المراد من «أنفسنا» هو النبى نفسه فماذا يعنى أن يدعو الإنسان نفسه إلى المباهلة ؟

---

١ . احقاق الحقّ : ج ٣، ص ۴۶.

٢ . روح المعانى : ج ٣، ص ١٨٩.

www.makarem.ir

ونظراً إلى أن القرآن الكريم هو أفصح بيان فى اللغة العربية فمن المسلّم أنه لا يذكر كلاماً غير فصيح مثل هذا الكلام ولا يأمر النبى (صلى الله عليه وآله) بأن يدعو نفسه، إذن فالمراد من «أنفسنا» لا يمكن أن يكون هو النبى (صلى الله عليه وآله) نفسه قطعاً، مضافاً إلى أننا لم نقرأ فى كلام العرب أنهم يطلقون كلمة الإبن على الصهر، ومثل هذا الإستعمال غريب جدّاً ويحمل على المجاز البعيد.

ولا نستغرب من هذه التأويلات والآراء التى هى من إفرازات التعصّب الأعمى بحيث إن مثل هذا التعصّب قد يدفع الإنسان أحياناً ومن أجل حفظ عقائده والدفاع عنها أن يفرض آراءه وعقائده هذه على القرآن الكريم.

٢ ـ والأعجب من ذلک من نراه من نظرية «محمّد عبده» فى تفسير المنار، فعندما يصل إلى هذه الآية يقول فى تفسيرها :

الروايات متّفقة على أنّ النبى (صلى الله عليه وآله) **اختار للمباهلة عليّاً وفاطمة وولديهما ويحملون كلمة نسائنا على فاطمة وكلمة أنفسنا على علىٍّ فقط ومصادر هذه الروايات الشيعة ومقصدهم منها معروف**[١].

والواقع أن كلام محمّد عبده هذا عجيب جدّاً ومتناقض مع صدر الآية وذيلها، لأنه ادّعى فى بداية كلامه اتفاق الروايات على هذا المطلب ولكنه فى ذيلها ينسب هذا الرأى إلى الشيعة.

ومضافاً إلى ذلک «كما تقدّم سابقاً» أنّ هذا الكلام مجانبٌ للصواب لأن أكثر الروايات المذكورة وخلافاً لمدّعاه مذكورة فى مصادر أهل السنّة.

ونحن لا نملک فى مقابل هذا الكلام الواهى سوى إظهار التأسف.

وعلى أيّة حال فإنّ آية المباهلة كما تقدّم بيانه من الآيات المحكمة والصريحة التى تدلُّ دلالة واضحة على ولاية أميرالمؤمنين (عليه السلام) وأبنائه الطاهرين (عليهم السلام).

---

١ . المنار : ج ٣، ص ٣٢٢.

www.makarem.ir

سؤال : صحيح أن آية المباهلة تعد فضيلة كبيرة لأميرالمؤمنين علىّ بن أبى طالب (عليه السلام)، ولكن ما هو ارتباطها بمسألة الولاية والإمامة لأميرالمؤمنين حيث إن البحث هنا يتعلق بالآيات التى تتحدّث عن الولاية والإمامة ؟

الجواب : رأينا فيما سبق أن المراد «أنفسنا» فى آية المباهلة هو الإمام علىّ بن أبى طالب(عليه السلام)، وعندما يخاطب النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) ابن عمه الإمام على (عليه السلام) بأنه «نفسه» فهل أن مقصوده من ذلک هو المعنى الحقيقى للنفس أو المعنى التنزيلى والإعتبارى ؟

لاشکّ أن المعنى الحقيقى غير مقصود هنا، أى أن على ليس هو النبىّ نفسه، إذن فالمراد من ذلک أن الإمام علىّ (عليه السلام) يتمتع بالفضائل والكمالات والمقامات المعنوية التى يتمتع بها الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، فهو كالنبى فى الشجاعة والرشادة والشهامة والتقوى والإيثار وسائر الكمالات والمقامات المعنوية الاُخرى، والنتيجة هى أن الإمام على (عليه السلام)نازل منزلة النبى(صلى الله عليه وآله) فى المقامات والكمالات وتالى تلوه.

ومع الإلتفات إلى هذا المطلب يتّضح أن الخليفة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) والذى لابدّ وأن يكون منصوباً من الله تعالى أو الاُمّة الإسلامية هو الشخص الذى يحوز هذه المقامات ويكون مثل النبى فى سماته وكمالاته أو فى مرحلة دانية منه.

ألا ينبغى أن يكون الشخص الذى ينتخبه الناس لهذا المقام أو يكون منصوباً بالنصب الإلهى لهذا المقام كالنبى (صلى الله عليه وآله) فى فضائله وكمالاته وخاصة فى مسألة التقوى والعصمة ؟

ومع فرض وجود مثل هذا الشخص ألا يكون قبيحاً لدى العقل انتخاب أشخاص آخرين لهذا المقام ؟

وعلى هذا الأساس فإنّ انطباق كلمة «أنفسنا» على الإمام على (عليه السلام) يؤدى إلى تجسير العلاقة بين هذا المعنى وبين مفهوم الولاية والإمامة، وبذلک يتم إثبات الولاية لأميرالمؤمنين.

www.makarem.ir

ربّنا : وفقنا لمعرفة قدر هذه النعمة العظيمة وهى ولاية أهل البيت (عليهم السلام) وارزقنا عنايتهم فى الدنيا وشفاعتهم فى العقبى.

□□

www.makarem.ir

آية سورة الدهر

٤

«سورة الدهر / الآيات ٥ ـ ١٠»

أبعاد البحث

إن أحد الفضائل والمناقب المهمة للإمام على (عليه السلام) بل فضائل أهل البيت ومناقبهم هو ما ورد فى آيات سورة الإنسان حيث تحدّث القرآن الكريم فى ثمانية عشر آية من ٣١ آية من هذه السورة حول هذه الفضيلة العظيمة، وبعض الآيات الشريفة هذه تحدّثت عن أصل القضية، وهناک أربعة عشر آية أُخرى تحدّثت عن جزاء وثواب هذا العمل العظيم الذى قامت به هذه الأُسرة الطاهرة، وسوف يأتى تفاصيل هذه الواقعة وتفسير هذه الآيات الكريمة لاحقاً.

شأن النزول

www.makarem.ir

لقد ذكرت كتب التفسير شأن نزول هذه الآيات محل البحث، وقد أورد العلاّمة الأمينى فى كتابه «الغدير» شأن نزولها من أربعة وثلاثين كتباً من كتب أهل السنّة[١]، ونقل القاضى نورالله الشوشترى هذا المطلب من ٣۶ كتاباً من كتبهم[٢]، وعلى هذا الأساس فإنّ شأن النزول لهذه الآيات متواتر تقريباً، وخلاصة ما ورد فى شأن نزولها والمتّفق عليه فى جميع المصادر الروائية والتفسيرية هو مايلى :

إنّ الحسن والحسين مرضا فعادهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى ناس معه فقالوا : يا أبا الحسن لو نذرت على ولدک، فنذر على وفاطمة وفضة إن برءا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيّام فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علىّ ثلاثة أصوع شعير فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال : السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا اَهْلَ بَيْتِ محمّد مسكينٌ من مساكين المسلمين أطعمونى أطعمكم الله من موائد الجنّة، فآثاروه وباتوا لم يذوقوا إلاّ الماء[٣]، فأصبحوا صياماً فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم سائل يتيم فآثاروه ووقف عليهم أسير[٤]فى الثالثة ففعلوا مثل ذلک فلما أصبحوا أخذ علىّ بيد الحسن والحسين

١ . الغدير : ج ٣، ص ١٠٧، ونذكر هنا عشرة مصادر ممّا ذكره الغدير فى شأن نزول هذه الآيات : ١ ـ نوادر الأُصول : ص ۶۴، ٢ ـ العقد الفريد : ج ٣، ص ۴٢، ٣ ـ الكشف والبيان : ص ٣٠٧ ـ ۴٢٧، ۴ ـ المناقب للخوارزمى : ص ١٨٠، ۵ ـ مطالب السؤول : ص ٣١، ۶ ـ نور الأبصار : ص ١٢ ـ ١۴، ٧ ـ فتح القدير : ج ۵، ص ٣٣٨، ٨ ـ روح البيان : ج ١٠، ص ٢۶٨، ٩ ـ الاصابة : ج ۴، ص ٣٨٧، ١٠ ـ الدرّ المنثور : ج ۶، ص ٢٩٩.

٢ . احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١۵٧، ونذكر هنا عشرة مصادر أيضاً من الكتب التى ذكرها صاحب احقاق الحقّ فى شأن نزول الآيات المذكورة ١ ـ الكشاف : ج ۴، ص ١۶٩، ٢ ـ أسباب النزول : ص ٣٣١، ٣ ـ معالم التنزيل : ج ٧، ص ١۵٩، ۴ ـ التفسير الكبير : ج ٣، ص ٢۴٣، ۵ ـ التذكرة لابن الجوزى : ص ٣٢٢، ۶ ـ كفاية الطالب : ص ٧٠١، ٧ ـ تفسير القرطبى : ج ١٩، ص ١٢٩، ٨ ـ ذخائر العقبى : ص ١٠٢، ٩ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد : ج ١، ص ٧، ١٠ ـ تفسير العلاّمة النيشابورى : ج ٢٩، ص ۵١١٢.

٣ . وفى هذا الزمان نرى التنوع فى الأطعمة على مائدة الافطار وقد تنتهى مع الأسف بكفران النعمة وعدم الشكر بحيث لو لم يكن فى المائدة سوى نوعان من الطعام فإن البعض يظهر التذمّر والإمتعاض، وهذه الحالة تنذر بالخطر، ولكن وضع المسلمين فى ذلک الزمان لم يكن جيداً، وكان أكثر الناس يشبعون بالخبز والماء فقط.

۴ . كان المسلمون فى صدر الإسلام عندما يقع فى أيديهم أسرى الكفّار يسترقونهم ويستخدموهم لإنجاز بعض الأعمال الحياتية، ولكن بعض المسلمين لم يكن قادراً على توفير ما يحتاجه من ضروريات الحياة، فكانوا يعتقون هؤلاء الأسرى، وبما أن هؤلاء الأسرى لم يكن لديهم من يعيلهم فى مكّة والمدينة فكانوا يسألون الناس لتحصيل قوتهم وطعامهم.

www.makarem.ir

وأقبلوا إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله) فلما أبصرهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع قال : ما أشد ما يسوؤنى ما أرى بكم وقام وانطلق معهم فرأى فاطمة فى محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلک فنزل إليه جبرئيل وقال : خذها يا محمّد هنئک الله فى أهل بيتک فأقرأه السورة.

الشرح والتفسير

الخصائص الخمسة لأهل البيت (عليهم السلام)

إنّ أربعة آيات من الآيات الثمانية عشر فى هذه السورة تتحدّث عن أصل العمل الذى قام به هؤلاء الأشخاص، وأربعة عشر آية منها تتحدّث عن الأجر والثواب الإلهى الذى ينتظر هؤلاء، وفى البداية نستعرض تفسير الآيات الأربع منها حيث يشير القرآن فيها إلى خمس خصال من فضائل ومناقب أهل البيت (عليهم السلام) :

١ ـ الوفاء بالعهد

(يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) فأوّل عمل أخلاقى لهؤلاء هو الوفاء بالنذر بحيث ينبغى أن يكون هذا العمل أُسوة لسائر أتباعهم وشيعتهم، حيث نرى بعض أفراد الشيعة ينذرون فى حالة مواجهتهم للمصائب والبلايا والمشاكل ولكنهم عند زوال هذه البلايا والمشاكل ويحين وقت العمل بالنذر فإنهم يتحركون من موقع التغافل وعدم الإهتمام، فتارةً يشككون فى صيغة النذر، وأُخرى يترددون فى التنفيذ العملى للنذر، والخلاصة يمتنعون من الوفاء بالنذر بكلِّ ذريعة، كما هو الحال عندما يواجه الشخص خطراً محدقاً بحيث يكون احتمال بقائه على قيد الحياة قليلاً جدّاً، فحينئذ يتوجه إلى الله تعالى بالنذر الثقيل ويعاهده على العمل به ثمّ يتفق أن ينجو من هذا الخطر، وعندها يتوجه هذا الشخص إلى مرقد الإمام الذى نذر له ذلک النذر ويقول مخاطباً له : أيّها الإمام، لقد نذرت فى تلک اللحظات الخطيرة نذراً ثقيلاً، فلماذا صدّقت بكلامى وطلبت من الله أن ينقذنى ؟

أجل، إن بعض المسلمين هم مصداق الآية الشريفة :

www.makarem.ir

(فَإذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ فَلَمّا نَجّاهُمْ إلَى الْبَرِّ إذا هُمْ يُشْرِكُونَ)[١].

ولكن أهل البيت (عليهم السلام) لم يكونوا كذلك، فهم لا يكتفون بالوفاء بالنذر فقط بل يوفون بجميع تعهّداتهم والتزاماتهم الأخلاقية ومسؤولياتهم الإجتماعية، لأن ذلك من علامات الإيمان[٢] والمسلم الحقيقى يجب أن يتصف بهذه الصفة الأخلاقية وهى الوفاء بالعهد والنذر حتّى لو كان ذلك بضرره.

٢ ـ الخوف من القيامة

(وَيَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً) والخصلة الثانية من خصائص هؤلاء الأشراف والأولياء هو أنهم يخافون من يوم القيامة، وطبعاً ليس ذلك بسبب خوفهم من احتمال أن يتوجه إليهم ظلم بحقّهم بل يخافون من محكمة العدل الإلهية لأن جميع أعمال الإنسان الصغيرة والكبيرة ستعرض فى ذلك اليوم ويُحاسب عليها الإنسان كما ورد فى قوله تعالى (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّة خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلَ مِثْقَالَ ذَرَّة شَرّاً يَرَهُ) وهذا هو الذى يخيفهم ويثير فى أنفسهم الفزع والخشية لأن ذلك اليوم يُحاسب الإنسان على ما قدّم وأخر، وفى تلك المحكمة الإلهية سيحاسب الصغير والكبير، المرأة والرجل، الغنى والفقير، العالم والجاهل، والخلاصة جميع أفراد البشرية، فالإعتقاد بتحقّق ذلك اليوم المهيب يثير فى الإنسان الخوف والرهبة.

٣ ـ معونة الفقراء والمساكين

(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَاَسِيراً) الخصلة الثالثة التى ذكرتها هذه الآيات الشريفة لأهل البيت (عليهم السلام) والتى تعتبر محور هذا البحث هو مواساتهم للمساكين وتقديمهم يد العون للمحرومين فى المجتمع الإسلامى، فهؤلاء الأولياء بالرغم من احتياجهم إلى الطعام نراهم يؤثرون الفقراء والمساكين على أنفسهم ويقدمون ما لديهم من الطعام إلى المسكين واليتيم والأسير، وفى هذه الآية الشريفة إشارة إلى ثلاث طوائف من المحرومين والمحتاجين فى المجتمع :

---

١ . سورة العنكبوت : الآية ٦٥.

٢ . انظر الروايات الواردة فى هذا المجال فى كتاب ميزان الحكمة : ج ١، ص ٣٤٦، الباب ٣٠٢.

www.makarem.ir

الف ـ «المسكين» وهذه الكلمة مشتقة من مادّة «سكون» أى الفقر والحاجة الشديدة بحيث تدع الإنسان ساكناً وقابعاً إلى الأرض من شدّة الحاجة والفاقة، فيجب على المسلمين والمؤمنين أن يأخذوا بيد هؤلاء المحرومين والفقراء والمساكين الذين لا يستطيعون أن يوفروا لأنفسهم وأهلهم ما يحتاجونه من أوّليّات الحياة والمعيشة، وأن يمدوا يد العون لهؤلاء المحرومين ويشاركوهم فى النعم التى يعيشون فيها ويواسونهم بها.

ب ـ «اليتيم» وهو الطفل الذى فقد وليه وأباه، فرغم أنّ اليتيم قد لا يكون محتاجاً من الناحية المادية ولكنه يعيش أزمة عاطفية وهو فى أشد الحاجة إلى المحبّة والحنان من الآخرين، وقد ذكروا أنه فى إحدى الزلازل التى وقعت أخيراً وكثرت فيها الضحايا من أهالى المدينة أو القرية عثروا على صبى فقد خمسين شخصاً من عائلته وأرحامه كالأب والأُمّ والأخوات والأُخوة والأعمام والعمات والخالات وذرياتهم، والخلاصة أنه فقد جميع أرحامه وأقربائه، فمثل هذا الشخص يعيش الحاجة الشديدة إلى المحبّة والعاطفة وسوف ينهار حتماً إن لم يجد من يعوّضه عن هذه الخسارة المعنوية والروحية.

ج ـ «الأسير» ومعناه واضح حيث يقال للشخص الذى ابتعد عن بيته ووطنه ومدينته وعاش فى بلد آخر غريباً ووحيداً، فيمكن للأسير أن يكون ثرياً فى وطنه ولكنه بعد وقوعه فى الأسر فانه يستحق المساعدة والمحبّة.

وعلى أيّة حال فإنّ الإنسان المؤمن والمسلم يجب أن يمد يد العون فى دائرة استطاعته وامكانيته إلى جميع الأفراد المحرومين والمتضررين فى المجتمع، وفى هذا الزمان قد لا يوجد مصداق لأحد هذه الطوائف الثلاث المذكورة فى الآية الشريفة، ولكن هناك طوائف أُخرى تعيش الفاقة والحاجة الشديدة إلى المساعدة والمعونة، المرضى بالسرطان، والجذام والأمراض المزمنة الأُخرى، السجناء، البنات اللواتى فى سن الزواج ولكنهنّ محرومات من الذهاب إلى بيت العرس لفقدانهن الجهيزية ووسائل المعيشة، وهناك طوائف أُخرى محتاجة أيضاً.

www.makarem.ir

فهل نحن نتحرک من موقع الإيثار والشفقة على هؤلاء المحرومين كما رأينا فى سلوک أهل البيت (عليهم السلام) ؟

هل نعلم بحالة الجيران وما هم عليه من الفاقة والحاجة ؟

هل نعلم بكيفية معيشتهم وإفطارهم وسحورهم ؟

هل نحن مطلعون على أحوال وأوضاع أرحامنا وأقربائنا ؟

إذا كان جواب هذه الأسئلة بالنفى (والعياذ بالله) هل يمكننا مع ذلک أن ندّعى بأننا من شيعة أهل البيت ؟

٤ ـ الإخلاص

(اِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شَكُوراً) الفضيلة الرابعة للإمام على وزوجته وطفليه هى مسألة «الإخلاص» لله تعالى فى عملهم هذا، وهى فضيلة عظيمة جدّاً، حيث قالوا :

إننا نتقدم إليكم بهذه المساعدة والمعونة تقرباً إلى الله تعالى وطلباً لرضاه ومن دون أى دافع آخر من الدوافع الدنيوية ولذلک لا نطلب منكم شيئاً دنيوياً ولا نتوقع منكم حتّى الشكر.

عندما نقرأ هذه الكلمات ونكررها فى أذهاننا هل يمكننا أن نتصور أن إنساناً من أفراد المجتمع يمكنه أن يدّعى هذا الإدعاء غير الأولياء ؟

والأكثر من ذلک لو أن الطرف المقابل تحرک نحوهم من موقع الإهانة وتجاسر عليهم بدل أن يتقدّم إليهم بالشكر فإن حالهم لا يتفاوت أبداً عن السابق.

إنّ الإخلاص هو جوهر العمل الصالح، ولذلک أكد عليه الإسلام كثيراً وتقدّم إلى المسلمين بتعليماته وتوصياته أن يهتموا بكيفية العمل لا بكميته وعدده، أى أن ركعة واحدة يصليها المسلم بإخلاص أفضل عند الله من ألف ركعة يصليها بدون إخلاص.

٥ ـ الخوف من الله

(إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً) الخامس من خصائص هؤلاء هو : الخوف من الله تعالى.

www.makarem.ir

ولعلک تسأل : تقدّم فی الخصلة الثانية أنهم يخافون من المعاد والقيامة وهنا نجد الخوف من الله تعالى فما هو الفرق بينهما ؟

الجواب : لا يلزم أن يكون الخوف من الله تعالى متلازماً ومتزامناً مع الخوف من جهنم والقيامة والعذاب الاُخروى بل يمكن أن يعيش الإنسان الخشية والهيبة من عظمة الله، فعندما يفكر الإنسان المؤمن بعظمة الله تعالى فإنّ الخوف والخشية والمهابة تسرى فی جميع أركان وجوده ومفاصل بدنه، ويكون حاله كما لو توجه لملاقاة شخصية مهمة وأراد أن يقول له شيئاً، فمن المحتمل أن تستولى عظمة ذلک الشخص عليه فلا يستطيع النطق والكلام حينها رغم أن ذلک الشخص هو إنسان عطوف وحسن الأخلاق جدّاً، وعليه فإنّ هذه الخصلة الخامسة تتفاوت مع الخصلة الثانية والخوف من الله تعالى يراد به هنا الخوف من عظمة الله وكبريائه.

آيات الأجر والثواب

تقدّم أنّ فی هذه السورة أربعة عشر آية من آياتها تتحدّث عن الأجر العظيم الذى ينتظر هؤلاء الأولياء جزاءاً لإيثارهم وتضحيتهم اتجاه المحرومين، ولا نجد فی القرآن الكريم مثل هذا الثواب العظيم بأى عمل من الأعمال الصالحة التى تصدر من المؤمنين، بمعنى أننا نرى أن خمسة عشر نوعاً من الثواب ورد بصورة متوالية فی هذه السورة، ولو أمعنا النظر أكثر فی هذه الآيات الأربعة عشر لوجدنا عشرين نوعاً من الثواب على ذلک العمل، وسوف نستعرض هذه المثوبات فی ١٢ فقرة لاحقاً، ولكن قبل بيان هذه المثوبات نرى من الضرورى تقديم مقدّمة :

المقارنة بين الثواب الدنيوى والاُخروى

بلا شكّ أنّ نعم ومواهب الآخرة تختلف عن نعم ومواهب الدنيا، لأنه بالرغم من استخدام الألفاظ البشرية والقوالب الدنيوية فی شرح وتوضيح تلكم المواهب الاُخروية ولكن يبقى مفهومها ومحتواها له ماهية غيبية واُخروية، وعلى هذا الأساس فما نسمعه ونتصوره من النعم والمواهب الاُخروية ليس سوى شبح من حقائق ذلک العالم، ولا

www.makarem.ir

ينبغى أن نتوقع إدراک حقائق تلک النعم فى هذه الدنيا كما هو الحال فى الجنين فى بطن اُمّه حيث لا يمكنه إدراک حقائق هذا العالم الدنيوى مهما بالغت اُمّه فى إفهامه حسب الفرض ومهما كان ذكياً كابن سينا، فإنه لا يستطيع تصور ما يجرى فى هذا العالم سوى اشباح وأوهام، ولذلک ورد عن النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)قوله :

«إنَّ اللهَ يَقُولُ : اَعْدَدْتُ لِعِبادِيَ الصّالِحينَ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا اُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَر»[1].

وعلى هذا الأساس فمن الممكن أن يكون لكلمة معنىً خاص فى عالمنا الدنيوى هذا ولكنه يحمل معنىً آخر عند استعماله فى مورد النعم والمواهب الاُخروية فى الجنّة، وسيأتى توضيح أكثر فى البحوث اللاحقة حول هذا الموضوع.

وبعد بيان هذه المقدّمة نستعرض النعم الاثنى عشر فى الجنّة لهؤلاء الأولياء :

النعم الاثنا عشر فى الجنّة

١ ـ السكينة والهدوء النفسى

(فَوَقاهُمُ اللهُ شَرَّ ذلِکَ الْيَومِ وَلَقّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً) فأوّل نعمة ينالها هؤلاء الأولياء فى الجنّة هى نعمة الإستقرار والهدوء النفسى حيث يدفع عنهم الله تعالى شرور ذلک اليوم ومشكلاته ومصاعبه ويغرقهم فى أجواء الفرح والسرور، ويتّضح من ذكر الآيات الشريفة نعمة الهدوء النفسى والسكينة الروحية باعتبارها أوّل نعمة من النعم الإلهية فى الجنّة كونها نعمة مهمة وثمينة جداً، والحقيقة هى أنها كذلک حيث إنّ الاطمئنان الروحى للإنسان يمثل أغلى شىء يناله الشخص فى الدنيا والآخرة، ويتبين هذا المعنى فى الأشخاص الذين يمتلكون مختلف المواهب والنعم فى الدنيا ولكنهم لا يعيشون الإستقرار والهدوء النفسى فإنّ هذه النعم والإمكانات المادية والدنيوية تتحول إلى أدوات لتثوير حالة القلق والإضطراب والعذاب النفسى لهؤلاء، ولهذا نرى أن الكثير من الأثرياء وأبناء الاُمراء قد يتوجهون نحو الإنتحار للتخلص من عناصر القلق والإضطراب

١ . نفحات القرآن : ج ۶، ص ٣٠٢.

www.makarem.ir

النفسى، ويقال أن إحدى الغابات فى أمريكا الواقعة إلى جانب إحدى المدن الامريكية تسمّى غابة

الانتحار حيث يتوجه إليها الأشخاص الأثرياء الذين يمتلكون كلّ شيء فى الدنيا سوى الإستقرار والهدوء النفسى وينتحرون هناك ويقضون على حياتهم البائسة.

وفى المقابل نرى أن بعض الأشخاص بالرغم من كونهم يعيشون الفقر المدقع ولا يمتلكون من وسائل الحياة إلاّ القليل جدّاً ومع ذلک يعيشون الإستقرار الروحى فى درجات عالية فى حياتهم الفردية والإجتماعية.

فلو أنک تسأل : كيف يمكن تحصيل هذه النعمة المهمة فى حركة الحياة ؟

نقول : إنّ الله تبارک وتعالى ذكر فى الآية ٨٢ من سورة الأنعام أن هذه النعمة العظيمة تكون من نصيب المؤمنين الذين يتحركون فى خط الطاعة والتقوى :

(اَلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ايمانَهُمْ بِظُلْم أُولَئِکَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ).

وفى الآية ٢٨ من سورة الرعد يقرر أن ذكر الله وعدم الغفلة عنه بمثابة المنبع الدائم للخير والبركة والأمن والإستقرار النفسى.

٢ ـ بساتين الجنّة (وَجَزَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً).

وإحدى المواهب الأُخروية للأفراد هى أنهم يسكنون فى بساتين الجنّة التى تختلف فى جميع أُمورها عن بساتين الدنيا، تلک البساتين التى يجرى من تحتها الأنهار، والأشجار الخضراء اليانعة طوال السنة وتؤتى ثمارها فى جميع الفصول، الأشجار التى لا تحتاج لقطف ثمارها أن يتحمل الإنسان بعض التعب فى ذلک بل تحضر بنفسها بمجرد إرادة الإنسان المؤمن وتضع نفسها بين يديه.

٣ ـ الراحة والرفاهية (مُتَّكِئِينَ فِيها عَلَى الأَرائِکِ).

«أرائک» جمع «أريكة» والأصل فيها التخت الذى تجلس عليه العروس ثمّ أُطلقت على جميع الكراسى الجميلة، فأهل الجنّة يجلسون فى بساتينها على أرائک جميلة ويتكئون عليها ويتنعمون بنعيم الجنّة، وعبارة «متكئين» تعبير ظريف وجميل لأن الإنسان لا يعيش هذه الحالة من الجلوس متكئاً على الأريكة إلاّ وهو ناعم البال مرتاح

www.makarem.ir

الضمير آمن الخاطر، فلو كان قلقاً ومضطرباً فإنه لا يمكنه الجلوس فى مثل هذه الحالة والإتكاء على الأريكة بل تراه يقوم ويقعد ويتحرك من هنا ومن هناك.

٤ ـ الأجواء المعتدلة والنسيم العليل (لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلا زَمْهَرِيراً).

هواء الجنّة معتدل جدّاً فليس هناك شمس الصحراء المحرقة ولا يحتاج الإنسان إلى أجهزة التبريد، وليس الجو بارداً جدّاً ليحتاج الإنسان أجهزة للتدفئة بل يعيش الإنسان هناك الربيع الدائم والنسيم العليل، ولا شكّ أن فى الجلوس والاتكاء على الأرائک الجميلة فى مثل هذا الجو الناعم وتحت ظلال الأشجار المثمرة واليانعة، لذّة لا توصف وسعادة لا تتصور.

سؤال : هذه الآيات الشريفة تنفى وجود الشمس فى الجنّة، ولكن الآيات اللاحقة تتحدّث عن وجود ظلال لأشجار الجنّة، فلو لم تكن هناک شمس فكيف يُعقل أن تكون هناک ظلال للأشجار، أليس هذا من التناقض ؟

الجواب : **أوّلاً** : إنّ القرآن لا يقول أن فى الجنّة لا يوجد شمس، بل يقول أن أهل الجنّة لا يرون الشمس، أى أن أشجار الجنّة متراكمة الأغصان وكثيفة الأوراق إلى درجة أن أهل الجنّة لا يرون الشمس بسبب كثافة هذه الأشجار وارتفاعها.

ثانياً : إنّ المراد بقوله (لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً) أنهم لا يحسون بحرارة الشمس الشديدة، فالآية لا تنفى وجود شمس معتدلة، وعليه فلا يوجد هناک تناقض فى البين.

٥ ـ الظلال والفواكه (وَدانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها وَذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلاً).

إنّ أشجار الجنّة تظلل على هؤلاء المؤمنين بأغصانها وتدنى إليهم ثمارها حتّى ينالون منها ما يشاؤون دون أن يتعبوا أنفسهم فى الصعود عليها وقطف ثمارها.

٦ ـ الخدم من الغلمان (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ).

وكلّما أرادوا شيئاً أمروا الخدم والغلمان من الولدان المخلدون الذين هم فى جمالهم كاللؤلؤ المنثور ليحققوا لهم ما يريدون، بل لا يحتاج هؤلاء الغلمان إلى الأمر والنهى لأنهم يتحركون من موقع الخدمة لصاحبهم وسيّدهم دائماً.

٧ ـ الثياب الجميلة جداً (عالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُس خُضْرٌ وَاِسْتَبْرَقٌ).

www.makarem.ir

حيث يلبس أهل الجنّة أنواع الملابس الجميلة والبرّاقة والمصنوعة من الحرير الناعم ومن السندس والإستبرق، فحتّى الملابس التى كانت حرام عليهم فى الدنيا فإنه يباح لهم لبسها وارتداؤها فى الآخرة.

٨ ـ الزينة[١] (وَحُلُّوا اَساوِرَ مِنْ فِضَّة).

فيباح لهم فى الجنّة التزيّن بأنواع الزينة ولبس الأسورة من الذهب والفضة.

٩ ـ أدوات الضيافة الراقية (وَيُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَة مِنْ فِضَّة وَاَكْواب كانَتْ قَواريراً).

إنّ الأدوات التى يستخدمها الإنسان فى تناول غذائه والآنية التى يستخدمها فى طعامه لها أهمية خاصّة، فلو أن أفضل الأغذية وأطيب الأطعمة والأشربة وضعت فى آنية وأقداح غير مناسبة ووسخة فإنّ ذلک بإمكانه أن يسلب الشهية من الإنسان حتّى لو كان جائعاً، ولكن على العكس من ذلک إذا كان الغذاء عادياً ولكن تمّ تقديمه بآنية جميلة ومناسبة ونظيفة فإنّ ذلک من شأنه أن يثير فى الإنسان الشهيّة للأكل، ولذلک نجد أن آنية الجنّة وأكوابها التى يستخدمها أهالى الجنّة مصنوعة من الفضة والذهب والبلور وعلى هيئة جميلة وجذّابة جدّاً، وطبعاً الفضة فى ذلک العالم تختلف عن الفضة فى هذه الدنيا حيث إن تلک الآنية من الفضة شفافة كالزجاج.

١٠ ـ أنواع النِعم والمواهب (وَاِذَا رَاَيْتَ ثَمَّ رَاَيْتَ نَعيماً).

فعندما يرد المؤمن الجنّة ويرى المواهب العظيمة والنِعم الكثيرة التى توضع تحت اختياره فإنه يرى ما لا يمكن وصفه من النعيم.

١١ ـ الملک العظيم (وَمُلْكاً كَبِيراً) إنّ أهل الجنّة بالنسبة إلى الإمكانات والخدم والحشم والمنزلة العظيمة التى لديهم يعيشون الملک والسلطنة العظمى وكأن كلّ واحد منهم يعيش السلطنة والملک على دولة مستقلة ومملكة عظيمة.

١٢ ـ أنواع المشروبات : إنّ إحدى النعم والمواهب المقررة لأهل الجنّة والتى ذكرها القرآن فى موارد متعدّدة هى أنواع الخمور والمشروبات الخاصة بأهل الجنّة،

---

١ . الإسلام لا يمانع من التزيّن، إلاّ أنه منع من الإسراف فى استخدام الزينة، بل إن القرآن الكريم دعا إلى استخدام الزينة عند التوجّه إلى المساجد وحثّ على لبس الثياب النظيفة وورد استحباب العطر وأمثال ذلک.

www.makarem.ir

الخمر الذى لا يزيل عقل الإنسان بل يثير فيه روح النشاط والوجد والسرور، ونقرأ فى هذه الآيات من سورة الدهر أن هناك ثلاث أنواع من الأشربة فى الجنّة :

ألف ـ شراب الكافور (إنَّ الأبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْس كانَ مِزَجُها كافُوراً).

وهنا تتحدّث الآية عن شراب ممزوج بعطر الكافور وهو المادة التى تضاف إلى الماء فى تغسيل الميت ولها خاصية مضادّة للتعفن، ولكنها تستخدم فى لغة العرب بمعنى أوسع، فتطلق على كلّ شيء معطر ذى رائحة طيبة، وعليه فالمراد من شراب الكافور هو الشراب المعطّر الذى يثير لدى أهل الجنّة لذّة كبيرة عند تناوله.

ب ـ شراب الزنجبيل (وَيُسْقَوْنَ فِيها كَأْساً كانَ مِزاجُها زَنْجَبِيلاً).

الزنجبيل أيضاً يستعمل فى معناه المتداول والمعروف وكذلك بمعنى عطور خاصّة، ولكن هنا ورد بالمعنى الثانى حيث يتناول أهل الجنّة شراباً ممزوجاً بعطر الزنجبيل.

ج ـ الشراب الطهور (وَسَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً).

النوع الثالث من أنواع الأشربة التى يتناولها أهل الجنّة هو الشراب الطهور حيث يسقيهم الله تعالى هذا الشراب فى الجنّة.

هذه التعبيرات المتنوعة فى مفردة الشراب تستحق الدقّة والتأمل، فعندما يتحدّث عن شراب الكافور يعبر عنه بجملة «يشربون» أى أن أهل الجنّة يتناولون هذا الشراب بأيديهم، أما فى مورد شراب الزنجبيل وردت العبارة بجملة «يسقون» أى أن خدم الجنّة يقدّمون هذا الشراب لهؤلاء المؤمنين، وبالنسبة إلى الشراب الطهور ورد التعبير بـ «سقاهم ربّهم» أى أن الله تعالى هو الذى يسقيهم هذا الشراب الطاهر فى الجنّة.

ماذا يعنى الشراب الطهور ؟

ورد فى رواية أن أهل الجنّة عندما يشربون هذا الشراب فإنه :

«**يُطَهِّرُهُمْ مِنْ كُلِّ شَيْء سَوَى اللهِ**»[١].

١ . بحار الأنوار : ج ٨ ، ص ١١٣.

www.makarem.ir

ويقول النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) فى حديث آخر عن آثار هذا الشراب الطهور فى نفوس أهل الجنّة أنه :

«**فَيُطَهِّرُ اللهُ بِهَا قُلُوبَهُمْ مِنَ الْحَسَدِ**».[١]

إنّ الحسد يُعد أحد الرذائل الأخلاقية التى يبتلى بها البشر فى حركة الحياة الدنيا، فأحياناً يمتلك الإنسان جميع النعم الدنيوية والإمكانات المعيشية فى هذه الحياة ولكنه مع ذلك لا يتحمل أن يرى الآخرين يمتلكون أيضاً مثل هذه الإمكانات والنعم ويعيشون براحة وسعادة، فالحسد بمثابة السجن الذى يسلب من الحاسد طعم الراحة والإستقرار ويورده فى وادى الضلالة والشقاء، وعلى أيّة حال فإنّ أحد المعطيات المهمّة للشراب الطهور هى إزالة هذه الرذيلة من واقع الإنسان وتطهير قلبه من هذه الصفة الأخلاقية الذميمة.

سؤال : إنّ الآيات الشريفة محل البحث قد ذكرت نِعم ومواهب مختلفة وتطرّقت إلى ذكر التفاصيل والجزئيات لبعض هذه النِعم بصورة دقيقة ولكنّها لم تذكر أحد النِعم المهمّة التى طالما ذكرها القرآن الكريم لأهل الجنّة، وهى النعمة التى تخطر على بال كلّ إنسان، أى نعمة «حور العين» فلا نجد كلاماً حول هذه النعمة المهمة فى هذه الآيات الشريفة، فما هو السبب فى ذلك ؟

الجواب : يرى بعض المفسّرين[٢] أنّ الآيات الشريفة أعلاه نزلت لتتحدث عن فاطمة الزهراء (عليها السلام)، ولم يذكر الله تعالى نعمة «حور العين» فيها احتراماً لفاطمة الزهراء، وهذا شاهد آخر فى شأن نزول هذه الآيات وأنها نزلت فى الإمام على (عليه السلام) وأهل بيته، وإلاّ فلا مبرر لعدم ذكر الحور العين فى عداد النعم والمواهب الإلهية فى الجنّة.

---

١ . بحار الأنوار : ج ٨ ، ص ١٥٧.

٢ . روح المعانى : ج ٢٩، ص ١٥٨.

www.makarem.ir

والخلاصة أنّ هذه النِعم الإثنى عشر الواردة ضمن أربعة عشر آية من هذه السورة خاصة بـ «الأبرار» الذين يقف على رأسهم الإمام على وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام).

شبهات وردود

ومع الأسف فإنّ البعض طرح فى ذيل هذه الآيات المتعلّقة بفضائل أهل البيت (عليهم السلام)وكذلک آيات الولاية والإمامة شبهات وعلامات استفهام لا نشاهد مثيلها لدى تفسيرهم لسائر آيات القرآن الكريم، وطبعاً فإنّ الغرض من طرح هذه الشبهات معلوم مسبقاً، لأنهم إذا قبلوا بأن هذه الآيات واردة فى فضائل الإمام على وسائر الأئمّة (عليهم السلام) فلابدّ أن يقولوا بإمامتهم وخلافتهم بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لأنه كما تقدّم سابقاً أن الإمامة لو كانت انتصابية من الله تعالى فإنه عزّوجلّ لا يختار أىّ شخص لهذا المقام سوى الأفضل والأعلم والأشجع، ولا يمكن أن يترک الأفضل ويختار المفضول فإنّ ذلک على خلاف مقتضى الحكمة الإلهية، وإذا كانت الإمامة انتخابية فإنّ العقلاء ينبغى أن يختاروا لهذا المقام الأفضل من بين الأفراد، ومع وجود الأفضل لا يصحّ أن يختاروا المفضول، ولكن هذه الحقيقة تتقاطع مع أهواء البعض ومسبوقاتهم الفكرية، ولذلک يتحركون فى تفسيرهم لهذه الآيات من موقع التشكيک بهذه الفضائل أو السعى لتهميش هذه المناقب الواردة فى هذه الآيات لئلاّ يتورّطوا بعذاب الوجدان وتأنيب الضمير، ومن هنا نستعرض بعض هذه الشبهات والذرائع التى تمسّكوا بها :

١ ـ سورة الإنسان مكّية

قالوا : إنّ سورة الدهر لم تنزل بالمدينة بل فى مكّة، ومن المعلوم أن الإمام الحسن والحسين (عليهما السلام) قد ولدوا بعد الهجرة فى السنة الثانية والثالثة من هجرة النبى إلى المدينة، وعليه فإنّ زمان نزول هذه السورة كان قد سبق ولادة هذين السيّدين بعدّة سنين، فما ذكر فى شأن نزولها لا يتناسب مع كونها مكّية، ولذلک ذهب البعض إلى أن شأن نزول هذه الآيات كالتالى :

www.makarem.ir

«جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال له رسول الله : سل واستفهم، فقال : يا رسول الله : فضلتم علينا بالألوان والصور والنبوّة، أفلا رأيت إن آمنت بما آمنت به وعملت بمثل ما عملت به إنى لكائن معک فى الجنّة ؟ قال : نعم والذى نفسى بيده انه ليُرى بياض الأسود فى الجنّة من مسيرة ألف عام»[١] ثمّ نزلت عليه السورة «هل أتى»[٢].

والخلاصة أن ما ذكر فى سبب النزول السابق لا يتناسب مع كون السورة مكّية.

الجواب : أوّلاً : إنّ الكثير من المفسّرين والمحدّثين والمؤرّخين يرون أن سورة الدهر نزلت فى المدينة، وقد صرّح البعض بهذا المعنى ولكن البعض الآخر لم يصرّحوا بذلک بل ذكروا أن شأن نزولها كان فى على وأهل بيته (عليهم السلام) وهذا يدلّ بالملازمة أن سورة الدهر مدنيّة.

وقد ذكر القاضى نورالله الشوشترى فى المجلد الثالث من كتابه «احقاق الحقّ» الصفحة ١٥٧ فصاعداً أسماء هؤلاء العلماء الذين نشير إلى طائفة منهم :

١ ـ «الزمخشرى» وهو من المفسّرين المعروفين لدى أهل السنّة ومن مشاهيرهم فقد صرّح فى كتابه المعروف «الكشّاف» بأن سورة الإنسان مدنية[٣].

٢ ـ «الواحدى» وهو عالم آخر من مشاهير أهل السنّة حيث اختار هذا الرأى فى «أسباب النزول»[٤].

٣ ـ «ابن الجوزى» هو الآخر من علماء أهل السنّة حيث يرى مدنية سورة الدهر[٥].

٤ ـ «الگنجى» حيث اختار هذه النظرية فى كتابه «كفاية الطّالب»[٦].

٥ ـ «الطبرى» حيث اختار هذه الرأى فى «ذخائر العقبى»[٧].

---

١ . روح المعانى : ج ٢٩، ص ١٦٥.

٢ . تفسير نمونة : ج ٢٥، ص ٣٣٠.

٣ . الكشّاف : ج ٤، ص ١٦٩.

٤ . أسباب النزول : ص ٣٣١.

٥ . التذكرة : ص ٣٣٢.

٦ . كفاية الطّالب : ص ٢٠١.

٧ . ذخائر العقبى : ص ١٠٢.

www.makarem.ir

٦ ـ «الآلوسى» يرى أيضاً بأن هذه السورة مدنية[١].

٧ ـ «الفخر الرازى» الذى هو أشهر مفسّرى أهل السنّة حيث اختار هذه النظرية أيضاً[٢].

٨ ـ «القرطبى» المفسّر المعروف حيث ذكر فى تفسيره هذه العبارة :

ذكر الثّعلبى فى تفسيره : وقال أهل التفسير انّها نزلت فى على وفاطمة وجارية لهما اسمها فضّة[٣].

وقال أهل التفسير أنها نزلت فى علىّ وفاطمة وجارية لهما اسمها فضة.

والخلاصة انه طبقاً لشهادة علماء الإسلام هؤلاء فإنّ سورة الدهر مدنية بلا شكّ.

ثانياً : ويستفاد من الآية الشريفة (وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكيناً وَيَتيماً وَاَسيراً) أن هذه السورة مدنية، لأن الأسير لم يكن له وجود فى مكّة حينذاك بل وجد بعد هجرة النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) والمسلمين إلى المدينة وتشريع حكم الجهاد وبعدما حدثت معارك وغزوات النبى (صلى الله عليه وآله)، وعليه فإنّ وجود كلمة «أسير» فى هذه الآيات يدلُّ على أن هذه السورة مدنية.

وأمّا ما ذكر فى شأن النزول من الغلام الحبشى فإنه لا يتناسب إطلاقاً مع آيات سورة الدهر، لأنّ شأن النزول هذا ليس له ارتباط بإطعام المسكين واليتيم والأسير، وعليه فإنه لا ينسجم مع آيات هذه السورة ولا ينبغى الإعتناء بما يخالف القرآن الكريم من شأن النزول.

٢ ـ التعارض بين الوجوب والإستحباب

وهنا يثار سؤال : هل يليق بالإمام على (عليه السلام) أن يدفع طعامه وطعام أهل بيته الذين تجب نفقتهم عليه إلى السائل ؟ فى حين أن الله تعالى يقول فى الآية ٢١٩ من

---

١ . روح المعانى : ج ٢٩، ص ١٥٧.

٢ . التفسير الكبير : ج ٣٠، ص ٢٤٤.

٣ . تفسير القرطبى : ج ١٩، ص ١٩.

www.makarem.ir

سورة البقرة ضمن الإجابة على السؤال الذى تقدّم به بعض المسلمين إلى النبى (صلى الله عليه وآله) عمّا يصحّ لهم إنفاقه، فقال :

(قُلِ الْعَفْوَ) أى ما زاد على الضرورى واللازم فى حياة الإنسان.

فإذا كانت آيات سورة الدهر نزلت فى حقّ علىّ وأهل بيته (عليهم السلام) إذن فلماذا تبرع الإمام بالطعام الذى يحتاجونه إلى السائل ؟

الجواب : إنّ هذا الكلام يثير العجب واقعاً وخاصّةً فيما لو صدر من شخص يدّعى المعرفة والعلم، لأنّ مثل هذه المعاذير والحجج تشير إلى معالم الجهل وعدم الإطلاع، وتوضيح ذلک أن «الإنفاق» شيء و«الإيثار» شيء آخر، ومع الأسف أن من يطرح هذا الإشكال لا يدرک التفاوت بين الإنفاق والإيثار.

ونقرأ فى الآية التاسعة من سورة الحشر فى وصف الأنصار :

(وَيُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ).

إنّ بعض الأشخاص قد يصلون فى مرتبة الكمال المعنوى إلى درجة ومقام «الإيثار»، فعلى رغم حاجتهم الشديدة ينفقون ما يحتاجونه على الآخرين.

وقد ورد فى شأن نزول هذه الآية : «أن شخصاً أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فشكى إليه الجوع، فبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى منزله، فقالت له زوجته : ما عندنا إلاّ الماء، فقال رسول الله : من لهذا الرجل الليلة ؟ فتعهده رجل من الأنصار وصحبه إلى بيته ولم يكن لديه إلاّ القليل من الطعام لأطفاله، وطلب أن يؤتى بالطعام إلى ضيفه وأطفأ السراج، ثمّ قال لزوجته : نوّمى الصبية، ثمّ جلس الرجل وزوجته على سماط الطعام فتظاهروا بالأكل ولم يضعوا شيئاً فى أفواههم، وظنّ الضيف أنهم يأكلون معه، فأكل حتّى شبع وناموا الليلة، فلما أصبحوا قدموا على رسول الله (صلى الله عليه وآله)فنظر إليهم وتبسّم (دون أن يتكلم)، فنزلت الآية أعلاه وأثنت على إيثارهم»[١].

وعلى هذا الأساس فإن من يطرح مثل هذه الشبهة فإنه لم يقرأ جميع آيات القرآن الكريم، وإلاّ فلا ينبغى الشكّ بأن مقام الإيثار أعلى مرتبة من مقام الإنفاق بحيث لا

١ . التفسير الامثل : ذيل الآية مورد البحث.

www.makarem.ir

يناله إلاّ من أُوتى حظاً عظيماً من الإيمان والخلوص، ولذلک يعد الإيثار من الصفات الخاصّة بالمؤمنين الحقيقيين.

مضافاً إلى أن الإمام على (عليه السلام) كما ورد فى قصة سورة الدهر لم يقدم إلى السائل سوى طعامه فقط لا طعام جميع أفراد الأُسرة، ثمّ إنّ فاطمة الزهراء (عليها السلام) قدّمت طعامها إلى السائل بكلّ اختيار ورغبة وهكذا صنع الحسن والحسين (عليهما السلام) وهذا يدلُّ على غاية الإيثار الذى يذكره القرآن الكريم من موقع الثناء والمدح.

وأمّا فى مورد قوله تعالى (قُلِ الْعَفْوَ) فهناک نظريتان فى المراد منها، إحداهما أن المراد من «العفو» هو الشيء الزائد عن حاجة الإنسان[١]، ولكن الإحتمال الثانى هو أن يكون «**اَلْعَفْوُ هُوَ الطَّيِّبُ مِنَ الْمالِ**» ولذلک لابدّ من التصدّق على الفقير والمسكين من هذا النوع من الأموال[٢] لا كلّ ما زاد عن حاجة الإنسان واستغنى عنه فى حياته فإنّه يقوم بالتصدّق به إلى الفقراء، لأنه فى هذه الصورة سوف لا يصل إلى حقيقة البر والإحسان فى قوله تعالى (لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتّى تُنْفِقُوا مِمّا تُحِبُّونَ)[٣].

وعليه فإنّ قوله (قُلِ الْعَفْوَ) يحتمل قوياً أن يراد به التوصية ببذل أفضل ما بأيدى الإنسان من أموال ووسائل إلى الفقراء لا أنه يتصدّق بما لا يحتاج إليه، وهذا هو معنى الإيثار الذى أشارت إليه آيات سورة الدهر.

وبالإلتفات إلى ما تقدّم آنفاً فإننا لا نجد تنافياً بين آية «**قُلِ الْعَفْوَ**» وبين شأن نزول آيات سورة الدهر، بل وأكثر من ذلک فإنها منسجمة معها ومؤيدة لها.

٣ ـ آيات سورة الدهر عامة أو خاصّة ؟

سؤال : هل أن آيات سورة الدهر التى وردت فى وصف «الأبرار» وما ذكر من أنواع المثوبات والجزاء فى الجنّة لهؤلاء تختص بالإمام على (عليه السلام) وزوجه وابنيه، أو هى

---

١ . الكشّاف : ج ١، ص ٢٦٢.

٢ . ورد الإحتمال الأوّل والثانى واحتمالات أُخرى أيضاً فى التفسير الامثل : ج ٢، ذيل الآية ٢١٩ من سورة البقرة.

٣ . سورة آل عمران : الآية ٩٢.

www.makarem.ir

عامة وشاملة لجميع الأشخاص الذين يتصفون بصفة «الأبرار» ؟ وإذا كان الإحتمال الثانى هو المتعيّن[١] إذن فلماذا نحصر الآيات الشريفة بأهل بيت النبوّة ؟

الجواب : أوّلاً : إنّ الشواهد والقرائن الموجودة فى الآيات الشريفة لا يمكن تطبيقها على جميع الأبرار، بل تنطبق على أبرار معينين، مثلاً يستفاد من هذه الآيات أن الأبرار المقصودين فيها هم الذين نذروا لله تعالى وعملوا بذلک النذر وتحركوا من موقع الإيثار العظيم فى إنفاقهم على المسكين واليتيم والأسير، وعليه فإنّ الآيات محل البحث لا تستوعب الأبرار الذين لم يتصفوا بهذه الصفات كالنذر وأشباهه.

ثانياً : على فرض أن الآيات المذكورة عامّة وشاملة لجميع الأبرار ولكن بدون شک أنها شاملة لشأن نزولها أيضاً بل إنّ الإمام علىّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)من أبرز مصاديق الأبرار قطعاً.

والخلاصة إنّ آيات سورة الدهر تعد من مناقب أهل البيت (عليهم السلام) وفضائلهم ومن معالم أحقيتهم لمقام الإمامة والخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

توصيات الآية

١ ـ أهميّة إسداء المعونة إلى المحتاجين

إنّ المحور الأساس الذى تدور حوله الآيات الثمانية عشر فى هذه السورة والذى استوجب كلّ هذه المثوبات العظيمة هو مسألة إسداء يد العون إلى المحتاجين والمحرومين، وهذا يدلُّ بوضوح على أهميّة هذه المسألة فى دائرة المفاهيم القرآنية وأن الله تعالى يولى أهمية خاصّة إلى هذا الموضوع، فكلُّ من أراد الدخول تحت مظلّة عناية الله ورحمته الواسعة يجب أن يهتم بقضاء حوائج المحتاجين وإشباع جوعة الجائعين ورفع حرمان المحرومين، ولو انه ارتفع فى مدارج الكمال أكثر من ذلک وتحرّک من موقع الإيثار إلى المحتاجين فلا شکّ أنّ عناية الله ولطفه ورحمته ستشمل هذا الإنسان،

١ . وهو مختار الفخر الرازى فى التفسير الكبير : ج ٣٠، ص ٢٤٤.

www.makarem.ir

ومن أجل توضيح هذا الموضوع وبيان أهمية مساعدة المحرومين والمحتاجين نذكر روايتين فى هذا المجال :

١ ـ يقول الإمام على (عليه السلام) فى كتابه ووصيته إلى ابنه الإمام الحسن (عليه السلام) :

وَاعْلَمْ أَنَّ اَمَامَکَ عَقَبَةً كَؤُوداً، اَلْمُخِفُّ فِيهَا اَحْسَنُ حَالاً مِنَ الْمُثْقِلِ، وَالْمُبْطِیءُ عَلَيْهَا اَقْبَحُ حَالاً مِنَ الْمُسْرِعِ، وَاَنَّ مَهْبِطَکَ بِهَا لاَ مَحَالَةَ اِمَّا عَلَى جَنَّة أَوْ عَلَى نَار، فَارْتَدْ لِنَفْسِکَ قَبْلَ نُزُولِکَ، وَوَطِّیءِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِکَ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ، وَلاَ إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ[١].

وهكذا نرى أن أفضل وسيلة لعبور هذا المضيق الخطر والعقبة الكؤود وأفضل زاد لسفر القيامة والورود فى صحراء المحشر هو مساعدة الفقراء والمحتاجين والإحسان إليهم، فهذا العمل فى الحقيقة يشبه ما إذا دفعنا ما نحتاجه فى صحراء المحشر إلى هؤلاء الفقراء والمساكين فى الدنيا ليحملوه عنا ثمّ يعيدونه إلينا فى ذلک اليوم العسير، فهل هناک أفضل من هذه المعاملة المربحة ؟

٢ ـ وينقل المحدّث الكلينى وهو من كبار علماء الشيعة حديثاً فى الكافى عن الإمام الصادق(عليه السلام) أنه قال :

ثَلاَثٌ مَنْ اَتَى اللهَ بِوَاحِدَة مِنْهُنَّ اَوْجَبَ اللهُ لَهُ الْجَنَّةَ; اَلاِنْفاقُ مِنْ اِقْتَار[٢]، **وَالْبِشْرُ لِجَمِيعِ الْعَالَمِ**[٣]، **وَالاِنْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ**.[٤]

وهكذا ندرک أهمية أن يرى الإنسان حقّه وحقوق الآخرين بعين واحدة وينصف الناس من نفسه، ولهذا ورد فى رواية أُخرى قوله (عليه السلام) :

اِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ الَّذِى يُحِبُّ لاَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَيُكْرِهُ لَهُ مَا يُكْرِهُ لِنَفْسِهِ.[١]

---

١ . نهج البلاغة : الرسالة ٣١.

٢ . ورد فى بعض الروايات أنه «إذا أملقتم فتاجروا الله بالصدقة» (وسائل الشيعة : ج ٦، ص ٢٥٩).

٣ . وفى رواية : «صنائع المعروف وحسن البشر يكسبان المحبّة ويدخلان الجنّة» (الكافى : ج ٢، باب حسن البشر، ح ٥.

٤ . الكافى : ج ٢، ص ١٠٣، كتاب الإيمان والكفر، باب حسن البشر، ح ٢.

www.makarem.ir

٢ ـ المعيار فى العمل ليس كميّته

والشيء الآخر الذى يمكن أن نستوحيه من آيات سورة الدهر هى أن الإسلام يرى أن المعيار الصحيح للأعمال يكمن فى كيفية العمل لا كميته ومقداره، لأن جميع ما أنفقه هؤلاء الأولياء فى هذه الأُسرة الطاهرة لا يتجاوز عدّة كيلوغرامات من الشعير، ولكن بما أن هذا العمل كان متوائماً مع الأخلاص وكان بدافع رضا الله تعالى فقط فإنّ هذا الدافع هو الذى رفع قدر ذلك العمل وترتبت عليه تلك المثوبات العظيمة التى وردت فى هذه السورة، فعنصر «الإخلاص» يحقّق معجزة فى تغيير ماهيّة العمل، فأحياناً يوصل قيمة العمل إلى ألف ضعف وأحياناً أُخرى إلى مليون ضعف وثالثة إلى مليارد ضعف، وقد يصل بالعمل أحياناً إلى ما يستوعب فى قيمته جميع عبادات الجن والانس إلى يوم القيامة[٢]، وعلامة مثل هذا الأخلاص هى أن الإنسان الذى يتحرك فى عمله من موقع الإخلاص لا يرى سوى الله تعالى فى عمله هذا ولا يتوقع أجراً من أحد غيره بل لا يتوقع الشكر عليه، وقد يصل الإنسان بدرجة من الإخلاص أن يتساوى عنده الشكر مع الإهانة فلا يفرح بالشكر ولا يتألم من السبّ والإهانة فى مقابل هذا العمل، فهنيئاً لمن يعيش هذا المقام وهذه الروحية المخلصة.

٣ ـ إنعكاس آيات سورة الدهر فى الأشعار

إنّ شأن نزول آيات سورة الدهر فى الإمام على (عليه السلام) وأهل بيته (عليهم السلام)كان إلى درجة من الوضوح والبداهة حتّى أننا نجدها فى أشعار الشعراء أيضاً،

---

١ . بحار الأنوار : ج ٢٧، ص ٨٩ .

٢ . مثلاً ورد فى ضربة على يوم الخندق عندما قتل عمرو بن ود العامرى أن النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)قال : «لضربة عليّ خير من عبادة الثقلين»، وجاء فى رواية أُخرى :

«لضربة على لعمرو بن عبد ود أفضل من عمل أُمتى إلى يوم القيامة». (بحار الأنوار : ج ٣٩، ص ٢).

www.makarem.ir

حيث نقرأ فى أشعار محمّد بن إدريس المطلبى الشافعى الذى هو من أئمّة أهل السنّة[١] أنه قال هذه الأشعار فى الإمام على(عليه السلام) :

إلى مَ إلى مَ وَحَتّى مَتى * أُعاتَبُ فِى حُبِّ هذَا الْفَتى**

وَهَلْ زُوِّجَتْ فاطِمُ غَيْرَهُ * وفِى غَيْرِهِ هَلْ أَتى «هَلْ أَتى» ؟[٢]**

□□

١ . وكان يحبّ أهل البيت (عليهم السلام) حبّاً جماً، وقد سرت هذه المحبّة منه إلى أتباعه إلى درجة أن المذهب الشافعى يعدّ من أقرب المذاهب إلى مذهبنا نحن الشيعة، بخلاف المذاهب السنّية الأُخرى، كالوهابية، بل إن هؤلاء لا يلتقون مع أىّ من المذاهب السنّية الأُخرى ويتهمون الجميع بالشرك والبدعة ويتحركون معهم من موقع العداوة والنزاع الدائم.

٢ . احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٥٨.

www.makarem.ir

آية التوبة لآدم

٥

«سورة البقرة / الآية ٣٧»

أبعاد البحث

الآية الشريفة أعلاه تبين من جهة بعض زوايا قصة آدم (عليه السلام) ومن جهة أُخرى تعتبر دليلاً مهماً على مشروعية التوسل وطلب الشفاعة، ومن جهة ثالثة تتحدّث عن عنصر التوبة والإنابة إلى الله تعالى، وتعدّ من آيات الفضائل للخمسة الطاهرين ومضافاً إلى الاُمور المذكورة آنفاً فى هذه الآية الشريفة فهناک روايات واردة فى كتب العامّة والخاصّة تشير إلى ارتباط هذه الآية الشريفة بأهل البيت (عليهم السلام) كما سيتّضح ذلک فى طيّات البحث.

الشرح والتفسير

التوبة والإنابة إلى الله تعالى

(فَتَلقّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمات فَتابَ عَلَيْهِ) فبعد أن جرى ما جرى من وسوسة إبليس وإخراج آدم وحواء من الجنّة التفت آدم إلى أنه ظلم نفسه، وبسبب وساوس الشيطان

www.makarem.ir

تمّ إخراجه من تلكم الأجواء المرفّهة وذلک النعيم العظيم حيث خرج بعدها إلى أجواء المشقّة والبلاء فى الحياة الدنيا، ثمّ إنّ آدم فكّر هنا وصمم على جبران الخطأ الذى صدر منه وتوجه بكلِّ وجوده إلى الله تعالى فى حالة من الندم الشديد والحسرة العظيمة، فشمله لطف الله تعالى فى هذا الحال كما تقول الآية الشريفة :

(فَتَلَقّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمات فَتابَ عَلَيْهِ اِنَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحيمُ).

وأما ما هى هذه الكلمات وما هو المراد منها ؟ فسيتّضح ذلک فى المباحث اللاحقة.

(اِنَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحيمُ) التوبة فى الأصل بمعنى «الرجوع» ووردت فى الآيات القرآنية بمعنى الرجوع من الذنب، هذا فيما لو نسبت هذه الكلمة إلى الشخص المذنب، ولكن أحياناً تنسب هذه الكلمة إلى الله تعالى وتعنى حينئذ الرجوع بالرحمة على العبد، أى الرحمة التى سلبت من العبد بسبب معصيته وارتكابه للذنب تعود إليه عندما يتحرک هذا الإنسان فى خطّ الطاعة والإنابة إلى الله تعالى.

وعلى أيّة حال فإنّ الجملة أعلاه «اِنَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحيمُ» هى السبب فى قبول توبة آدم.

دروس من قصة آدم وحواء

ونستوحى دروساً مهمة من قصة آدم وحواء الواردة فى العديد من الآيات القرآنية الكريمة[1] وتتضمن مفاهيم بنّاءة ومؤثرة فى حياة الإنسان المعنوية والأخلاقية ينبغى الإلتفات إليها :

١ ـ إنّ الله تعالى يقرّر جعل آدم بعنوانه خليفة الله فى الأرض (اِنّى جَاعِلٌ فِى الأرْضِ خَليفَةً)[2].

١ . وردت قصة آدم وحواء بشكل مفصّل فى سورة البقرة الآية ٣٠ فصاعداً، وفى سورة الأعراف، الآية ١١ فصاعداً، وفى سورة طه، الآية ١١٥ فصاعداً.

٢ . سورة البقرة : الآية ٣٠.

www.makarem.ir

فما هى الشروط التى لابدّ أن تتوفر فى هذا الخليفة ؟ وهل أن جميع أفراد البشر هم خلفاء الله، أو أن هذا المقام السامى وهذا اللباس الفاخر لا يناله ولا يرتديه إلاّ من اُوتى حظاً عظيماً منهم ؟

لابدّ من التدبّر فى الآيات الشريفة لمعرفة هذه الاُمور والمعارف المهمة.

٢ ـ إنّ الملائكة سألوا الله تعالى من موقع الإستفهام لا من موقع الإعتراض : (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّماءَ)[١].

فمن أين علمت الملائكة بسوابق الإنسان وأنه سيرتكب الجرائم فى الأرض ؟

٣ ـ إنّ الله تعالى خاطب الملائكة بقوله (إِنِّى أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)[٢] ثمّ إنه تعالى علّم الأسماء لآدم ثمّ سأل الملائكة عن هذه الأسماء فأظهروا جهلهم بها وعدم اطلاعهم عليها، وهنا أمر الله تعالى آدم أن يعلمهم بالأسماء فعندما علّمهم وعرّفهم بها أدرک الملائكة خطأهم واعترفوا بجهلهم وقصورهم، فهنا قد يتساءل : ما هو علم الأسماء ؟ ماذا كان يتضمن العلم بأسرار الخلقة والكائنات بحيث رفع مقام آدم إلى تلک الدرجة السامية ؟

٤ ـ ثمّ إنّ الله تعالى أمر جميع الملائكة بالسجود لآدم (قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا)[٣] فكيف نال آدم ذلک المقام الرفيع بحيث أصبح مسجوداً لجميع الملائكة ؟ ومن هنا ندرک التفاوت والفرق بين المذهب الذى يرفع من قدر الإنسان إلى ذلک المستوى الرفيع وبين المذاهب الأرضية التى تهبط بالإنسان إلى مستوى القردة والحيوانات.

٥ ـ فى بداية الخلقة سكن آدم وحواء الجنّة، فأين كانت هذه الجنّة ؟ هل كانت بستان من بساتين الدنيا، أو أنها جنّة الآخرة ؟ وفى هذه الصورة كيف تمّ إخراج آدم وحواء منها ؟

٦ ـ كيف استطاع الشيطان خداع آدم ؟ وبأى شكل تمكّن الشيطان من دفع آدم باتجاه التلوّث بالخطيئة وترک الأولى «أى العمل الذى تركه أولى من فعله» ؟

---

١ . سورة البقرة : الآية ٣٠.

٢ . سورة البقرة : الآية ٣١.

٣ . سورة الأعراف : الآية ١١.

www.makarem.ir

٧ ـ عندما أكل آدم من الشجرة الممنوعة فإنه وجد نفسه عرياناً وسقطت جميع ملابسه عنه ولهذا اضطر إلى التستر بأوراق الشجر فماذا كانت الشجرة الممنوعة ؟ ومن أين صنعت تلك الملابس وما هو جنسها ونوعيتها ؟

٨ ـ عندما وجد آدم نفسه عرياناً التفت إلى خدعة الشيطان وندم على فعله.

٩ ـ ولأجل جبران خطئه وجب عليه التوبة والإنابة إلى الله تعالى، وينبغى عليه لتحقيق هذا الغرض أن يتقرب إلى الله تعالى بشخص معيّن فمن هو هذا الشخص ؟

١٠ ـ ورغم أن توبة آدم قد قُبلت ولكنه أُخرج من الجنّة وسكن فى الأرض، فهل أنه سكن الجنّة هو وزوجته بشكل مؤقت من البداية، أو أن المقرر أن يخلّد فيها ولكنه بسبب ارتكابه لترک الأولى أُخرج منها ؟

إنّ النقاط العشرة المتقدّمة تحتاج جميعها إلى دراسة دقيقة وبحث وافر ومفصّل، ولكننا هنا سنشير فقط إلى النقطة التاسعة منها بما يتناسب مع الآية مورد البحث، أى مسألة توسل آدم فى هذه الآية.

توسل النبى آدم

عندما تم إسكان آدم وحواء فى الجنّة أباح لهما الله تعالى الإستفادة من جميع النعم والمواهب فيها إلاّ شجرة واحدة أمره بالإبتعاد عنها وعدم تناول شىء منها، وهكذا استمر آدم وحواء فى حياتهما السعيدة فى الجنّة ولم يقتربا من الشجرة الممنوعة، ولكنّ الشيطان الذى تلّقى ضربة قاصمة عند خلق آدم وتمّ إخراجه من الجنّة وأصبح مورد اللعنة الأبدية كان يتحين الفرصة للانتقام من آدم، ولهذا شرع بالوسوسة لآدم وحواء ليدفعهما نحو الشجرة الممنوعة والتلوّث بالخطيئة.

ونعلم أن الشيطان عندما يوسوس للإنسان بالخطيئة فإنه لا يتقدم بالإنسان باقتراح ممارسة الذنب بصورة مباشرة بل يغطّى الذنب بأقنعة زائفة وبرّاقة وجذّابة بحيث إنّ الإنسان عندما يتحرّک نحو الذنب يتصور أنه يقدم على عبادة ويؤدى وظيفته الشرعية كما يحدّثنا القرآن الكريم عن ملكة سبأ وقومها المشركين الذين كانوا يعبدون الشمس :

www.makarem.ir

(وَجَدْتُها وَقَوْمَها يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ اَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ)[١].

وعلى هذا الأساس تقدّم الشيطان فى خداعه ووسوسته لآدم بالقول :

(هَلْ اَدُلُّکَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ)[٢].

إنّ الإنسان يطلب البقاء والخلود بفطرته ويفزع من الفناء والعدم، والأشخاص الذين يعيشون الخوف من الموت فإنهم يتصورون أن الموت يعنى الفناء والعدم، ولكنّ المؤمنين وأتباع أهل البيت لا يرون الموت سوى قنطرة ينتقلون منها إلى عالم أكبر وأوسع، ولذلک فلا يشعرون بالخوف من الموت.

وعلى أيّة حال فإنّ الشيطان وبهذه الحيلة والخدعة من أن الشجرة الممنوعة تورث البقاء والخلود فى الجنّة استطاع إغفال آدم عن النهى الإلهى وجرّه إلى التناول من الشجرة، ثمّ إنّ آدم أدرک خدعة الشيطان وندم بشدّة على ما صدر منه وأراد التوبة إلى الله والإنابة إليه ولكنه لم يكن يعرف طريق التوبة هذا، فعلّمه الله تعالى كيفية التوبة والتوسل بأن ألقى إليه كلمات استخدمها آدم فى عملية التوبة، فكانت النتيجة أن قبل الله تعالى توبته وأعاده إلى مقامه الكريم لدى الله تعالى، واستطاع آدم بهذه التوبة أن يوجّه ضربة قاصمة اُخرى للشيطان الرجيم والعدو الرئيسى للإنسان.

ماذا كانت الكلمات ؟

أما المراد من «الكلمات» التى تلّقها آدم من الله تعالى وتوسل بها إلى الله ليقبل توبته فهناک آراء مختلفة فى تفسيرها، ونكتفى هنا بالإشارة إلى ثلاث نظريات منها :

١ ـ إنّ المراد من الكلمات هو ما ورد فى الآية ٢٣ من سورة الاعراف فى قوله تعالى :

(رَبَّنا ظَلَمْنا اَنْفُسَنا وَاِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ).

---

١ . سورة النمل : الآية ٢٤.

٢ . سورة طه : الآية ١٢٠.

www.makarem.ir

فعندما نطق آدم وحواء بهذه الكلمات قبل الله تعالى توبتهما[١].

٢ ـ إنّ المراد من الكلمات كما يرى «مجاهد» هى هذا الدعاء :

اَللّهُمَّ لا اِلهَ إلاّ اَنْتَ، سُبْحَانَکَ وَبِحَمْدِکَ رَبِّ اِنّی ظَلَمْتُ نَفْسِی فَاغْفِرْ لِی اِنَّکَ خَیْرُ الْغافِرِینَ. اَللّهُمَّ لا اِلهَ إلاّ اَنْتَ، سُبْحَانَکَ وَبِحَمْدِکَ رَبِّ اِنّی ظَلَمْتُ نَفْسِی فَارْحَمْنِی، اِنَّکَ اَنْتَ اَرْحَمُ الرّاحِمِینَ. اللّهُمَّ لا اِلَهَ اِلاّ اَنْتَ، سُبْحانَکَ وَبِحَمْدِکَ رَبِّ اِنّی ظَلَمْتُ نَفْسِی، فَتُبْ عَلَیَّ اِنَّکَ اَنْتَ التَّوّابُ الرَّحیمُ.[٢]

٣ ـ إنّ المراد من الكلمات هو : النبى محمّد، الإمام علىّ، فاطمة، الحسن والحسين (عليهم السلام) أى أن آدم توسل إلى الله تعالى بهؤلاء الخمسة الطاهرين واستشفع إلى الله بهم فقبل الله تعالى توبته ببركتهم[٣].

وهناک أحاديث كثيرة وردت فى مصادر الشيعة وأهل السنّة تؤيد النظرية الثالثة هذه، رغم إمكانية الجمع بين النظريات الثلاث المذكورة آنفاً ولا منافاة فيما بينها، أى أن آدم توسل بهؤلاء الخمسة الأطهار، ولكنّ صيغة التوبة وردت على لسانه كما رأينا فى النظرية الأُولى والثانية.

وكما رأينا أن بعض علماء أهل السنّة رجّحوا النظرية الثالثة التى هى مورد اتفاق علماء الشيعة وأوردوا روايات تدلُّ على هذا المطلب، نشير هنا إلى ثمانية منهم :

١ ـ العلاّمة البيهقى فى كتاب دلائل النبوّة[٤].

٢ ـ العلاّمة ابن عساكر فى المسند[٥].

٣ ـ العلاّمة السيوطى فى تفسير الدرّ المنثور[٦].

٤ ـ العلاّمة السيوطى فى جمع الجوامع[١].

---

١ . نقل هذا القول العلاّمة الطبرسى فى مجمع البيان : ج ١، ص ٨٩ عن علماء ومفسّرين مثل «الحسن» و«قتادة» و«عكرمة» و«سعيد بن جبير».

٢ . التبيان : ج ١، ص ١٦٩.

٣ . مجمع البيان : ج ١، ص ٨٩ .

٤ . نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣ ص ٧٦.

٥ . نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٧٧.

٦ . الدرّ المنثور : ج ١، ص ٦٠ (نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٧٨).

www.makarem.ir

٥ ـ العلاّمة الكاشفى فى معارج النبوّة[٢].

٦ ـ العلاّمة القندوزى فى ينابيع المودّة[٣].

٧ ـ العلاّمة ابن المغازلى فى المناقب[٤].

٨ ـ العلاّمة النطنزى فى الخصائص العلويّة[٥].

ونكتفى هنا بذكر عدّة نماذج من هذه الروايات الشريفة :

الف) ينقل ابن المغازلى عن ابن عبّاس قوله :

سُئِلَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) عَنِ الْكَلِماتِ التى تَلَقّاها آدَمَ، قال : **سَئَلَهُ آدَمُ بِحَقِّ مُحَمَّد وَعَلِيٍّ وَفاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ اِلاّ ما تُبْتَ عَلىّ فَتابَ عَلَيْهِ.**[٦]

ب) وينقل ابن عساكر فى مسنده عن الخليفة الثانى قوله :

قالَ آدَمُ : اَسْئَلُکَ بِحَقِّ مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد اِلاّ غَفَرْتَ لِى ـ إلى قوله (عليه السلام) ـ **وَلَوْ لا هُوَ ما خَلَقْتُکَ.**[٧]

ورغم أن عمر بن الخطاب لم ينسب هذه الرواية إلى النبى الأكرم ولكنّ مثل هذه المفاهيم والمطالب لا يطلّع عليها غير النبى أو الإمام المعصوم (عليهم السلام) ولذلک فمن المسلّم أنه سمعها من نبى الإسلام (صلى الله عليه وآله).

ج) وينقل العلاّمة النطنزى هذه الرواية فى «الخصائص العلوية» :

إنَّ الْكَلِماتِ الَّتى تَلَقّاها آدَمُ مِنْ ربِّه : اَللّهُمَّ بِحَقِّ مُحَمَّد وَعَلِيٍّ وَفاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ اِلاّ تُبْتَ عَلَيْهِ فَتابَ اللهُ عَلَيْهِ.[٨]

---

١ . نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٧٨.

٢ . معارج النبوّة : الركن ٢، ص ٩ (نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٧٨).

٣ . ينابيع المودّة : ص ٩٧ (نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٧٩).

٤ . نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣ ص ٧٧.

٥ . نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٧٨.

٦ . احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٧٦.

٧ . احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٧٧.

٨ . احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٧٨.

www.makarem.ir

وفى ذيل هذه الرواية ورد أنه عندما قُبلت توبة آدم صنع آدم لنفسه خاتماً وكتب على فصه اسم نبى الإسلام بعنوان «رسول الله» واسم على بن أبى طالب بعنوان «أمير المؤمنين».

الخلاصة أنه طبقاً للروايات الكثيرة الواردة فى كتب الفريقين «وما ذكر آنفاً كانت نماذج من روايات كثيرة فى هذا الباب» أن المراد من الكلمات التى توسل بها آدم إلى الله تعالى وقبلت توبته ببركة هذه الكلمات هم «الخمسة الأطهار» فهل أن هذا المقام السامى فى عالم الوجود تحقّق لشخص آخر غير أهل البيت (عليهم السلام) ؟

ألا تدلُّ هذه الفضيلة العظيمة على أن هؤلاء الأشخاص هم أفضل البشر على الإطلاق ؟

إذا كان كذلک (وهو كذلک حتماً) وأراد الله تعالى أن يختار خليفة لنبيّه الكريم فهل يعقل أن تسمح حكمة الله تعالى بأن يكون أشخاص آخرون خلفاء لرسول الله مع وجود الشخص الأفضل ؟

وإذا أراد الناس أن يختاروا لأنفسهم شخصاً بعنوانه إماماً وخليفة عليهم فهل يجيز العقل أن يختار العقلاء أشخاصاً آخرين مع وجود الأفضل منهم ؟ والحكم إليكم.

هل أن التوسل مشروع ؟

مع الأسف أن مكّة المكرمة والمدينة المنورّة ومقدّرات هاتين المدينتين المباركتين قد وقع بيد الوهابيين الذين يعيشون الإعتقادات الجافّة والخشنة ويرتدون ثياب القداسة الزائفة فى مخالفتهم الشديدة لمسألة التوسل هذه ويمنعون المسلمين من زيارة قبر النبىّ الأكرم (صلى الله عليه وآله)والتوسل بمقامه وكرامته عند الله تعالى وكذلک زيارة قبور أئمّة البقيع الطاهرين (عليهم السلام) وسائر عظماء الإسلام المدفونين فى البقيع، فمن أين لهم الحقّ فى تحميل عقائدهم الخشنة على سائر المسلمين حتّى على الكثير من أهل السنّة أيضاً ؟

www.makarem.ir

لو كان لهم مثل هذا الحقّ فلماذا لا يتحركون لفرض كيفية الصلاة التى يعتقدون بها فى وجوب التكتف على سائر المسلمين ؟

هذه بعض الأسئلة وعلامات الإستفهام التى تراود كلّ مسلم يزور مكّة والمدينة ولا يجد جواباً لها... أجل إن الوهابيين يخالفون بشدّة مسألة التوسل ويرون أنها تتنافى مع التوحيد وأنها من قبيل الشرک بالله تعالى ! وقد حان الكلام لبحث مسألة التوسل ومشروعيته من خلال الآيات القرآنية وروايات المعصومين (عليهم السلام).

أقسام التوسل

للتوسل أقسام مختلفة :

١ ـ تارةً يكون المخاطَب لنا هو النبى أو الإمام نفسه، من قبيل ما ورد فى دعاء التوسل حيث يخاطب الداعى كلُّ واحد من المعصومين فرداً فرداً ويطلب من هؤلاء الطاهرين أن يشفعوا له عند الله بما لديهم من الجاه والمقام والكرامة عنده، ففى هذا النوع من التوسل نحن نطلب حاجتنا فى الحقيقة من الله تعالى ونجعل هؤلاء المعصومين وسائط فى هذا الطلب.

٢ ـ وتارةً أُخرى يكون المخاطَب هو الله تعالى، ولكنّ الداعى يخاطب الله تعالى بحقِّ الشخص الذى يعتبره وجيهاً عند الله ليضمن استجابة حاجته وطلبه كما توسل آدم إلى الله تعالى بالخمسة الطاهرين :

«اَللّهُمَّ يا حَميدُ بِحَقِّ مُحَمَّد وَيا عالِيُ بِحَقِّ عَلِيٍّ وَيا فاطِرُ بِحَقِّ فاطِمَةَ وَيا مُحْسِنُ بِحَقِّ الْحَسَنِ وَيا قَديمَ الاِحْسانِ بِحَقِّ الْحُسَيْنِ».

وفى هذا النحو من التوسل يطلب المتوسل حاجته من الله أيضاً ويجعل كرامة هؤلاء الأولياء واسطة لضمان الإستجابة.

٣ ـ وفى قسم ثالث يكون الله تعالى هو المخاطَب أيضاً ولكننا نقسم عليه بحقِّ الشخص الذى له وجاهة عند الله ليستجيب لنا دعاءنا ويقضى حاجتنا، من قبيل أن يقال : إلهنا نقسم عليک بنبى الإسلام أو بالقرآن الكريم أو بغير ذلک من المقدّسات، إلاّ ما قضيت حاجتنا.

www.makarem.ir

ولكنّ الوهابيين يحرّمون جميع أقسام وأنواع التوسل هذه ويعتبرونها نوعاً من الشرک، وهنا نلفت النظر إلى بعض مقولات رموزهم وعلمائهم :

١ ـ يقول محمّد بن عبدالوهاب فی کتابه «التوحيد» الذی ينبغی أن يسمّی بکتاب «الشرک» :

إنّ هذا الشّرک الأکبر[١] (أی التوسل).

٢ ـ يقول الصنعانی أحد علماء الوهابية أيضاً :

من توسّل بمخلوق فقد أشرک مع الله غيره واعتقد ما لا يحلّ اعتقاده.[٢]

٣ ـ ويقول ابن تيمية المؤسس الحقيقی للفکر الوهابی :

من توسّل بعظيم عند الله... فهذا من أفعال الکفّار والمشرکين.[٣]

والخلاصة هی أن من يعتقد بمذهب الوهابية يری أن أی نوع من التوسل هو شرک بالله تعالی وأن المتوسل منحرف عن الإسلام الحقيقی، ولذلک يتحرکون فی مکّة والمدينة بذريعة «الشرک» و «البدعة» من موقع إلحاق الأذی وإيجاد المشاکل لحجاج بيت الله الحرام وزوار المدينة المنورّة.

مقام التوحيد ومکانته السامية

ولأجل بيان هذه الحقيقة وهی أن التوسل لا يتنافی إطلاقاً مع التوحيد نری من اللازم فی البداية توضيح معنی التوحيد وبيان مقامه السامی فی دائرة المعتقدات الإسلامية، وباعتقادنا أن التوحيد هو أصل وأساس الدين ويلعب دوراً أساسياً فی جميع الاُمور المتعلّقة بالدين والسلوک الدينی، إنّ الله تعالی واحد، وجميع الأنبياء دعوا أقوامهم إلی شیء واحد، وأن جميع الناس سوف يبعثون بعد الموت، وأن الکعبة هی قبلة المسلمين، والقرآن لدی جميع المسلمين واحد، والخلاصة أن التوحيد يمثل الأصل والأساس لجميع اُصول الدين وفروعه، ولهذا فإنّ التوحيد ليس أصلاً من اُصول الدين

١ . نقلاً من کشف الإرتياب : ص ٣٠١.

٢ . تطهير الإعتقاد نقلاً من کشف الإرتياب : ص ٣٠١.

٣ . کشف الإرتياب : ص ٣٠٢.

www.makarem.ir

فقط بل يستوعب جميع أُصول الدين وفروعه، والتوحيد بمثابة خيط المسبحة الذى يربط جميع حباتها بحيث لولا التوحيد لا يبقى للدين من معنى كما أنه لولا خيط المسبحة لا يبقى معنى لوجود المسبحة، وبالالتفات إلى هذا المعنى للتوحيد ومكانته العليا بين العقائد والمفاهيم الإسلامية فإننا نعتقد بأن كلّ أمر يتنافى مع التوحيد فهو مرفوض ومردود.

أقسام التوحيد

للتوحيد أقسام ومراتب متعدّدة، ونشير هنا إلى أربعة مراتب مهمّة للتوحيد :

١ ـ توحيد الذات : يعنى الإعتقاد بأن الله تعالى واحد فى ذاته، وليس المراد بأنه واحد فى العدد أى موجود واحد لا إثنين لأنه على أساس المعنى الأوّل للتوحيد أن الله واحد، بمعنى أن الإنسان لا يتصور له شبيه ومثيل، ولكن على المعنى الثانى يمكن تصور الشبيه والمثيل رغم انعدام الوجود الخارجى لهذا الشبيه.

وعلى هذا الأساس فإنّ الآية الأُولى من سورة التوحيد (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)تفسر بمعنى قوله تعالى فى هذه السورة أيضاً (لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ) فلا نظير له ولا شبيه ولا يمكن تصور النظير والشبيه له.

٢ ـ توحيد الصفات : فجميع صفات الله تعالى تعود إلى حقيقة واحدة، فليست صفة العلم شيءٌ آخر غير القدرة، والقدرة الإلهية أيضاً ليست شيئاً آخر غير الأزلية، وهكذا سائر الصفات الأُخرى تعود فى الحقيقة على الذات، ولكن بالنسبة إلى الإنسان فيمكن القول أن علمه فى روحه، وشجاعته وقدرته فى عضلاته، ورحمته فى قلبه، ولا يصحّ هذا القول بالنسبة إلى الله تعالى فإنّ ذاته المقدسة هى علم وقدرة وحياة وغير ذلک.

٣ ـ توحيد الأفعال : إنّ كلُّ فعل أو حركة أو ظاهرة فى هذا العالم هى فى الواقع من تجليّات الذات المقدسة ولا شيء بإمكانه أن يؤثر فى عالم الوجود بدون إذنه ومشيئته «**لا مُؤَثِّرَ فِي الْوُجُودِ اِلاَّ اللهُ**» فعندما تحرق النار شيئاً فإنّ ذلک بإذن الله، ولذلک رأينا أن نار نمرود لم تستطع إحراق إبراهيم لأن الله تعالى لم يأذن لها بذلک، وعندما يطفىء الماء النار فذلک أيضاً بمشيئة الله، وكلُّ ما نعمل من عمل فإن ذلک بإذن الله لأنه تعالى

www.makarem.ir

هو الذى أقدرنا على ذلک ومنحنا الإختيار والحرية والقدرة والعقل لنتصرف كيف ما نريد، فكلُّ ذلک حصلنا عليه من الله تعالى، وكلُّ حركة من حركاتنا تعود إلى ذاته المقدسة، والخلاصة أن المؤثر للاستقلال هو الله تعالى وما بقى من الأسباب فليس لها قدرة على التأثير إلاّ بمشيئة الله وإرادته.

٤ ـ توحيد العبادة : إنّ العبادة لا ينبغى أن تكون إلاّ لله تعالى ولا يوجد موجود يليق بالعبادة غير الله تعالى، كما يشاهد من بعض الشيعة عندما يدخلون المشاهد المشرّفة لأحد الأئمّة الأطهار (عليهم السلام) فإنّهم يقبلون الأرض أو عتبة الباب، فهو فى الحقيقة من قبيل سجدة الشكر لله تعالى أنه وفقهم لزيارة أوليائه لا أنها سجود للإمام (والعياذ بالله) لأن الشيعة لا يعتقدون بأى موجود يستحق العبادة والسجود غير الله تعالى ولا يسجدون لغير الله، ولذلک نوصى الشيعة أن يتركوا هذا العمل أيضاً أى سجدة الشكر أمام الضريح المقدّس دفعاً لهذا التوهم وألا يكون ذلک ذريعة بيد البعض ليتحركوا ضد الشيعة من موقع التهويل والإتهام، وعلى أيّة حال فإنّ العبادة لا تكون إلاّ لله تعالى.

هذه المراتب الأربع للتوحيد تعتبر المراتب الأصلية للتوحيد رغم وجود مراتب أُخرى متفرعة عليها نظير : توحيد الحاكمية[١]، توحيد الشارعية[٢]، توحيد المالكية[٣]، وأمثال ذلک[٤].

ومن هنا يتضح أن الإنسان المسلم إذا اعتقد بما ذكر أعلاه من حقيقة التوحيد فإنه كامل الإيمان وموحد فى نظر الإسلام، ولكن الوهابيين الذين يدّعون التوحيد ويرفضون الشرک لم يدركوا عمق هذه المراتب للتوحيد الواردة فى تعاليم أئمّة أهل البيت (عليهم السلام)ولذلک فهم يتهمون الآخرين بالشرک دائماً.

---

١ . المراد من توحيد الحاكمية هو أن تكون مشروعية الحكومات البشرية مستمدة من الله تعالى لا من الناس، وحتّى عندما يشترک الناس فى الإنتخابات ويختاروا لهم حاكماً ورئيساً فإن ذلک يقتبس مشروعيته من أمر الله تعالى.

٢ . «توحيد الشارعية» يعنى أن المقنّن والمشرّع للقوانين هو الله تعالى، فكلّ قانون ينتهى إلى القوانين الإلهية فهو مشروع.

٣ . «توحيد المالكية» يعنى أن المالک فى الحقيقة هو الله تعالى، وأما ما يملكه الناس فهو فى الحقيقة أمانة بأيديهم، فكلّ ما لدينا فى الحياة هو أمانة موقتة جعلها الله فى اختيارنا لأيام معدودة.

٤ . للمزيد من التفاصيل حول أقسام التوحيد، انظر : نفحات القرآن : ج ٤، للمؤلف.

www.makarem.ir

الأشاعرة والتفسير الخاطىء للتوحيد الأفعالى

الأشاعرة وهم أحد مذاهب أهل السنّة عندما لم يستوعبوا الفهم الصحيح للتوحيد الأفعالى ذهبوا إلى الجبر وأن الإنسان مجبور على أفعاله، لأنهم تصوروا إنّ الإنسان إذا كان مختاراً فى أفعاله فإنّ ذلک يعنى الشرک فى دائرة التوحيد الأفعالى، فى حين أن هذه العقيدة (وهو الجبر) تثير علامات الإستفهام فى كافة أُصول العقيدة من النبوّة والقيامة والإمامة والعبادات التى أمر بها الإسلام.

والحقيقة أن الإنسان لو كان مخيّراً ومجبوراً فى أفعاله وكان يعيش فقدان الإرادة والإختيار فى حركته فى الحياة فما معنى مؤاخذته ومساءلته يوم القيامة ؟

كيف يمكننا توجيه عقاب المذنبين وثواب المطيعين فى الحياة الآخرة ؟ لأن كلاً من المطيع والعاصى كانا يتحركان فى سلوكهما من دون اختيار وإرادة، فلا المذنب اختار أن يكون مذنباً ولا المطيع اختار أن يكون مطيعاً، فلماذا إذن يستحق الأوّل العقوبة والثانى المثوبة ؟

إذا قلنا بالجبر فلا ينبغى لأى محكمة أن تعاقب المجرم على جريمته لأنه مجبور حسب الفرض على ذلک.

هل يصحّ أن نعاقب النار على إحراقها لإنسان برىء ؟

هل يعقل أن نحاكم البحر ونقضى عليه بالعقاب الصارم لأن إنساناً بريئاً غرق فى مياهه ؟

هل يمكننا محاكمة الكهرباء فيما لو أدّت إلى قتل شخص برىء ؟

بديهى أن جواب هذه الأسئلة بالنفى وستكون مثل هذه المحاكمة مضحكة ومدعاة للسخرية، وهكذا حال الإنسان المجبور على أفعاله فإنه يكون حاله حال الماء والنار والكهرباء فيما لو أقدم على ارتكاب جريمة.

والملفت للنظر أن أصحاب هذه النظرية يخالفون نظريتهم فى مقام العمل والممارسة، فلو أن أحداً صفعهم لرأيناهم يعترضون عليه، ولو أنّ لصاً دخل إلى بيوتهم وسرق منها شيئاً لقاموا بتقديمه إلى المحكمة، فى حين أن الإنسان إذا كان مجبوراً وفاقداً للإرادة

www.makarem.ir

فلا معنى للاعتراض والشكاية، ولكننا نرى هذا التناقض بوضوح بين قول أصحاب عقيدة الجبر وبين أفعالهم وممارساتهم.

لعلّ القارئ العزيز يتصور أن هذه المطالب ما هى إلاّ أفكار وتوهمات تجول فى مدارات الذهن فقط من دون أن يكون لها رصيد واقعى من الأشخاص المؤيدين لها، ولكن مع الأسف فهناك الكثير من الأشخاص المغفلين الذين يتحركون فى دائرة العقيدة والمذهب من موقع الدفاع الشديد عن هذه النظرية الباطلة وقد كتبوا فى ذلك كتباً متنوعة.

أجل، فإنّ هؤلاء الأشخاص عندما لم يستطيعوا إدراك مغزى التوحيد الأفعالى ذهبوا إلى الجبر وغفلوا عن أن الله تعالى هو الذى وهب للإنسان الإختيار والإرادة، وعندما نقول أن الإنسان حرٌّ ومختار فى أفعاله فإنما ذلك على أساس أنّ كلّ هذه الاُمور متصلة بالله تعالى وبمشيئته، وبذلك لا يكون هناك تقاطعاً بين اختيار الإنسان والتوحيد الأفعالى.

وقد ذهب الأشاعرة والجبرية إلى أكثر من ذلك، فقد أنكروا عالم الأسباب والمسببات وقالوا : إنّ النار لا تحرق أبداً بل الله تعالى هو الذى يحرق، وكذلك ذهبوا إلى أن الحجر لا يكسر الزجاج بل بمجرد أن يقترب منه ويمسه فإنّ الله تعالى يقوم بكسر الزجاج.

أجل، فإنهم أنكروا مثل هذه الاُمور البديهية بسبب تفسيرهم الخاطىء للتوحيد الأفعالى، ورأينا أن التوحيد الأفعالى لا يتنافى إطلاقاً مع إختيار الإنسان وإرادته، وكذلك لا يتنافى مع عالم الأسباب لأن الإرادة السببية فى عالم المخلوقات كلّها تعود فى الأصل إلى الله تعالى، فإنه هو الذى وهب الإنسان القدرة والقوّة والعقل والإختيار والإرادة، وبما أن هذه الاُمور جميعاً من الله تعالى إذن يصحّ نسبتها جميعاً إليه رغم أن الإنسان لا يتجرد من المسؤولية وحرية الإنتخاب فى دائرة الفكر والعقيدة والممارسة.

ولأجل توضيح المطلب أكثر نضرب لذلك مثالاً :

www.makarem.ir

عندما يدفع الأب بعض المال لولده لينفقه فى مصارفه ومعيشته فالأب من جهة يمكنه فى أى لحظة أن يأخذ هذا المال باعتباره ماله وملكه رغم أن الإبن إذا اشترى بهذا المال شيئاً فإن المسؤولية تقع عليه لا على الأب.

والنتيجة هى أن التوحيد الأفعالى لا يتنافى مع اختيار الإنسان وإرادته ولا ينبغى أن نتصور أن ذلک يدخلنا فى دائرة الشرک.

هل ينسجم التوسل مع التوحيد ؟

سؤال : لماذا يتصور الوهابيون أن التوسل هو نوع من الشرک ؟ وكيف يتقاطع التوسل مع أحد مراتب التوحيد المتقدّمة ؟ وهل أن التوسل يتنافى مع توحيد الذات، أو مع توحيد الصفات ؟

بلا شکّ أن التوسل لا يتنافى إطلاقاً مع توحيد الذات والصفات، ولكن هل يثير التوسل مشكلة فى دائرة العبادات والتوحيد الأفعالى ؟ إذا كان الجواب بالإيجاب من قبل الوهابيين فينبغى القول بأنهم وقعوا فى اشتباه كبير لأن الشيعة عندما يتوسلون بالنبى أو الأئمّة المعصومين أو القرآن الكريم لا يرون أن ذلک من العبادة لهؤلاء إطلاقاً كما هو الحال فى عبادة المشركين للأصنام والأوثان وتصورهم أنها شفعاء لهم عند الله، بل نحن نطلب من هؤلاء الأولياء أن يتوسطوا لنا بما لديهم من جاه ومقام عند الله تعالى لحلِّ مشاكلنا واستجابة دعائنا، وعلى هذا الأساس فإنّ الفرق بين التوسل وبين عبادة المشركين واضح جدّاً، والشخص الذى يتصور أن توسل الشيعة إنما هو مثل عبادة المشركين للأوثان فى الحقيقة هو إنسان بعيد عن الإنصاف وجادة الصواب.

مضافاً إلى ذلک أن التوسل بالخشب والحجر لا يعود على الإنسان إطلاقاً بالنفع والضرر، وهذا المعنى لا يقبل القياس بالتوسل بالإمام والنبى والقرآن والتقرّب بهم إلى الله تعالى، والنتيجة هى أن التوسل لا يتنافى مع توحيد الذات ولا توحيد الصفات ولا التوحيد فى العبادة. إذن فما هو مقصود الوهابيين من قولهم بأن التوسل شرک ؟ وما هى المرتبة من مراتب التوحيد التى يرون أنها تتنافى مع التوسل ؟

www.makarem.ir

الجواب : الظاهر أن مقصود الوهابيين من أن التوسل شرک هو أنه يتنافى مع التوحيد الأفعالى، لأن الشخص الذى يتوسل بالنبى أو الإمام ويطلب منه حلّ مشكلته فإنه يرى أن غير الله تعالى له تأثير فى عالم الخلق، ونعلم أن التأثير منحصر بالله تعالى ولو أن الإنسان اعتقد بأن غير الله يمكنه أن يؤثر فى عالم الوجود فهو نحو من أنحاء الشرک.

والجواب على هذا الكلام هو أن الشيعة لا يرون للنبى والإمام والقرآن تأثيراً فى عالم الخلقة فى عرض الله تعالى، بل فى طول القدرة الإلهية، ولا تكون قدرتهم مؤثرة إلاّ بإذن الله ومشيئته، وهذا المعنى لا يتنافى إطلاقاً مع التوحيد الأفعالى، نعم إذا قلنا إنّ النبى أو الإمام يؤثر فى عالم الخلقة بالإستقلال «نعوذ بالله» فهذا هو الشرک، ولكن لا أحد يقول بهذا المعنى، فعندما نقول أن النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) يشفع لنا عند الله ويتوسط فى حلِّ مشكلاتنا ليكون الله
تعالى هو الذى يحلّ هذه المشكلة أو يشافى المريض أو يرزق الفقير فإنّ ذلک ليس من الشرک بل هو عين التوحيد.

وبما أن هذا المعنى انعكس فى دائرة المفاهيم القرآنية بوضوح فينبغى القول بأن هؤلاء الوهابيين لا يقبلون بالقرآن أيضاً، لأن الآية ٤٩ من سورة آل عمران تردّهم ردّاً قاطعاً وتبطل إدعاءاتهم الفارغة واتهاماتهم الباطلة وذلک فى قوله تعالى :

(أَنّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَة مِنْ رَبِّكُمْ).

فنرى أن عيسى (عليه السلام) يخاطب بنى إسرائيل ويقول باننى بعثت رسولاً إليكم من قبل الله تعالى ومعى معجزة، ثمّ يذكر ثلاث معجزات :

١ ـ (أَنّى اَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِاِذْنِ اللهِ).

وهكذا نرى أن المسيح (عليه السلام) يقول بأننى أصنع لكم طيراً من طين ثمّ أنفخ فيه الحياة والروح فيتحول هذا التمثال الطينى إلى طائر حى بإذن الله، أى إننى لا أستطيع التأثير فى هذه الأشياء فى عرض قدرة الله ومشيئته بل إن قدرتى وتأثيرى إنّما هى

www.makarem.ir

بإذن الله وليست مهمتى سوى أن أنفخ فى هذا التمثال ليتحول إلى طائر فيه حياة وشعور بإذن الله.

٢ ـ (وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتى بِإِذْنِ اللهِ).

المعجزة الأُخرى لعيس بن مريم (عليه السلام)هى شفاء المرضى المزمنين والأعمى والأبرص وإحياء الموتى، وطبعاً كلّ هذه الأعمال إنّما أقوم بها بمشيئة الله وإذنه ولا تتصوروا أننى إله أو ابن إله فلست سوى وسيلة لتحقيق هذه الأغراض، والمصدر الحقيقى هو الله تعالى، فإحياء الموتى وشفاء المرضى كلّها صادرة من ساحته المقدسة.

٣ ـ (وَأُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ).

العلامة الثالثة لنبوّة عيسى ابن مريم انه كان يخبرهم بما لديهم من أطعمة وأغذية فى بيوتهم ويخبرهم بما يأكلون من طعام وشراب كلُّ ذلک بتعليم الله تعالى.

وهذه الآية الشريفة تمثل ردّاً حاسماً على من ينكر الولاية التكوينية أو ينكر مشروعية التوسل ويتصور بأن ذلک يتنافى مع التوحيد الأفعالى، وعليه فإذا نسبنا هذه الأفعال إلى غير الله تعالى واعتقدنا بأن الإنسان يمكنه أن يؤثّر فى عالم الأسباب والمسببات بإذن الله ومشيئته فإن هذا المعنى لا يتنافى مع التوحيد إطلاقاً.

التوسل فى القرآن

ومضافاً إلى ما تقدّم فهناک آيات قرآنية عديدة تذكر مسألة التوسل بصراحة وإليک بعض النماذج والأمثلة على ذلک :

١ ـ نقرأ فى الآية ٩٧ من سورة يوسف قوله تعالى :

(قالُوا يا اَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا اِنّا كُنّا خاطِئِينَ).

عندما وصل خبر يوسف وأنه فى كامل الصحّة والعافية إلى أبيه وأُخوته تحرّک الأخوة لجبران خطئهم واشتباههم من موقع التوبة والإستغفار وجاءوا إلى أبيهم وتوسطوا إليه ليستغفر لهم الله تعالى وجعلوه واسطتهم إلى الله تعالى ليغفر لهم شنيع فعلتهم، فأجابهم يعقوب بقوله :

www.makarem.ir

(سَوْفَ اَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبّى اِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ).[1]

وطبقاً لهذه الآية الشريفة فإنّ أبناء يعقوب المذنبين توسلوا إلى أبيهم النبى وطلبوا منه أن يتوسط لهم إلى الله تعالى ليغفر لهم ويعفو عنهم، وعليه فلا إشكال فى أن نتوسل بنبى الإسلام(صلى الله عليه وآله) أو الأئمّة المعصومين (عليهم السلام) أو القرآن الكريم أو المقدسات الاُخرى ونجعلها واسطتنا إلى الله تعالى لطلب الفرج واستجابة الدعاء وأمثال ذلک.

٢ ـ ونقرأ فى الآية ٦۴ من سورة النساء :

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُول اِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوکَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللهَ تَوَّاباً رَّحيماً).

إنّ الله تعالى فى هذه الآية الشريفة يعلّم الناس طريق التوسل، وفى مقابل هاتين الآيتين من القرآن الكريم نرى أن الوهابيين يحرّمون ويمنعون التوسل، فما هو المسوغ لهم لهذا المنع ؟

التوسل بالعظماء والأولياء بعد وفاتهم

إنّ الوهابيين يفتقدون إلى الجواب المنطقى فى مقابل هذه الآيات القرآنية والبراهين العقلية ولذلک اضطروا إلى تعديل مواقفهم من مسألة التوسل وأجازوا التوسل بالنبى فى حياته ومنعوه بعد وفاته.

إنّ هؤلاء لم يلتفتوا إلى لوازم هذا الرأى، لأن ذلک يعنى أن الشرک وفقاً لهذه العقيدة مباح فى حياة النبى ولكنه حرام بعد وفاته، وبعبارة اُخرى أن لازم ذلک أن يكون الشرک على نحوين : ١ ـ الشرک المباح، ٢ ـ الشرک المحرّم والممنوع.

فهل سمعتم عالماً ينطق بمثل هذا الكلام ؟

هل سمعتم أحد المسلمين يقول بأن الشرک مباح فى بعض الأحيان ؟

---

١ . سورة يوسف : الآية ٩٨، والسبب فى أن يعقوب لم ينفذ طلبهم فى ذلک الوقت هو أن لكلّ شىء زمان خاص، والدعاء قد يستجاب فى بعض الأوقات أسرع من غيرها، ولهذا أوكل يعقوب الدعاء لأبنائه إلى المستقبل، وقد ورد فى بعض الروايات أنه كان يريد أن يدعو الله لهم فى ليلة الجمعة وهو الوقت المناسب جداً لاستجابة الدعاء، والملفت للنظر أنه ورد فى تفسير القرطبى، ج ۶، ص ٣۴٩١، أن يعقوب كان يقصد الدعاء فى ليلة الجمعة التى تصادف ليلة عاشوراء.

www.makarem.ir

إنّ بطلان الشرک بمثابة قانون عقلی کلّی لا يقبل الإستثناء، ولکنّ الوهابيين هم طائفة متخلّفة فکرياً وعلمياً دون سائر المذاهب الإسلامية حيث لا يمکن قياسهم بعلماء دمشق ولا بعلماء الأزهر ولا بعلماء الشيعة وفضلاء الحوزات العلمية.

مضافاً إلى ذلک نقول : کيف اختلف الحال بين وجود النبی علی قيد الحياة وبعد الوفاة ؟ فرغم أن بدن النبی قد مات ودفن فی التراب ولکن بدون شکّ أن روحه بعد خروجها من البدن الشريف ستکون أقوی علی مستوی التأثير والإدراک.

والقرآن الکريم يقرر الحياة البرزخية للشهداء ويقول فی الآية ١٦٩ من سورة آل عمران :

(وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِی سَبِيلِ اللهِ اَمْواتاً بَلْ اَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ).

فعندما يکون الشهداء أحياءاً بعد موتهم ويتناولون الطعام عند ربّهم کما تقول الآية التی بعدها أنهم يشهدون أعمال أحبتهم ورفقاءهم فی هذه الحياة الدنيا، فهل أن النبی الأکرم (صلی الله عليه وآله)الذی يتمتع بمقام أسمی بکثير من مقام الشهداء لا تکون له حياة برزخية ؟

بلا شکّ أن النبی يعيش الحياة البرزخية فی أعلی المستويات، ولذلک نری أن المسلمين فی ختام کلِّ صلاة يسلمون عليه ويقولون :

«**السَّلامُ عَلَيْکَ أَيُّهَا النَّبِیُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَکاتُهُ**».

فلو لم يکن النبی حيّاً فلماذا هذا السلام، وعلی من يکون، وماذا يعنی ؟

النتيجة هی أن التوسل بالأولياء جائز فی حال حياتهم وبعد موتهم، ولا فرق هناک بين موت هؤلاء وحياتهم فی هذه المسألة.

التوسل فی الروايات

لقد ورد التوسل فی روايات الفريقين الشيعة والسنّة بشکل واسع، ونشير هنا إلی بعض هذه الروايات الواردة فی مصادر أهل السنّة :

www.makarem.ir

١ ـ ينقل البيهقى أحد علماء أهل السنّة عن أنس «الخادم الخاصّ للنبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)» قوله :

جاء رجل من الأعراب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنشد يقول :

اَتَيْناکَ وَالْعُذْراءُ يُدْمِى لِبانَها ❊❊❊ وَقَدْ شَغَلَتْ اُمُّ الصَّبِىَّ عَنِ الطِّفْلِ

وَلَيْسَ لَنا اِلاّ اِلَيْکَ فِرارُنا ❊❊❊ وَاَيْنَ فِرارُ الْخَلْقِ اِلاّ اِلَى الرُّسُلِ

فعندما سمع النبى (صلى الله عليه وآله) بحال هذا الرجل المؤلمة تأثّر كثيراً وتوجّه إلى المسجد وهو يجرّ بردائه من شدّة الهمّ والحزن، فصعد المنبر ورفع يديه للدعاء، وما زال يدعو حتّى نزل المطر ونجى الناس من القحط[١].

فطبقاً لهذه الرواية فإنّ ذلک الأعرابى توسل فى زمان حياة النبى (صلى الله عليه وآله) به، ولم يمنعه رسول الله(صلى الله عليه وآله) من ذلک أو ينهاه.

٢ ـ ويورد البخارى فى كتابه رواية فى هذا المجال، وهى أن الناس أصيبوا بالقحط فى أيّام رسول الله (صلى الله عليه وآله) فجاؤوا إليه يشكون إليه حالهم، فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فنزل المطر، فقال النبى(صلى الله عليه وآله) :

«لَوْ كانَ أَبُو طالِب حَيّاً لَقَرَّتْ عَيْناهُ»[٢].

وهذه الجملة من كلام النبى (صلى الله عليه وآله) إشارة إلى ما كان من النبى قبل البعثة من دعاء أبى طالب لنزول المطر وكان النبى يومذاک رضيعاً، فأخذه أبوطالب وأقسم على الله تعالى بحقّ هذا الطفل إلاّ ما أنزلت علينا المطر. فاستجيب دعاؤه ونجا الناس من الهلاک والقحط، ثمّ إن أبا طالب أنشد أبياتاً من الشعر مطلعها :

وَاَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمامُ بِوَجْهِهِ ❊❊❊ ثَمالُ الْيَتامى عِصْمَةٌ لِلاْرامِلِ[٣]

والخلاصة أن الناس طبقاً لهذه الرواية كانوا قبل البعثة وبعدها يتوسلون إلى الله تعالى بالنبىّ الكريم (صلى الله عليه وآله) ولن يتحرک النبى الأكرم لمنعهم من هذا العمل بل إنه

---

١ . كشف الإرتياب : ص ٣١٠، وللاطلاع على البحوث المتعلقة بصلاة الإستسقاء راجع كتابنا «تحقيق حول صلاة الإستسقاء».

٢ . كشف الإرتياب : ص ٣١٠.

٣ . كشف الإرتياب : ص ٣١١.

www.makarem.ir

أثنى عليه بحيث إنه طلب من البعض أن يقرأوا أشعار أبى طالب التى قالها بمناسبة واقعة الإستسقاء فتكفل الإمام على (عليه السلام) بهذه المهمة.

٣ ـ قال السمهودى أحد كبار علماء أهل السنّة فى كتابه «وفاء الوفاء» عن مالک أحد أئمّة المذاهب الأربعة لأهل السنّة : ناظر أبو جعفر أميرالمؤمنين مالكاً فى مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله)فقال مالک : يا أميرالمؤمنين لا ترفع صوتک فى المسجد فإن الله تعالى أدب قوماً فقال :

(يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَرْفَعُواْ أَصْوَتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِىّ وَلاَ تَجْهَرُواْ لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْض أَن تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ)[١]، ومدح قوماً فقال : (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ)[٢]، وذمّ قوماً فقال : (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَکَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ)[٣].

فقال منصور : هذا كان فى حياته لا بعد مماته.

فقال مالک : «حُرْمَتُهُ مَيِّتاً كَحُرْمَتِهِ حَيّاً».[٤]

وطبقاً لهذا الكلام فإن احترام النبى واجب فى حال حياته وبعد مماته والتوسل به جائز أيضاً على أيّة حال.

٤ ـ وقد ذكر «ابن حجر» من علماء أهل السنّة المعروفين والإنسان المتعصب جدّاً فى كتابه «الصواعق المحرقة» اعترافات مهمة لصالح الشيعة، ومن تلک الإعترافات ما أورده من شعر الإمام الشافعى حيث يقول :

آلُ النَّبىِّ ذَريعَتى * وَهُمْ اِلَيْهِ وَسيلَتِى**

اَرْجُو بِهِمْ اُعْطى غَداً * بِيَدِ الْيُمْنى صَحيفَتِى**[٥]

---

١ . سورة الحجرات : الآية ٢.

٢ . سورة الحجرات : الآية ٣.

٣ . سورة الحجرات : الآية ٤.

٤ . وفاء الوفاء : ج ١، ص ٤٢٢ نقلاً من كشف الإرتياب : ص ٣١٧.

٥ . الصواعق المحرقة نقلاً من كشف الإرتياب : ص ٣١٩.

www.makarem.ir

النتيجة : أن التوسل بأولياء الدين والمقدّسات كالقرآن الكريم لا تتنافى إطلاقاً مع التوحيد الأفعالى، وقد ورد التمجيد والترغيب فى القرآن والروايات الشريفة للمسلمين لمثل هذا العمل.

لا تجوز العبادة لغير الله

سؤال : لقد قلتم أن العبادة خاصّة بالله تعالى ولا ينبغى عبادة غير الله لأن ذلك يحسب من الشرک فى حين أننا نجد فى بعض الآيات القرآنية أنها تتحدّث عن السجود لغير الله تعالى من قبيل :

١ ـ ما ورد فى قصة آدم وحواء عندما خلق الله آدم وأمر الملائكة بالسجود له :

(فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ اَجْمَعُونَ).[١]

فلو كانت العبادة لغير الله تعالى شرک فلماذا ورد الأمر فى هذه الآية الشريفة بالسجود لآدم ؟

٢ ـ وفى سورة يوسف عندما تحرک الاُخوة مع الوالدين من الصحراء متوجهين إلى مصر بعد أن علموا بحياة يوسف، حيث يحدّثنا القرآن الكريم عن اللحظة التى التقى فيها هؤلاء بالنبى يوسف وقال :

(وَرَفَعَ اَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً).[٢]

فطبقاً لهذه الآية الشريفة فإنّ أبناء يعقوب سجدوا ليوسف، فلو كان السجود لغير الله شركاً، فكيف نفسر ما ورد فى هذه الآية الشريفة ؟

٣ ـ عندما ورد بنو إسرائيل بيت المقدّس فإنّ الآية تذكر هذه الواقعة وأن بنى إسرائيل سجدوا عند ورودهم المعبد فى بيت المقدّس كما نقرأ ذلک فى الآية ٥٨ من سورة البقرة :

(وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمحْسِنِينَ).

---

١ . سورة الحجر : الآية ٣٠ وسورة ص : الآية ٧٣.

٢ . سورة يوسف : الآية ١٠٠.

www.makarem.ir

والخلاصة أن هذه الآيات الثلاث تتحدّث عن السجود لغير الله فكيف يتناغم ذلک مع التوحيد فى العبادة ؟

الجواب : تقدم أن حرمة الشرک وعدم جواز السجود لغير الله واختصاص العبادة بالله تعالى إنّما هو قانون كلّى لا يقبل الإستثناء، فالشرک لا يمكن أن يتواءم مع التوحيد فى أى مرتبة من مراتبه، وعليه فإنّ السجود الوارد فى الآيات المذكورة لا يعنى العبادة بل هو سجود الشكر والتعظيم لله تعالى على نعمه ومواهبه العظيمة.

عندما سجد الملائكة لآدم ففى الحقيقة أنهم سجدوا لله تعالى الذى خلق مثل هذا المخلوق العظيم، إذن فالسجود فى الواقع كان لله تعالى ولكن بسبب خلق آدم.

وهكذا فى أُخوة يوسف فإنهم سجدوا شكراً لله تعالى لأجل النعمة العظيمة التى أولاها الله تعالى لأخيهم يوسف، ولأجل نجاتهم من الحياة الصعبة والشاقّة فى صحراء كنعان ورؤيتهم أخيهم بعد سنوات من الفراق وبالتالى انتقالهم إلى مصر ليعيشوا حياة طيبة ومرفهة وكريمة، فلأجل ذلک سجدوا شكراً لله تعالى، كما هو الحال فى بنى إسرائيل الذين سجدوا لله تعالى لا لمسجد بيت المقدّس.

عندما يقوم المسلمون والحجاج بأداء صلاة الجماعة حول الكعبة ويسجدون لله تعالى فى صلاتهم هذه أمام بيت الله الحرام، فهل معنى هذا أنهم سجدوا للكعبة، أو أن أحداً من المسلمين لا يسجد للكعبة بل يسجد لله تعالى ويعبده وحده ولكن فى مقابل الكعبة ؟

وعلى هذا الأساس فإنّ السجود فى جميع الموارد هو لله تعالى، وفى الحقيقة هو مصداق بارز لعبادة الله رغم أن الدوافع قد تكون متفاوتة ومختلفة، والنتيجة هى أن الآيات الثلاثة المذكورة آنفاً لا تعدُّ استثناءاً من القاعدة الكليّة فى توحيد العبادة.

□□

www.makarem.ir

الفصل الثالث

آيات الفضائل الخاصّة

بالإمام عليّ (عليه السلام)

- آية ليلة المبيت
- آية سقاية الحاج
- آية النصرة
- آية علم الكتاب
- آية المؤذّن وآية الأذان
- آية المحسنين
- آية السابقون الأولون

www.makarem.ir

- آية المحبّة
- آية السابقون
- آية أُذُن واعية
- آية صالح المؤمنين
- آية الإنذار والهداية
- آية خير البريّة
- آية الحكمة

www.makarem.ir

آية ليلة المبيت

١

«سورة البقرة / الآية ٢٠٧»

أبعاد البحث

هذه الآية الشريفة المعروفة بآية «ليلة المبيت» تعتبر إحدى أهم الآيات الواردة فى فضائل أميرالمؤمنين (عليه السلام)، وهى الفضيلة العظيمة التى لم تتحقق لأحد من المسلمين غير الإمام على (عليه السلام) حيث تشير الآية الشريفة أعلاه إلى ما قام به الإمام على فى ليلة هجرة النبى(صلى الله عليه وآله) إلى المدينة ومنامه فى فراشه كما سيأتى توضيحه لاحقاً.

شأن النزول

يرى كثير من علماء الشيعة وأهل السنّة أن الآية مورد البحث نزلت فى حقِّ علىّ بن أبى طالب (عليه السلام)، حيث ذكروا هذا الموضوع فى كتبهم إلى درجة أن هذه الواقعة قد وصلت إلى حدّ التواتر، أى أنها من الكثرة بحيث لا يمكن إنكارها.

وخلاصة قصة ليلة المبيت كما يلى :

www.makarem.ir

عندما أحسّ أعداء الإسلام ومشركوا مكّة المعاندون بخطر الإسلام والدعوة السماوية بدأوا يتحركون على مستوى التآمر والتخطيط لقمع هذا الدين الجديد فى المهد وطرحوا

ثلاث خطط خطرة لمواجهة دعوة النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)، فقالوا : «إما أن نقتل هذا النبى، أو نلقيه فى السجن بحيث لا يتمكن أىُّ شخص من رؤيته والحديث معه، أو نقوم بإبعاده عن أرض الحجاز»[1].

إنّ الشواهد التاريخية تشير إلى أنهم اختاروا الرأى الأوّل الذى هو أخطر الثلاثة، واختاروا من أجل تجسيد هذه الفكرة على أرض الواقع الخارجى أربعين شخصاً من مختلف قبائل العرب يتصفون بالشجاعة والمهارة ليقوموا بمحاصرة بيت النبوّة ليلاً ثمّ يتمكنوا من قتل النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وهكذا صنع هؤلاء الأشخاص وجاءوا ليلاً وأحاطوا ببيت النبوّة ثمّ تسلّقوا الجدار أو نفذوا من كوة فيه وانتظروا حتّى تحين الفرصة المناسبة لقتل النبى.

ولكنّ الله تعالى أخبر نبيَّه الكريم بواسطة الوحى بمؤامرة المشركين فعزم النبى (صلى الله عليه وآله)على الخروج من مكّة، ولكنه لتحقيق هذا الهدف والتخلّص من هذه المؤامرة الشيطانية ينبغى أن يقوم بأمرين :

الأوّل : أن يقوم بالتوجّه إلى خارج مكّة وفى الطريق المعاكس لطريق المدينة، أى أنه بدلاً من أن يتوجّه شمالاً نحو المدينة فإنّه تحرك إلى الجنوب منها لكى لا يلتفت الأعداء إلى خروجه من مكّة وهجرته إلى المدينة وليمنعهم من ملاحقته.

الثانى : لابدّ وأن يجد الشخص المناسب لينام فى مكانه لإيهام الأعداء بعدم خروج النبى من البيت فيؤخرهم عن ملاحقته والقبض عليه.

ولهذا الغرض قال لعلى ابن أبى طالب (عليه السلام) : «**اتشح ببردى الأخضر ونم على فراشى**».

---

١ . وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الواقعة فى الآية ٣٠ من سورة الأنفال فى قوله تعالى «وإذ يمكر بک الّذين كفروا ليثبتوک أو يقتلوک أو يخرجوک ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين».

www.makarem.ir

فقال الإمام على (عليه السلام) : إذا نمت على فراشک فهل ستنجو من الخطر وتصل إلى المدينة بسلام ؟[١]

فقال النبىّ : نعم يا علىّ، فسجد الإمام على (عليه السلام) شكراً لله تعالى، ويقال أنها أول سجدة شكر كانت فى الإسلام.

وبعد أن وضع النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) عليّاً فى فراشه خرج من مكّة متستّراً وتحرّک إلى جهة الجنوب على عكس مسير المدينة حتّى وصل إلى غار ثور، وبعد أن يأس الأعداء من العثور عليه تحرّک إلى المدينة ووصل إليها بسلام.

لاشکّ أن ليلة المبيت كانت ليلة حسّاسة ومهمة جدّاً ومصيرية بالنسبة إلى الإسلام والمسلمين وكان بطل هذه الليلة هو أميرالمؤمنين (عليه السلام) وعندما كان النبى متوجّهاً إلى المدينة أوحى الله تعالى إليه بهذه الآية محل البحث حيث تحدّثت هذه الآية عن إيثار وتضحية الإمام على (عليه السلام) العظيمة.

اعترافات علماء أهل السنّة

رأينا آنفاً ما ورد فى شأن نزول هذه الآية الشريفة ولا يختص ذلک بعلماء الشيعة بل نقله الكثير من علماء أهل السنّة، ومنهم : «الطبرى»[٢]، «ابن هشام»[٣]، «الحلبى»[٤]، «اليعقوبى»[٥](وكلّهم من مشاهير مؤرّخى أهل السنّة) و«أحمد»[٦] من فقهاء أهل السنّة و«ابن الجوزى»[٧]، و«ابن الصبّاغ المالكى»[٨].

---

١ . هنا ينبغى الإلتفات إلى أن الإمام على (صلى الله عليه وآله) لم يسأل عن الخطر الذى يهدد حياته هو، بل كان همّه هو سلامة النبى ونجاته، وعندما اطمأن لسلامته رضى بالمبيت على فراش النبى بكل طيب خاطر.

٢ . تاريخ الطبرى : ج ٢، ص ٩٩ ـ ١٠١ (نقلاً عن الغدير : ج ٢، ص ٤٨).

٣ . سيرة ابن هشام : ج ٢، ص ٢٩١ (نقلاً عن الغدير : ج ٢، ص ٤٨).

٤ . السيرة الحلبيّة : ج ٢، ص ٢٩ (نقلاً عن الغدير : ج ٢، ص ٤٩).

٥ . تاريخ اليعقوبى : ج ٢، ص ٢٩ (نقلاً عن الغدير : ج ٢، ص ٤٨).

٦ . مسند أحمد : ج ١، ص ٣٤٨ (نقلاً عن الغدير : ج ٢، ص ٤٨).

٧ . تذكرة ابن الجوزى : ص ٢١ (نقلاً عن الغدير : ج ٢، ص ٤٨).

٨ . فصول ابن الصبّاغ المالكى : ص ٣٣ (نقلاً عن الغدير : ج ٢، ص ٤٨).

www.makarem.ir

والملفت للنظر ما أورده «أبو جعفر الإسكافى» الشارح المشهور لنهج البلاغة لابن أبى الحديد المعتزلى، حيث قال فى هذا الصدد :

قد ثبت بالتّواتر حديث الفراش... ولا يجحده إلاّ مجنون أو غير مخالط لأهل الملّة... وقد روى المفسّرون كلّهم : إنّ قول الله تعالى : ومن النّاس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله أُنزلت فى علىّ (عليه السلام) **ليلة المبيت على الفراش**[1].

والنتيجة هى أن جميع علماء الإسلام من الشيعة والسنّة متفّقون على أن آية ليلة المبيت نزلت فى شأن أميرالمؤمنين (عليه السلام) وما قام به من تضحية وإيثار عظيم.

الشرح والتفسير

التجارة الرابحة

(وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللهِ) فبعض الناس يضحّون بأنفسهم فى سبيل مرضات الله والتقرّب إليه، وكما تقدّم أن علىّ بن أبى طالب قام بهذا العمل العظيم وباع نفسه فى تلك الليلة ابتغاء مرضات الله وكان المشترى هو الله تعالى، وقيمة هذه البضاعة هو رضا الله تعالى.

(وَاللهُ رَؤوفٌ بِالْعِبادِ) فهل يمكن أن يتصور مفهوم اللطف والرأفة أعلى من كون الله تعالى هو الذى يشترى روح الإنسان بأغلى ثمن ؟

المعاملة مع الله

هناك ثلاث آيات فى القرآن الكريم تتحدّث عن المعاملة مع الله تعالى ولابأس بالإشارة إليها وإجراء مقارنة بين مضامينها :

الآية الأُولى : ما ورد فى سورة التوبة الآية ١١١ :

(إِنَّ اللهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اَنْفُسَهُمْ وَاَمْوالَهُمْ بِاَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِى سَبيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِى التَّوراةِ وَالاِنْجيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ اَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِروُا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بايَعْتُمْ بِهِ وَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظيمُ).

---

١ . شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد : ج ١٣، ص ٢٦١.

www.makarem.ir

فى هذه المعاملة والتجارة العظيمة نرى أن الله تعالى من جهة هو المشترى، والمؤمنون والمجاهدون هم البائع، والبضاعة الموضوعة للتجارة هى نفوس المؤمنين وأرواحهم، والثمن هو الجنّة، واللطيف فى الأمر أن سند أو وثيقة هذه المعاملة مكتوبة فى ثلاث كتب سماوية معتبرة (القرآن والإنجيل والتوراة)، وهذه المعاملة المباركة تحدّثت عنها هذه الآية الشريفة بأنها «فوز عظيم» وباركت للبائعين على هذه الصفقة، والحقيقة أن هذه المعاملة والتجارة عظيمة جداً، لأن المشترى فيها يشترى ما يتعلّق به وما هو ملكه بأغلى الأثمان من البائع، ألا تعتبر هذه المعاملة من قبيل «الفوز العظيم»، ألا تستحق التبريک والتهنئة ؟

الآية الثانية : ما ورد فى الآيات ١٠ ـ ١٣ من سورة الصف من موضوع تجارة أُخرى بين الله وعباده حيث نقرأ فى هذه الآيات الأربع :

(يا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ اَدُلُّكُمْ عَلَى تِجارَة تُنْجيكُمْ مِنْ عَذاب اَليم * تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجاهِدُونَ فِى سَبيلِ اللهِ بِاَمْوالِكُمْ وَاَنْفُسِكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنّات تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الاَنْهارُ وَمَساكِنَ طَيِّبَة فِى جَنّاتِ عَدْن ذلِکَ الْفَوزُ الْعَظيمُ * وَاُخْرَى تُحِبُّونَها نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَريبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنينَ)

فى هذه المعاملة المربحة نجد أيضاً أن البائع هو المؤمنين، والمشترى هو الله تعالى، والبضاعة أو المبيع هو نفس روح الإنسان المؤمن، وقيمتها غفران الذنوب ودخول الجنّة، المساكن الطيبة فيها، النصر القريب (فتح مكّة)، وهكذا نرى أن الله تعالى يعبّر عن هذه المعاملة والتجارة الكبيرة بعبارة «الفوز العظيم» ويبارک ويهنىء هؤلاء المتاجرون.

الآية الثالثة : ما ورد فى سورة البقرة الآية ١٠٧ (الآية محل البحث)، وكما رأينا أن البائع هو علىّ بن أبى طالب (عليه السلام) والمشترى هو الله تعالى، والبضاعة فى هذه المعاملة هو روح علىّ بن أبى طالب (عليه السلام)، والثمن هو رضا الله تعالى.

المقارنة بين المعاملات الثلاث

رأينا أن الآيات الكريمة تتحدّث عن ثلاث معاملات وردت فى سورة التوبة، الصف، البقرة، وقد تقدّم شرحاً لما ورد فيها ونجد أوجه للتشابه فيما بينها من قبيل أن الله تعالى

www.makarem.ir

فى كلّ هذه المعاملات الثلاث هو المشترى، والبائع هم المؤمنون، والبضاعة مورد المعاملة هى أرواح المؤمنين وأنفسهم، ولكن هنا تفاوت فى قيمة هذه الأجناس فى كلٍّ واحدة منها، فتارة يشترى الله تعالى نفوس المؤمنين فى مقابل الجنّة، واُخرى يشتريها بثمن أعلى، فمضافاً إلى الجنّة هناك المساكن الطيبة وغفران الذنوب والنصر الدنيوى، ولكن فى المعاملة الثالثة وهى الآية محل البحث (آية ليلة المبيت) نرى أعلى الأثمان والقيم ألا وهو رضا الله تعالى، وبديهى أن رضا الله تعالى لا يمكن قياسه مع الجنّة وأمثالها من المواهب الاُخروية، واللطيف أن هذا الثمن متناسب جدّاً مع روحية الإمام على (عليه السلام)حيث نقرأ فى كلماته الجذّابة يخاطب الله تعالى ويقول :

«إلهى ما عبدتک خوفاً من نارک، ولا طمعاً فى جنّتک ولكنى وجدتک أهلاً للعبادة فعبدتک».[1]

مقارنة اُخرى

بالرغم من أن الإمام على (عليه السلام) كان يواجه خطراً كبيراً فى ليلة المبيت ولكنه نام على فراش النبى (صلى الله عليه وآله) وهو مسرور ولم يسمح للخوف أن يتسرب إلى نفسه، وفى الصباح الباكر عندما هجم الأعداء على بيت النبى (صلى الله عليه وآله)ورأوا بكامل الدهشة أن خطتهم قد أجهضت وأن النائم فى الفراش هو علىّ بن أبى طالب، فما كان منهم إلاّ أن خاطبوا الإمام على بكلمات موهنة، فأجابهم من موقع الدفاع عن الدين والنبى بكلمات جميلة جدّاً تعكس شجاعة أميرالمؤمنين وعقله الكبير وبأسه الشديد وسوف يأتى لاحقاً ما ورد فى هذا الصدد إن شاء الله.

وأما أبو بكر فقد خرج مع النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) وتخلص من الخطر ولجأ إلى غار ثور، وعندما سمع صوت أقدام الأعداء الذين خرجوا من مكّة فى أثر النبى، اصفر لونه وملأ الخوف والرعب قلبه ووجوده بحيث يمكن إدراک ذلک بنظرة بسيطة

١ . بحار الأنوار : ج ٦٧، ص ١٨٦.

www.makarem.ir

إلى وجهه، ولهذا بدأ النبى (صلى الله عليه وآله) بتسليته ليزيل بعض الوحشة والخوف الذى سيطر عليه، وعليک أن تدرک مضمون هذه الحادثة من هذا المختصر.

جمال التعبير فى آية ليلة المبيت

نقرأ فى آيات سورة التوبة وسورة الصف قوله تعالى : (إِنَّ اللهَ اشْتَرى) و (هَلْ اَدُلُّكُمْ عَلَى تِجارَة) ففى هذه العبارات نفهم أن الله تعالى هو المشترى، وهو الذى يرغّب البائعين إلى بيع متاعهم وبضاعتهم، ولكننا نقرأ فى آية ليلة المبيت (وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ) ومعنى هذه العبارة أن البائع هنا يتقدّم بعرض بضاعته ويبتدأ بالمعاملة. ومن الواضح أن التعبير الأدبى فى هذه الآية الشريفة أروع وألطف، لأن الشخص الذى يقدم نفسه على طبق الإخلاص ويعرضها للبيع لا يجد فى نفسه رغبة إلاّ بعد ترغيب المشترى رغم أن عمله هذا لا يخلو من التقدير بلاشک.

مضافاً إلى ذلک فإنّ الآية محل البحث تبدأ بكلمة «مِنْ» التبعيضية فى قوله «وَمِنَ النّاسِ» أى أن هذا العمل العظيم لا يتمكن من أداءه إلاّ بعض الناس فى حين أن الآيتين السابقتين تطرح مسألة المعاملة مع الله والمعاوضة بالجنّة والنجاة من النار فى إطار عام وشامل «اِشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنينَ».

إرتباط آية ليلة المبيت مع الآيات التى قبلها

إذا دققنا النظر فى الآيات الثلاث قبل آية ليلة المبيت أدركنا عظمة عمل الإمام على (عليه السلام)ومقامه الرفيع عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفى ذلک يقول تعالى :

(وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُعْجِبُکَ قَوْلُهُ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا).

أى أن بعض المنافقين الذين يتمتّعون بظاهر جميل وخادع عندما يرونک يظهرون المحبّة والتملق ويتحدّثون بشكل تشعر فيه بالإعجاب فى حين أن باطنهم شىء آخر.

(وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى ما فِى قَلْبِهِ وَهُوَ اَلَدُّ الْخِصَامِ).

www.makarem.ir

فإن الله تعالى عالم بما يخفى هؤلاء المنافقين المخادعين رغم أنهم يشهدون الله على ما فى قلوبهم، هؤلاء الأشخاص ذوو الظاهر الأنيق والكلام الجميل هم ألدّ[١] أعداء الإسلام وهم منافقون، وتشير هذه الآيات إلى «الاخنس بن شريق» المنافق المعروف الذى يظهر من كلامه غير ما يبطن بحيث إنّ ظاهره وكلامه يجذب كلَّ مخاطب إليه لحسن بيانه وجمال مظهره حيث كان يتظاهر بالقداسة والإيمان والتقوى ولكنه فى الواقع شخصية منحطّة وسافلة ولا يعتقد بالله ولا برسوله إطلاقاً[٢].

وفى الآية التى تليها يشير الله تعالى إلى واقع هذا الشخص «الأخنس» ونفاقه فى حركة الحياة والواقع الإجتماعى :

(وَاِذا تَوَلّى سَعى فِى الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ).

فمن علامات نفاق الأخنس وسائر المنافقين هو أنهم عندما يخرجون من مجلسك يتحركون فى حياتهم الفردية والإجتماعية من موقع الإفساد فى الأرض وإهلاك الحرث والنسل رغم علمهم بأن الله تعالى لا يحبُّ هذه الأعمال القبيحة[٣]، وطبعاً هناك احتمال أن كلمة «تولّى» تعنى الولاية والحكومة، أى أن هؤلاء الأشخاص إذا استلموا زمام الأُمور وتولّوا أمر الحكومة والسلطة أفسدوا فى الأرض وزرعوا بذور النزاعات والفساد والإنحطاط وعملوا على تخريب المزارع وإهلاك الأنعام.

وقد ورد أنّ «الأخنس» جاء إلى منطقة فى بلاد الإسلام وشرع فى الإفساد وتخريب مزارع المسلمين فى تلك المنطقة وقتل أغنامهم وحيواناتهم[٤]، ولكنه عندما جاء إلى النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) شرع بالتملّق والتحدّث بكلمات معسولة خادعة.

(وَاِذا قيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ اَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالاِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهادُ).

---

١ . كلمة «لدود» بمعنى شديد العداء، و«ألّد الخصام» تعنى أشدّ الأعداء.

٢ . التفسير الأمثل، الآية مورد البحث.

٣ . هذه الآية الشريفة تقرر أن الإسلام قبل ١٤٠٠ عام كان يهتم بشكل خاصّ بالمحافظة على البيئة والطبيعة حيث يعبّر عن تخريب البيئة بـ «الإفساد فى الأرض» وجعل ذلك من علامات النفاق والعداوة للإسلام، وتوجد فى سائر الآيات القرآنية شواهد كثيرة على اهتمام الإسلام بحفظ الطبيعة.

٤ . التفسير الأمثل : ذيل الآية مورد البحث.

www.makarem.ir

وعندما يسعى المؤمن فى نصيحة هؤلاء الأشخاص وتحذيرهم من مغبّة هذه الأعمال ويحثّهم على تقوى الله تعالى واجتناب الأعمال الإجرامية، والخلاصة عندما يتحرّك على مستوى أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر فإن هؤلاء المنافقين ليس فقط لا يستمعون إلى النصيحة بل يزدادون عناداً وغروراً وتعصّباً ويصرّون على أعمالهم الدنيئة من موقع العناد والتكبّر، ومن الواضح أن مصير هؤلاء الأشخاص لا يكون سوى جهنم.

والخلاصة أن القرآن الكريم يصوّر لنا فى هذه الآيات الثلاث عناد أعداء الإسلام وسلوكياتهم المنحرفة، وعندما نضع هذه الآيات إلى جانب آية ليلة المبيت فلابدّ أن يتحول الكلام إلى استعراض أحبّ الأشخاص إلى الله وأكثرهم إيماناً وانشداداً للإسلام والمسلمين، وعليه فإنّ الإمام على الذى نزلت فى حقّة آية ليلة المبيت وقدّم نفسه على طبق الإخلاص فداءاً للنبى هو أحبّ الأشخاص إلى النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) وبلا شكّ إنّ علاقة النبى (صلى الله عليه وآله)بالأشخاص لا تكون إلاّ على أساس إيمانهم وحبّهم لله تعالى لا على أساس العواطف الساذجة والميول الدنيوية.

ارتباط آية ليلة المبيت بولاية أميرالمؤمنين (عليه السلام)

سؤال : ما هى علاقة الآية الشريفة «ليلة المبيت» مع إمامة وخلافة أميرالمؤمنين (عليه السلام)بعنوانه أوّل خليفة بعد رسول الله وإمام المسلمين ؟ وبعبارة أُخرى إنه على فرض قبول أهل السنّة بأن الآية أعلاه نزلت فى شأن على بن أبى طالب، ولكن كيف يمكن إثبات أن هذه الآية تدلُّ على خلافة وإمامة أميرالمؤمنين (عليه السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)مباشرة ؟

الجواب : رأينا فى الأبحاث المتقدّمة أن الإمام على (عليه السلام) يعتبر أشجع المسلمين وأكثرهم تضحية وإيثاراً وأخلصهم لله تعالى، ومن جهة أُخرى نعلم أن إمام المسلمين وخليفة رسول الله يجب أن يكون أعلم الناس وأشجعهم وأكثرهم إيماناً وإيثاراً، وعلى هذا الأساس فإنه إذا كانت مسألة الإمامة والخلافة انتصابية، أى أن الله

www.makarem.ir

تعالى هو الذى ينصب الخليفة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإنه مع وجود الإمام على (عليه السلام)الذى يحوز على الشرائط المذكورة للإمامة، فلا معنى لأن يختار الله شخصاً آخر غيره ويعمل على خلاف مقتضيات الحكمة الإلهية، وإذا كانت هذه المسألة انتخابية (كما يعتقد الاُخوة من أهل السنّة) فإنّ مقتضى العقل هو أن لا يختار المسلمون شخصاً آخر غير من تتوفر فيه هذه الصفات، وعليه فإنّ انتخاب غير الإمام على(عليه السلام)يكون على خلاف مقتضيات العقل والشرع.

الجواب عن بعض الشبهات

وقد نرى من البعض أنهم يسعون فى تفسير الآية الشريفة بعيداً عن المفهوم منها والمدلول الحقيقى لها وذلک لما تحمل هذه الآية الشريفة من مضامين تتعلق بمسألة الخلافة والإمامة، حتّى لا يتمكن أحد من الإستدلال بها على خلافة أميرالمؤمنين (عليه السلام)، وهنا نستعرض بعض الشبهات وعلامات الإستفهام ونجيب عنها :

١ ـ آية ليلة المبيت تتعلق بالآمرين بالمعروف

العلاّمة الطبرسى وهو المفسّر الشيعى المعروف نقل رواية مرسلة عن أهل السنّة تتحدّث عن هذه الآية الشريفة وأنها نزلت فى شأن من قتل فى طريق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر[١] وعليه فإنّ الآية محل البحث لا ترتبط بشكل أو بآخر بخلافة أميرالمؤمنين وإمامته.

الجواب : إن سياق آية ليلة المبيت يدلُّ على أن الآية المذكورة ليست واردة فى شأن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، لأنه طبقاً لما تقدّم من الشرح والتفسير أن هناک خطر كبير يهدد الشخص مورد نظر الآية، وهو الخطر الذى يصل إلى حدّ الموت والقتل، ومثل هذا الخطر قلّما يتفق للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وعليه فإن سياق الآية الشريفة يوحى إلى أنها لا ترتبط بمسألة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، مضافاً إلى أن الرواية المذكورة مرسلة وليست بحجّة.

---

١ . مجمع البيان : ج ١، ص ٣٠١.

www.makarem.ir

٢ ـ إنّ الآية مورد البحث واردة فى شأن أبى ذرّ

ويرى البعض أن الآية الشريفة واردة فى شأن أبى ذرّ الغفارى[١] الصحابى المعروف للنبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) ولا ترتبط بمسألة إمامة أميرالمؤمنين (عليه السلام) وخلافته.

الجواب : إنّ هذا الرأى بعيد عن الصواب ومجانب للواقع، لأن الشواهد التاريخية تدلُّ على أن أبا ذرّ الغفارى لم يتعرض لحادثة مهمة تهدد حياته بالخطر فى عصر النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وعليه لا يمكن التصديق بأن هذه الآية الشريفة نازلة فى حقّه رغم أن شخصية أبى ذرّ وخدماته العظيمة وخاصّة بعد رحلة النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) وفى عصر السكوت والإرهاب لا غبار عليها ولا يمكن إنكارها.

٣ ـ إنّ الآية الشريفة تتعلّق بجميع المهاجرين والأنصار

وذهب البعض إلى أن آية ليلة المبيت تتعلّق بجميع المهاجرين والأنصار[٢]، أى أن جميع المسلمين فى زمان النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)وحين نزول هذه الآية كانوا مشمولين لمضمونها، وعليه فإنّ الآية محل البحث لا تختص بالإمام على ابن أبى طالب (عليه السلام)[٣].

الجواب : إنّ بطلان هذا الكلام من أوضح الواضحات لأن الآية الشريفة تصرّح بأن هذا الإفتخار والكرامة يختصّ ببعض المسلمين وغير شاملة لجميع أفراد المجتمع الإسلامى، وعليه لا يمكن إدعاء أن جميع المهاجرين والأنصار مشمولين لآية ليلة المبيت.

٤ ـ هل يعلم الإمام على (عليه السلام) **بموته أو حياته ؟**

---

١ . اسم أبى ذر «جندب» واسم أبيه «جنادة» وقيل «السكن»، وكان من كبار صحابة النبى (صلى الله عليه وآله)ورجلاً عظيماً وجليلاً، ويعدّ من الأشخاص الذين لم يبايعوا أبابكر. (مستدركات علم الرجال : ج ٢، ص ٢٤٠).

٢ . مجمع البيان : ج ١، ص ٣٠١.

٣ . مجمع البيان : ج ١، ص ٣٠١.

www.makarem.ir

سؤال : هل إنّ الإمام على (عليه السلام) كان عالماً بعاقبة هذا العمل ؟ وهل إنه كان يعلم بأنه سوف ينجو من هذا الخطر الكبير ويبقى حيّاً بعد هذه الواقعة أم لا ؟

إذا كان يعلم أن المشركين لا يتمكنون من قتله وانه سيبقى على قيد الحياة فإن مبيته فى فراش النبى لا يمثّل قيمة وافتخار كبير، وإن لم يكن يعلم فسيكون لهذا العمل قيمة كبيرة ولكنّ الإشكال يردُ من جهة أُخرى، وهو أن الأئمّة يعلمون الغيب فكيف لم يعلم الإمام على(عليه السلام)بعاقبة هذا العمل ؟

الجواب : طبقاً لتحقيقات العلماء وتصريح بعض الروايات أن علوم الأئمّة بالنسبة إلى الغيب والمستقبل هى من العلوم الإرادية، أى أنهم لو أرادوا أن يعلموا لعلموا، وإن لم يريدوا ذلک لا يعلمونه[١]، فمن الممكن فى هذه الواقعة إنّ الإمام على (عليه السلام) لم تتعلق إرادته بمعرفة عاقبة

هذا العمل ونهايته، ولذلک كان احتمال الخطر مرتسماً فى ذهنه، ومع ذلک كان مستعداً للتضحية والإيثار العظيم، وعلى هذا الأساس فإن الواقعة المذكورة تعدّ افتخاراً كبيراً لأميرالمؤمنين(عليه السلام)ولا تتنافى مع علم الغيب للأئمّة، والإلتفات إلى هذه النكتة بإمكانه أن يزيل الكثير من الشبهات والإشكالات حول علم الأئمّة للغيب.

سؤال : لقد قلت «إنّ الإمام على (عليه السلام) لم تتعلق إرادته بأن يعلم مصيره ولذلک فإنّ احتمال الخطر موجود ومع ذلک بات الإمام على (عليه السلام) على فراش النبى (صلى الله عليه وآله)وكان ذلک فضيلة كبيرة ومنقبة عظيمة له» فى حين أنه قد ورد فى بعض الروايات إنّ الإمام كان مطّلعاً على أنه سوف لا تصيبه مصيبة وسوف لا يواجه مشكلة فى هذه العمل وقد ضمن له النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)السلامة والنجاة من الخطر[٢]، وعليه فكيف تعدّ آية ليلة المبيت فضيلة ومنقبة لأميرالمؤمنين(عليه السلام) ؟

الجواب : يمكننا الجواب على هذا الإشكال بصورتين :

---

١ . للمزيد من التفاصيل يرجى مراجعة نفحات القرآن : ج ٧.

٢ . شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد : ج ١٣، ص ٢٦٢.

www.makarem.ir

الف : إنّ هذه الرواية مرسلة ولا سند لها وقد أوردها العلاّمة الأمينى بصورة مرسلة عن تفسير الثعلبى[١]، وبما إنها تفتقد إلى السند فلا يمكن الإعتماد عليها[٢].

ب : هناک ثلاث شروط لقبول الرواية : الأوّل هى أن يكون سند الرواية معتبر، الثانى : أن لا تكون الرواية مخالفة لآيات القرآن الكريم، الثالث : أن تكون مقبولة لدى علماء الدين،

والرواية المذكورة مضافاً إلى ضعف سندها فهى غير مقبولة ومخالفة للقرآن الكريم، لأن الله تعالى ذكر هذا العمل لأميرالمؤمنين فى آية ليلة المبيت من موقع المدح والثناء والتمجيد وعبّر عنه بأنه معاملة مع الله تعالى فى حين أن الرواية المذكورة على فرض اعتبار سندها فإنّ عمل أميرالمؤمنين (عليه السلام)وفقاً لهذه الرواية ليست له قيمة وأهميّة خاصّة بل هو بمثابة أمر عادى، وعليه لا يمكن الإعتماد على هذه الرواية المخالفة لآية من آيات القرآن الكريم بحيث يمكن من خلالها تهميش هذا العمل العظيم الذى قام به أميرالمؤمنين (عليه السلام) (فتدبّر).

٥ ـ من هو المخاطب للنبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) **؟**

سؤال : ويرى البعض أن رسول الله (صلى الله عليه وآله)عندما أراد أن يضع شخصاً مكانه فى الفراش فى تلک الليلة قال للمسلمين : أيكم مستعد لأن يبيت فى فراشى فى هذه الليلة ؟ ولم يتقدّم أحد سوى على بن أبى طالب (عليه السلام) حيث أظهر موافقته على استقبال هذا الخطر.

فهل هذا المطلب صحيح، أو أن النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) تحدّث فى هذا المورد إلى الإمام على(عليه السلام)خاصّة ؟

الجواب : نحن لم نر فى الكتب المعتبرة أن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) طرح هذا الموضوع بين أصحابه، مضافاً إلى أن هذا المطلب لا ينسجم مع العقل، لأن هذا

---

١ . الغدير : ج ٢، ص ٤٨.

٢ . يقول أبو جعفر الإسكافى استاذ ابن أبى الحديد فى جوابه على هذا الإشكال بأن هذا الكلام كذب صريح ولم و يرد عن النبى (صلى الله عليه وآله) أنه تكلم بهذا الكلام، والرواية المذكورة إنما هى من المجعولات لرجل يدعى (أبوبكر الاصم) الذى أخذ عنه الجاحظ هذه الرواية (شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد : ج ١٣، ص ٢٦٣).

www.makarem.ir

الموضوع لو سمعه جميع الأصحاب فسوف يفتضح الأمر ويصل الخبر إلى أعداء الإسلام الذين كانوا يتآمرون على حياة النبى (صلى الله عليه وآله) وبالتالى سيتحركون للتصدى لهذا العمل وإجهاضه، ولهذا نعتقد بأن هذه الخطّة والفكرة تمّت بسريّة كاملة، ولم يعلم بها سوى النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)والإمام على (عليه السلام)وبعض الأشخاص الآخرين، وأما سائر المسلمين فكانوا لا يعلمون بها.

بقى هنا أُمور

١ ـ أشعار حسّان ابن ثابت فى وصف الواقعة

كان حسّان ابن ثابت[١] من الشعراء المعاصرين للنبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) وله علاقة خاصّة فى

الخليفة الحقيقى للنبى فقد أنشد قصائد رائعة فى فضائل أميرالمؤمنين (عليه السلام) وخاصّة فى واقعة غدير خم التاريخية وبعض أبياتها يتعلق بحادثة ليلة المبيت كما وردت فى كتب المؤرّخين :

مَنْ ذا بِخاتَمِهِ تَصَدَّقَ راكِعاً * وَاَسَرَّها فِى نَفْسِهِ إسْراراً**

مَنْ كانَ باتَ عَلى فِراشِ مُحَمَّد * وَمُحَمَّدٌ اَسْرى يَؤُمُّ الْغارا**

مَنْ كانَ فِى الْقُرْآنِ سُمّىَ مُؤْمِناً * فِى تِسْعِ آيات[٢] تُلينَ غَزاراً[١]**

---

١ . ولد حسان بن ثابت قبل ولادة النبى (صلى الله عليه وآله) بثمان سنوات وبقى بعده مدّة طويلة فكان من الشعراء المعمرّين حيث ناهز عمره على المائة وعشرين سنة، وقد أمر النبى (صلى الله عليه وآله) بوضع منبر خاص لحسّان فى مسجده وأحياناً كان يأمره بأن يرتقى هذا المنبر وينشد الشعر، وقد أخذ البعض عليه بأن المسجد ليس محلاً لإنشاد الشعر، ولكن النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) قال لهم بأن أشعار حسّان أثرها «أشدّ من النبال»، وبعد رحلة النبى (صلى الله عليه وآله) تعرض حسّان إلى نوع من عدم الإهتمام به من قبل الخليفة الأوّل والثانى حيث منعاه من إنشاد الشعر فى مسجد النبى، ولا يخفى على القارىء الكريم السبب فى هذا المنع، نعم إن جريمته هى الدفاع عن على بن أبى طالب (عليه السلام) بطل واقعة الغدير، وقد ترك هذا الشاعر المخضرم ديواناً موجوداً لحدّ الآن أودع فيه قصائده وأشعاره فى وصف الخليفة الحقيقى للنبى الأكرم (صلى الله عليه وآله).

٢ . وقد ذكر العلاّمة الأمينى هذه الآيات التسع وأضاف إليها واحدة، وهى كالتالى : ١ ـ الآية ١٨ من سورة الكهف، ٢ ـ الآية ٦٢ من سورة الأنفال، ٣ ـ الآية ٦٤ من سورة الأنفال، ٤ ـ الآية ٢٣ من سورة الأحزاب، ٥ ـ الآية ٥٥ من سورة

www.makarem.ir

والخلاصة إنّ حادثة ليلة المبيت كانت معروفة ومشهورة إلى درجة أنها انعكست فى قصائد شعراء العرب.

٢ ـ مصير الإمام على (عليه السلام) **فى تلك الليلة**

بعد أن عقد أعداء الإسلام العزم على مؤامرتهم فى القضاء على النبى (صلى الله عليه وآله)قرروا أن يهجموا على بيته ليلاً وينفذون مؤامرتهم، ولكن أحد قادة المشركين «أبوجهل أو أبو لهب» منعهم من هذا العمل وقال : لا تهجموا عليه ليلاً لأن من المحتمل أن تكون فى البيت زوجته وأطفاله وسيصيبهم الخوف والرعب وهم أبرياء[٢].

ولهذا السبب أخّروا هجومهم إلى بواكر الصباح، وعندما حانت اللحظة المناسبة وهجموا على بيت النبى (صلى الله عليه وآله) وهم يقصدون قتله، قام الإمام على (عليه السلام) من الفراش قبل أن يصلوا إليه وصاح بهم : ماذا تريدون ؟

وعندما تفاجأ المشركون بهذا الأمر ورأوا على ابن أبى طالب فى فراش النبى أخذتهم الدهشة وقالوا : يا علىّ نحن نريد محمّداً فأين هو ؟

فأجابهم : هل أودعتموه عندى حتّى تطلبوه منى ؟

فتحيّروا فى جوابه وماذا يصنعون به، هل يقتلونه أو يتركونه ؟ فقال أبو جهل : لنترک هذا الشاب المغامر فقد خدعه محمّد وأنامه فى فراشه لينجو بنفسه.

فلمّا سمع الإمام على (عليه السلام) بهذه الكلمات الموهنة له ولرسول الله قال بمنتهى الشجاعة والجرأة :

أَلى تَقُولُ هذا يا اَبا جَهْل ! إن الله قَدْ اَعْطانِى مِنَ الْعَقْلِ ما لَوْ قُسِّمَ عَلى جَميعِ حُمَقاءِ الدُّنْيا وَمَجانينِها لَصاروُا بِهِ عُقلاءَ، وَمِنَ الْقُوَّةِ ما لَوْ قُسِّمَ عَلى جَميعِ ضُعَفاءِ الدُّنْيا

المائدة، ٦ ـ الآية ١٩ من سورة التوبة، ٧ ـ الآية ٩٦ من سورة مريم، ٨ ـ الآية ٢١ من سورة الجاثية، ٩ ـ الآية ٧ من سورة البيّنة، ١٠ ـ سورة والعصر. (الغدير : ج ٢، ص ٤٩ ـ ٥٨).

١ . الغدير : ج ٢، ص ٤٧.

٢ . قارن بين هذا العمل وبين مدّعيات القوى التى تدعى حقوق الإنسان ليتضح جيداً أنهم أكثر توحشاً وهمجية من العرب الجاهليين، لأننا نرى فى هذا العصر هجوم أمريكا وبريطانيا على افغانستان بصورة وحشية حيث لم يرحموا النساء والأطفال والشيوخ، وحتّى المرضى فى المستشفيات لم يسلموا من تعرضهم وأذاهم.

www.makarem.ir

لَصاروُا بِهِ اَقْوياءَ، وَمِنَ الشُّجاعَةِ ما لَوْ قُسِّمَ عَلَى جَميعِ جُبَناءِ الدُّنْيا لَصاروُا بِهِ شَجْعاناً.[١]

فأنا قد عرفت نبى الإسلام (صلى الله عليه وآله) وآمنت بالإسلام عن معرفة ولذلک تقدّمت إلى هذا العمل بكلِّ إخلاص وإيمان، وبعد أن حدثت بينهما مشادّة خرج أعداء الإسلام من بيت النبوّة خجلين وآيسين وخرج الإمام على (عليه السلام)من هذه الواقعة مرفوع الرأس ومسروراً لأدائه المهمة الرسالية.

٣ ـ الله تعالى يباهى بإيثار أميرالمؤمنين (عليه السلام)

لقد أورد «الثعلبى» وهو أحد مفسّرى أهل السنّة المعروفين للآية مورد البحث، رواية جميلة وجذّابة حول حادثة ليلة المبيت نذكرها هنا كما رواها هو :

«لما عزم النبى (صلى الله عليه وآله) على الهجرة إلى المدينة، ترک على بن أبى طالب فى مكّة ليؤدى الديون التى عليه والأمانات إلى أهلها، وأمره ليلة خرج إلى الغار وقد أحاط المشركون بالدار، أن ينام على فراشه، وقال له : اتشح ببردى الأخضر ونم على فراشى فإنه لا يصل منهم إليک مكروه إن شاء الله، ففعل ذلک على (عليه السلام) فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل أنى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة ؟ فاختار كلاهما الحياة، فأوحى الله تعالى إليهما : أفلا كنتما مثل على ؟ آخيت بينه وبين محمّد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، أهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوّه، فنزلا فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه ينادى :

بَخٍّ بَخٍّ لَکَ يَابْنَ اَبِى طالِب، مَنْ مِثلُکَ ؟ وَقَدْ باهَى اللهُ بِکَ مَلائِکَةَ السَّماواتِ وَفَاخَرَ بِکَ».[٢]

فهل يتصور مقام أعلى من هذا المقام ؟ !

١ . بحار الأنوار : ج ١٩، ص ٨٣.

٢ . بحار الأنوار : ج ١٩، ص ٨٥ .

www.makarem.ir

ومن هنا ندرک أن الشيعة عندما يعظّمون أهل هذا البيت ويتبعون أميرالمؤمنين (عليه السلام)فإن ذلک لا يعنى التعصّب الأعمى على مستوى الحساسيّة المذهبية بل بسبب مقاماته المعنوية السامية وفضائله الكثيرة.

توصية الآية

كلّ شيء فى سبيل نيل رضا الله

بالرغم من أن الآية الشريفة كما أشرنا سابقاً، نزلت فى ليلة هجرة النبى (صلى الله عليه وآله)وفى شأن الإمام على (عليه السلام)، ولكنها كسائر الآيات القرآنية تتضمن حكماً كلياً وعاماً، فمن حيث إن هذه الآية تقع فى مقابل الآية السابقة «**وَمِنَ النّاس مَنْ يُعْجِبُکَ**...» فيتضح جيداً أن هذه الطائفة من الناس التى تشير إليها هذه الآية محل البحث تقع فى مقابل الطائفة السابقة، ويتمتع أفرادها بصفات وخصائص تقع فى النقطة المقابلة لصفات أُولئک وخصائصهم، فأُولئک أفراد يتسمون بالأنانية والغرور والعناد والتكبّر ويتعاملون مع الناس بلغة النفاق والرياء ويتظاهرون أنهم إنما يريدون الإصلاح ويتحركون فى خطّ الإيمان ظاهراً ولكنّ سلوكهم وأفعالهم ليس فيها سوى الإفساد فى الأرض وهلاک الحرث والنسل، ولكن هذه الطائفة فى آية ليلة المبيت لا يتعاملون مع أحد سوى الله تعالى ولا يبخلون بشيء فى سبيله ولا يطلبون سوى رضاه ولا يرون العزّة والكرامة إلاّ تحت ظلّه وعنايته، ولذلک فإنّ أمر الدين والدنيا يتقوّم بتضحية هؤلاء وحركتهم الإصلاحية فى خطّ الرسالة والمسؤولية والحقّ والحقيقة[1].

إنّ توصية هذه الآية الشريفة لجميع المسلمين هو أن يخرجوا من أجواء الطائفة الأُولى ويدخلوا فى أجواء الطائفة الثانية...

وطبعاً ليس هذا بالأمر الهيّن.

□□

١ . التفسير الأمثل : ذيل الآية مورد البحث.

www.makarem.ir

آية سقاية الحاج

٢

«سورة التوبة / الآيات ١٩ ـ ٢٢»

أبعاد البحث

فى هذه الآية الشريفة التى تعرف بين المفسّرين بآية «سقاية الحاج» نواجه فضيلة أُخرى من فضائل الإمام على (عليه السلام) حيث تفضى إلى إثبات إمامته وخلافته بعد رسول الله، وتبيّن أن الأشخاص الذين يرون أن سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام تساوى الإيمان بالله والهجرة والجهاد فى سبيله، بعيدون عن طريق الصواب، وسيأتى تفصيل ذلک فى طيّات البحث.

شأن النزول

www.makarem.ir

إنّ آية «سقاية الحاج» تخبرنا عن حادثة وقعت فى عصر الرسالة ولا تهدف إلى بيان قانون كلّى فى ذلک، أى أن هذه الحادثة والمقارنة المذكورة فى الآية الشريفة وقعت عملاً فى الواقع الخارجى، فللآية الشريفة شأن نزول خاصّ ولهذا ذكر لها موارد عديدة فى شأن نزولها وخلاصة ما ورد فى شأن النزول المعروف لها هو :

إنّ العبّاس ابن عبدالمطلب وشيبة قعدا يفتخران فى المسجد الحرام فقال العبّاس لشيبة : أنا أشرف منک، أنا عمّ رسول الله ووصى أبيه وساقى الحجيج[١].

فقال شيبة : أنا أشرف منک أنا أمين الله على بيته وخازنه[٢]، أفلا إءتمنک كما إءتمننى ؟

فاطلع عليهما علىّ ابن أبى طالب (عليه السلام)فأخبراه بما قالا فقال على : أنا أشرف منكما، أنا أوّل من آمن وهاجر «وعليه فإنه لا افتخار فى سقاية الحاج أو عمارة المسجد الحرام» بل الفخر بالإيمان بالله والهجرة فى خطّ الإيمان به والجهاد فى سبيله.

فلما سمع العبّاس ذلک انطلق إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وذكر له ما جرى بينه وبين الإمام على(عليه السلام)وشكاه عنده على أساس أن الإمام على (عليه السلام) قد ادحض حجّته وأهمل مقامه ومنزلته.

فأرسل النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) شخصاً فى طلب الإمام على فعندما حضر بين يديه سأله النبى عن الواقعة وقال له : ماذا قلت لعمّک العبّاس حتّى أغضبته ؟

---

١ . المراد من «سقاية الحاج» هو إيصال الماء إلى الحجاج فى منى وعرفات والمشعر الحرام حيث لا يوجد فى هذه الأمكنة الثلاثة ماء إطلاقاً، وحتّى فى هذا الزمان يتم إيصال الماء إلى هذه المناطق بواسطة أنابيب من مناطق اُخرى، وكان الحجاج فى قديم الزمان مضطرين لحمل الماء معهم فى أيّام الحجّ إلى هذه الأماكن، ولهذا قيل عن اليوم الثامن من ذى الحجّة «يوم التروية»، وعلى أيّة حال فقد كان العبّاس فى ذلک الزمان مسؤولاً عن إيصال الماء إلى الحجيج، وبديهى أن هذه المسؤولية كانت مهمة جدّاً فى ذلک الوقت لأن أهم حاجة للحجاج فى تلک الأماكن هو الماء.

٢ . نظراً إلى أهمية «المسجد الحرام» والذى يعبّر عنه القرآن الكريم أنه أوّل بيت وضع للناس ويعدّ أقدس مكان على ظهر الأرض بحيث ورد فى الروايات أن ركعة واحدة عنده تعادل مليون ركعة فى مناطق اُخرى، فإنّ استلام مفاتيح هذا البيت المقدّس و«عمارة المسجد الحرام» لها أهمية خاصّة ومكانة مميزة حيث تكون لصاحب هذه المكانة مسؤولية حفظ وحراسة الكعبة المشرّفة وترميم المسجد الحرام ورعايته.

www.makarem.ir

فقال عليّ (عليه السلام) : لم أقل سوى الحقّ ولكن عمّى غضب من كلام الحقّ، ثمّ بيّن لرسول الله(صلى الله عليه وآله)المحادثة التى جرت بينهم وأضاف إننى لم أكن فى مقام التظاهر بالفخر والتعريف بنفسى بل أردت أن أقول أن سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام لا تعتبر أرقى افتخار يناله الإنسان بل هناك مقامات أعلى وافتخارات أكبر من ذلك، وهنا نزلت الآية الشريفة محل البحث وأيّدت كلام الإمام على (عليه السلام)[١].

وقد ورد شأن النزول هذا فى اثنى عشر كتاباً على الأقل معروفاً لدى أهل السنّة تتحدّث عن تفسير القرآن، أو التاريخ الإسلامى، أو الروايات الشريفة فمن ذلك :

١ ـ أسباب النزول لمؤلفه العلاّمة الواحدى[٢].

٢ ـ تفسير العلاّمة خازن البغدادى[٣].

٣ ـ تفسير العلاّمة القرطبى[٤].

٤ ـ تفسير الفخر الرازى[٥].

٥ ـ الدرّ المنثور للعلاّمة السيوطى[٦].

٦ ـ تفسير أبو البركات النّسفى[٧].

٧ ـ الفصول المهمّة للصبّاغ المالكى[٨].

٨ ـ كفاية الطالب للگنجى الشافعى[٩].

٩ ـ تاريخ الخطيب البغدادى[١٠].

١٠ ـ مناقب ابن المغازلى[١].

---

١ . شواهد التنزيل : ج ١، ص ٢٤٩ ببعد.

٢ . أسباب النزول : ص ١٨٢ (نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٢٣).

٣ . تفسير الخازن : ج ٣، ص ٥٧ (نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣ ص ١٢٣).

٤ . تفسير القرطبى : ج ٨ ، ص ٩١ (نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٢٥).

٥ . تفسير الفخر الرازى : ج ١٦، ص ١٠ (نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٢٥).

٦ . الدرّ المنثور : ج ٣، ص ٢١٨ (نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٢٦).

٧ . تفسير النّسفى : ج ٢، ص ٢٢١ (نقلاً من الغدير : ج ٢، ص ٥٤).

٨ . الفصول المهمّة : ص ١٠٦ (نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٢٦).

٩ . كفاية الطالب : ص ١١٣ (نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٢٥).

١٠ . تاريخ الخطيب البغدادى : نقلاً عن الغدير : ج ٢، ص ٥٤ و ٥٥.

www.makarem.ir

١١ ـ تاريخ ابن العساكر[٢].

١٢ ـ ربيع الأبرار للزمخشرى[٣].

وعلى هذا الأساس فإن شأن النزول المذكور لا يدانيه شک ولا ريب.

ملاحظة مهمّة !

بلا شکّ كان العبّاس ابن عبدالمطلب عند نزول آية سقاية الحاج مؤمناً مجاهداً وهكذا الحال مع «شيبة» فقد كان مؤمناً وله سوابق جهادية، إذن فكيف افتخر الإمام على (عليه السلام)بإيمانه وجهاده عليهما والحال أنهما يتصفان بصفة الإيمان والجهاد أيضاً ؟

وجواب هذا السؤال هو أن الإمام على (عليه السلام) أراد أن يقول لهما أنا أوّل شخص آمنت بالله وبرسوله من الرجال وأوّل شخص هاجر إلى المدينة بعد هجرة النبى الكريم (صلى الله عليه وآله)، وأوّل مجاهد فى سبيل الله ورسوله، وبهذا فقد سبقهما فى الإسلام والهجرة والجهاد، وهذه الفضيلة منحصرة فى علىّ بن أبى طالب.

الشرح والتفسير

الإيمان بالله، أفضل الأُمور !

(اَجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ وَعِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الاْخِرِ وَجاهَدَ فِى سَبيلِ اللهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ).

من هذا السياق للآية الشريفة يتّضح جيّداً وقوع مثل هذه المقارنة بين سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام من جهة، وبين الإيمان بالله والجهاد فى سبيله من جهة أُخرى، ولكن الله تعالى قرّر أنّ هذه المقارنة غير صحيحة وغير سليمة فإنّ الإيمان بالله واليوم الآخر

---

١ . مناقب ابن المغازلى : نقلاً عن الغدير : ج ٢، ص ٥۴ و ٥٥.

٢ . تاريخ ابن العساكر نقلاً عن الغدير : ج ٢، ص ٥۴ و ٥٥.

٣ . ربيع الأبرار نقلاً عن الغدير : ج ٢، ص ٥۴ و ٥٥.

www.makarem.ir

والجهاد فى سبيل الله لا يقارن مع سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام لأن الإيمان والجهاد بلا شكّ أعلى وأفضل من السقاية والعمارة.

(وَاللهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظّالِمينَ) ولعلّ هذا التعبير يشير إلى أن المقارنة المذكورة ليست فقط غير صحيحة بل هى نوع من الظلم للشخص الذى سبق الناس فى الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد فى سبيله.

(الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِى سَبيلِ اللهِ بِاَمْوالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ اَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَاُولئِکَ هُمُ الْفائِزُونَ) فهؤلاء الذين تحركوا بهدف حفظ إيمانهم ونشر الدين والرسالة السماوية من موقع الهجرة وضحّوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وإعلاء كلمته هم أفضل عند الله وأعظم درجة.

وبعد أن يردّ الله تعالى فى الآية الأُولى أصل المقارنة المذكورة يعبّر عنها بأنها نوع من الظلم ويصرّح فى هذه الآية بأن الإيمان والهجرة والجهاد أهم وأعظم من السقاية والعمارة.

(يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمة مِنْهُ وَرِضْوان) فبعد أن يردّ على المقارنة المذكورة ويصرح بأن الإيمان والجهاد والهجرة أفضل وأعظم يشير فى الآيتين التاليتين إلى عاقبة أهل الإيمان والجهاد والهجرة ويبشّرهم بما يلى :

١ ـ إنّ الله تعالى يبشّر هؤلاء بأنهم مشمولين برحمته ومرتبة القرب منه.

٢ ـ البشارة الأُخرى هى أن الله تعالى قد رضى عنهم، وما أعظم النعمة فى أن يعلم الإنسان بأن محبوبه ومعبوده راض عنه !

٣ ـ (وَجَنّات لَهُمْ فِيها نَعيمٌ مُقيمٌ * خَالدِينَ فِيها اَبَداً) وليست البشارة بجنّة واحدة بل ورد التعبير بجنّات ونِعم ومواهب خالدة فى ذلک العالم، ومعلوم أن أحد معايب النِعم الدنيوية هى أنها معرّضة للزوال والفناء ولكنّ النِعم والمواهب الاخروية خالدة وباقية أبداً.

(اِنَّ اللهَ عِنْدَهُ اَجْرٌ عَظيمٌ) فهل أن هذه الجملة بشارة إلى نعمة أُخرى قد أعدّها الله تعالى لأهل الإيمان والجهاد والهجرة مضافاً إلى رحمة الله ورضوانه والجنّات الخالدة، وهى

www.makarem.ir

النعمة التى لا يمكن للإنسان أن يتصورها ولا يقدر على وصفها ولذلک أجملت الآية بيانها، أو أنها إشارة إلى النِعم والمواهب المذكورة آنفاً وهى تأكيد لها.

كلا الإحتمالين واردان فى مفهوم الآية الشريفة.

إرتباط آية سقاية الحاج مع الإمامة

بما أن الإمام على (عليه السلام) يتمتع بفضيلة السبقة إلى الإيمان والجهاد وليس أحد من المسلمين غيره يتمتع بهذه الفضيلة، فعليه يكون الإمام على (عليه السلام) أفضل المسلمين، ومن الواضح أن الله تعالى إذا أراد نصب خليفة لرسوله فإنه لا يتجاوز الأفضل فيختار المفضول بل وحتّى الفاضل، لأن الله تعالى حكيم وتقديم المفضول على الفاضل والفاضل على الأفضل يخالف مقتضى الحكمة الإلهية، ولو كانت مسألة الخلافة انتخابية فإنّ عقلاء الناس لا يتوجهون ويختارون الفاضل أو المفضول مع وجود الأفضل، وعليه فإنّ هذه الآية الشريفة يمكنها أن تكون دليلاً لإثبات إمامة أميرالمؤمنين.

اعتراف أحد علماء السنّة

وقد ذكر أحد علماء السنّة أنه :

«أنتم الشيعة يمكنكم إثبات جميع أُصول الدين التى تعتقدون بها بواسطة الروايات الموجودة فى كتبنا، لأن كتبنا ومصادرنا الروائية مليئة بالروايات التى تؤيد عقائدكم وآراءكم».

ثمّ أضاف يقول : «إنّ قدماءنا كانوا سطحيين وساذجين حيث كانوا ينقلون أيّة رواية تصل إليهم فى كتبهم»[1].

ونحن نتعجب من هذا التناقض، لأنهم يذكرون بالنسبة إلى كتبهم ومصادرهم وخاصّة «الصحاح الستة» على مستوى التعريف والثناء والمدح :

---

١ . ما هو المراد من هذا الكلام ؟ هل أن مرادهم هو أن هذه الروايات معتبرة إلاّ أنه لا ينبغى ذكرها لأنها تخالف ذوق هؤلاء الأشخاص ؟ أو أن هذه الروايات غير معتبرة أساساً ؟ وفى هذه الصورة فما هى الضمانة لاعتبار سائر الأحاديث والروايات الواردة فى كتب الصحاح ؟ !

www.makarem.ir

«إنّ روايات هذه الكتب منتخبة بدقّة كبيرة وجميع الروايات المذكورة فيها معتبرة لأنه أحياناً يتمُّ انتخاب عدد قليل من الروايات من بين ألف رواية»[1].

ألا يتناقض هذا الكلام مع كلام ذلک العالم السنّى المذكور آنفاً ؟ إنّ هذه الأشكال من التناقض هى نتيجة نوعية التفكير لدى الإنسان الذى يؤمن أوّلاً ثمّ يتوجه نحو الآيات والروايات الشريفة ويحاول إسقاط عقائده عليها، ولو أن الإنسان حضر مقابل الآيات والروايات وجلس متتلمذاً عندها ومستوحياً من مضامينها ومرتوياً من منهلها فإنه سوف لا يواجه مثل هذا التناقض العجيب.

توصية الآية

الإتّباع العملى لأولياء الدين

إنّ بيان فضائل ومناقب الأئمّة الأطهار (عليهم السلام) وخصوصيّاتهم الأخلاقية والإجتماعية والسياسية أمر جيّد وضرورى ولكنه لا يكفى فى مقام الإعتقاد والإيمان بل ينبغى على الإنسان أن يجعلهم أُسوة وقدوة له فى ممارساته وسلوكياته فى حركة الحياة والواقع الإجتماعى، وفى الآيات مورد البحث نقرأ ثلاثة أُمور بعنوان أنها أركان الدين، وأن الإمام على (عليه السلام) قد بلغ ما بلغ من المرتبة السامية بسبب حركته فى خطّ هذه الأركان الثلاثة وهى : **الإيمان، الهجرة، الجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس.** فإذا أردنا الإقتداء بالإمام على (عليه السلام)وبأولياء الدين فلابدّ من تجسيد هذه الأُصول الثلاثة فى حياتنا العملية وإحيائها فى أعماق وجودنا وقلوبنا.

ومن أجل تقوية الإيمان فى وجودنا هناک طريقان : **الأوّل** : مطالعة ودراسة الشىء الذى نؤمن به، مثلاً لأجل تقوية إيماننا بالله وتعميقه فى قلوبنا لابدّ من النظر والتفكّر فى أسرار عالم الخلقة والسعى إلى زيادة الآفاق العلمية فى أسرار الكون وآيات الكتاب

---

١ . يقول الإمام البخارى أحد أصحاب الصحاح الستة : «إنّ أحاديث هذا الكتاب (والتى تبلغ أكثر من سبعة آلاف حديثاً صحيحاً) قد استخلصها من بين ستمائة ألف رواية وفى مدّة ١۶ سنة» ـ انظر صحيح البخارى : ج ١، ترجمة الإمام البخارى ـ .

www.makarem.ir

السماوى كما يحثّنا القرآن دائماً على ذلک، والخلاصة هى أن تعميق الإيمان بأى شىء يحتاج إلى دراسة ذلک الشىء والإنفتاح الفكرى على تفاصيله.

الثانى : هو طريق بناء الذات وتهذيب النفس وتطهير القلب من شوائب التعلّقات الدنيوية، لأن الإيمان نور يشرق على قلب الإنسان، وكلّما كانت مرآة القلب صافية وشفافة انعكس النور عليها بصورة أفضل، فلو كان القلب ملوثاً بالخطايا والذنوب فإنّ مرآة القلب لا تعكس نور الإيمان حينئذ بصورة جيّدة.

وأما بالنسبة إلى الهجرة فقد يتصور البعض أن هذا الأصل المهم فى أجواء الدين السماوى خاصٌّ بالمسلمين فى صدر الإسلام، وبعد هجرة المسلمين إلى المدينة انتهى عهد الهجرة فى حين أن روايات أهل البيت (عليهم السلام) تقرر خلاف هذا المطلب، حيث نقرأ فى الرواية الواردة عن الإمام على (عليه السلام)قوله :

«**اَلْهِجْرَةُ قائِمَةٌ عَلى حَدِّها الأوَّل**».[1]

وتأسيساً على هذا فإنّ الهجرة مستمرّة كالإيمان والجهاد إلى يوم القيامة، والواجب على المسلمين أن يهاجروا فى مختلف الظروف والأحوال، وطبعاً ففى الكثير من الحالات يختلف شكل الهجرة، ولذلک نقرأ قول الإمام على (عليه السلام) :

«**يَقُولُ الرَّجُلُ هاجَرْتُ وَلَمْ يُهاجِرْ، اِنَّمَا الْمُهاجِرُ مَنْ هاجَرَ السَّيِّئاتِ وَلَمْ يَأْتِ بِها**»[2].

أجل، فالمهاجر الحقيقى هو الشخص الذى ترک القبائح والرذائل والذنوب وتحرّک فى خطّ الطاعة والعبودية والتقوى وهاجر من السيئات إلى الحسنات والأعمال الصالحة، والمهاجر الواقعى هو الشخص الذى يهجر أصدقاء السوء ورفاق مجالس البطالين والملوثين بالذنوب ويبتعد عنهم، الهجرة من المال الحرام، من المقام الحرام، من الذنوب، واجبة ولازمة، وبديهى أن هذا النمط من الهجرة لا يختصّ بالمسلمين فى أوائل البعثة بل هو وظيفة جميع المسلمين إلى يوم القيامة.

---

١ . ميزان الحكمة : ج ١٠، ص ٣٠٢، باب ٣٩٨٩، ح ٢٠٧٥٥.

٢ . بحار الأنوار : ج ٩٧، ص ٩٩.

www.makarem.ir

وأمّا الأصل الثالث وهو الجهاد بالنفس والمال فذلک أيضاً مورد الإبتلاء فی کلّ عصر وزمان، فالجهاد بالنفس والمال لا يقبل التعطيل والنسخ وخاصّة مع وجود الأعداء الحاقدين الذين يعبّر عنهم القرآن الكريم (قَدْ بَدَتِ الْبَغْضاءُ مِنْ اَفْواهِهِم)[1]، الأعداء الذين لا يلتزمون بأی مبدأ إنسانی وأصل أخلاقی ومستعدون لإرتكاب كلّ جناية وجريمة فی سبيل المحافظة على منافعهم اللامشروعة، ففی مقابل مثل هذا العدو الخطر ينبغی على المسلمين أن يكونوا مستعدين دائماً للتصدی له والجهاد ضده وأن يكونوا دائماً فی حيوية ونشاط وحماسة، ولهذا السبب فنحن نعتقد بأن الأشخاص الذين يتحركون على مستوى تضعيف أو إماتة روحية الشجاعة والجهاد والتصدی للظالمين فی نفوس المسلمين بذريعة الألعاب الملوّثة أو حتّى التسليات الدنيوية الرخيصة فإنّ هؤلاء يقومون بخيانة كبيرة لبلدهم ولأنفسهم ولدينهم.

ربّنا، زد فی حرارة نور الإيمان فی قلوبنا حتّى نتمكن بنور الإيمان أن نهاجر من أجواء الذنوب الظلمانية وننقذ أنفسنا والآخرين بسلاح الجهاد فی سبيل الله.

بحثان

١ ـ لماذا لم يرد إسم الإمام على (عليه السلام) فی القرآن ؟

سؤال : إذا كان الإمام على (عليه السلام) هو المنصوب من الله لأمر الخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)مباشرة ـ كما تعتقدون بذلک وتسعون لإثبات هذا المطلب من خلال الآيات القرآنية ـ إذن فلماذا لم يرد اسم الإمام على بصراحة فی القرآن الكريم حتّى ننتهی من كلِّ هذه الأبحاث والإختلافات ؟

الجواب : نظراً إلى أن إسم «على» لم يكن منحصراً بالإمام على (عليه السلام) كما هو الحال فی «أبو طالب» حيث لم تكن هذه الكنية منحصرة بوالده، بل هناک العديد من الأشخاص بين العرب يسمون باسم «على» و «أبو طالب» وعلى هذا الأساس لو ورد اسم «على» بصراحة فی القرآن الكريم فإن هؤلاء الأشخاص الذين لم يروق لهم قبول

١ . سورة آل عمران : الآية ١١٨.

www.makarem.ir

هذه الحقيقة سيتحركون

بذرائع مختلفة إلى تطبيق هذا الإسم على شخص آخر، ولهذا كان من الأفضل ذكر الصفات والخصائص المنحصرة بالإمام على (عليه السلام) فى القرآن الكريم وتعريفه للناس من هذا الطريق لكيلا يتم تطبيق هذه الصفات والخصائص على غيره من الأشخاص، ولهذا اختار الله تعالى فى القرآن الكريم هذا المنهج والسبيل لإرشاد الناس إلى الإمام على (عليه السلام)بعنوانه وليّ المؤمنين وخليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بلا فصل، رغم أن الأشخاص الذين فى قلوبهم مرض ويتحركون فى خطّ الإنحراف والزيغ يفسّرون هذه الآيات الكريمة بشكل آخر.

سؤال آخر : ورد فى الحديث الشريف عن يونس بن عبدالرحمن قال : قلت لأبى الحسن الرضا (عليه السلام) : إن قوماً طالبونى باسم أميرالمؤمنين فى كتاب الله عزّوجلّ، فقلت لهم : من قوله تعالى : (وَجَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْق عَلِيّاً)[1].

فقال : «صَدَقْتَ هُوَ هكَذا»[2].

فهل أن هذه الرواية تتفق مع ما ذكرتم من عدم ذكر اسم الإمام على (عليه السلام) صريحاً فى القرآن الكريم ؟

الجواب : بلا شكّ إنّ مفردة «عليّا» الواردة فى الآية الشريفة هذه ليست اسم شخص معيّن (أى ليست اسم علم) بل هى وصف لكلمة «لسان»، وأما الرواية المذكورة فغير معتبرة من حيث السند، لأن أحد رواتها «أحمد بن محمّد السيارى» وهو ضعيف جدّاً، وهو الشخص الذى نقل الكثير من روايات تحريف القرآن، ولهذا فالروايات التى يقع فى سندها هذا الرجل غير مقبولة وغير معتبرة، ويقول العلاّمة الاردبيلى فى شرح حاله : «هو رجل ضعيف وفاسد المذهب ورواياته فارغة وغير قابلة للاعتماد»[3] وعلى هذا الأساس فالرواية أعلاه غير معتبرة.

---

١ . سورة مريم : الآية ٥٠.

٢ . البرهان فى تفسير القرآن : ج ٣، ص ١۴.

٣ . جامع الرواة : ج ١، ص ۶٧.

www.makarem.ir

٢ ـ لماذا لم يقضِ النبى (صلى الله عليه وآله) **على المنافقين ؟**

سؤال : إنّ المنافقين وجّهوا بلا شكّ فى عصر النبى (صلى الله عليه وآله) وبعد رحلته ضربات قاسية للدعوة الإسلامية وللمجتمع الإسلامى وهم الذين تبنوا الإنحراف الذى حصل فى مسألة الخلافة والإمامة، ولا شكّ أن النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) كان يعرف هؤلاء الأشخاص ويعلم بنفاقهم، ومع الإلتفات إلى هذا المعنى فلماذا لم يتحرک النبى (صلى الله عليه وآله) فى حال حياته للقضاء عليهم ليضمن بذلک سلامة الدعوة الجديدة والأُمّة الإسلامية ؟

الجواب : إنّ النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) أجاب على هذا السؤال فى حديث شريف حيث قال :

«لولا إنّى أكره أن يقال : إن محمّداً استعان بقوم حتّى إذا ظفر بعدوّه قتلهم، لضربت أعناق قوم كثير»[١].

ولكن مع الإلتفات إلى هذا الإتّهام الذى يفضى فى الواقع إلى اهتزاز عقيدة الناس بالنبوّة والدين الجديد، فمن أجل أن لا يثور هذا التوهم والتصور فى أذهان الناس فإنّ النبى لم يحرک ساكناً ضد المنافقين بل كان يتحمل آذاهم ويصبر على مشاكساتهم.

□□

١ . وسائل الشيعة : ج ١٨، باب ٥ من أبواب حدّ المرتد، ح ٣.

www.makarem.ir

آية النصرة

٣

«سورة الأنفال / الآية ٦٢»

أبعاد البحث

هذه الآية الشريفة التى تسمّى بآية النصرة هى آية أُخرى من آيات فضائل ومناقب أميرالمؤمنين (عليه السلام).

سؤال : إنّ موضوع البحث هو الآيات المتعلقة بمسألة الإمامة والخلافة لأميرالمؤمنين (عليه السلام)فما هو ارتباط هذه الآية مع مسألة الإمامة ؟

الجواب : إنّ الآيات المستخدمة لإثبات إمامة وخلافة أميرالمؤمنين (عليه السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)على قسمين :

القسم الأوّل : الآيات التى تدلُّ بصراحة ووضوح على إمامة أميرالمؤمنين مثل آية «إكمال الدين» و «آية الولاية» وأمثال ذلک التى تقدّم الكلام عنها فى الفصل الأوّل.

القسم الثانى : الآيات التى لا تدلُّ على مسألة الإمامة والخلافة بصورة مباشرة بل تتضمن فضائل أميرالمؤمنين الخاصّة، وبالإمكان مع الإستعانة بمقدمة عقلية إثبات

www.makarem.ir

الإمامة أيضاً بهذه الآيات الكريمة، كما تقدّم نظير ذلک فی الآيات السابقة وسيأتی أيضاً فی شرح وتفسير آية النصرة وسائر الآيات من هذا القبيل.

الشرح والتفسير

التعبئة الكاملة والإستعداد التام

لأجل توضيح مضمون آية النصرة نرى من اللازم الحديث عن آيات ٦٠ ـ ٦٣ من سورة الأنفال، وهی قوله تعالى :

(وَاَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّة وَمِنْ رِباطِ الْخَيْلِ).

هذه الآية الشريفة مطلقة وتستوعب جميع الأمكنة والأزمنة والأدوار التاريخية فی المجتمعات الإسلامية، لأنها لا تتحدّث عن أسلحة معيّنة وخاصّة ينتهی مفعولها بانتهاء زمانها وتخرج من حيّز الإستعمال، بل ورد التعبير بكلمة «قوّة» أی أن المسلمين يجب عليهم التهيؤ دائماً للأعداء والتسلّح بأنواع الأسلحة التی تثير فيهم القوّة والقدرة على التصدی لأعداء الإسلام فيجب عليهم أن يتسلحوا بالأسلحة المتطورة ويجهّزوا جيوشهم بالأنظمة العسكرية المتقدمة، وكلمة «قوّة» تشمل مضافاً إلى الأسلحة الأشياء الاُخرى التی تستخدم فی الحرب ضد الأعداء من قبيل : أجهزة الإعلام التی تعتبر فی العصر الحاضر سلاحاً فعّالاً يستخدم فی القضاء على روحية العدو، كما أن هذه الكلمة تشمل أيضاً الاُمور الاقتصادية والأخلاقية والإجتماعية كذلک، والخلاصة إنّها تطلق على كلِّ ما ينفع المسلمين فی جهادهم ضد العدو ويمكّن المسلمين من إجهاض محاولاته الرامية إلى الإستيلاء على البلاد الإسلامية والقضاء على الإسلام.

(تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ).

فی هذا المقطع من الآية الشريفة يتحدّث القرآن عن الهدف والغاية من تهيئة وسائل القوّة والسلاح للمسلمين، فالهدف من هذا التهيؤ والإستعداد ليس هو قتل الناس وتخريب العالم والإغارة على المساكين والمحرومين بل الهدف هو الدفاع المشروع فيجب تعبئة جميع القوى والطاقات وتهيئة جميع أنواع الأسلحة لكيلا يتجرأ العدو على الهجوم على البلد الإسلامی بل لا يدور فی ذهنه أن يهجم يوماً عليكم، لأن الظالمين

www.makarem.ir

والجبّارين متى ما وجدوا فرصة للهجوم والغارة على الضعفاء والدول الفقيرة والضعيفة فإنهم لا يجدون رادعاً أمامهم من العدوان والحرب، والقوّة العسكرية هى العامل الأساس لمنع هؤلاء من عدوانهم، ولذلک فإنّ رفع المستوى العسكرى بإمكانه أن يخيف الأعداء، أى أعداء الله وأعداءكم، والعدو الظاهر والعدوّ الخفى والمستور، فالهدف من زيادة القوّة الدفاعية والقدرة العسكرية يجب أن يكون من منطلق الدفاع المنطقى والمشروع أمام تعدّى الآخرين.

(وَما تُنْفِقوا مِنْ شَىْء فِى سَبيلِ اللهِ يُوَفَّ إلَيْكُمْ وَاَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ).

بلا شک فإنّ تقوية البنية الدفاعيّة للبلد الإسلامى ورفع مستوى القوّة العسكرية لجيش الإسلام واستخدام مختلف الأسلحة المتطورة ورفع المستوى الفنى، الإقتصادى، الإعلامى، الأخلاقى، الإجتماعى وأمثال ذلک رغم أنه يحتاج إلى رصيد مالى ضخم وكبير ولكن يجب على المسلمين تأمين هذه النفقات فكلّما ينفق فى هذا السبيل وفى خطّ تقوية الإسلام والبلد الإسلامى فإنّ الله تعالى سيعيده إليكم وسوف لا تتضررون من ذلک حتماً.

(وَاِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ اِنَّهُ هُوَ السَّميعُ الْعَليمُ).

فرغم أن المسلمين ينبغى عليهم تعبئة جميع طاقاتهم ورفع مستواهم العسكرى والنظامى ولكن إذا أراد العدو يوماً أن يمدّ إليكم يد الصلح فعلى المسلمين أن يقبلوا بذلک ولا ينبغى عليهم الإصرار على الحرب، فهذه الآية الشريفة تعتبر جواباً قاطعاً لبعض الأبواق الإستعمارية التى تصر على أن الإسلام دين السيف ويدعو إلى الحرب دائماً، فإنّ الإسلام إذا كان دين الحرب فلا معنى لأن يدعو إلى الصلح ويفرض على المسلمين أن يصافحوا اليد التى تمتد إليهم بالصلح والسلم.

ثمّ إنّ الله تعالى يحذّر المسلمين :

(وَاِنْ يُريدُوا اَنْ يَخْدَعُوک فَاِنَّ حَسْبَکَ اللهُ هُوَ الَّذِى اَيَّدَکَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنينَ).

فرغم أن الإسلام يدعو إلى الصلح ويأمر المسلمين كذلک أن يستجيبوا لدعوات الصلح التى تصدر من العدو ولكنه يحذّر المسلمين أن يأخذوا جانب الحيطة والحذر من

www.makarem.ir

مكر الأعداء وخدعهم، فحتّى فى حال الصلح يجب على المسلمين أن يحتفظوا بقوّتهم العسكرية وقدرتهم الدفاعية بأعلى المستويات لكيلا يطمع فيهم العدو ويستغل هذه الفرصة فى أجواء الصلح ويهاجم المسلمين على حين غرّة، فقد يكون طلبه للصلح بسبب أنه وجد نفسه ضعيفاً ويريد أن يجدد قواه ويزيد من قدراته العسكرية فيقترح على المسلمين الصلح

الكاذب ويشغلهم مدّة لمحادثات الصلح حتّى يتهيأ من جديد لانزال ضربة قاصمة بالمسلمين، ولكنّ المسلمين إذا تحركوا فى أجواء الصلح من موقع الحذر والإحتياط واحتفظوا بقواهم العسكرية فإنهم سيأمنون من كيد العدو، الإمام على (عليه السلام)يوصى قائده الشجاع مالک الأشتر فى عهده له بأن يستغل أية فرصة للصلح مع العدو ولكنه يحذّره من مكر الأعداء ويقول :

«ولا تدفعنّ صلحاً دعاک إليه عدوّک ولله فيه رضى... ولكن الحذر كلّ الحذر من عدوّک بعد صلحه، فإنّ العدوّ ربّما قارب ليتغفّل فخذ بالحزم، واتّهم فى ذلک حسن الظّن».[1]

ثمّ إنّ الله تعالى فى ختام الآية الشريفة يقول للنبى الكريم (صلى الله عليه وآله) بأن الله تعالى سيكفيک مكرهم فى هذه الصورة فهو الذى أيّدک بنصره وبالمؤمنين :

(وَاَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَو اَنْفَقْتَ ما فِى الأَرْضِ جَميعاً ما اَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلكِنَّ اللهَ اَلَّفَ بَيْنَهُمْ اِنَّهُ عَزيزٌ حَكيمٌ).

فليس بإمكانک أن تؤلف بين قلوب العرب والقبائل العربية المتنازعة والمتعادية بأدوات المال والقوّة وأمثالها فلو أنک أنفقت عليهم جميع ثروات الأرض لم تتمكن من تأليف قلوبهم ولكنّ الله تعالى هو الذى ألّف بينهم، وهذه نعمة عظيمة عليک وعلى المسلمين.

---

١ . نهج البلاغة : الكتاب ٥٣.

www.makarem.ir

إنّ الآيات الأربع المذكورة آنفاً تحتاج إلى أبحاث معمّقة ودراسات كثيرة لاستكشاف مضامينها واستجلاء معانيها ولكننا نكتفى بهذا المقدار ونصرف النظر إلى مباحث اُخرى.

من هم المؤمنون ؟

سؤال : فى حقّ من نزلت آية النصرة هذه، ومن هو المقصود بالمؤمنين ؟

الجواب : وردت روايات كثيرة فى هذا المجال ذكرها العلاّمة الأمينى فى «الغدير»[١]، وكذلک ذكرها صاحب «احقاق الحقّ»[٢] وهذه الروايات على قسمين :

الأوّل : الروايات التى تقول : بأن أوّل ناصر ومعين للنبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) هو الإمام على (عليه السلام)وهذه الآية الشريفة تشير إلى الإمام على.

الثانى : الروايات التى تتحدّث عن نصرة الإمام على (عليه السلام) للنبى ولكنّها لا تذكر شيئاً عن تطبيق آية النصرة عليه، ونكتفى بذكر رواية واحدة من كلٍّ من هذين القسمين :

١ ـ ما أورده ابن عساكر صاحب كتاب «تاريخ دمشق» عن أبى هريرة[٣] أنه قال :

«**مَكْتُوبٌ عَلَى الْعَرْشِ لا اِلهَ إلاّ أنَا وَحْدِى، لا شَرِيکَ لى، وَمُحَمَّدٌ عَبْدى**[٤] **وَرَسُولى، اَيَّدْتُهُ بِعَلِىٍّ وَذلِکَ قَوْلُهُ** (هُوَ الَّذِى اَيَّدَکَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ)».[٥]

وهنا لابدّ من التلميح بثلاث نقاط :

أوّلاً : بالرغم من أن أبا هريرة لم يصرّح بنسبة هذه الرواية إلى النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)ولكن مع الأخذ بنظر الإعتبار جملة «**مَكْتُوبٌ عَلَى الْعَرْشِ**» يتّضح جيّداً أن أبا هريرة سمعها من النبى لأنه لا يمكنه أن يدّعى هذا بنفسه.

---

١ . الغدير : ج ٢، ص ٤٩ فصاعداً.

٢ . احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٩٤ فصاعداً.

٣ . لقد وردت هذه الرواية بطرق اُخرى أيضاً غير طريق أبى هريرة، ومنها عن ابن عبّاس، وجابر، وأنس.

٤ . مسألة العبودية إلى درجة من الأهمّية أنها ذكرت قبل الرسالة والنبوة كما أن المصلّى فى التشهد يذكر الشهادة بالعبودية قبل الشهادة بالرسالة لرسول الله.

٥ . نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٩٤.

www.makarem.ir

ثانياً : إنّ شأن نزول آيات القرآن على نحوين : الأوّل : شأن النزول المنحصر بفرد معيّن مثل آية «إكمال الدين» و «آية الولاية» وأمثالهما من الآيات التى نزلت فى شأن علىّ ابن أبى طالب بالخصوص ولا تستوعب فى أجواءها غيره من المسلمين.

الثانى : شأن النزول العامّ والذى لا ينحصر بفرد معيّن ولكن هناك مصداق أكمل لمضمون هذه الآيات الشريفة حيث يرد ذكر هذا المصداق عادةً فى الروايات من قبيل «آية النصرة» الواردة فى حقّ المسلمين بشكل عامّ ولكنّ الإمام على (عليه السلام) هو المصداق البارز والكامل لها.

ثالثاً : مضافاً إلى ابن عساكر هناك مؤرّخين وعلماء نقلوا فى كتبهم هذه الرواية أيضاً ومنهم :

الف) محبّ الدين الطبرى فى «الرياض»[١].

ب) السيوطى فى «الدرّ المنثور»[٢].

ج) القندوزى فى «ينابيع المودّة»[٣].

د) العلاّمة الگنجى فى «كفاية الطالب».[٤]

٢ ـ وقد ذكر العلاّمة الأمينى روايات كثيرة بأسناد أُخرى أن الإمام على (عليه السلام) هو أوّل ناصر للنبى (صلى الله عليه وآله) ولكنّها لا تصرّح بأن المراد من الآية الشريفة هو علىّ بن أبى طالب، ومن جملة هذه الروايات ما ورد عن «أنس بن مالک» عن النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) أنه قال :

«لَمَّا عُرِجَ بِى : رَأَيْتُ عَلى ساقِ العَرْشِ مَكْتُوباً : لا اِلهَ إلاَّ اللهُ، محمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، اَيَّدْتُهُ بِعَلِى، نَصَرْتُهُ بِعَلِىٍّ»[٥].

الحديث الشريف هذا مذكور فى مختلف كتب أهل السنّة ومنها :

---

١ . الرياض : ج ٢، ص ١٧٢ نقلاً من الغدير : ج ٢، ص ٥٠.

٢ . الدرّ المنثور : ج ٣، ص ١٩٩ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣ ص ١٩٤.

٣ . ينابيع المودّة : ص ٩٤ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣ ص ١٩٤.

٤ . كفاية الطالب : ص ١١٠ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٩٤.

٥ . تاريخ بغداد : ج ١١، ص ١٧٣ نقلاً عن الغدير : ج ٢، ص ٥٠.

www.makarem.ir

١ ـ ذخائر العقبى[١].

٢ ـ مناقب الخوارزمى[٢].

٣ ـ فرائد الحموينى[٣].

٤ ـ الخصائص الكبرى للسيوطى[٤] وكتب أُخرى[٥].

امّا ما ذكر فى هذا الحديث «على ساق العرش مكتوباً» فيدلُّ على أهمية هذه المسألة بحيث أنها كتبت على ساق العرش الإلهى وذكرت إلى جانب اسم الله تعالى واسم رسوله اسم على ابن أبى طالب أيضاً، وهذا يدلُّ على أن الإمام على (عليه السلام) هو المصداق البارز والفرد الكامل لعنوان الناصر، وبديهى أن الله تعالى إذا أراد أن يختار خليفة لرسوله الكريم فإنه يختار من بين المسلمين الأفضل والأكمل منهم لهذا المقام، وإذا أراد المسلمون أن يختاروا شخصاً لهذا المقام فإنّ العقل يحكم بضرورة اختيار مثل هذا الشخص.

توصية الآية

الدفاع عن الإسلام بكلّ القوى

رأينا فى الآيات الشريفة المذكورة آنفاً دور الإمام على (عليه السلام) وأهميته الكبيرة فى نصرة النبى الكريم (صلى الله عليه وآله) وحماية الرسالة السماوية، إنّ أميرالمؤمنين (عليه السلام) قد حصل على هذا المقام فى ظلّ تحركه الدائب وسعيه المستمر فى الدفاع عن قائد المسلمين فى أحلك الظروف وأشد الأزمات، وعندما كان الإسلام على شرف الإنهيار والسقوط فإنّ الإمام على (عليه السلام) كان يبذل كلّ ما أُوتى من قوّة للدفاع عن هذا الدين الإلهى، مثلاً فى حرب أُحد حيث إنهزم جميع المسلمين وتركوا النبى (صلى الله

١ . ذخائر العقبى : ص ٦٩ نقلاً من الغدير : ج ٢، ص ٥٠.

٢ . مناقب الخوارزمى : ص ٢٥٤ نقلاً عن الغدير : ج ٢، ص ٥٠.

٣ . فرائد الحموينى : باب ٣٦ نقلاً عن الغدير : ج ٢، ص ٥٠.

٤ . الخصائص الكبرى : ج ١، ص ٧ نقلاً عن الغدير : ج ٢، ص ٥١.

٥ . راجع الغدير : ج ٢، ص ٥٠ و ٥١.

www.makarem.ir

عليه وآله)لوحده فى ميدان القتال نجد أن الإمام على (عليه السلام) استمر فى قتال الأعداء ومناجزتهم ولم يكن له علم بحال النبى (صلى الله عليه وآله) ولكنه كان يعلم أن النبى ما زال فى الميدان وأنه ليس بالإنسان الذى يفر من قتال العدو، ولهذا ففى حين أنه كان مشغولاً فى قتال الأعداء كان يبحث عن النبى (صلى الله عليه وآله) فى الميدان فرآه فى أحد الجوانب وقد كسرت ثنيته المباركة وسال الدم من فمه وجبهته، فما كان من الإمام على (عليه السلام) إلاّ أن أخذ يدور حوله ويذبّ الأعداء عنه حتّى تحمّل جراحاً بليغة فى سبيل الدفاع عن النبى (صلى الله عليه وآله)[1]، وعلى الشيعة أيضاً أن يبذلوا كلّ شيء من نفس ومال وأخلاق وحُسن معاشرة ومحبّة وعلم وجميع القابليات والإمكانات التى لديهم فى سبيل الدفاع عن الإسلام لكى يردوا يوم القيامة مرفوعى الرأس ولا يردون عرصات المحشر فى حالة الخجل من النبى (صلى الله عليه وآله)والإمام على (عليه السلام).

١. نور الأبصار : ص ٩٦ ـ ٩٧.

www.makarem.ir

آية علم الكتاب

٤

«سورة الرعد / الآية ٤٣»

أبعاد البحث

الآية الأُخرى من آيات فضائل الإمام على (عليه السلام) التى يمكن اعتبارها دليلاً على إمامته هى آية «علم الكتاب» حيث تقرر هذه الآية أن النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) استشهد بشاهدين على صدق ادعائه : أحدهما الله تعالى، والآخر «من عنده علم الكتاب» فكيف تقرر شهادة هذين على صدق دعوى النبى، ومن هو المراد بـ «من عنده علم الكتاب» ؟ فذلک ما سيأتى تفصيله لاحقاً، ولكن قبل استعراض تفسير الآية نرى أن من الضرورى الإشارة إلى مقدمة :

لا تقبلوا أمراً بدون دليل

إنّ أحد تعليمات القرآن الكريم الأساسية هو أنه يوصى جميع المسلمين بل جميع الناس أن لا يقبلوا شيئاً وفكرة وعقيدة بدون دليل، أجل فإنّ الإسلام يؤكد على قبول العقيدة إذا كانت مقترنة مع الدليل والبرهان.

ونقرأ فى القرآن الكريم أربع آيات تشير إلى هذا الموضوع حيث تقول :

www.makarem.ir

(قُلْ هاتُوا بُرهانَكُمْ)[١].

المخاطَب فى هذه الآيات تارةً هم اليهود والنصارى حيث يأمر الله تعالى نبيّه الكريم بأن يقول لهم أن يأتوا بدليل وبرهان على صدق مدّعياتهم (من قبيل أنه لا يرد أحد غيرهم الجنّة).

وتارةً أُخرى يكون المخاطب هم المشركون الذين يدّعون ادعاءات زائفة فى شأن الأصنام، فهؤلاء يجب عليهم أن يقدّموا الدليل العقلى على دعواهم وإلاّ فلا يقبل منهم ما يقولون.

بل إنّ أحد الآيات هذه تشير إلى يوم القيامة أيضاً، فهناك لو أن أحداً إدعى شيئاً يجب أن يكون ادعاؤه مقروناً بالدليل والبرهان.

وعلى هذا الأساس يستفاد من الآيات أعلاه أنه لابدّ لكلّ قوم وأتباع كلّ مذهب أن يأتوا بالدليل على أفكارهم وعقائدهم[٢]، وهذه الثقافة القرآنية الراقية إذا تمّ تجسيدها على مستوى الممارسة والعمل فإنّ من شأنها أن تقف حائلاً أمام الخرافات والأفكار الزائفة والعقائد الواهية وحتّى أمام الشائعات وأنواع التهم والتخرّصات، وفى مثل هذا المجتمع

١ . جاءت هذه الجملة فى الآيات ١١١ من سورة البقرة، و٢٤ من سورة الأنبياء، و٦٤ من سورة النمل، و٧٥ من سورة القصص.

٢ . سؤال : كيف يرجع الناس إلى العلماء والمراجع فى مسائلهم الدينية من دون المطالبة بالدليل بل يجب عليهم اتّباعهم فى الفتوى حتّى لولم يقيموا لهم دليلاً على فتواهم ؟

الجواب : إن الدليل يكون على نحوين : (أ) الدليل التفصيلى، (ب) الدليل الإجمالى، وبالنسبة إلى أُصول الدين والإعتقادات فلابدّ من الدليل التفصيلى بما يناسب حال المسلم ووضعه العلمى، وعليه أن يعتقد بالأُصول من قبيل التوحيد والنبوّة والإمامة والمعاد عن دليل وبرهان، ولكن فى فروع الدين لا حاجة إلى الدليل التفصيلى بل لا يمكنه ذلك لأنه يستغرق من كلّ شخص عشرات السنين من البحث والدرس فى الحوزات العلمية وترك الأعمال الأُخرى ممّا يستلزم انهدام النظم فى المجتمع، وعليه فكما أن المريض يجب أن يراجع الطبيب الملتزم والمتخصص ليصف له الدواء من دون حاجة إلى الدليل، فكذلك فى المسائل الدينية على المكلّف مراجعة الفقيه الذى قضى عمره فى البحث والدرس والتحصيل فى الحوزات العلمية وله تجربة كافية فى استنباط الأحكام الشرعية، ويتّصف بالعدالة والأمانة ولا يحتاج حينئذ إلى دليل لاثبات صحة الفتوى لكلّ حكم من الأحكام الشرعية، والنتيجة أن الناس فى تقليدهم للفقهاء لا يرجعون إليهم بدون دليل، بل يوجد دليل اجمالى وهو لزوم رجوع الجاهل إلى العالم.

www.makarem.ir

القرآنى لا يمكن لأى فئة مغرضة إيجاد حالة من التشويش والإضطراب فى الذهنية المسلمة ليصطادوا السمک فى الماء العكر ويركبوا أمواج الضلالة والأزمات الإجتماعية وبالتالى يذبحوا الإسلام عند عتبة أغراضهم ومنافعهم الشخصية، وعلى هذا الأساس فإنّ النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)استشهد لصدق دعواه بدليلين وشاهدين معتبرين بحيث يقبل شهادتهم كلُّ إنسان.

ومع الإلتفات إلى هذه المقدمة نشرع فى تفسير الآية الشريفة :

الشرح والتفسير

الشهود على النبوّة

(وَيَقُوْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً) وعليه فإنه ينبغى على النبى (صلى الله عليه وآله) لإثبات صدق دعواه ورسالته أن يأتى بالدليل والبرهان وفقاً لما قرّره القرآن الكريم من قاعدة وقانون فى دائرة الفكر والمعتقدات، ولهذا فإنّ الله تعالى يقول فى سياق الآية الشريفة :

(قُلْ كَفى بِاللهِ شَهيداً بَيْنى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ).

فهنا ذكر النبى شاهدين : الأوّل هو الله تعالى، والثانى هو الشخص الذى عنده «علم الكتاب» أى الشخص الذى يعلم بجميع ما فى الكتاب لا بجزء منه، وهذان الشاهدان كافيان لمن كان يتحرک فى طلب الحقّ والحقيقة.

كيفية شهادة الله

سؤال : إنّ الله تعالى غائب عن الأنظار ولا يستطيع أحد من الناس أن يراه فكيف يشهد بصدق رسالة النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) وصدق دعواه ؟

الجواب : إنّ الله تعالى من خلال المعجزات التى يضعها تحت اختيار النبى (صلى الله عليه وآله)يمثّل شاهد صدق على رسالة نبى الإسلام لأنه من المحال على الله الحكيم أن يضع أكثر من معجزة بل مئات المعاجز بيد مدّعى النبوّة الكاذب ليضل عباده، فالله تعالى لا يمكن أن يضل عباده بهذه الصورة، وعليه فعندما يضع الله تعالى العديد من المعجزات بيد النبى فإنه يشهد بذلک على صدقه.

www.makarem.ir

من هو الذى «عنده علم الكتاب» ؟

يذكر العلاّمة الطبرسى فى مجمع البيان ثلاث نظريات فى هذا المجال :

١ ـ أن المراد بقوله (مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ) هو الله تعالى، وفى الحقيقة فهذه الجملة بمثابة عطف تفسيرى على «بالله» الذى ورد فى صدر الآية، فكليهما بمعنى واحد، وعليه ففى هذه الآية الشريفة لا يوجد أكثر من شاهد واحد يشهد على صدق إدعاء نبى الإسلام (صلى الله عليه وآله)وهو الله تعالى[١].

ولكنّ هذه النظرية مردودة، لأن الأصل الأولى فى العطف هو التعدد والجملة المعطوفة تقرر مطلباً جديداً غير المعطوف عليه، والعطف التفسيرى خلاف الأصل، وهذه الحقيقة يذعن لها علماء اللغة والأدب العربى، وعليه فما لم يتوفر لنا دليل معتبر على أن الجملة أعلاه هى عطف تفسيرى، فلابدّ من حملها على معنىً آخر غير المعطوف عليه لئلاّ نقع فى إشكالية التكرار، ولذلک فالنظرية الأُولى غير مقبولة.

٢ ـ ومنهم من ذهب إلى أن المراد من جملة (مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ) هم أُولئک الأشخاص من أهل الذمّة الذين اعتنقوا الإسلام ومنهم «عبدالله ابن سلام»[٢] العالم اليهودى، ولكنه كان منصفاً وقد قرأ علامات نبوّة النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) فى التوراة وعندما رآها منطبقة على محمّد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله) وعلم أنه مرسل من الله تعالى آمن به فى حين أنه لو بقى على دين اليهودية كان يحظى بمنزلة كبيرة بينهم وقد يحصل من ذلک الكثير من الأموال والثروات، ولكنه عندما علم بحقيقة الأمر سحق أهواءه النفسية واعتنق الإسلام، ولهذا فإن هذا الشخص هو الذى عنده «علم الكتاب» أى كان يعلم بعلائم النبى فى التوراة ويشهد بذلک، إذن فإن هذه الآية تقرر شاهدين على صدق ادعاء النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وبعبارة أُخرى إنّ الله تعالى والكتب السماوية السابقة تشهد بصدق نبوّة نبى الإسلام (صلى الله عليه وآله).

---

١ . مجمع البيان : ج ٣، ص ٣٠١.

٢ . نفس المصدر السابق.

www.makarem.ir

ولكنّ هذه النظرية أيضاً غير مقبولة، لأن سورة الرعد من السور المكية فى حين أن عبدالله ابن سلام اعتنق الإسلام فى المدينة، وعلى هذا الأساس فإنّ زمان نزول الآية محل البحث قبل إيمان عبدالله بن سلام بعدّة سنوات فلا يمكن أن تشير الآية إلى إيمان هذا الشخص وشهادته.

٣ ـ وهى النظرية التى وردت فى الكثير من كتب التفسير والتاريخ والحديث حيث تقرر أن المراد بجملة «من عنده علم الكتاب» هو الإمام على ابن أبى طالب (عليه السلام)[١].

يقول أبوسعيد الخدرى من علماء الإسلام وصحابة النبى (صلى الله عليه وآله) والمقبول لدى أهل السنّة والشيعة :

«سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن هذه الآية : الذى عنده علم من الكتاب[٢] قال : ذاک وزير أخى سليمان بن داود (عليه السلام)، وسألته عن قول الله عزّوجلّ : قل كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب، قال ذاک أخى على بن أبى طالب»[٣].

ويروى هذه الرواية مضافاً إلى أبى سعيد الخدرى : عبدالله ابن عبّاس، سلمان، سعيد ابن جبير، محمّد ابن الحنفية، زيد بن على وآخرون أيضاً، ومن جملة من ذكر هذه الرواية فى كتابه : القرطبى[٤]، السيوطى[٥]، العلاّمة الدشتكى الشيرازى[٦]، الترمذى[٧] وآخرون، وعليه فإن أفضل تفسير لجملة «من عنده علم الكتاب» هو أن المراد منها الإمام على ابن أبى طالب (عليه السلام).

كيف يشهد الإمام على (عليه السلام) بالنبوّة ؟

١ . مجمع البيان : ج ٣، ص ٣٠١.
٢ . سورة النمل : الآية ٤٠.
٣ . ينابيع المودّة : ص ١٠٢ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٢٨١.
٤ . الجامع لأحكام القرآن : ج ٩، ص ٣٣٦ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٢٨٠.
٥ . الإتقان : ج ١، ص ١٣ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٢٨٠.
٦ . روضة الأحباب : ج ١، وقائع السنة التاسعة نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٢٨٠.
٧ . مناقب المرتضوى : ص ٤٩ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٢٨٠.

www.makarem.ir

سؤال : مع الإلتفات إلى الروايات الكثيرة الواردة فى شأن نزول هذه الآية الشريفة التى تؤيد أنها واردة فى شأن الإمام على (عليه السلام)، يثار هنا سؤال آخر وهو : كيف يمكن أن يشهد الإمام على (عليه السلام) على نبوّة ورسالة النبى محمّد (صلى الله عليه وآله) ؟

وفى مقام الجواب عن هذا السؤال نذكر مثالين على ذلک :

ألف) إذا دخل أحد الأشخاص مدينة معيّنة ولم يكن له فيها أىُّ شخص يعرفه، وحينما يحين وقت يتوجه إلى المسجد ليدرک فضيلة صلاة الجماعة وفضيلة الصلاة أوّل الوقت، فمع العلم بأنه لا يعرف أحداً من هذه المدينة كيف يمكنه أن يتثبت من عدالة إمام الجماعة ويقتدى به ؟

يقول الفقهاء : إنّ مجرد حضور مجموعة من الأشخاص من أهل الإطلاع والفضل واقتداءهم به يمكنه أن يكون بمثابة الشهادة على عدالة إمام الجماعة، من قبيل أن مئات من رجال الدين والشيوخ يقتدون به فى صلاتهم، فمن هنا يتبيّن لنا عدالة إمام الجماعة من خلال اقتداء المأمومين هؤلاء.

ب) إذا رأينا شخصاً من أهل الخبرة والفضل ومورد احترام الناس يأتى إلى أُستاذ من الأساتذة ويجلس بين يديه ليتعلم ويتتلمذ على يد هذا الأُستاذ الذى لا نعرفه إطلاقاً، فمن خلال معرفتنا بعلم وفضل التلميذ ندرک عظمة الأُستاذ وعلمه الواسع، وعلى سبيل المثال إذا رأينا الشيخ الأنصارى أو العلاّمة الحلّى يدرسان ويتعلمان عند أُستاذ غير معروف، فمن خلال التلميذ ندرک عظمة الأُستاذ.

وبالنظر إلى هذين المثالين نجيب على السؤال المذكور :

عندما نطالع شخصية الإمام على (عليه السلام)ونراه متفوقاً فى جميع الصفات الأخلاقية والإنسانية نرى أنّ مثل هذا الإنسان مع عظيم علمه ومعرفته بحيث إنّ الإنسان الذى يقرأ «نهج البلاغة» ويتدبر فيه وفيما يتضمنه من معارف عميقة وعلوم غزيرة لا يصدّق أن هذا الكتاب هو حصيلة ترشحات من فكر إنسان، ولهذا قيل عن نهج البلاغة : «دون كلام الخالق وأعلى من كلام المخلوق».

www.makarem.ir

الإمام على مع ذلک القضاء العجيب والمحيّر فى أدق المشكلات والمحاكمات والذى نجح بأفضل وجه فى ردّ حقوق المظلومين...

الإمام على مع شديد عبادته وتقواه والتزامه الدينى بحيث إنه فى حال الصلاة لا يلتفت إلى شيء آخر سوى الله تعالى ولذلک كانوا فى الموارد التى لا يستطيعون معالجته فى غير الصلاة ينتظرونه ليصلّى حتّى يخرجوا السهام من بدنه الشريف وهو غافل عنها...

الإمام على مع شهامته وشجاعته المحيّرة والتى تضرب بها الأمثال بحيث لم يغلب فى أيِّ حرب وقتال ولم يفر ولا مرّة واحدة من الأعداء...

الإمام على مع التزامه الشديد بالعدالة بحيث لا يمكن لأحد من الناس أن يخرجه عن حدّ العدالة وأخيراً استشهد بسبب هذا الإلتزام والإنضباط الأخلاقى بالعدالة.

أجل، فإنّ الإمام على (عليه السلام) بهذه الصفات والخصائص الأُخرى يمثل رمز الإنسان الكامل، وهذا الشخص قد آمن بنبى الإسلام (صلى الله عليه وآله)وجعل حياته وقفاً لتبليغ هذا الدين واعتبر نفسه عبداً من عبيد محمّد، ألا يتبين لنا من خلال إيمان الإمام على (عليه السلام) حقانية إدّعاء النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)والرسالة السماوية ؟ وبهذا يكون الإمام على شاهداً آخر على نبوّة نبى الإسلام (صلى الله عليه وآله).

ونعتقد أن هذا الشاهد على نبوّة النبى محمّد (صلى الله عليه وآله) إلى درجة من الأهمّية بحيث إنه لو فرضنا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يأتِ بأى دليل آخر سوى شهادة على ابن أبى طالب لكفى.

المقارنة بين آصف بن برخيا وعلى بن أبى طالب (عليه السلام)

كان آصف بن برخيا وزير النبى سليمان (عليه السلام) وقد وردت قصته فى سورة النمل وهى :

«عندما تحركت ملكة سبأ من اليمن باتجاه النبى سليمان لتسلم على يده خاطب سليمان وزراءه ومشاوريه من الجن والإنس وقال :

www.makarem.ir

أيكم يقدر على أن يأتينى بعرش الملكة من اليمن قبل أن تصل إلينا ؟

فقال أحد العفاريت من الجنّ : أنا آتيک به ولكنّ ذلک يحتاج إلى مدّة من الزمان قد تصل إلى بضع ساعات وسوف أحضره عندک قبل إتمام هذه الجلسة.

والظاهر أن النبى سليمان لم يقبل هذا الإقتراح وأراد حضور العرش بأسرع من هذا الوقت ولهذا قال شخص آخر وكان لديه علم من الكتاب وهو «آصف بن برخيا» : إننى قادر على إحضاره عندک قبل أن تطرف عينک، فما أن فتح سليمان عينه وإذا به يرى عرش الملكة حاضراً عنده، وحينذاک توجه سليمان بالشكر إلى الله تعالى على هذه النعم والمواهب العظيمة[1].

إن آصف بن برخيا وبسبب اطلاعه على بعض علم الكتاب والإسم الأعظم استطاع أن يقوم بهذا العمل الخارق للعادة، فى حين أنّ الإمام على (عليه السلام) لديه علم الكتاب أجمع وكذلک الإسم الأعظم فهل يمكن قياس قدرة آصف ابن برخيا بقدرة الإمام على (عليه السلام) ؟

من هذا البحث يمكننا التطرق إلى الولاية التكوينية للأئمّة الأطهار، لأن معنى العلم التكوينى ليس هو أننا نعتقد بأن الإمام على (عليه السلام)خالق السماوات والأرض «ونعوذ بالله» بل يعنى أنّ هؤلاء الأولياء يتصرفون بعالم الوجود بإذن الله تعالى ومشيئته ويشبه تصرفهم عمل آصف ابن برخيا.

□□

١ . ما ورد أعلاه كان شرحاً مختصراً عن آصف بن برخيا الوارد فى الآيات ٣٨، ٣٩، ٤٠ من سورة النمل.

www.makarem.ir

آية المؤذّن وآية الأذان

٥ ٦

ومن جملة الآيات التى تتعلق بفضائل الإمام على (عليه السلام) هى الآيات ۴۴ من سورة الأعراف، والآية ٣ من سورة التوبة حيث يقول تعالى فى الآية ۴۴ من سورة الأعراف :

ويقول فى الآية ٣ من سورة التوبة :

أبعاد البحث

إنّ كلمة «مؤذّن» وردت فى القرآن الكريم مرّتين حيث تتحدّث عن عالم الآخرة، وقد وردت فى الآية ۴۴ من سورة الأعراف، وفى الآية ٧٠ من سورة يوسف وهكذا

www.makarem.ir

كلمة «أذان» وردت مرّة واحدة فى الآية ٣ من سورة التوبة، وكلٌّ واحدة من هاتين الآيتين ترتبط بشأن الإمام على(عليه السلام).

«أذان» فى الإصطلاح يراد به مجموعة الأذكار الخاصّة التى تقال حينما يحين وقت الصلاة لدعوة الناس إلى الصلاة والمسجد ولكن فى اللغة يراد بها مطلق الإعلان، فتارةً يكون الإعلان مقارناً للتهديد، وأُخرى لإعلان الحرب، وثالثة لإعلان وقت الصلاة، وبتعبير آخر أن «الأذان» تعنى إخبار الناس بالخبر بصورة علانية، إذن فالأذان لا يختصٌّ بالإعلان عن وقت الصلاة بل يستوعب معنىً واسعاً.

تفسير الآية ٤٢ من سورة الأعراف

حوار أهل الجنّة وأهل النار

ولأجل توضيح معانى ومفاهيم آية المؤذّن نرى من اللازم أن نبدأ بالآيات التى قبلها :

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً اِلاّ وُسْعَها أُولئِکَ اَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خالِدُون).

جملة (لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً اِلاّ وُسْعَها) جاءت كجملة معترضة فى الآية أعلاه وتشير إلى نكتة مهمة، وهى أن جميع الأشخاص لا يستوون فى الإيمان والعمل الصالح ولا يصحّ أن يتوقع الإنسان من جميع الناس التساوى فى الإيمان والعمل الصالح، بل كلٌّ شخص يُكلّف بمقدار قدرته وإدراكه ولياقته، وبدون شک أن إيمان الإمام على (عليه السلام) وسلمان وأبى ذرّ ليس بمستوى إيمان سائر الناس، ولذلک فالمتوقع من هؤلاء الأشخاص الأولياء غير ما يتوقع من الأشخاص العاديين، والخلاصة هى أن كلٌّ إنسان مؤمن يدخل الجنّة بحسب قابليته وإيمانه وعمله الصالح.

(وَنَزَعْنا ما فِى صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ).

فهنا تتحرّک الآية الشريفة لبيان صفات المستحقين للجنّة بعد ورودهم إليها فأوّل ما يواجه المؤمن لدى دخوله الجنّة هى أن الله تعالى يطهر قلبه من أدران الحسد والحقد

www.makarem.ir

تماماً ويعود إليها الصفاء والطهر والخلوص، وكلمة «غلّ» تقال لحركة الماء الخفية تحت النباتات، وبما أن عنصر الحسد والحقد يتحرك فى قلب الإنسان بصورة خفية ومستورة فلذا قيل عنه بأنه «غلّ».

سؤال : هل يعقل أنّ أهل الجنّة يعيشون الحسد والحقد ومع ذلک يدخلهم الله الجنّة ؟

الجواب : يستفاد من بعض الروايات أن بعض الدرجات الخفيفة للحسد والحقد يمكنها أن تكون لدى المؤمن وما لم يظهرها الإنسان لا تحسب ذنباً ومعصية ولا تتنافى مع الإيمان[1]، وبهذا فإنّ الله تعالى يطهّر قلوب هؤلاء المؤمنين من أهل الجنّة من هذه الدرجة الضعيفة من الحسد والحقد ليعيشوا فى الجنّة بكامل السعادة والطمأنينة والراحة النفسية.

(تَجْرى مِنْ تَحْتِهِمُ الاَنْهارُ) إنّ أهل الجنّة يسكنون فى قصور وبيوت تجرى من تحتها الأنهار، أى أن الله تعالى قد بنى لهم هذه القصور والبيوت على الأنهار الجارية، وهذا من جملة النعم الاُخروية على أصحاب الجنّة والتى وردت فى الكثير من الآيات الشريفة.

(وَقالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِى هَدانا لِهذا وَما كُنّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلاَ اَنْ هَدانا اللهُ لَقَدْ جائَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ) فعندما يشاهد أهل الجنّة كلُّ هذه النعم العظيمة والألطاف الإلهيّة الجليّة يتوجهون إلى ربّهم من موقع الشكر والثناء ويقولون : الحمد الذى هدانا لهذه النعم والمواهب الكثيرة ولولا عناية الله ورعايته ما كنّا لنهتدى إليها ولا نسلک الطريق إلى الجنّة، وأنّ رسل الله وأنبياءه كانوا يقولون الحقّ، أجل، فإنّ أهل الجنّة يعترفون بأن الهداية التشريعية للأنبياء والأولياء والكتب السماوية وكذلک الهداية التكوينية المنبعثة من الجوانب النفسانية والفطرية المودعة فى وجود الإنسان هى التى أدّت بهم إلى اختيار طريق الجنّة وكسب رضا الله تعالى ونيل ألطافه وعناياته.

(وَنُودُوا اَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ اُوْرِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فبعد أن يشكر أهل الجنّة الله تعالى على عظيم نِعمه التى لا تحصى يقال لهم أن أدخلوا الجنّة فهى التى ورثتموها بأعمالكم.

---

١ . المنار، ج ٨ ، ص ٤٢١ نقلاً عن التفسير الامثل : ذيل الآية مورد البحث.

www.makarem.ir

(وَنَادَى اَصْحابُ الْجَنَّةِ اَصْحابَ النّارِ اَنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً) فعندما يستقر أهل الجنّة فى مساكنهم وقصورهم وينظرون إلى ما حولهم بحثاً عن أصدقائهم ومعارفهم لا يجدون أفراداً منهم ويدركون أنهم صاروا من أهل النار وحرموا الورود إلى الجنّة وبذلک يخاطبون أهل النار :

«إننا قد وجدنا ما وعد ربُّنا حقّاً وقد تبيّن لنا صحّة الطريق الذى سلكناه فى الدنيا وأوصلنا هذا الطريق من خلال الإيمان والعمل الصالح إلى الجنّة وحظينا بجميع ما وعد الله تعالى للمؤمنين فهل وجدتم ما وعد ربُّكم حقّاً ؟ هل تحققت وعود الله فى حقّكم من العقاب على ما ارتكبتم من الذنوب والجرائم ؟

«**قالُوا نَعَمْ**» وهكذا يجيب أهل النار على هذا السؤال بالإيجاب وأن الله قد أنجز ما وعدهم من العذاب والعقاب الاُخروى.

سؤال : لماذا يسأل أهل الجنّة هذه الاُمور من أهل النار ؟

الجواب : يحتمل أن سؤالهم كان لغرض تحصيل إطمئنان أكثر وإيمان أعلى بما وعد الله رغم أن أهل الجنّة يؤمنون بجميع ما وعدهم الأنبياء من اُمور الغيب ويعتقدون به ولكنهم عندما يرون ذلک بأُمّ أعينهم أو يسمعون من أهل النار تحقّق الوعيد الإلهى بحقّهم فإنّ إيمانهم سيزداد ويتعمق أكثر.

الإحتمال الآخر هو أنهم يسألون أهل النار من أجل التهكم والذم والتقريع لهم كما كان أهل النار يلومون المؤمنين فى الدنيا ويذّمونهم ويسخرون منهم على اعتقاداتهم وإيمانهم بالغيب فهذه المساءلة نوع من المقابلة بالمثل.

(فَاَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ اَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظّالِمينَ) كختام للمحاورة المذكورة بين أهل الجنّة وأهل النار لابدّ وأن يكون هناک من يختم هذا الحوار ولذلک ورد النداء الإلهى «أن لعنة الله على الظالمين» وتنتهى بذلک المساءلة ويسدل الستار على هذه المحاورة.

من هو المؤذّن ؟

www.makarem.ir

سؤال : من هو المؤذّن فى الآية ۴۴ من سورة الأعراف ؟ ومن هو هذا الشخص الذى يختم الحوار المذكور بالنداء الإلهى والذى توحى الآية أن له سلطة على الجنّة والنار والقيامة ؟ ومن هو هذا الشخص الذى يسمعه جميع الناس فى ذلک اليوم ويختم بكلامه عملية المحاورة بين أهل الجنّة وأهل النار ؟

الجواب : هناک روايات متعددة مذكورة فى مصادر الشيعة وأهل السنّة تؤكد على أن المؤذّن هو الإمام على (عليه السلام)، وعلى سبيل المثال نشير إلى نماذج منها :

١ ـ أورد الحاكم الحسكانى الحنفى من أهل السنّة فى «شواهد التنزيل» عن محمّد ابن الحنفية عن الإمام على (عليه السلام) أنه قال :

«**أَنا ذلِکَ الْمُؤَذِّنُ**».

وروى الحاكم بسنده عن أبى صالح عن ابن عبّاس رضى الله عنهما أنّه قال : قال على(رضى الله عنه) : فى كتاب الله أسماء لى لا يعرفها الناس منها المؤذن[١].

٢ ـ وكذلک نقل الحافظ أبو بكر ابن مردويه فى كتاب «المناقب» أن المؤذّن هو علىّ بن أبى طالب (عليه السلام)[٢].

٣ ـ ونقل الآلوسى أحد المفسّرين المعروفين من أهل السنّة فى تفسير «روح المعانى» عن ابن عبّاس أنه قال :

«**اَلْمُؤَذِّنُ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ**»[٣].

۴ ـ وذكر الشيخ سليمان القندوزى مؤلف كتاب «ينابيع المودّة» فى كتابه هذا أن المراد بالمؤذّن هو علىّ بن أبى طالب[۴].

۵ ـ ونقل هذا المعنى مير محمّد صالح الكشفى الترمذى فى «المناقب»[۵].

---

١ . نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٣٩۴.

٢ . نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٣٩٣.

٣ . روح المعانى : ج ٨، ص ١٠٧ (نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٣٩٣).

۴ . ينابيع المودّة : ص ١٠١ (نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٣٩٣).

۵ . مناقب المرتضوى : ص ۶٠ (نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٣٩٣).

www.makarem.ir

هل أنّ مقام المؤذّن يعدّ فضيلة ؟

سؤال : لقد ذهب بعض المثقفين والكتّاب الإسلاميين الذين تورطوا فى شراك التعصّب المذهبى عندما يصل إلى هذه الآية الشريفة والروايات المذكورة فيها ينكر كون مقام المؤذّن فضيلة للإمام على (عليه السلام)ويقول : «على فرض أن يكون المؤذن هو الإمام على (عليه السلام)، ولكن هذا المعنى لا يعدّ افتخاراً له، لأنه لابدّ أن يكون هناك مؤذن يوصل النداء الإلهى للناس فى المحشر، ولا يختلف الحال فيمن يكون هو المؤذن».

الجواب : والجواب على هذا الكلام واضح لأن هذا المؤذّن إنما يعلن شيئاً بأمر الله تعالى فهو رسول من الله لإلقاء هذا الكلام على أهل المحشر أى الناطق الرسمى عن الله وهى وظيفة خطيرة وثقيلة، وعليه فإنّ هذا المقام يدلُّ على أهمية ومكانة هذا الشخص بحيث يبين للناس الرسالة الإلهية بصورة جيّدة فى يوم القيامة، ومع الإلتفات إلى محتوى هذه الرسالة وأنها تشمل لعنة الله على الظالمين فلابدّ أن لا يكون هذا المؤذّن من الأفراد الملوثين بالظلم فى الدنيا، وإلاّ فلا يوجد أحد يلعن نفسه، ولهذا فإنّ مقام المؤذّن فى ذلک اليوم لا يعدُّ مقاماً عادياً يستطيع أىُّ شخص أن يقوم به، وعليه فإنّ هذا المقام يعدّ فضيلة كبيرة لمن يناله.

لماذا يغمض بعض مفسّرى أهل السنّة أبصارهم عن إدراک الحقائق ويمرون على المضامين القرآنية مرور الكرام بهدف الإحتفاظ على عقائدهم الموروثة وأحياناً ينكرون مضامين الوحى من أجل ذلک ؟ !

تفسير الآية ٣ من سورة التوبة

أما تفسير «آية الأذان» فى سورة التوبة والتى تعد هى الأُخرى من آيات فضائل الإمام على (عليه السلام) ولها ارتباط وثيق بآية «المؤذّن» السابقة، نرى من اللازم بعض التوضيح حول الآيات الأُولى من سورة التوبة :

www.makarem.ir

عندما فتحت مكّة فى السنة الثامنة للهجرة وتمّ القضاء على الشرک وعبادة الأوثان وإزالة الأصنام من أرض الوحى ودخل العرب فى الإسلام ورأى مشركو مكّة تعامل النبى (صلى الله عليه وآله)معهم من موقع المحبّة والعفو والصفح، أدّى ذلک إلى دخول الناس فى الإسلام زرافات ووحدانا، وانتهت هذه السنة بجميع ما وقع بها من حوادث كبيرة، وأراد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى السنة التاسعة للهجرة أن يحجّ حجّة الوداع ولكنه بسبب وجود بعض الاُمور لم يرَ من المناسب أن يحجّ فى تلک السنة وذلک :

الف : إنّ بعض المشركين وعبدة الأوثان كانوا يأتون من البادية لزيارة بيت الله الحرام، وعلى الرغم من أن الكعبة قد تمّ تطهيرها من الأصنام والأوثان إلاّ أنّ هؤلاء الوثنيين كانوا يأتون إلى البيت الحرام ويطوفون حوله وينشدون بعض الأشعار والشعارات الجاهلية حين الطواف تخليداً لذكر الأصنام.

ب : ما زال بعض الناس يطوفون بالبيت عراة كما كانوا فى السابق لأنهم كانوا يعتقدون أن لباس الطائف الذى يطوف فيه حول البيت يجب عليه أن يتصدّق به إلى الفقير، ولهذا فلو أن الشخص خلع لباسه وطاف عرياناً ثمّ بعد أن ينتهى من الطواف يرتدى لباسه فلا يجب عليه التصدّق به على الفقير، ولذلک فمن لم يكن راغباً فى التصدق بلباسه يقوم بخلع لباسه والطواف عارياً، وأحياناً يكون الطائف بالبيت امرأة، فنتصور كيف يكون حال الطواف مع وجود امرأة عريانة بين الطائفين وكيف تتبدل الأجواء المعنوية والروحية فى ذلک المكان المقدّس إلى أجواء شهوانية وحيوانية ؟

فنظراً إلى هذه الاُمور انصرف رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن أداء الحجّ فى السنة التاسعة حتّى نزلت الآيات الاُولى من سورة التوبة وأمر النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) أن يعلن فى مراسم الحجّ فى السنة العاشرة للهجرة لجميع المشركين أربعة اُمور :

١ ـ «**لا يَحِجَّنَّ الْبَيْتَ مُشْرِکٌ**» فبعد السنة العاشرة للهجرة لا يحقُّ لأى مشرک أن يحجّ البيت ولا يحقُّ له دخول المسجد الحرام، هذا البيت الذى بناه بطل التوحيد ومحطم الأصنام فلا يكون مكاناً للأصنام بعد الآن، ولا ينبغى للمشركين والوثنيين أن يطوفوا حول بيت الله إلاّ أن يتركوا عقائدهم الخرافية جانباً.

www.makarem.ir

٢ ـ «وَلا يَطُوفَنَّ بِالْبَيْتِ عُرْيانٌ» فبعد الآن لا يحقُّ لأى شخص أن يطوف بالكعبة عرياناً ويلوّث تلك الأجواء المعنوية والروحية بهذا العمل الشنيع.

٣ ـ «وَلا يَدْخُلَ الْبَيْتَ اِلاّ مُؤمِنٌ» ففى السابق كان الدخول إلى داخل الكعبة مباحاً للجميع (خلافاً لهذا الزمان حيث لا ينال هذه السعادة إلاّ بعض الأشخاص القليلين) فكان المسلمون والمشركون يدخلون داخل الكعبة باستمرار وبدون أى مانع ولكن بعد إبلاغ هذا النداء لا يحقُّ لمشرك أن يدخل الكعبة.

٤ ـ «وَمَنْ كانَتْ لَهُ مُدَّةٌ فَهُوَ إلى مُدَّتِهِ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مُدَّةٌ فَمُدَّتُهُ اَرْبَعَةُ اَشْهُر» فالمشركون الذين كان لديهم عهد وميثاق مع رسول الله على ترك الحرب والقتال ولم يذكروا مدّة محدودة لعهدهم هذا، فلهم فرصة أربعة أشهر لينضموا إلى الإسلام، وبعد انتهاء هذه المدّة لا يبقى عهد وميثاق بينهم وبين النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وأما من كان له عهد مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)لمدّة معيّنة ولم تنتهِ هذه المدّة ولم يرتكب ما يخالف العهد ولم يتحرّك على مستوى معونة أعداء الإسلام فإن عهده محترم إلى نهاية المدّة[١].

وهكذا وجد النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) نفسه مأموراً بإبلاغ هذه التعليمات والأوامر الإلهية فى أيّام الحجّ من السنة العاشرة للهجرة وإخبار المشركين بها، فاختار النبى لهذه المهمة أبابكر ليقرأ الآيات الأُولى من سورة التوبة على المشركين فى أيّام الحجّ، وتوجه أبوبكر نحو مكّة لأداء هذه المهمة ولكن لم يمض سوى القليل حتّى هبط جبرئيل الأمين على رسول الله (صلى الله عليه وآله)وقال له :

«إنه لن يؤديها عنک إلاّ أنت أو رجل منک» فدعى النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) الإمام على (عليه السلام)وقال له : **«إلحقه فردّ علىَّ أبابكر وبلّغها أنت»** ففعل ذلک الإمام على (عليه السلام) وأخذها من أبى بكر وأبلغها عامة المشركين فى أيّام الحجّ[٢].

ويقول الطبرسى فى هذا المجال :

---

١ . التفسير الامثل : ذيل الآية مورد البحث.

٢ . التفسير الامثل : ذيل الآية مورد البحث.

www.makarem.ir

اجمع المفسّرون ونقلة الأخبار انّه لمّا نزلت براءة رفعها رسول الله (صلى الله عليه وآله) **إلى أبى بكر، ثمّ أخذها منه ودفعها إلى علىّ بن أبى طالب**[١].

وقد أوضحنا بالتفصيل ما ذكره «صاحب مجمع البيان» والمقدار المشترک بين جميع الروايات هو ما ذكرنا وقد أورد صاحب كتاب «احقاق الحقّ» هذا المعنى من أربعين كتاب من كتب أهل السنّة.[٢]

الإختلاف فى الجزئيات

وطبعاً الروايات المذكورة تختلف بعض الشىء فى جزئياتها وتفاصيلها، ونشير إلى بعض منها :

لقد ورد فى بعض الروايات أن النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) أركب علياً على ناقته المعروفة بـ «العضباء» فوصل على إلى أبى بكر فى مسجد الشجرة على مقربة من مكّة وأحد المواقيت المعروفة لحجّ التمتع والعمرة وأبلغه أمر رسول الله، فتألم أبوبكر من ذلک وعاد إلى المدينة وقال لرسول الله (صلى الله عليه وآله) : «**اَنْزَلَ فِيَّ شَىْءٌ ؟**».

فقال له النبى (صلى الله عليه وآله) : «**لا، إلاّ أنّى اُمِرْت أنْ اُبَلِّغُهُ أنا أو رَجُلٌ مِنْ أهْلِ بَيْتى**»[٣].

والخلاصة أنه يستفاد من هذه الروايات أن تغيير الشخص المأمور بإبلاغ هذه الآيات لم يكن من جهة النبى بل إنّ الله تعالى هو الذى أمره بذلک، وعلى أيّة حال فإنّ هذه المهمة والمسؤولية قد اُلقيت على عاتق أميرالمؤمنين (عليه السلام) وبذلک تحرک الإمام نحو أداء هذه المأمورية وأراح النبى من القلق الذى كان يساوره فى مورد الحجّ حيث أشرنا إليه سابقاً وبذلک تهيّأت مقدّمات سفر النبى (صلى الله عليه وآله)إلى مكّة للإتيان بحجّة الوداع.

---

١ . مجمع البيان : ج ٣، ص ٣.

٢ . احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٤٢٧ فصاعداً.

٣ . خصائص النسائى : ص ٢٨ نقلاً عن التفسير الامثل : الآية مورد البحث.

www.makarem.ir

الشرح والتفسير

الإنذار الهام للمشركين

(بَراءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) وبذلک تمّ إلغاء جميع العهود التى كانت بين المسلمين والمشركين والتى لم يكن لها مدّة زمنية محددة.

(فَسيحُوا فِى الأَرْضِ اَرْبَعَةَ اَشْهُر وَاعْلَمُوا اَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللهِ وَاَنَّ اللهَ مُخْزِى الْكافِرِينَ).

سؤال : لماذا نقض رسول الله عهوده مع المشركين، وهل يشمل هذا النقض جميع معاهدات النبى ؟

الجواب : يستفاد من الآيات التالية أن مسألة إلغاء العهود كانت فى موارد العهود التى ليست لها مدّة أو انتهت مدّتها، وكذلک العهود التى لم تنته مدتّها ولكنّ المشركين نقضوا العهد وتعاونوا مع أعداء الإسلام والمسلمين كما حصل فى حرب الأحزاب وأمثالها، وأما العهود التى لم تنته مدّتها ولم يتخلف أصحابها عن مضمون العهد ولم يساعدوا أعداء الإسلام بشىء فإنّ مثل هذه العهود باقية على قوّتها وفاعليتها إلى انتهاء المدّة المقررة كما ورد ذلک فى الآية الرابعة من سورة التوبة لأن العهد محترم جدّاً فى نظر الإسلام حتّى لو كان مع العدو، فلو اقتضت المصلحة أن يكون للمسلمين عهد وميثاق مع الكفّار فيجب أن يحترم المسلمون هذا العهد ويلتزموا به.

(وَاَذانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ اِلَى النّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ).

بالنسبة إلى «الحجّ الأكبر» وردت تفاسير مختلفة وأفضلها هو أن المراد من الحجّ الأكبر هو «حجّ التمتع» الذى يتضمّن فى مناسكه الوقوف فى عرفات والمشعر الحرام ومنى والهدى ورمى الجمرات وأمثال ذلک، والمراد من الحجّ الأصغر هو «عمرة التمتع»[1]، وعلى أيّة حال فلابدّ من دراسة هذا الإعلان الإلهى فى حجّ التمتّع للسنة التاسعة للهجرة وماذا كان مضمونه ومحتواه ؟ وتستمر الآيات الشريفة بالقول :

---

١ . وقد ورد فى معنى «الحجّ الأكبر» أنه «يوم عرفة» و«يوم الأضحى»، وللمزيد من الإطلاع انظر : مجمع البيان : ج ٢، ص ٥، وتفسير الكشاف : ج ٢، ص ٢٤٤.

www.makarem.ir

(أَنَّ اللهَ بَرِىءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) ولهذا فإنّ جميع المعاهدات ملغيّة بعد إعلان براءة الله ورسوله من المشركين، وعلى هذا الأساس فإنّ أمام المشركين والكفّار طريقان لا أكثر : **الأوّل** هو أن يتوبوا إلى الله ويتركوا الشرك ويدخلوا فى الإسلام.

(فَاِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) لأنّ ذلک يؤمن لهم الأمن فى الدنيا والسعادة فى الآخرة من خلال العمل بتعليمات الإسلام وأداء الواجبات وترک المحرمات.

الثانى : (وَاِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا اَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللهِ وَبَشِّرِ الَّذينَ كَفَرُوا بِعَذاب اَليم)فلو أصرّوا على الشرک والحرب مع الحقّ فإنهم لا يستطيعون الخروج من دائرة القدرة الإلهية ومضافاً إلى أن العذاب الإلهى الأليم بانتظارهم.

هل تعدّ هذه المهمة فضيلة ؟

سؤال : طبقاً لما تقدّم آنفاً إنّ الإمام على (عليه السلام) أصبح مأموراً من قبل النبى (صلى الله عليه وآله)بإبلاغ الآيات الاُولى من سورة التوبة إلى المشركين فى أيّام الحجّ، وقد كانت هذه المأمورية بعهدة أبى بكر فى البداية إلاّ أن رسول الله أخذها منه ودفعها إلى على ابن أبى طالب (عليه السلام)فهل يعدُّ ذلک فضيلة للإمام على (عليه السلام) ؟

الجواب : إنّ بعض المتعصبين تحركوا على مستوى تهميش هذه الفضيلة والتقليل من أهميّتها فقالوا : إنّ علّة تبديل هذه المأمورية هو ما كان من التقاليد الرسمية والأعراف بين العرب، لأن العرب كانوا عندما يريدون إرسال رسالة إلى شخص معين يقوم صاحب الرسالة نفسه أو يختار واحداً من أهل بيته وأرحامه لأداء هذه الرسالة وايصالها إلى الطرف الآخر، ولهذا عزل النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) أبابكر وأرسل على (عليه السلام) مكانه، وعليه فإنّ هذه المأمورية المذكورة لا تعدُّ فضيلة للإمام على (عليه السلام)[1].

ولكنّ الإنصاف أن هذا الكلام بعيد جدّاً عن الحقيقة لأنه :

أوّلاً : من أين ثبت أن التقاليد العربية كانت كذلک ؟ وأىُّ كتاب ذكر هذه القضية ؟ وهل يمكن إلغاء فضيلة مهمة لمجرد احتمال غير ثابت ؟

---

١ . الكشّاف : ج ٢، ص ٢٤٤.

www.makarem.ir

ثانياً : على فرض وجود مثل هذا العرف بين العرب فى ذلک الوقت فإنّ تغيير المؤدى لهذه الرسالة المهمة لا يرتبط بتقاليد العرب وأعرافهم لأن النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) كما ورد فى الروايات المذكورة آنفاً قد تلقى الأمر بذلک من الله تعالى.

وعلى هذا الأساس فلا شکّ فى أن هذه المهمة والمأمورية تعدّ فضيلة كبيرة للإمام على(عليه السلام)، ومع الإلتفات إلى هذا المطلب فلو أن الله تعالى أراد أن ينصب خليفة على المسلمين بعد رسول الله فلابدّ أن يكون هذا الإنسان هو الأفضل وله فضائل أكثر، وإذا أراد الناس انتخاب شخص لهذا الغرض فلابدّ أن يكون هو الأفضل بمقتضى العقل.

ارتباط آية الأذان والمؤذّن

إنّ المثوبات والعقوبات فى الآخرة هى فى الحقيقة انعكاس للأعمال الإنسان فى الدنيا، ويتّضح هذا المطلب أكثر بالإلتفات إلى كيفية ارتباط هذه المثوبات والعقوبات الأُخروية بأعمال الإنسان فى حركة الحياة الدنيوية.

عندما يحشر الإنسان المرابى فى عرصات المحشر فى حالة من الإضطراب فى السلوک وكأنه سكران لا يقدر على الحركة ويترنح ويسقط بين الحين والآخر إلى الأرض كلُّ ذلک يحكى عن سلوكه فى الحياة الدنيا حيث كان بعمله القبيح يتحرک من موقع الإخلال الإقتصادى فى المجتمع وإثارة الأزمات الإجتماعية بعمله وأكله الربا فيزلزل أساس المجتمع الإسلامى ويثير فيه الإرتباک والخلل، إذن فعدم تعادله فى المشى يوم القيامة يحكى عن واقع دنيوى بهذا المعنى بسبب ارتكابه لهذا الذنب الكبير، فهو فى الحقيقة إنعكاس لأعماله فى الدنيا[1].

وإذا كان الظالم فى الآخرة يواجه الظلمات ويسير كالأعمى فى عرصات المحشر فذلک بسبب أنه كان يحوّل الدنيا فى نظر المظلومين إلى ظلام بحيث لا يرون كلّ شىء فى حياتهم الدنيوية يعبّر عن الخير والسعادة والهناء، إذن فالظلمات التى تحيق بالظالم فى الآخرة هى انعكاس ونتيجة للظلمات التى كان يقدمها للمظلوم فى حياته الدنيوية.

---

١ . وتفصيل الكلام فى هذا الموضوع المتعلق بالربا مذكور فى كتابنا «الربا والبنک الإسلامى».

www.makarem.ir

وإذا قرأنا فى النصوص الدينية أن المؤمن يحشر يوم القيامة ومعه نور بين يديه وفى أيمانه يقوده إلى رضوان الله ومغفرته فإنما ذلک بسبب أن الكثير من الأشخاص قد اهتدوا بنور إيمانه فى الدنيا وسلكوا طرق الحقّ والحقيقة وابتعدوا عن خطّ الباطل والإنحراف.

والخلاصة أن جميع المثوبات والعقوبات فى عالم الآخرة هى انعكاس لأعمال الإنسان فى الدنيا.

ومع الإلتفات إلى هذا المطلب فإذا كان الإمام على (عليه السلام) هو المؤذّن للنبى فى دار الدنيا والمبلغ رسالته إلى المشركين فى مكّة وفقاً لما ورد فى الآية الثالثة من سورة التوبة فإنه سيكون فى الآخرة هو «المؤذّن» الذى يوصل النداء الإلهى إلى أهل النار ويخبرهم بأن اللعنة الإلهية قد شملتهم بسبب ظلمهم الذى ارتكبوه فى الدنيا.

إذا كان الإمام على (عليه السلام) فى الآخرة هو المؤذن والشخص الذى يختم الحوار الدائر بين أهل الجنّة وأهل النار فانّ ذلک بسبب كون كلامه فى الدنيا فصل الخطاب بين الحقّ والباطل وقد أبلغ المشركين الكلام الأخير والإنذار النهائى، فهل هذه فضيلة قليلة ؟

هل هناک شخص آخر غير الإمام على من المسلمين أو من أتباع الأديان الإلهية الأُخرى يتمتع بمثل هذه الفضيلة ؟

الحكمة فى تغيير المأمور بإبلاغ آيات سورة البراءة

سؤال : تقدّم أن جميع المفسّرين من الشيعة وأهل السنّة أتفقوا على أن رسول الله (صلى الله عليه وآله)أرسل فى البداية أبابكر لإبلاغ آيات سورة التوبة ثمّ عزله ونصب الإمام على مكانه، فهل ندم رسول الله (صلى الله عليه وآله) على عمله الأوّل بحيث تحرّک على مستوى تغييره وتبديله، أو أن كلا الأمرين كان بتعليم الوحى وبأمر إلهى ؟ والخلاصة أنه ما هى الحكمة فى هذا التبديل والتغيير ؟

www.makarem.ir

الجواب : وجواب هذا السؤال واضح فإنّ النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) كان مدركاً لما يفعله فى كلا الحالين وكان هدفه هو إعلام الناس وإخبارهم بالشخص الأفضل وإلفات نظرهم إلى هذه الحقيقة ليخرجوا تصورهم الساذج عن الأفضل الموهوم وليهديهم ويرشدهم إلى الأفضل الحقيقى والواقعى، ولهذا الغرض قام فى البداية بتسليم هذه المأمورية إلى أبى بكر ثمّ عزله ونصب عليّاً مكانه ليفهم الناس بأن الإمام على (عليه السلام)أفضل من أبى بكر ومن جميع المسلمين.

ولم تكن هذه أوّل مرّة يقوم النبى (صلى الله عليه وآله)بهذا العمل بل سبق ذلک موارد أُخرى من هذا القبيل كلُّها تصب فى هذا الهدف المهم.

مثلاً نرى أن النبى (صلى الله عليه وآله) فى واقعة خيبر قد أعطى الراية إلى أبى بكر ليقود جيش الإسلام ويفتح قلعة خيبر ولكنه استمر به الحال إلى العصر وهو يسعى جاهداً أن يتغلب على العدو ويفتح الحصن ولكنه لم يوفق بذلک، وفى اليوم الثانى سلّم رسول الله (صلى الله عليه وآله)الراية إلى عمر بن
الخطّاب ولكنه فشل فى هذه المأمورية كصاحبه، وفى الليلة الثالثة قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

«لأعطين الراية غداً لرجل يحبّ الله ورسوله ويحبُّه الله ورسوله كرّار غير فرّار لا يرجع حتّى يفتح الله على يديه». قال له أصحابه : إذا كان مقصودک هو على بن أبى طالب فإنه أرمد.

فدعاه النبى (صلى الله عليه وآله) إليه فلما رآه أرمداً يشكو من عينيه تفل فى عينه فانفتحت وشفى من ذلک المرض فأعطاه رسول الله (صلى الله عليه وآله)الراية وكان الفتح على يديه.

فلماذا أعطى رسول الله (صلى الله عليه وآله) الراية فى البداية إلى إثنين من أصحابه ثمّ أعطاها للإمام على(عليه السلام) ؟

الجواب على هذا السؤال واضح فإنّ النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) يريد أن يبيّن للناس عملاً أفضلية الإمام على (عليه السلام).

www.makarem.ir

وهكذا فى معركة الأحزاب عندما جاء عمرو بن عبد ود بطل المشركين وعبر الخندق وطلب البراز فلم يبرز له أحد سوى الإمام على (عليه السلام)، ولكنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله)امتنع فى البداية، وفى المرّة الثانية طلب عمرو بن عبد ود البراز فلم يقم له إلاّ على (عليه السلام)، ومرة أُخرى طلب منه النبى (صلى الله عليه وآله) أن يجلس.

وفى المرّة الثالثة طلب عمرو البراز أيضاً وأخذ يرتجز ويقول :

ولقد بححت من النداء فى جمعكم هل من مبارز...

إنكم تقولون بأن قتلاكم يذهبون إلى الجنّة أليس فيكم من يشتاق إلى الجنّة ؟

وفى هذه المرّة أيضاً لم يبرز له سوى على ابن أبى طالب (عليه السلام).

وهنا أذن له رسول الله بالبراز والتوجه إلى ميدان القتال وقد كتب الله النصر على يديه أيضاً واستطاع قتل عمرو بن عبدود العامرى[1] وهنا نرى أيضاً أن النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) قام بهذه المناورة لاثبات أفضلية الإمام على (عليه السلام) على مستوى العمل ليثبت للمسلمين مكانته ومنزلته الإجتماعية.

□□

١ . فروغ أبدية : ج ٢، ص ١٣٥ فصاعداً.

www.makarem.ir

آية المحسنين

٧

«سورة الزمر / الآيات ٣٢ ـ ٣٤»

أبعاد البحث

تحدّثت هذه الآيات من سورة الزمر عن طائفتين من الناس : الأُولى أظلم الناس والثانية أصدق الناس، ثمّ استعرضت عقوبات الظالمين ومثوبات الصادقين، والموضوع المهم الذى يجب دراسته والتأمل فيه فى هذه الآيات هو : من هو أصدق الناس والذى عبّرت عنه الآية الشريفة بالمحسن ؟

الشرح والتفسير

أظلم الناس !

(فَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ اِذْ جائَهُ) فهنا نرى نحوين من الكذب :

www.makarem.ir

١ ـ الكذب على الله. ٢ ـ الكذب على رسول الله، ولاشكّ أن جميع أنواع الكذب يُعتبر رذيلة أخلاقية ومن الذنوب الكبيرة ولكن من الواضح أن الكذب على الله وعلى رسوله أقبح وأخطر أنواع الكذب وقد تترتب عليه إفرازات رهيبة ومعطيات مشؤومة.

سؤال : ما هو الكذب الذى كان المشركون ينسبونه إلى الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) ؟

الجواب : إنّ بعض أشكال الكذب للمشركين هو :

ألف) إنهم كانوا يرون أن الملائكة بنات الله.

ب) كان البعض منهم يعتقدون بأن الله تعالى راض عن عبادة الأوثان ويرون أن الأوثان واسطة بينهم وبين الله تعالى لتشفع لهم عنده.

ج) بعض المشركين كانوا يعتقدون بأن لله تعالى ولداً ويذهبون إلى أن المسيح ابن الله.

د) أحياناً يحرّمون بعض الأشياء ويحللون أُخرى وينسبون ذلک إلى الله تعالى كذباً وزوراً.

هذه الأُمور وأمثالها من الأكاذيب كانوا ينسبونها إلى الله عزّوجلّ، وبما أنها تتزامن مع عدم التصديق بالرسالات الإلهية والأنبياء الإلهيين والتحرّک فى حياتهم الدنيوية على مستوى التصدّى للدعوة السماوية ومحاربة أهل الحقّ الذين أرسلهم الله تعالى لهداية البشر فإنّ عملهم هذا يفضى فى النهاية إلى تكذيب الأنبياء وإنكار دعوتهم الإلهية، ولذلک كان هؤلاء الأفراد هم أظلم الناس ليس لأنفسهم فحسب بل ظلم لجميع الناس ولجميع الرسالات السماوية والكتب الإلهية.

أمّا ظلمهم لأنفسهم لأنهم أوصدوا أبواب السعادة والفلاح على أنفسهم بتكذيبهم هذا وسلكوا بأقدامهم فى خطّ الضلالة والإنحراف والباطل متجهين إلى جهنم.

وأما ظلمهم للناس فذلک لأنهم عملوا على إضلالهم وقادوهم نحو وادى الشقاء والضلالة، فحالهم حال أهل البدع الذين قد تستمر بدعتهم وآثار عملهم القبيح آلاف

www.makarem.ir

السنين وأحياناً إلى يوم القيامة بحيث إنهم لا يستطيعون جبران ما صدر منهم وإصلاح الخلل حتّى فى صورة الندم.

أما ظلمهم للآيات الإلهية والرسالات السماوية فكما ورد فى الآية الشريفة ١٠٣ من سورة الأعراف حيث يقول الله تعالى :

(ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسى بِآياتِنا إلى فِرْعَوْنَ وَمَلاَيهِ فَظَلَمُوا بِها فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ).

وطبقاً لصريح هذه الآية الشريفة فإنّ عدم قبول الآيات الإلهية وإنكار الكتب السماوية ومعجزات الأنبياء يعدّ نوعاً من الظلم لهذه الآيات الإلهية لأنّ الإنسان عندما يتحرك لمنع الشيء القابل لهداية الناس من التأثير والفاعلية، ففى الحقيقة إنه يرتكب ظلماً بحقّه، مضافاً إلى أنه ظلم الناس حقّهم فى الإستفادة منه، وعليه فإنّ الأشخاص الذين يعملون على تشويه سمعة الإسلام أو يقومون بالإساءة إلى الإسلام من خلال أعمالهم القبيحة أو يتحركون على مستوى تفسير وتأويل قوانين الإسلام حسب رأيهم وأفكارهم فكلٌّ ذلک من أشكال الظلم للإسلام.

والخلاصة هى أن أظلم الناس هو الشخص الذى يكذب على الله وعلى رسوله، وعقوبة مثل هذا الشخص شديدة جدّاً كما وردت فى الآية الشريفة :

(اَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكافِرِينَ) فإنّ مصير مثل هذا الإنسان الظالم الذى ظلم نفسه ومجتمعه والآيات الإلهية هو جهنم، فهى مثوى للكافرين، فهنا نرى أن الآية الشريفة لا تصرّح ببيان عاقبة أظلم الناس بل طرحت المسألة على شكل سؤال واستفهام، وهذا بنفسه تعبير دقيق ويحتاج إلى التأمل حيث إنّ مثل هذا المصير ومثل هذه العقوبة لهؤلاء الأشخاص تكون متوقعة لدى جميع الناس.

(وَالَّذِى جاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولئِکَ هُمُ الْمُتَّقُونَ).

أما الطائفة الثانية فتقع فى النقطة المقابلة للطائفة الأُولى فهم الذين يصدّقون بمن جاء بالنبوّة الصادقة ويصدّقون كذلک برسالتهم فهؤلاء هم المتّقون، فرغم أن الآية الشريفة لا تذكر مفردة «أتقى» ولكننا يمكننا أن نفهم بدليلين أن هاتين الفئتين هم أتقى

www.makarem.ir

الناس : **أحدهما** بقرينة المقابلة مع الطائفة السابقة وهم أظلم الناس، أى أن الآية عندما تجعلهم فى مقابل المكذّبين لله ورسوله وفى مقابل أظلم الناس فإنّ هؤلاء المصدّقين بالله ورسوله هم أتقى الناس حتماً، **والآخر** إنّ جملة «**هم المتقون**» تدلُّ على الحصر، وتعنى أن هؤلاء هم أهل التقوى فقط وهم المتقون الحقيقيون، وعلى هذا الأساس فإنّ المثوبات المقررة لهؤلاء المتقين فى القرآن الكريم تختص بهؤلاء الأشخاص الذين أشارت إليهم هذه الآية الشريفة مضافاً إلى ما يناله المتقون فى الجنّة من النعم والمواهب العامّة التى ينالها جميع المؤمنين من أهل الجنّة فإنّهم يختصون بمواهب خاصّة ورد ذكرها فى الآية التى بعدها :

(لَهُمْ ما يَشاؤون عِنْدَ رَبِّهِم ذلِکَ جَزاءُ الْمحْسِنِينَ).

وهكذا نرى أن درجات ومقامات هؤلاء المتقين فى الآخرة إلى درجة من العظمة والسمو بحيث إنهم ينالون من المواهب ما لا يعدُّ ولا يحصى فكلُّ ما يريدون ويطلبون فإنهم سيحصلون عليه، وهذه النعمة لا يمكن أن يتصور فوقها شىء.

من هو «الذى جاء بالصدق» ومن «صدّق به» ؟

سؤال : ما هو المراد من جملة (الَّذِى جاءَ بِالصِّدْقِ) وجملة (الَّذِى صَدَّقَ بِهِ) ؟

الجواب : إنّ المراد من الجملة الأُولى هو النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)، والمراد من الجملة الثانية هو الإمام على (عليه السلام)، رغم أن الجملة الثانية تشمل جميع المؤمنين برسالة النبى (صلى الله عليه وآله) الذين آمنوا وصدّقوا برسالته ولكن بلاشكّ أن علىّ بن أبى طالب (عليه السلام)هو المصداق الأكمل والأتم لهذه العبارة.

وقد ورد هذا المعنى فى الكثير من كتب الشيعة وأهل السنّة، ونكتفى بالإشارة إلى بعض منها :

١ ـ نقل «ابن المغازلى» وهو من أساطين علماء أهل السنّة فى كتابه المعروف بـ «المناقب» عن المفسّر المعروف «المجاهد» قوله :

www.makarem.ir

«فِي قَوْلِهِ تَعالى : (الَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ) وَ رَسُولُ اللهِ وَ (الَّذِي صَدَّقَ به) عَلِيٌّ[١].

٢ ـ ونقل «ابن عساكر» هذه الرواية أيضاً[٢].

٣ ـ وكذلک العلاّمة «الگنجى» فى «كفاية الطالب» نقل هذه الرواية من بعض العلماء[٣].

٤ ـ وصرّح «القرطبى» بهذا المطلب فى تفسيره[٤].

٥ ـ واختار «أبو حيّان الأندلسى» هذا التفسير أيضاً[٥].

٦ ـ وذهب «السيوطى» فى تفسيره «الدرّ المنثور» إلى هذا الرأى[٦].

٧ ـ وذهب «الترمذى» صاحب كتاب «المناقب المرتضوية» إلى هذا الرأى أيضاً[٧].

٨ ـ «الآلوسى» ذهب فى تفسيره «روح المعانى» إلى اختيار هذا التفسير من بين جملة علماء أهل السنّة[٨].

الفخر الرازى المخالف الوحيد

فعلى رغم كلّ هؤلاء المفسّرين والرواة الذين فسّروا الآية الشريفة مورد البحث بالنبى (صلى الله عليه وآله) والإمام على (عليه السلام) فإنّ الفخرالرازى رفع لواء المعارضة والمخالفة وزعم : «أن المراد من الجملة الثانية هو أبوبكر لأنه هو الملقّب بالصدّيق».

وأجابه القاضى نورالله التسترى بجواب قاطع وقال :

---

١ . المناقب : نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٧٧.

٢ . احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٧٧.

٣ . كفاية الطالب : ص ١٠٩ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣ ص ١٧٧.

٤ . الجامع لأحكام القرآن : ج ١٥، ص ٢٥٦ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣ ص ١٧٨.

٥ . البحر المحيط : ج ٧، ص ٤٢٨ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٧٨.

٦ . الدرّ المنثور : ج ٥، ص ٣٢٨ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٧٨.

٧ . المناقب المرتضوية : ص ٥١ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٧٨.

٨ . روح المعانى : ج ٣٠، ص ٣ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٧٨.

www.makarem.ir

«لم يرد هذا المطلب الذى ذكره الفخر الرازى فى أى كتاب قبله، ونعلم أن الفخر الرازى لم يكن من أصحاب النبى، إذن فكلامه فى تفسير هذه الآية لا يقوم على أساس متين».

وعليه فإنّ بطلان هذا الرأى لا يحتاج إلى زيادة بيان وتوضيح[1].

□□

١ . مضافاً إلى وجود العديد من الروايات فى مصادر أهل السنّة والشيعة تخصّ الإمام على بصفة «الصدّيق» و«الفاروق» كما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله «لكلّ أُمّة صدّيق وفاروق، وصدّيق هذه الأُمّة وفاروقها علىّ بن أبى طالب» وقد وردت هذه الروايات فى بحار الأنوار : ج ٣٨، ص ١١٢ ـ ٢١٢ ـ ٢١٣ ـ ٢١٦ ـ وفى أجزاء أُخرى منه، وورد مضمون الرواية المذكورة آنفاً فى العشرات من كتب أهل السنّة (انظر الغدير : ج ٢، ص ٣١٣ فصاعداً).

www.makarem.ir

آية السابقون الأولون

٨

«سورة التوبة / الآية ١٠٠»

أبعاد البحث

بالرغم من أن الآية الشريفة أعلاه تتحدّث عن ثلاثة طوائف من المؤمنين وتبشّر السابقين من كلٍّ طائفة منهم ببشارات عظيمة ولكن من بين السابقين هؤلاء يوجد سابق يقع فى الصف الأوّل، وهو أوّل شخص من السابقين، وطبقاً للروايات الكثيرة التى ستأتى لاحقاً إنّ هذا الشخص الذى حمل راية الصدق ليس هو إلاّ علىّ ابن أبى طالب (عليه السلام).

الشرح والتفسير

السابقون فى الإسلام

(وَالسّابِقُونَ الاْوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرينَ وَالاْنْصارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِاِحْسان) فى هذه الآية الشريفة يحدّثنا القرآن عن ثلاث طوائف :

www.makarem.ir

الطائفة الأُولى : «**المهاجرون**» وهم المسلمون الذين أسلموا فى مكّة المكرمة وواجهوا ضغوطاً كبيرة من المشركين وأعداء الدين، وعندما هاجر النبى (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة هاجروا معه لإنقاذ أنفسهم من تلكم الضغوط وأشكال الأذى والتعذيب ولغرض تقوية الدين الجديد، فتركوا بيوتهم وأموالهم وأراضيهم وأقوامهم وقبيلتهم والخلاصة تركوا كلّ شىء وهاجروا إلى المدينة بأيدى خالية، وهناك واجهتهم أخطار كثيرة، فمن جهة خطر المشركين فى مكّة الذين كانوا بصدد الإنتقام منهم وقتلهم، ومن جهة أُخرى عدم وجود العمل المناسب وكذلک حالة الغربة وأجواء الوحدة والبعد عن القوم والوطن وأمثال ذلک من الأخطار والتبعات المترتبة على الهجرة، ولكنّ هؤلاء المسلمين الحقيقيين استقبلوا هذه الأخطار وهاجروا إلى المدينة، وقد كان البعض منهم يمر بحالة اقتصادية سيئة للغاية بحيث كانوا ينامون فى «الصفّة» إلى جانب مسجد النبى وهم المعروفون بأصحاب الصفّة حيث كانوا يقضون ليلهم ونهارهم فى ذلک المكان ولم يكن لديهم ممّا يقيم أودهم إلاّ القليل جدّاً ومع ذلک كانوا على استعداد دائم لتقديم الخدمات للإسلام متى حلّت الحاجة إليهم.

الطائفة الثانية : «**الأنصار**» وهم المسلمون الذين دخلوا الإسلام فى المدينة واستجابوا لدعوة الرسول إلى الإسلام ودعوه ليهاجر إليهم وأبدوا استعدادهم لبذل كلِّ إمكاناتهم فى سبيل الإسلام، هؤلاء استقبلوا المهاجرين الذين هاجروا إليهم من مكّة ووضعوا بيوتهم وكلُّ ما يملكون تحت اختيارهم وتعاملوا معهم كأُخوة لهم، وطبعاً هؤلاء بذلوا كلَّ جهدهم وآثروا المهاجرين على أنفسهم رغم أن الوضع المالى لبعضهم لم يكن على ما يرام.

الطائفة الثالثة : «**التابعون**» وهم المسلمون الذين جاءوا إلى الدنيا بعد المهاجرين والأنصار وسلكوا مسلكهم وتحركوا مثلهم فى خطّ الإيمان والرسالة، وهؤلاء هم الذين يسمّون بـ «التابعين»[1] أى الذين اتبعوا الطائفتين السابقتين، وعليه فطبقاً لهذا التفسير

١. مصطلح «التابعين» فى لسان أهل الحديث يطلق على الأشخاص الذين لم يدركوا رسول الله (صلى الله عليه وآله)ولكنهم أخذوا علومهم ومعارفهم من الصحابة، وهذا المعنى أضيق دائرة من المراد بالتابعين بصورة عامّة وهم كلّ من لم يدرک الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى زماننا هذا.

www.makarem.ir

يكون التابعون هم النسل الثانى للمسلمين ويشمل جميع المسلمين إلى يوم القيامة فى كلِّ عصر ومكان، أى أن المسلمين فى الزمان الحاضر الذين تحركوا فى خطّ نصرة الإسلام والهجرة نحو رضا الله تعالى يصدق عليهم عنوان «التابعين» الذين ورد ذكرهم فى هذه الآية الشريفة، لأنه كما تقدّم سابقاً أنّ الهجرة لا تختصّ بالمسلمين فى أوائل البعثة بل هى ممكنة فى كلِّ زمان ومكان، وتعنى الهجرة من أجواء الذنوب إلى أجواء الطاعة، ومن دائرة الرذائل إلى دائرة الفضائل، ومن الظلمات إلى النور.

سؤال : ماذا تعنى مفردة «بإحسان» التى وردت فى الآية الشريفة لوصف «التابعين» ؟

الجواب : هنا يوجد احتمالان فى تفسير هذه المفردة :

الأوّل : أن لا يكون إتّباع المهاجرين والأنصار بالكلام فقط بل ينبغى أن يتجسّد فى الواقع العملى فى حركة الإنسان، وبعبارة أُخرى أن يتّبع المسلم المهاجرين والأنصار بشكل جيّد ودقيق.

الإحتمال الثانى : أن يتّبع الإنسان المهاجرين والأنصار فى أعمالهم الحسنة لا فى جميع الأفعال والسلوكيات الأُخرى، لأنه كان بين المسلمين الأوائل بعض الأشخاص الذين كانوا يتحركون فى حياتهم الفردية والإجتماعية على خلاف تعليمات النبى (صلى الله عليه وآله)وأحكام الإسلام.

وخلافاً لما يراه أهل السنّة من عدالة وعصمة جميع صحابة النبى[1] فنحن نعتقد أن الصحابة ليسوا معصومين جميعاً، والآية الشريفة أعلاه يمكنها أن تكون دليلاً جيّداً على

١ . فى سفرى الأخير إلى مكّة المكرمة (عام ١۴٢٢ هـ .ق) اقترح علىّ بعض علماء أهل السنّة فى مكّة المكرمة أن نعقد جلسة للحوار بيننا، ومن جملة البحوث التى طرحت فى تلك الجلسة بحث عدالة الصحابة حيث قلت لهم : إنكم تعتقدون بأن جميع الصحابة عدول ومنزّهون عن ارتكاب الذنوب فى حين أنّ الصحابة هم الذين اشعلوا نار حرب الجمل والتى ذهب ضحيتها أكثر من ١٧ ألف من المسلمين، فمن المسؤول عن كلّ هذه الدماء ؟ وإذا كان سفك دم مسلم واحد يوجب دخول النار فكيف بدماء ١٧ ألف إنسان ؟

وقد أجاب بعض علماء أهل السنّة : إن طلحة والزبير وعائشة بالرغم من كونهم السبب الأساس فى اشعال نار الحرب، إلاّ أنهم انسحبوا قبل بدء القتال ولم تتلوث أيديهم بدماء المسلمين ! !

www.makarem.ir

مقولة الشيعة، وعليه فإنّ التابعين يجب أن يتبعوا المهاجرين والأنصار فى الأعمال الحسنة والأفعال الصالحة لا فى جميع الأفعال والأقوال حتّى لو كانت على خلاف مسير الحقّ.

(رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَاَعَدَّ لَهُمْ جَنّات تَجرِى تَحْتَهَا الاَنْهارُ خالِدينَ فيهَا اَبَداً ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظيمُ) وهكذا نرى أن الله تعالى بعد أن ذكر هذه الطوائف الثلاث من السابقين فى الإسلام أثنى عليهم ومدحهم وبشّرهم بالثواب العظيم المادى والمعنوى.

أمّا الثواب المعنوى فهو عبارة عن رضا الله تعالى عنهم ورضوانهم عن الله تعالى أيضاً، أما رضا الله عنهم فواضح لأنهم تحركوا فى خطّ نصرة الإسلام والمسلمين وسلكوا طريق الهجرة والطاعة والعبودية لله تعالى، وهذه الاُمور تستوجب رضا الله عنهم، والمراد من رضاهم عن الله تعالى هو أن الله فى عالم البرزخ ويوم القيامة يعطيهم كلَّ ما يريدون ويطلبون ويتحقّق بذلک رضاهم عنه.

وأمّا المثوبات المادية لهؤلاء فهى الجنّات التى تتصف بصفتين : أحدهما أن المياه تجرى تحت أشجارها دائماً، والاُخرى أن أهل الجنّة يمكثون فيها أبداً فليس هناک خوف من انتهاء النعيم بل هم مخلدون فيها، وبلا شک فإنّ رضا الله عنهم ورضاهم عن الله تعالى وتمتعهم بالجنّات التى تجرى من تحتها الأنهار تعدّ ثلاث مواهب عظيمة لأهل الجنّة بحيث لا يتصور فوز فوق هذا الفوز.

أوّل رجل مسلم

فقلت فى جوابهم : على فرض صحة هذا الإدعاء، فهل يكفى لمن اشعل نار الحرب أن ينسحب من الميدان وينقذ نفسه ويترک الآخرين يحترقون بنارها ؟ أو يجب عليه السعى لإطفاء نار الحرب والفتنة ؟ ! ثمّ سألتهم : لقد قتل فى حرب صفين حوالى مائة ألف نفر من المسلمين، فمن هو المسؤول عن ذلک ؟

قالوا : إن معاوية اجتهد فأخطأ ولا مسؤولية عليه. فقلت : إذا كانت دائرة الإجتهاد واسعة إلى هذه الدرجة، إذن فلا ينبغى أن يطال العقاب أى مذنب أو مجرم لأنه أخطأ فى اجتهاده، فهل يقبل العقلاء هذا الكلام ؟ !

www.makarem.ir

سؤال : يستفاد من الآية ١٠٠ من سورة التوبة أن السابقين هم ثلاث طوائف ولكنّ السؤال الذى يثار هنا هو : من هو الأسبق من هؤلاء ؟ ومن هو أوّل شخص من المسلمين استجاب لدعوة النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) إلى الإيمان وآمن به ؟

الجواب : هناك روايات كثيرة وردت فى ذيل هذه الآية الشريفة تقرر أن أوّل مسلم من الرجال اعتنق الإسلام هو علىّ بن أبى طالب (صلى الله عليه وآله)، وأوّل امرأة اعتنقت الإسلام هى السيّدة خديجة (عليها السلام).

وهذا الرأى متفق عليه بين جميع علماء الإسلام من الشيعة وأهل السنّة ويعدّ من الواضحات لديهم حتّى أن بعض علماء أهل السنّة ادّعوا الإجماع على هذا الرأى ومن ذلک :

١ ـ يقول ابن عبدالبر العالم السنّى المعروف :

اتّفقوا على أن خديجة أوّل من آمن بالله ورسوله وصدّقته فيما جاء به، ثمّ علىٌّ بعدها[١].

٢ ـ ويقول أبوجعفر الإسكافى المعتزلى أُستاذ ابن أبى الحديد المعتزلى الذى توفى فى سنة ٢٤٠ عن أوّل من أسلم واستجاب لدعوة النبى (صلى الله عليه وآله) :

قد روى النّاس كافة افتخار علىّ بن أبى طالب بالسّبق إلى الإسلام[٢].

٣ ـ ويقول الحاكم النيشابورى فى «مستدرک الصحيحين» الذى يعدّ رديفاً لصحيح البخارى وصحيح مسلم :

لا أعلم خلافاً بين أصحاب التواريخ أنّ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه أوّلهم إسلاماً وإنّما اختلفوا فى بلوغه[٣].

ومضافاً إلى ما تقدّم آنفاً من إدعاء الإجماع على أسبقية الإمام على (عليه السلام)لاعتناق الإسلام يروى العلاّمة الأمينى ٢٥ رواية من الأئمّة المعصومين (عليهم السلام)ويذكر ۶۶ قولاً من أكابر علماء الإسلام والشعراء المتقدمين فى هذا المجال، وقد

١ . الإستيعاب : ج ٢، ص ۴۵٧ نقلاً عن الغدير : ج ٣، ص ٢٣٨.

٢ . الغدير : ج ٣، ص ٢٣٧.

٣ . المستدرک على الصحيحين : كتاب المعرفة، ص ٢٢ نقلاً عن الغدير : ج ٣، ص ٢٣٨.

www.makarem.ir

ذكر بعض علماء الشيعة ١٠٠ حديثاً من منابع أهل السنّة فى هذا المجال، ويعتبر هذا العدد كثيراً جدّاً[١].

أجل، إنّ هذه المسألة تعتبر فى المستويات العُليا من الإتقان والإعتبار ولذلك فالشيعة يفتخرون بها، ولابدّ لنا نحن الشيعة أن نفتخر ونقدر هذه النعمة العظيمة نعمة التشيّع علينا والتى تعلّمناها من والدينا وأرشدنا إليها علماؤنا، ولابأس بالإشارة إلى بعض الروايات فى هذا الصدد :

١ ـ يروى أنس خادم النبى (صلى الله عليه وآله) أنه :

نُبِّى النّبى يوم الإثنين وأسلم علىٌّ يوم الثّلثاء. (وفى رواية أُخرى) بعث رسول الله(صلى الله عليه وآله)**يوم الإثنين وصلّى علىٌّ يوم الثّلثاء**[٢]».

سؤال : هل أن علىّ بن أبى طالب (عليه السلام) لم يسجد لصنم قطّ ولم يعتقد بغير التوحيد ؟

الجواب : إنّ علىّ ابن أبى طالب وبشهادة التاريخ لم يسجد حتّى لحظة واحدة أمام صنم ولم يختر ديناً غير دين التوحيد[١]، وعليه فإنّ معنى الرواية أعلاه هى أن الإمام على

---

١ . وينبغى الإلتفات إلى هذه الحقيقة، وهى أن وصول كلّ هذه الروايات الكثيرة عن فضيلة واحدة من فضائل أميرالمؤمنين (عليه السلام) فى كتب ومصادر أهل السنّة أشبه بالمعجزة، لأن بيان فضائل ومناقب أميرالمؤمنين (عليه السلام)لم يكن ممنوعاً فى عصر حكومة بنى أُمية فحسب وكان يعدّ جرماً أيضاً، بل إن عشرات الآلاف من المنابر فى مختلف بقاع البلاد الإسلامية الواسعة كانت معدّة لسبّ أميرالمؤمنين (العياذ بالله) وهتك حرمته بحيث إنّ الكثير من الناس انخدعوا بهذا الإعلام المسموم وكانوا يرون فى إسم (على) ظلماً وجريمة، فقد جاء رجل إلى الحجاج بن يوسف الثقفى المجرم المعروف فى تاريخ الإسلام وقال له : لقد ظلمتنى أُمّى وأنا اشتكى إليك منها. فقال الحجاج : وبماذا ظلمتك ؟ قال : لقد سمتنى علياً ! ! وعلى هذا الأساس فبقاء روايات المناقب لأميرالمؤمنين(عليه السلام) فى ذلك العصر الذى يخاف المؤمن فيه من ذكر فضيلة واحدة من فضائل الإمام (عليه السلام)ويسعى العدو لطمس وتحريف الحقائق، كان أقرب ما يكون إلى المعجزة، وما أجمل مقولة الشاعر الذى يحكى عن الحالة فى ذلك الزمان :

أعلى المنابر تعلنون بسبّه ***** وبسيفه نُصبت لكم أعواده

وعندما يفكر الإنسان فى تلك الأجواء المظلمة من التاريخ الإسلامى، ومن جهة أُخرى يجد أكثر من مائة رواية تتحدث عن فضيلة من فضائل أميرالمؤمنين (عليه السلام) فى كتب أهل السنّة يخرج بهذه النتيجة، وهى أن الله تعالى أراد لهذه الفضائل والمناقب أن تبقى إلى يوم القيامة وتنتشر فى كلّ مكان ويكون الشيعة سعداء وأعزاء فى كلّ مكان ويشكرون الله تعالى على هذه النعمة العظيمة جداً.

٢ . فرائد السمطين : باب ٤٧ نقلاً عن الغدير : ج ٣، ص ٢٢٤.

www.makarem.ir

(عليه السلام)أسلم بعد يوم واحد من البعثة المباركة ولا ينافى هذا أنه كان قد عانق الإسلام بقلبه قبل ذلک.

٢ ـ ويقول سلمان الفارسى الصحابى المعروف بالنسبة إلى أوّل الناس إسلاماً :

أوّل هذه الاُمّة وروداً على نبيّها الحوض أوّلها إسلاماً علىّ بن أبى طالب[٢].

وكما سبق وأن ذكرنا أن المثوبات الاُخروية هى إنعكاس لأعمال الإنسان فى الدنيا، وبما أن الإمام على (عليه السلام) كان أوّل مسلم فى الدنيا، إذن فهو أوّل شخص يرد الحوض على النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) يوم القيامة.

٣ ـ ويعترف الخليفة الثانى عمر ابن الخطّاب بهذه الحقيقة كما يروى عبدالله بن عبّاس الصحابى المعروف وتلميذ أميرالمؤمنين (عليه السلام) ويقول :

كنت أنا ونفر من المسلمين عند عمر بن الخطّاب وتحدّثنا عن أوّل من أسلم، فنقل لنا عمر حديثاً وقال :

أمّا علىٌّ فسمعت رسول الله يقول : فيه ثلاث خصال لوددت أن تكون لى واحدة منهن، وكانت أحبّ إلىّ ممّا طلعت عليه الشمس كنت أنا وأبوعبيدة وجماعة من أصحابه إذ ضرب النبىّ (صلى الله عليه وآله) **على منكب علىٍّ فقال يا على : «اَنْتَ أَوَّلُ الْمُؤْمِنينَ إيماناً، وَأَوَّلُ الْمُسْلِمينَ إسْلاماً، وَاَنْتَ مِنّى بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسى»**.[٣]

سؤال : هل أن جملة «أوّل المسلمين إسلاماً» عبارة اُخرى عن «أوّل المؤمنين إيماناً» أو لها معنى آخر ؟

الجواب : إنّ الإيمان يتعلق بالإعتقادات القلبية والباطنية لدى الإنسان، بينما الإسلام هو إبراز هذه الإعتقادات وإظهارها على اللسان، وعليه فإنّ الإمام على (عليه السلام) كما أنه أوّل من آمن بقلبه برسول الله، فكذلک هو أوّل شخص أبرز وأظهر ذلک الإيمان على لسانه.

---

١ . يقول المقريزى فى الإمتاع ص ١٦ : «وأما على بن أبى طالب فلم يشرک بالله قط». (الغدير : ج ٣، ص ٢٣٨).

٢ . مجمع الزوائد : ج ٩، ص ١٠٢ نقلاً عن الغدير : ج ٣، ص ٢٢٧.

٣ . الغدير : ج ٣، ص ٢٢٨.

www.makarem.ir

قيمة الإيمان قبل البلوغ

سؤال : هل كان علىّ ابن أبى طالب (عليه السلام)بالغاً عندما تشرّف بدين الإسلام ؟ فلو لم يكن قد وصل سنّ البلوغ فهل يعتبر إيمانه فى هذه السنّ فضيلة ليقال أنه أوّل المسلمين إسلاماً ؟

الجواب : وفى الجواب على هذا السؤال ينبغى تقديم نقطتين :

الأُولى : إذا لم يكن الإنسان قد وصل إلى سنّ البلوغ ولكنه مع ذلک يعتبر صبيّاً ذكيّاً وعاقلاً ومميّزاً بين الخير والشر والحسن والقبيح، فبنظرنا أن إيمان مثل هذا الشخص مقبول، وليس فقط أنه مقبول على مستوى الإيمان، بل كما يقول الفقهاء أن عبادات هذا الصبى المميّز صحيحة وصلاته، صومه، حجّه وعمرته وسائر العبادات التى قد يأتى بها مراعياً لجميع الشروط والأركان صحيحة ومقبولة.

وبتعبير فقهاء الإسلام إنّ عبادات هذا الشخص شرعيّة لا تمرينية[1]، وعليه فعندما تكون عبادات الصبى غير البالغ صحيحة وشرعية فإيمانه مقبول بطريق أولى، والنتيجة هى أن إيمان الصبى المميّز قبل البلوغ مقبول.

ومضافاً إلى ذلک فنحن نعتقد أن مثل هؤلاء الصبية المراهقين مسؤولون فى مقابل الذنوب والمعاصى ولا يمكن صرف هذه المسؤولية عنهم لمجرد عدم بلوغهم سنّ التكليف وإعطاءهم الضوء الأخضر لأرتكاب الذنوب، ولهذا فلو أنّ الصبى المميّز الذى لم يبلغ سنّ التكليف كان يعلم جيّداً أن قتل إنسان برىء هو عمل قبيح فارتكب هذا العمل وقتل بريئاً فإنه يضمن ديّته وهو مسؤول أمام الله تعالى.

النتيجة هى أن الشخص غير البالغ إذا كان عاقلاً ومميّزاً فإنّ إيمانه مقبول، وعليه فإنّ البلوغ ليس شرطاً لقبول الإسلام والإيمان.

الثانية : لقد وصل بعض الأنبياء الإلهيين فى سنّ الطفولة إلى مقام النبوّة، فكيف لا يكون البلوغ شرطاً فى مقام النبوّة الذى هو أعلى كثيراً من قبول مجرد الإيمان، ولكنه

---

١ . وقد أشار السيّد اليزدى إلى هذه المسألة فى كتاب «العروة الوثقى» : ج ٢، ص ٢١٧.

www.makarem.ir

يكون شرطاً فى قبول الإسلام ؟ ونكتفى بذكر مثالين لنيل مقام النبوّة فى مرحلة الطفولة :

١ ـ النبى يحيى (عليه السلام) وصل إلى النبوّة فى سنّ الطفولة، وقد ذكر الله تعالى ذلک فى الآية ١٢ من سورة مريم وقال :

(يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّة وَآتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً).

٢ ـ النبى عيسى (عليه السلام) أيضاً وصل مرتبة النبوّة فى سنّ الطفولة كما يحدّثنا القرآن الكريم فى الآية ٣٠ من سورة مريم على لسان هذا النبى ويقول :

(قالَ اِنّى عَبْدُ اللهِ آتانِىَ الْكِتابَ وَجَعَلَنِى نَبِيّاً).

وعندما يؤكد هذا النبى الكريم على أنه عبدالله فمن أجل أن النصارى لا يتخذونه بعد ذلک إبناً لله تعالى، وعندما يقول «جعلنى» ولم يقل «يجعلنى» فإنّما ذلک لأنه نال هذه المرتبة السامية، أى مرتبة النبوّة فى مرحلة الطفولة.

وقد ورد عن بعض الأنبياء أنهم نالوا هذا المقام أيضاً فى مرتبة الطفولة[١].

والخلاصة أنه عندما لا يشترط فى النبوّة سنّ خاصّ وهى ذلک المقام الرفيع فبطريق أولى لا يشترط فى الإيمان وقبول الإسلام سنٌّ خاصّ كالبلوغ.

الثالثة : إنّ النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) كان مأموراً فى أوّل البعثة ولمدّة ثلاث سنوات أن يدعو عشيرته الأقربين ويعرض الإسلام عليهم، أى بعد أن دعاهم إلى الإسلام فى هذه السنوات الثلاث بصورة خفية وسريّة[٢] وآمن أفراد قلائل به، أُمر النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) بتبليغ الرسالة بصورة علنية، ولذلک أمر النبى عليّاً (عليه السلام) أن يهيّئ مقدمات الضيافة لقومه وأمره أن يهيّئ طعاماً مناسباً بمعونة غيره من المسلمين

١ . يقول العلاّمة المجلسى نقلاً عن أهل السنّة : إن النبى سليمان ودانيال بعثا للنبوة فى مرحلة الطفولة. (بحار الأنوار : ج ٣٨، ص ٢٣٦).

٢ . الأشخاص الذين يعترضون على الشيعة فى مسألة التقيّة ما هو تفسيرهم للدعوة السرية للنبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)ولمدّة ثلاث سنوات ؟ ألا يعد سلوک النبى فى تلک المدّة من التقية ليزداد قوّة وأنصاراً ؟ وعلى هذا الأساس فالتقية تعنى تغيير فى الأُسلوب لحفظ وتقوية رجال الدعوة ريثما تحين الفرصة المناسبة، وهذا هو الذى تقوله الشيعة وقد ورد هذا المعنى فى النصوص الدينية وسيرة النبى (صلى الله عليه وآله).

www.makarem.ir

ودعا رؤساء قومه وعشيرته إلى ذلک المجلس، فحضر الضيوف وتناولوا الطعام وبعد الإنتهاء من تناول الطعام قام النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)وعرض دينه الجديد عليهم وأخبرهم بأنه رسول من الله تعالى إليهم ثمّ قال : «أيّكم يؤازرنى على هذا الأمر ويكون أخى ووصيّى وخليفتى من بعدى» فأحجموا كلّهم ولم يستجب أحد لطلبه غير على(عليه السلام) وكرر النبى دعوته لهم ثلاثاً وفى كلّ مرّة لم يستجب له غير على (عليه السلام)فقال النبى (صلى الله عليه وآله) لهم :

«**اِنَّ هذَا اَخِى وَوَصِيّى وَخَلِيفَتى عَلَيْكُمْ فَاسْمَعُوا لَهُ وَاَطيعُوهُ**».[1]

وطبقاً لنظر ورأى من يعتقد بأن علىّ بن أبى طالب كان له من العمر عندما أسلم عشر سنوات ولهذا فإنّ إيمانه غير معتبر وليس له قيمة، فهذا يعنى أن الإمام كان له من العمر فى هذه الواقعة ثلاثة عشر سنة، فلو لم تكن قيمة لإيمان علىّ بن أبى طالب فى هذا السنّ إذن فلماذا قال فى حقّه النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)هذه العبارات الجذّابة واعتبره خليفة له ؟ !

إنّ من يشک فى هذه الفضيلة فهو فى الحقيقة يشک فى اعتبار قول النبى (صلى الله عليه وآله)وفعله، ولو قيل أن مثل هذا الكلام يكون له اعتبار فيما لو كان الإمام له من العمر ثلاثة عشر سنة، فيجب أن نقبل هذه الحقيقة وهى أن إيمان على حتّى لو كان فى سنّ العاشرة من العمر فهو ذو قيمة واعتبار.

الرابعة : ومضافاً إلى ما تقدّم لا نرى أن مسألة عدم بلوغ الإمام على (عليه السلام) فى هذه الواقعة حقيقة مسلّمة وقطعية، بل هناک اختلاف بين علماء الإسلام فى هذه المسألة، كما ذكر صاحب مستدرک الصحيحين مشيراً إلى هذا المطلب فى الأبحاث السابقة، ولابأس باستعراض بعض نظرات وآراء علماء الإسلام فى هذه المسألة :

الف : يقول ابن عبدالبر فى كتاب «الإستيعاب» المجلد ٢، الصفحة ٤٧١ :

---

١ . تاريخ الطبرى : ج ٢، ص ٦٢; تاريخ الكامل : ج ٢، ص ٤٠; مسند أحمد : ج ١، ص ١١١ نقلاً عن فروغ أبدية : ج ١، ص ٢٥٩.

www.makarem.ir

أوّل من أسلم بعد خديجة عليّ بن أبى طالب وهو ابن خمس عشر سنة أو ستّ عشر سنة[١].

ب : ويذكر صاحب كتاب «أُسد الغابة فى معرفة الصحابة» فى المجلد ۴، الصفحة ١٧ ثلاث نظريات فى هذا المجال، وطبقاً لإحدى هذه النظريات أن عمر الإمام فى ذلك الوقت كان خمسة عشر سنة.

ج : ويتعرض العلاّمة المجلسى أيضاً إلى هذه المسألة وينقل سبعة أقوال حولها[٢].

وعلى هذا الأساس فإنّ عدم بلوغ الإمام على (عليه السلام) حين تشرّفه بالإسلام لا يعتبر مسألة قطعية ومسلّمة بل هناك اختلاف فى وجهات النظر بين علماء الإسلام.

والخلاصة هى أن الروايات الكثيرة والمتواترة تشهد على أن الإمام على (عليه السلام)أوّل رجل اعتنق الإسلام وآمن بالرسول (صلى الله عليه وآله)وبذل النصرة وعلى فرض قبول عدم بلوغه فى ذلك الوقت فإن ذلك لا يقلل شيئاً من هذه الفضيلة.

أوّل المؤمنين، امتياز كبير

ولعلّ البعض يتصور بأن «أوّل المؤمنين» لا يعدُّ امتيازاً وفضيلةً لأميرالمؤمنين ولا يختلف الحال بين من سبق الناس إلى الإيمان وبين من التحق بالإسلام بعده، ولكنّ الإنصاف هو وجود تفاوت كبير وبون شاسع بينهما، ولأجل توضيح هذا المطلب نستعرض قصة «سحرة فرعون» :

يذكر القرآن الكريم أن فرعون أمر بأن يجمعوا له جميع السحرة من سائر بلاد مصر لمواجهة النبى موسى (عليه السلام)، وفى اليوم الموعود أحضرهم جميعاً وبذل لهم الوعود الكثيرة ومنها أن يكونوا من المقرّبين إلى البلاط الفرعونى (قال نعم وإنكم إذن لمن المقرّبين)[٣].

---

١ . وقد ذكر فى الإستيعاب ثمانية أقوال فى عمر الإمام على عندما تشرّف بالإسلام، والكلام المذكور أعلاه يشير إلى قولين من هذه الأقوال.

٢ . بحار الأنوار : ج ٣٨، ص ٧ و ٢٣۶.

٣ . سورة الأعراف : الآية ١١۴.

www.makarem.ir

وقد هيّأ فرعون جميع مستلزمات النصر والغلبة فى ذلک اليوم بحيث كان مطمئناً إلى انتصاره فى مواجهة موسى وهارون وحلّ ذلک اليوم، وألقى السحرة فى البداية عِصيّهم وحبالهم وسحروا أعين الناس وانقلبت هذه العصى والحبال إلى أفاعى وثعابين مخيفة.

ثمّ إنّ موسى (عليه السلام) ألقى عصاه بأمر من الله تعالى نحو سحر السحرة فانقلبت العصى إلى ثعبان عظيم وبدأ يلتقم حبالهم وعِصيّهم وحطّم بذلک سحرهم ومكيدتهم، فأدرک السحرة أن هذا الشخص ليس بساحر وأنه مؤيّد من قبل الله تعالى ولذلک سجدوا جميعاً وقالوا : (آمَنا بِرَبِّ العالَمين)[١].

وكان إيمان هؤلاء السحرة الذين جمعهم فرعون لغرض مواجهة موسى، مؤثراً بشدّة فى تقوية ودعم جبهة الحقّ ويعدّ ضربة قاصمة إلى فرعون والملأ، لأن الناس عندما شاهدوا أن السحرة أنفسهم آمنوا وصدّقوا بموسى وميّزوا بين «المعجزة» وبين «السحر» كان ذلک دافعاً ومحرّكاً لهم على الإيمان بموسى وبالرسالة السماوية، وعندما شاهد فرعون هذه الظاهرة العجيبة شرع بالحديث مع السحرة من موقع التهديد والإرعاب وقال لهم :

(لاُقَطِّعَنَّ اَيْدِيَكُمْ وَاَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاف ثُمَّ لاُصَلِّبَنَّكُمْ اَجْمَعين)[٢].

ولكنّ نور الإيمان جعل من تعذيب فرعون لهؤلاء السحرة سهلاً ويسيراً ولذلک أعلنوا استعدادهم لتقبّل كلّ أشكال التعذيب والقتل على التخلّى عن اعتقادهم وإيمانهم :

(اِنّا نَطْمَعُ اَنْ نَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا اَنْ كُنّا اَوَّلَ الْمُؤْمِنين)[٣].

ويستفاد من هذه الآيات الشريفة أن «أوّل المؤمنين» يعدّ امتيازاً كبيراً للإنسان بحيث إنه يعتبر كفّارة لجميع الذنوب السابقة، والعلّة فى ذلک واضحة، لأنه ليس كلُّ شخص مستعداً لأن يكون أوّل المؤمنين ويتقبّل الأخطار والأضرار وجميع التبعات

١ . سورة الأعراف : الآية ١٢١.

٢ . سورة الأعراف : الآية ١٢٤.

٣ . سورة الشعراء : الآية ٥١.

www.makarem.ir

والتحدّيات التى يفرضها الواقع المخالف عليه، ولذلک فإنّ ثواب «أوّل المؤمنين» يمتاز عن سائر أشكال المثوبات الاُخرى.

الإمام على (عليه السلام) كان أوّل المؤمنين بين المسلمين جميعاً ولذلک يعدُّ امتيازاً خاصّاً وفضيلة مهمّة له حيث يعبر ذلک عن شجاعته وشهامته عندما لبّى نداء النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)وشخّص الحقّ من الباطل وأن هذه الدعوة هى دعوة إلهيّة، ولذلک لم يتردد لحظة فى الإستجابة لدعوة النبى وحظى بمنزلة «أوّل المؤمنين إيماناً».

الإنسان الشيعى ينبغى عليه أن يتحلّى بهذه الخصلة والفضيلة أيضاً وعندما تشيع الفحشاء وتسود المفاسد فى المجتمع عليه أن يكون أوّل من يتقدّم لكسر حاجز الصمت والتصدّى لهذه المفاسد والقبائح على المستوى الفكرى والأخلاقى ويكون أوّل الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وعلى الإخوان الأعزاء الذين يشتركون فى مجالس الفرح والسرور فيما لو شاهدوا أن المجلس قد تلوّث بالذنوب والمعاصى ولا أحد من الحاضرين

يتصدّى للنهى عنها فلا ينبغى أن يكون حاله كحال بقية الناس، ففى ذلک تكمن الفضيحة والمشاركة فى الإثم، بل يجب عليه ترک هذا المجلس وأن يتقبّل جميع أشكال اللوم والذمّ من الحاضرين من طيب خاطر وفى سبيل الله.

إنّ الشيعى الصادق لأميرالمؤمنين (عليه السلام) لا ينبغى له أن يخاف ويستوحش من الوحدة فى مسير الحقّ وفى حركته فى خطّ الإمام على، لأنه (عليه السلام) يقول :

«لا تَسْتَوْحِشُوا فِى طَرِيقِ الْهُدى لِقِلَّة اَهْلِهِ»[1].

والخلاصة أن مقام «أوّل المؤمنين» يحتاج إلى شجاعة أكثر ومعرفة أوسع وقدرة نفسيّة على تحطيم القيود والتقاليد السائدة فى المجتمع المتخلّف وهذه اُمور قد اجتمعت فى الإمام على(عليه السلام).

إنّ سحرة فرعون بإيمانهم بالنبى موسى ونيلهم لمرتبة أوّل المؤمنين به فإنهم ليس فقط تخلّصوا من أجواء الظلم والكفر والشرک بل أصبحوا فى صفّ الشهداء، أجل فإنهم

١ . نهج البلاغة : الخطبة ٢٠١.

www.makarem.ir

فى صباح ذلک اليوم كانوا فى صفّ الفراعنة وأنصار فرعون وفى تلک الليلة أمسوا فى صفّ الشهداء[١] لأن فرعون جسّد تهديده بقتلهم وصلبهم فكان أن استشهدوا جميعاً فى تلک الليلة.

ومن الجدير بالذكر أن إيمان الأشخاص فى المراحل البعدية يعدّ ثمرة لإيمان الأوائل، ولهذا فإنّ القسم الأعظم من أصحاب وأتباع النبى موسى قد أمنوا به بسبب إيمان وشهادة هؤلاء السحرة، وهذه إحدى الآثار الكثيرة لدماء الشهداء.

□□

توصية الآية

معرفة الفضائل مقدّمة للعمل !

عندما نتحدّث عن فضائل الإمام على (عليه السلام) أو سائر أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) فلا ينبغى أن نكتفى بمجرد الكلام والإستماع، بل يجب بعد معرفة هذه الفضائل أن نتحرّک على مستوى الممارسة والعمل لتجسيد هذه الفضائل والمناقب فى حياتنا وأفعالنا وأقوالنا، وتأسيساً على هذا فإذا رأينا أن الآيات الكريمة تتحدّث عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) من موقع المدح والثناء وأنه «صادق ومصدق» فلابدّ أن يكون الشيعى كذلک أيضاً فى تأييد كلام الحقّ والصدق وأن يبعد عن نفسه المؤثرات العاطفيّة والمزاجيّة، واللطيف أن المؤمن إذا سمع كلام الحقّ حتّى من الشيطان نفسه فعليه أن يستمع له ويصدّق بكلام الحقّ كما أمر الله تعالى نبيه نوح بأن يستمع لكلام الشيطان عندما نصحه حتّى لو كانت النصيحة من الشيطان نفسه[٢].

وهنا نلفت نظر المؤمنين الصادقين والمصدّقين إلى حديثين شريفين فى هذا المجال :

١ ـ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

---

١ . يقول العلاّمة الطبرسى فى مجمع البيان ج ٣، ص ۴۶۴ : «كانوا أوّل النهار كفّاراً سحرة، وآخر النهار شهداء بررة».

٢ . نصائح الشيطان للنبى نوح مذكورة فى كتاب «الشيطان عدو الإنسان» ص ۶۷، وكتاب «مواعظ الأنبياء» ص ۴۲ فصاعداً.

www.makarem.ir

لا تَنْظُرُوا اِلى كَثْرَةِ صَلاتِهِمْ وَصَوْمِهِمْ وَكَثْرَةِ الْحَجِّ وَالْمَعْرُوفِ وَطَنْطَنَتِهِمْ بِاللَّيْلِ، وَلكِنِ انْظُرُوا إلى صِدْقِ الْحَديثِ وَأَداءِ الأَمانَةِ.[1]

والخلاصة هى أنه طبقاً لهذا الحديث النبوى الشريف أن الملاک والمعيار فى تقييم الإنسان هو صدقه وأمانته.

٢ ـ قال الإمام على (عليه السلام) :

اَلاْيمانُ اَنْ تُؤْثِرَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّکَ عَلَى الْكِذْبِ حَيْثُ يَنْفَعُکَ.[2]

فطبقاً لهذا الحديث الشريف فإنّ مقتضى الإيمان هو ملازمة الصدق والحقّ وأن المؤمن لا يمكن أن يكون كاذباً.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المتحلّين بالإيمان والسائرين على خطى أميرالمؤمنين (عليه السلام)وأن نقتبس من فضائله ومناقبه وخاصّة فضيلة الصدق والتصديق بالحقّ والحقيقة.

□□

١ . ميزان الحكمة : ج ٥، ص ٢٨٨، الباب ٢١٩٢، ح ١٠٩٥.

٢ . نهج البلاغة : الكلمات القصار، الرقم ٤٥٨.

www.makarem.ir

آية المحبّة

٩

«سورة مريم / الآية ٩٦»

أبعاد البحث

هذه الآية الشريفة وبشهادة كتب أهل السنّة ومصادرهم نزلت فى شأن الإمام على (عليه السلام)حيث تذكر الروايات الشريفة أن الإمام على (عليه السلام) هو المصداق الأكمل والأتم لهذه الآية الشريفة، وقد ذكرت لهذه الآية بحوث متنوّعة منها : ارتباط الإيمان والعمل الصالح بالمحبّة فى القلوب، وكذلک آراء ونظريات علماء أهل السنّة فى شأن نزول هذه الآية، ومباحث أُخرى أيضاً من هذا القبيل سيأتى تفصيلها لاحقاً.

التوغّل والنفوذ فى القلوب أهم رأس مال القادة

إنّ أهم رأس مال للقادة السياسيين والإجتماعيين فى مختلف المجتمعات البشرية هو ما يتمتعون به من محبّة فى قلوب الناس، بحيث إنّ المشاريع والاطروحات الإجتماعية المهمّة لا تتحقق بدون وجود هذه العاطفة والإنجذاب نحو القائد فى عرصات المجتمع وعلى مستوى الجمهور.

www.makarem.ir

ولهذا فإنّ مشاركة الناس فى الأُمور الإجتماعية والسياسية والثقافية وحتّى العسكرية يعدّ أمراً ضرورياً جدّاً فى عملية الإصلاح الإجتماعى أو نجاح الحكومة، ومن أجل تحصيل هذه الغاية فلابدّ من النفوذ إلى قلوب الناس وجذب مودّتهم وكسب حبّهم، وعندما نرى أن النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) قد نجح فى مدّة قصيرة أن ينشر دعوته السماوية إلى شرق العالم وغربه ويوحّد قلوب المسلمين ويزيل عنهم الأحقاد والتعصّبات القديمة ويشكّل جيشاً موحّداً وقويّاً استطاع بواسطته أن يوصل دعوته الإلهية إلى شتّى بقاع المعمورة فإنّ ذلک كان بسبب أخلاقه السامية ونفوذه العجيب فى قلوب الناس من المسلمين وغير المسلمين كما يحدّثنا القرآن الكريم عن هذه الحقيقة ويقول :

(فَبِمَا رَحْمَة مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِکَ).[1]

وهكذا بالنسبة إلى النبى إبراهيم (عليه السلام) عندما هاجر بأمر من الله تعالى إلى مكّة وأسكن زوجته وطفله الرضيع فى أرض قاحلة لا ماء فيها ولا غذاء ومن دون زاد ومتاع إلى جانب بيت الله الحرام، رفع يديه للدعاء وقال :

(رَبَّنا اِنّى اَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِيَّتِى بِواد غَيْرَ ذِى زَرْع عِنْدَ بَيْتِکَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ اَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوى اِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ).[2]

فكان إبراهيم (عليه السلام) يعلم أن النفوذ إلى القلوب هو أعظم رأس مال للإنسان ولهذا طلب من الله تعالى أن يجعل محبّة أهل بيته فى قلوب الناس.

الإمام الخمينى (رحمه الله) بدوره لم يكن لديه منذ بداية الثورة ولآخر يوم من أيامها سلاحاً مهمّاً من الأسلحة المتعارفة ليواجه بها أعوان الشاه وجيشه المسلّح، ولكنه كان يمتلک سلاحاً أقوى فاعليّة وأمضى قوّة من جميع الأسلحة المتطورة لطاغوت زمانه، وهو المحبّة فى قلوب الناس وتعاطف الجماهير مع دعوته الإلهية، والخلاصة أن عنصر النفوذ فى القلب يعدّ أهم رأس مال للقادة والمصلحين فى سائر المجتمعات البشرية.

---

١ . سورة آل عمران : الآية ١٥٩.

٢ . سورة إبراهيم : الآية ٣٧.

www.makarem.ir

الشرح والتفسير

إرتباط الإيمان والعمل الصالح بمسألة النفوذ فى القلوب

(اِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدّاً).

فى هذه الآية الشريفة نرى ارتباطاً بين الإيمان والعمل الصالح من جهة والنفوذ إلى قلوب الناس من جهة أُخرى، حيث يقرر الله تعالى فى هذه الآية الشريفة المحبّة فى قلوب الناس نتيجة الإيمان والعمل الصالح، ومعنى هذه العبارة هى أنه من الممكن أن يتسلط الإنسان بقوّة السلاح والسيف على الناس بأجسادهم وأبدانهم، ولكنه لا يستطيع إطلاقاً أن يتسلط على قلوبهم وأرواحهم ويفتح طريقاً إلى أعماق وجدانهم بالقوّة والقهر.

سؤال : إذن ما هى حقيقة العلاقة بين الإيمان والعمل الصالح من جهة وبين النفوذ إلى قلوب الناس والمقبولية العامة فى أوساط المجتمع من جهة أُخرى ؟ هل يمكننا أيضاً تحصيل هذه النعمة الكبيرة من خلال الإيمان والعمل الصالح ؟

الجواب : بالإمكان تصوير هذه العلاقة الثنائية على نحوين :

الأوّل : أن يكون هذا الإرتباط المعنوى والإلهى وفقاً لحكمة الله تعالى التكوينية كما هو الحال فى المحبّة التى جعلها الله تعالى لموسى (عليه السلام) فى قلب فرعون وزوجته فى حال طفولة موسى، حيث إن فرعون أمر بأن يقتل جميع الأطفال الذكور من بنى إسرائيل فى مصر بهدف القضاء على العدو المحتمل، ولكن الله تعالى قد قذف فى قلبه حبّ موسى وجعله يربّى موسى فى بيته وقصره، ومن هنا أراد الله تعالى أن يظهر قدرته الفائقة لفرعون والفراعنة بأنهم لا يمكنهم التصدّى لإرادة الله ومشيئته ولا يمكن لأى قدرة أن تقف مانعاً وحائلاً دون إرادة الله فيما لو تعلقت بشىء من الأشياء، فمثل هذه العلاقة العاطفية والمحبّة القلبية لا تكون اكتسابية بل هى موهبة من الله تعالى.

الثانى : العلائق العاطفية العاديّة القابلة للتحليل المنطقى، فإنّ العمل الحسن والصالح يتمتع بجاذبيّة وحتّى الأشخاص المنحرفين والفاسدين ينجذبون نحو حسن الأعمال وجمالها الأخلاقى.

www.makarem.ir

مثلاً «الأمانة» تعتبر من الأعمال الصالحة، والإنسان الأمين يعدّ إنساناً صالحاً ومورد قبول الناس وحبّهم واحترامهم، فحتّى اللصوص وقطّاع الطرق يحبّون من يتمتع بهذه الفضيلة ويعتمدون عليه على مستوى الإرتباط الإجتماعى وقد يضعون أموالهم المسروقة أمانة ووديعة عنده، وعليه فإنّ العمل الصالح وكذلک الإيمان لهما جاذبية لقلوب الناس، والثمرة المترتبة على ذلک هى النفوذ إلى قلوب الناس، والشخص الذى يرغب فى أن تكون له مكانة ومحبّة فى قلوب الناس يكفى أن يكون إنساناً مؤمناً صالحاً، فإذا أدرک الناس ذلک منه فإنّ قلوبهم ستتجه نحوه ولا حاجة إلى عمل خاص فى هذا السبيل.

الطهارة والعفّة هى الأُخرى أحد الأعمال الصالحة ذات القيمة الأخلاقية العالية، وهذه الفضيلة إلى درجة من الأهمّية بحيث إنّ الأشخاص الذين يعيشون التلوّث فى الخطيئة يعشقونها فعندما يريدون الزواج وتشكيل أُسرة يتوجهون إلى العوائل الشريفة ويخطبون النساء العفيفات ويجتنبون الزواج من الملوّثات، والملفت للنظر أن الإمام على (عليه السلام) وهو مورد البحث فى هذه الآية قد وصل فى معراجه المعنوى وتكامله الإنسانى إلى أعلى درجة من حيث الإيمان والعمل الصالح من جهة ونفوذه فى قلوب الناس من جهة أُخرى.

شأن نزول آية المحبّة

بالرغم من أن مفهوم الآية الشريفة مورد البحث عام وشامل لكلِّ مؤمن يعمل الأعمال الصالحة حيث ينتج هذا الإيمان والعمل الصالح المحبّة فى قلوب الناس، ولكن بلا شک أن المصداق الأكمل والأدق لهذه الآية الشريفة هو أميرالمؤمنين (عليه السلام)، كما ورد التصريح بذلک فى كتب أهل السنّة المختلفة رغم سعى البعض لإنكار هذه الحقيقة الواضحة.

www.makarem.ir

ويقول العلاّمة الحلّى فى كتاب «احقاق الحقّ»[١] فى شأن نزول الآية المذكورة أنها نزلت فى حقّ على بن أبى طالب (عليه السلام)، ولكن القاضى روزبهان من علماء أهل السنّة يردّ على كلام العلاّمة هذا ويقول :

ليس هذه الرواية فى تفسير أهل السنّة، وإن صحت دلّت على وجوب محبّته وهو واجب بالاتّفاق[٢].

والملفت للنظر أن المحققين من الشيعة ذكروا فى هامش الكتاب المذكور «احقاق الحقّ» نقلاً عن ١٧ كتاب من كتب أهل السنّة أن روايات تتعلق بالإمام على (عليه السلام) فى هذا المورد، من بين هذه الكتب ستة منها من كتب التفسير، فكيف يبرر مثل هذا التناقض فى كلمات علماء أهل السنّة ؟ هل أن القاضى روزبهان لم يقرأ هذه الكتب، أو أنه قرأها ولكن حجاب التعصّب والعناد منعه من قبول هذه الروايات ؟

وعلى أيّة حال فالكتب المذكورة هى ما يلى :

١ ـ تفسير الثعلبى[٣].

٢ ـ تفسير الكشّاف لمؤلفه الزمخشرى المفسّر المعروف لدى أهل السنّة[٤].

٣ ـ تفسير العلاّمة النيشابورى والذى ورد فى هامش تفسير الطبرى[٥].

٤ ـ السيوطى فى الدرّ المنثور[٦].

٥ ـ العلاّمة الشوكانى فى تفسيره[٧].

---

١ . يعتبر كتاب «إحقاق الحقّ» من الكتب القيّمة والمهمّة جداً لدى الشيعة، ويحتوى على أربعة أقسام، ومؤلفه العلاّمة الحلّى، وقد كتب القاضى روزبهان من علماء أهل السنّة رداً على هذا الكتاب ثمّ ادرجه ضمن الكتاب، ثمّ إن القاضى نورالله التسترى كتب رداً على ما ذكره القاضى روزبهان وأيّد العلاّمة الحلّى وتم ادراج ردّه أيضاً ضمن الكتاب، وأخيراً قام آية الله العظمى المرعشى النجفى وبمساعدة بعض الفضلاء من أصحابه بإضافة هوامش مفيدة على هذا الكتاب وتم طبعه ونشره بصورة نهائية.

٢ . احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٨٧ .

٣ . تفسير الثعلبى : ص ١٥١ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٨٢ .

٤ . الكشّاف : ج ٢، ص ٤٢٥ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٨٣ .

٥ . تفسير الطبرى : ج ١٦، ص ٧٤ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٨٤ .

٦ . الدرّ المنثور : ج ٤، ص ٤٨٧ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٨٥ .

٧ . تفسير الشوكانى : ج ٣، ص ٣٤٢ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٨٦ .

www.makarem.ir

٦ ـ الآلوسى فى روح المعانى[١].

ونكتفى فى ذكر روايتين من هذه الكتب المذكورة :

الف : ما أورده «روح المعانى» أن البراء بن عازب الصحابى المعروف قال :

قالَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) **لِعَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ تَعالى وَجْهَهُ : «قُلِ اللّهُمَّ اجْعَلْ لِى عِنْدَکَ عَهْداً وَاجْعَلْ لِى فِى صُدُورِ الْمُؤْمِنينَ وُدّاً» فَاَنْزَلَ اللهُ سُبْحانَهُ هذِهِ الاْيَةَ.**

وَكانَ مُحَمَّدُ بْنُ الحنفيّة (رضى الله عنه) **يَقُولُ : لا تَجِدُ مُؤْمِناً اِلاّ وَهُوَ يُحِبُّ عَلِيّاً كَرَّمَ اللهُ تَعالى وَجْهَهُ وَاَهْلَ بَيْتِهِ**[٢].

سؤال : ما هو المراد من العهد المذكور فى هذه الرواية ؟

الجواب : يحتمل أن يكون هذا العهد هو ما ورد فى آية سابقة قبل هذه الآية محل البحث، أى الآية ٨٧ من سورة مريم حيث ورد فيها :

(لا يَمْلكُونَ الشَّفاعَةَ اِلاّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً).

وعليه فالمراد من العهد هو الشفاعة، فالنبى الأكرم يقول للإمام على (عليه السلام) : أُطلب من الله تعالى أن تنال مقام الشفاعة وأن يجعل محبّتک فى قلوب المؤمنين وهى المحبّة التى وردت فى دعاء إبراهيم الخليل واستمرت إلى زمان نبى الإسلام (صلى الله عليه وآله) وستبقى إلى يوم القيامة.

ب : ويذكر العلاّمة الشوكانى نقلاً عن الطبرانى عن ابن عبّاس إنه قال :

نَزَلَتْ فِى عَلِيِّ بْنِ اَبى طَالِب (اِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحات...) **قالَ مَحَبَّةً فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنينَ**[٣].

وعلى أيّة حال فقد رأينا أن هذه الآية الشريفة تقرر وجود رابطة وثيقة بين الإيمان والعمل الصالح من جهة والمحبّة فى قلوب الناس من جهة أُخرى، وطبقاً للروايات الواردة فإنّ المصداق الأكمل لها هو أميرالمؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام).

---

١ . روح المعانى : ج ١٦، ص ١٣٠ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٨٦ .

٢ . احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٨٦ .

٣ . نفس المصدر السابق.

www.makarem.ir

التفاسير الأُخرى للآية مورد البحث

ومضافاً إلى التفسير المتقدم فهناک تفاسير أُخرى للآية المذكورة ومنها :

الف) إن المراد من الآية الشريفة ليس هو أن المحبّة توجد فى قلوب المسلمين والمؤمنين جميعاً اتجاه فرد معيّن أو أفراد بالخصوص، بل المراد أن الإيمان والعمل الصالح يورثان المحبّة فى قلوب جميع المؤمنين بالنسبة إلى بعضهم البعض، وبعبارة أُخرى إنّ المحبّة فى قلوب المؤمنين متوجهه لجميع المؤمنين لا إلى فرد بالخصوص.

ب) إنّ هذه الآية الشريفة تشير إلى يوم القيامة فإنّ الله تعالى فى ذلک اليوم يجعل المحبّة فى قلوب المؤمنين بحيث يحبُّ بعضهم بعضاً، وعليه فهذه الآية لا تتعلق بما نحن فيه.

ج) إنّ المراد من الآية الشريفة هو الإمام على (عليه السلام) فقط ولا تشمل أى مؤمن آخر، وما ورد فى العبارة من صيغة الجمع لا يثير مشكلة، لأن صيغة الجمع تأتى أحياناً لغرض الإحترام[١].

ولكن الانصاف أن جميع التفاسير هذه غير متنافية فيما بينها وبالإمكان الجمع فيما بينها فى المفهوم من الآية الشريفة والتى تستوعب جميع المؤمنين الذين يعملون الصالحات رغم أن المصداق الأكمل والأتم هو أميرالمؤمنين (عليه السلام)، كما هو الحال فى اختلاف الأنوار شدة وضعفاً من قبيل : نور الشمعة، المصباح، القمر، الشمس، ولكن بلا شكّ أن نور الشمس هو المصداق الأكمل والأتم لمفهوم النور.

توصية الآية الشريفة

الشيعة بمثابة السراج المنير

تقدّم أن قلنا أكثر من مرّة إنه ينبغى على الشيعة وأتباع أميرالمؤمنين (عليه السلام) السعى لمعرفة فضائل ومناقب الإمام على وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام) ولكن بلا

١ . الإحتمالات الثلاثة واحتمالات أُخرى مذكورة فى مجمع البيان : ج ٣، ص ٥٣٢ ـ ٥٣٣.

www.makarem.ir

شک لا ينبغى الإكتفاء بهذا المقدار بل يجب التحرّک بعد معرفة هذه الفضائل فى خطّ العمل بها وتجسيدها على مستوى الواقع النفسى والإجتماعى والسعى فى طريق النجاة والفلاح وإرشاد الناس إلى هذا الطريق أيضاً، يجب على شيعة الإمام على (عليه السلام) أن يكونوا قدوة وأُسوة فى الإيمان والعمل الصالح لكى يهتدى الناس بنور إيمانهم إلى خطّ الصلاح والتقوى والإنفتاح على الله، وهذا المعنى هو الذى يبعث المحبّة لهم فى قلوب الآخرين وبالتالى يستوجب رضا أهل البيت (عليهم السلام) عنهم وسرورهم بمثل هؤلاء الأتباع، لا أن يتحرک الشيعة بشكل يبعث على خجل هؤلاء الأولياء من أعمالهم[١].

مباحث أُخرى

١ ـ نفوذ المحبّة فى قلوب الجميع

إنّ ظاهر الآية الشريفة هى أن الإيمان والعمل الصالح لا يستوجبان فقط نفوذ المحبّة فى قلوب المؤمنين بالنسبة إلى ذلک الشخص بل إنّ شعلة هذه المحبّة تسرى إلى قلوب غير المؤمنين وتعمل على تسخيرها ولهذا فإنّ أعداء الإمام على (عليه السلام) أيضاً يشعرون بالمحبّة له رغم أن أهواءهم النفسانية لا تسمح لهم بإظهار هذا الحبّ ولكن قد يفلت من كلماتهم هذا الأمر.

وهذا ما ورد فى كتب التاريخ مراراً من أن معاوية كان يسأل من بعض شيعة الإمام على(عليه السلام) عند ملاقاتهم به عن حالات أميرالمؤمنين وأفعاله، وبعد أن يستمع لما يذكرونه من ثناء ومدح لأميرالمؤمنين يؤيدهم فى ذلک[٢].

وأما عمرو بن العاص وهو الرجل الثانى من قادة العصيان والتمرد والإنحراف والذى يعدّ الشريک الأوّل لجرائم معاوية بل إنّ معاوية كان يأتى بالدرجة الثانية فى المكر

---

١ . وقد ورد هذا المعنى فى الروايات الشريفة أيضاً، ومن ذلک ما روى عن الإمام الصادق (عليه السلام)قال : «كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً» (بحار الأنوار : ج ٦٨، ص ٢٨۶) ومثله ما ورد عن الإمام الرضا والإمام الحسن العسكرى(عليهما السلام). (بحار الأنوار : ج ٧٥، ص ٣۴٨ و ٣٧٢).

٢ . وقد أوردنا نماذج من هذه المحاورات فى كتاب «١١٠ قصة من حياة الإمام على» الفصل الخامس.

www.makarem.ir

والحيلة والإفساد بعد عمرو بن العاص، هذا الشخص يقول فى قصيدته المعروفة باسم «الجلجليّة»[١]

يعترف فيها بالجرائم التى ارتكبت فى زمن معاوية وكذلک فى فضائل الإمام على (عليه السلام)ويقول :

مُعاوِيَةُ الْحالَ لا تَجْهَل * وَعَنْ سُبُلِ الْحَقِ لا تَعْدِل**
وَكِدْتُ لَهُمْ اَنْ اَقامُوا الرُّماحَ * عَلَيْهَا الْمَصاحِفَ فِى الْقَسْطَل**
نَسيتَ مُحاوَرَةَ الأشعَرى * وَنَحْنُ عَلى دُومَةِ الْجَنْدَل ؟**
خَلَعْتُ الْخِلافَةَ مِنْ حَيْدَر * كَخَلْعِ النَّعالِ مِنْ الأرْجُل**
وألبستها فيک بعد الأياس * كلبس الخواتيم بالأنمل**
وكم قد سمعنا من الْمُصْطَفى * وَصَايَا مُخَصَّصَةً فِى عَلِيٍّ ؟**
وَفِى يَوْمِ خُمٍّ رَقى مِنْبراً * يُبَلّغُ والرَّكْبُ لَمْ يَرْجُل**
وَفِى كَفِّهِ كَفِّهِ مُعْلِناً * يُنادِى بِاَمْرِ الْعَزيزِ الْعَلِىّ**
وَقالَ فَمَنْ كُنْتُ مَوْلىً لَهُ * فَهذا لَهُ الْيَوْمَ نِعْمَ الْوَلِىّ**
وَاِنّا وَما كَانَ مِنْ فِعْلِنا * لَفِى النّارِ فِى الدَّرْکِ الأسْفَلِ**[٢]

٢ ـ مفهوم العمل الصالح فى القرآن

إنّ العمل الصالح فى نظر الإسلام فى دائرة المفاهيم القرآنية أمر مهم جدّاً بحيث إنّ سبعين آية من آيات القرآن الكريم بحثت هذا المعنى والمفهوم، والعمل الصالح له مفهوم

١ . إن السبب الذى دفع عمرو بن العاص إلى إنشاد هذه القصيدة أن معاوية عندما ولاّه على مصر كان المفروض أن يرسل بعض خراجها إلى الحكومة المركزية فى الشام كما هو السائد فى الإمارات فى ذلک الزمان، إلاّ أن عمرو بن العاص أبى ذلک، فأرسل إليه معاوية كتاباً يوبّخه فيه فاضطر عمرو إلى إرسال بعض خراج مصر إلى معاوية، ولكنه لما رأى أن معاوية قد نسى خدماته الجليلة له وإنقاذه لحكومة الشام فى ظروف صعبة ومواقف حرجة، كتب إلى معاوية هذه القصيدة، وعندما قرأها معاوية فكأنه ندم على ما صدر منه تجاه عمرو بن العاص وأمر بأن يترک لحاله ولا يؤخذ من خراج مصر شيئاً.

٢ . الغدير : ج ٢، ص ١١٤.

www.makarem.ir

واسع وشامل لكلِّ عمل يصبُّ فى دائرة رضا الله تعالى، وقد ورد فى الحديث النبوى الشريف ما يوضح سعة دائرة هذا المفهوم للعمل الصالح :

اَلاْيمانُ بِضْعَةٌ وَسَبْعُونَ (سِتُّونَ خ ل) شُعْبَةً أَعْلاها شَهادَةُ اَنْ لا اِلهَ اِلاَّ اللهُ واَدْناها اِماطَةُ الاْذى عَنِ الطَّريقِ[1].

هذه الرواية الشريفة مضافاً إلى أنها تشير إلى سعة دائرة العمل الصالح فإنها تقرر هذه الحقيقة وهى أن الإسلام يهتم بأدنى وأصغر مسائل الحياة الفردية والإجتماعية للمسلمين ويوصى المسلمين بالإهتمام حتّى بالاُمور الجزئية.

□□

١ . عوالى اللئالى : ج١، ص٤٣١ والرواية المذكورة وردت فى صحيح مسلم مع اختلاف يسير، فى كتاب الإيمان، الباب ١٢، ح ٥٨، وهو : «الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستّون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلاّ الله وأدناها إماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان» وقد وردت الرواية هذه فى مسند أحمد : ج ٢، ص ٣٧٩ أيضاً مع اختلاف يسير.

www.makarem.ir

آية السابقون

١٠

«سورة الواقعة / الآيات ١٠ ـ ١٢»

أبعاد البحث

هذه الآيات الشريفة تستعرض فضيلة أُخرى من فضائل الإمام أميرالمؤمنين(عليه السلام) أيضاً والتى اعترف بها علماء السنّة بصورة واسعة، فنقرأ فى هذه الآيات الشريفة التى تتحدّث عن طوائف ثلاث من الناس يوم القيامة، تعليمات راقية ومطالب مهمة تتعلق بمسيرة الإنسان فى حركة الحياة الدنيوية، وسيأتى تفصيل البحث لاحقاً.

مضمون سورة الواقعة

إنّ سورة الواقعة كسائر سور القرآن الكريم تتضمن مفاهيم عميقة ومواضيع مثيرة للغاية، والأصل والمحور فى مواضيع آيات هذه السورة المباركة هو الحديث عن المعاد والحياة الأُخروية، فالآيات الأُولى من هذه السورة تستعرض علائم وآثار يوم القيامة حيث يبدأ هذا اليوم بانقلاب كبير فى عالم الوجود كما هو الحال فى الإنقلاب والإنفجار الذى حدث فى بداية ظهور الأرض والمجرّات والسماوات، وعليه فإنّ الدنيا بدأت

www.makarem.ir

بإنفجار مهيب وستنتهى أيضاً كذلک، فعندما تقوم القيامة تهتزّ الأرض بشدّة وتتحطم الجبال العظيمة

وتتلاشى فى الفضاء نتيجة اصطدامها فيما بينها فى الفضاء بحيث تتحول إلى غبار منثور، وبعد ذلک يقوم الله تعالى بخلق عالم الآخرة على خرائب وأطلال عالم الدنيا ويخلق أرضاً وسماءاً جديدة، وفى ذلک اليوم تدبُّ الحياة فى الأموات ويبعثون من قبورهم مرّة ثانية ويكونون على ثلاث طوائف :

١ ـ «**أصحاب الميمنة**» وهم السعداء والمفلحون فى ذلک اليوم.

٢ ـ «**أصحاب المشئمة**»[١] وهم الأشخاص الذين يواجهون الشقاء والمصير السيىء وتقدّم إليهم صحيفة أعمالهم بيدهم الشمال.

٣ ـ (السّابِقُونَ السّابِقُونَ) وهذه الطائفة من الناس هم أسعد حظاً من الطائفة الاُولى وهم الذين ينالون وسام مقام القرب من الله تعالى بحيث لا يدانيهم فى هذا المقام والمنزلة أحد من المؤمنين.

وبهذا التقسيم القرآنى لطوائف الناس فى ذلک اليوم تشرع الآيات الكريمة باستعراض أنواع المثوبات والعقوبات المقرّرة لأفراد هذه الطوائف الثلاث، المثوبات التى تثير الوجد والفرح فى قلوب المؤمنين، والعقوبات الرهيبة التى تثير الفزع والخوف لدى كلّ إنسان.

وتتحدّث الآيات ١١ إلى ٢٦ عن المثوبات المقرّرة للسابقين والمقرّبين، وهى المثوبات غير القابلة للتصور أحياناً، وتتحدّث الآيات ٢٧ إلى ٤٠ عن مثوبات أصحاب

---

١ . «الميمنة» و«المشئمة» يمكن تفسيرهما بمعنيين :

أحدهما : أن يكون المراد منهما هو اليُمن والبركة فى الاُولى، والشؤم والشر فى الثانية، والآخر أن يكون المراد هو اليد اليمنى واليسرى، حيث استخرج منهما هاتان الكلمتان للدلالة على أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ولكن يمكن القول بأن المعنى الأوّل أقرب إلى أجواء الآيات من خلال التقابل الموجود بينهما فى سياق الآيات، وكذلک يمكن القول بالثانى بلحاظ ما يرد فى هذه الآيات من إعطاء كتاب الأعمال للصالحين بأيديهم اليمنى، وإعطاء كتاب الأعمال للمجرمين بأيديهم الشمال.

www.makarem.ir

اليمين، ومن الآية ٤١ فما بعد يتحدّث القرآن الكريم عن عقوبات أصحاب الشمال بصورة مفصلة.

الشرح والتفسير

من هم السابقون ؟

(وَالسّابِقُونَ السّابِقُونَ * أُولئِکَ المُقَرَّبُونَ) وهم الذين ينبغى أن يكونوا أُسوة وقدوة لجميع أفراد البشر فى حركتهم المعنوية وسيرهم التكاملى فى خطّ الإيمان والرسالة.

سؤال : من هم هؤلاء السابقون الذين ينالون مقام القرب من الله تعالى ؟

الجواب : لقد ذكرت تفاسير مختلفة للمقصود من هذه العبارة :

١ ـ السابقون فى الإيمان.

٢ ـ السابقون فى الجهاد.

٣ ـ السابقون فى العبادة والصلاة اليومية.

٤ ـ السابقون فى التوبة.

٥ ـ السابقون فى طاعة الله.

٦ ـ السابقون فى دخول الجنّة.

٧ ـ السابقون فى الهجرة.

٨ ـ السابقون فى أعمال الخير.

وهناک تفاسير أُخرى أيضاً[١].

ولكننا نرى عدم وجود منافاة بين هذه التفاسير المذكورة للآية الشريفة، وعليه فلا ينبغى أن نقيّد الآية بأحد الموارد المذكورة بل نرى أن المفهوم منها يستوعب جميع ما ورد لها من هذه التفاسير، وعلى أيّة حال فالسابقون يتّسمون بفضائل جمّة ويختصّون بخصائص مهمّة ترتفع بهم فى عالم الملكوت، وأسمى مقام لهم هو مقام القرب الإلهى،

---

١ . هذه الإحتمالات وردت أيضاً فى التفسير الامثل ذيل الآية مورد البحث، وتفسير التبيان : ج ٩، ص ٤٩٠، ومجمع البيان : ج ٥، ص ٢١٥.

www.makarem.ir

وبلاشک أن اللذّة التی یعیشها هؤلاء السابقین فی هذا المقام العظیم ترتفع عن کلِّ لذّة اُخری.

(فِی جَنّاتِ النَّعیمِ) وهذا التعبیر بصیغة الجمع یشمل کافة النِعم المادیة والمعنویة فی الجنّة، وقد یشیر أیضاً إلی أن بساتین الجنّة هی محل النعیم الحقیقی لا غیر خلافاً لبساتین الدنیا التی قد تکون سبباً للتعب والشقاء، وهکذا بالنسبة إلی حال المقرّبین وتفاوت مقامهم فی الآخرة بالنسبة إلی الدنیا لأنّ مقامهم الدنیوی کان مقترناً مع تحمل المسؤولیات والأتعاب والمشاکل فی حین أن مقامهم الاُخروی هو التنعم الخالص بالمواهب الإلهیة فی الجنّة.

فهل تلیق هذه المواهب والمثوبات الإلهیة لغیر السابقین ؟

نسألک اللّهمّ بلطفک وکرمک أن تحشرنا مع هذه الطائفة وتجعلنا من المقرّبین عندک.

الإمام علی (علیه السلام) **المصداق الأتم والأکمل للسابقین**

کما تقدّم آنفاً فإنّ مفهوم الآیة الشریفة شامل وعام فی دائرة السابقین ویستوعب فی مضمونه جمیع الأشخاص الذین سبقوا الآخرین فی الإیمان والجهاد والصلاة والتوبة والمسیر فی خطّ الطاعة والعبودیة والدخول إلی الجنّة وأمثال ذلک، ولکن طبقاً لما ورد فی الروایات الشریفة أن الإمام علی (علیه السلام) هو أسبق السابقین فی هذه الموارد والمصداق الأتم والأکمل لهذه الآیة الشریفة، وهنا نلفت النظر إلی بعض ما ورد فی هذه الروایات :

الف) ما ورد عن المفسّر والراوی المعروف ابن عبّاس المقبول لدی السنّة والشیعة أنه قال :

سابِقُ هذِهِ الأُمَّةِ عَلِیُّ بْنُ أبی طَالِب[1].

ب) وقال ابن عبّاس أیضاً فی روایة اُخری :

---

١ . احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١١٤.

www.makarem.ir

يُوشَعُ بْنُ نُونْ سَبَقَ إلى مُوسى، وَمُؤْمِنُ آلِ ياسين سَبَقَ اِلى عيسى، وَعَلِيٌّ بْنُ اَبى طالِب سَبَقَ إلى مُحَمَّد[١].

ج) عندما أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إجراء عقد الزواج بين الإمام على (عليه السلام) وابنته فاطمة الزهراء(عليها السلام) قال مخاطباً لإبنته :

زَوَّجْتُک بِأَوَّلِ مَنْ آمَنَ بِى وَعَرَفَنِى وَساعَدَنِى[٢].

أجل، فطبقاً لهذه الروايات والروايات الأُخرى التى لم نذكرها هنا رعاية للاختصار فإنّ الإمام على (عليه السلام) هو أسبق السابقين من جميع المسلمين، فهل من اللائق مع وجود مثل هذا الإمام اختيار شخص آخر لخلافة النبى ؟

وما أجمل ما قاله الشاعر العربى :

اَلَيْسَ اَوَّلُ مَنْ صَلّى بِقِبْلَتِهِمْ * وَاَعْلَمُ النّاسِ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ**[٣] إذن فلماذا مع وجود علىّ بن أبى طالب (عليه السلام) واعترافهم بأفضليته وأسبقيته يتم اختيار شخص آخر وترجيحه عليه ؟

الروايات المذكورة آنفاً وردت فى منابع متعددة لدى أهل السنّة ونكتفى هنا بذكر ١٠ مصادر ومنابع منها :

١ ـ إبن المغازلى فى المسند[٤].

٢ ـ السبط ابن الجوزى فى التذكرة[٥].

٣ ـ ابن كثير الدمشقى[٦].

٤ ـ محيى الدين الطبرى فى الرياض النضرة[٧].

٥ ـ السيوطى فى الدرّ المنثور[١].

---

١ . احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١١٥.

٢ . روضة الأحباب : ج ٣، ص ١٠ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١١٧.

٣ . الشعر من خزيمة بن ثابت.

٤ . نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١١٤.

٥ . التذكرة : ص ٢١ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١١٥.

٦ . تفسير ابن كثير : ج ٤، ص ٢٨٣ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١١٥.

٧ . الرياض النضرة : ص ١٥٨ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١١٥.

www.makarem.ir

٦ ـ ابن حجر فى الصواعق المحرقة[٢].

٧ ـ العلاّمة الشوكانى فى فتح القدير[٣].

٨ ـ مير محمّد صالح الترمذى فى المناقب المرتضوية[٤].

٩ ـ الآلوسى فى روح المعانى[٥].

١٠ ـ القندوزى فى ينابيع المودّة[٦].

ومع الإلتفات إلى كثرة هذه الروايات الواردة فى شأن الإمام على (عليه السلام) فى ذيل الآية الشريفة فهل يعقل أن الله تعالى يختار شخصاً آخر للخلافة مع وجود الإمام على (عليه السلام)وفضائله الكثيرة ؟

تفسير السابقين على لسان النبى (صلى الله عليه وآله)

وقد ورد فى الحديث النبوى الشريف أن النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) قال :

«السّابِقُونَ إلى ظِلِّ الْعَرْشِ طُوبى لَهُمْ».

قيلَ : يا رَسُولُ اللهِ وَمَنْ هُمْ ؟ قال :

١ ـ «الَّذِينَ يَقْبَلُونَ الْحَقَّ إذَا سَمِعُوهُ»

إنّ السابقين يتّصفون بأنهم يذعنون للحقّ أياً كان ومن أى شخص سمعوه حتّى لو كان من عدو أو صبى صغير فلا يجدون فى أنفسهم حرجاً ولا تعصباً أو تكبّراً على الحقّ، فعندما يدرك الإنسان خطأه وتتضّح له آفاق الحقيقة فيجب عليه أن يتحرك من موقع الشجاعة والشهامة ويعترف بخطئه ويقبل بالحقّ وليعلم أن ضرر الإعتراف بالخطأ أقلُّ بكثير من ضرر العناد والإصرار على الخطأ وعدم الإعتراف به.

٢ ـ «وَيَبْذُلُونَهُ إذا سَأَلُوهُ»

---

١ . الدرّ المنثور : ج ٦، ص ١٥٤ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١١٦.

٢ . الصواعق المحرقة : ص ١٢٣ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١١٦.

٣ . فتح القدير : ج ٥، ص ١٤٨ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١١٧.

٤ . المناقب المرتضوية : ص ٤٩ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١١٧.

٥ . روح المعانى : ج ٢٧، ص ١١٤ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١١٨.

٦ . ينابيع المودّة : ص ٦٠ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١١٨.

www.makarem.ir

فلا يحقُّ للسابقين كتمان الحقّ، لأن كتمان الحقّ من الذنوب الكبيرة، ولذلک لا يقولون أننا قد نتعرض للضرر من قول الحقّ أو قد يتألم والدنا أو والدتنا أو زوجتنا أو صديقنا وجارنا من قول الحقّ، فهم يعلمون أن الواجب يحتم عليهم أن يشهدوا بما يعلمون أنه الحقّ والصواب كما ذكر الله تعالى ذلک فى الآية الشريفة ٢٨٣ من سورة البقرة وقال :

(وَلا تَكْتُمُوا الشَّهادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْها فَاِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ عَليمٌ).

٣ ـ «وَيَحكُمُونَ لِلنّاسِ كَحُكْمِهِمْ لاَنْفُسِهِمْ»[١].

الخصوصيّة الاُخرى للسابقين هى أنهم يحبّون لغيرهم ما يحبّون لأنفسهم ولا يحكمون لغيرهم إلاّ بما يرونه صلاحاً لأنفسهم، وبعبارة اُخرى أنهم يرون منافعهم ومنافع الآخرين بعين واحدة، وبلاشک إنّ هذه المرتبة الأخلاقية لا تتيسر لكلِّ شخص وليس من اليسير أن ينظر الإنسان لمصالح الآخرين كما يرآها لنفسه ويذعن للحقّ من دون أن تتدخل فى ذهنه عناصر الأنانية، وبذلک ينال مرتبة السابقين.

إذا عمل الإنسان المعاصر بهذه التعليمات النبوية الثلاث فإنّ العالم سوف يتبدل إلى جنّة، ولكن مع الأسف فإنّ تعامل دعاة حقوق الإنسان مع الشعوب الاُخرى من موقع الإنتهازية والرياء حوّل المجتمع البشرى إلى كيانات مهزوزة وبدّل العالم إلى جهنم محرقة ولم يبق من حقوق الإنسان فى أذهان البشر سوى أوهام خاوية وتوهيمات زائفة، فعندما يسمع أبناء البشر إدعاءات هؤلاء المدّعين والمنادين لحقوق الإنسان يتبادر إلى أذهانهم مفاهيم جديدة وهى «حفظ منافع السلطات الإستكبارية بأى قيمة وبأى شكل كان».

□□

١ . نوادر الراوندى : ص ١٥ نقلاً عن بحار الأنوار : ج ۶۶، ص ۴۰۳.

www.makarem.ir

www.makarem.ir

آية أُذُن واعية

١١

«سورة الحاقة / الآيات ١١ و ١٢»

أبعاد البحث

هذه الآية الشريفة «آية أُذن واعية» من الآيات الأُخرى التى تتحدّث عن فضائل أميرالمؤمنين (عليه السلام)، وطبقاً للروايات الواردة فى ذيل هذه الآية الشريفة فإنّ النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)قد دعا الله تعالى أن يكون على ابن أبى طالب من جملة الأشخاص الذين يتمتعون بالأُذن الواعية وقد استجاب الله تعالى له هذا الدعاء، وسيأتى شرح وتفصيل هذه الروايات وتفسير الآية مورد البحث والمفهوم من عبارة «أُذن واعية» فى البحوث اللاحقة.

الشرح والتفسير

قصة الأنبياء

لقد بحث القرآن الكريم قصص الأنبياء فى هذه السورة «سورة الحاقة» بل فى غيرها من السور القرآنية الكريمة من زوايا مختلفة ومتنوعة.

www.makarem.ir

سؤال : لماذا تطرّق القرآن الكريم لبيان تاريخ الاُمم والأقوام السالفة واستعرض قصص الأنبياء السابقين، فهل أن القرآن كتاب تاريخ ؟

الجواب : القرآن كتاب لتهذيب الإنسان، والتاريخ البشرى له دور مهم فى تعليم وتربية الإنسان فى حركة حياته الفردية والإجتماعية، والخلاصة أن الإنسان يعيش التجربة والحوادث المتنوعة فى هذه الحياة وما أحسن أن يستفيد الإنسان من تجارب الآخرين على مستوى العبرة والسلوك العملى لا أن يتمنّى كما يقول بعض الشعراء أن يعيش ويحيى مرتين ويجعل إحدى الحياتين لممارسة التجارب والثانية للاستفادة من تلكم التجارب الماضية.

يقول تبارک وتعالى فى الآية ١١١ من سورة يوسف :

(لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لاُولِي الاَلْبابِ).

ويشير أيضاً فى بداية سورة الحاقة إلى قصص الأنبياء والسابقين مع أقوامهم حيث سنتعرض هنا إلى شرح وتفسير هذه الآيات المباركة :

(وَجاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكاتُ بِالْخاطِئَةِ).

إنّ فرعون والأقوام التى سبقته أى قوم شعيب، عاد، ثمود وأقوام اُخرى وكذلک المدن المؤتفكة أى المنقلبة والمدمَّرة بسبب تلوّث أهلها بالخطيئة والذنوب الكبيرة، «المؤتفكات» جمع «مؤتفكة» وتشير إلى قصة قوم لوط عندما نزل عليهم العذاب الإلهى وأصابهم الزلزال المهيب ودمر بيوتهم ومنازلهم بحيث إنّ الرائى لها يحسبها قد انقلبت رأساً على عقب وبعد الزلزال نزل عليهم مطر من الشهب والأحجار الموسومة ودمّر ما تبقّى من آثارهم، والسبب فى نزول هذا العذاب هو ممارستهم الخطيئة والإصرار على الذنوب حيث أشارت الآية إلى هذا المعنى «بالخاطئة».

(فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَاَخَذَهُمْ اَخْذَةً رابِيَةً).

إنّ الأقوام السالفة تحرّكوا فى سلوكياتهم مقابل دعوة الأنبياء من موقع العناد والإبتعاد عن الحقّ ولذلک أنزل عليهم الله تعالى العذاب الشديد، والتعبير بقوله «ربّهم» إشارة إلى أنّ الله تعالى أراد تهذيبهم وصلاحهم بإرساله الأنبياء إليهم ولكنّ بعض الناس

www.makarem.ir

أصرّوا على معتقداتهم الزائفة ولم يستجيبوا لدعوات الأنبياء وتعاليمهم الإلهية والصادرة من ولى أمرهم ومربّيهم ولذلک استحقوا العذاب والعقاب الشديد.

(اِنّا لَمّا طَغَا الْماءُ حَمَلْناكُمْ فِى الْجارِيَةِ).

وتشير هذه الآية إلى قصة نوح عندما أمطرت السماء بأمر الله تعالى بماء منهمر وتفجّرت الأرض بالعيون الفوّارة وجرى السيل المهيب بحيث لم يستغرق سوى مدّة قليلة حتّى عمّ الماء أرض المعمورة ولم تسلم من الطوفان حتّى الجبال ولذلک أمر الله تعالى نوح ومن معه من المؤمنين بركوب السفينة لينقذوا أنفسهم من الغرق، ولكن الوثنيين والمشركين ومنهم ابن نوح الذين أصرّوا على سلوک خطّ الباطل والشرک والإنحراف غرقوا جميعاً فى هذا الطوفان، هؤلاء كانوا يسخرون يوماً من النبى نوح (عليه السلام)لصنعه السفينة بعيداً عن البحر بل اتهموه بالجنون أيضاً وعندما حدث الطوفان وأمطرت السماء ذلک المطر العجيب وجدوا أنفسهم فى معرض العقاب الإلهى وهلكوا جميعاً بسوء أفعالهم.

(لِنَجْعَلَها لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَها اُذُنٌ واعِيَةٌ).

فالقرآن الكريم يشير هنا إلى أن استعراض قصص الأقوام السالفة والأنبياء الإلهيين ليس بهدف بيان وقائع تاريخية محضة بل الهدف والغاية من ذلک هو كسب العبرة واستيحاء التجارب من أحداث التاريخ الغابر والإستفادة منها لممارسات الحاضر ولا يتدبّر فى هذه الاُمور ويستفيد منها إلاّ من كانت له اُذن واعية ونفس متذكرة لتحفظ هذه الحوادث والقصص التاريخية، «وعى» بمعنى حفظ الشىء فى القلب وفى المصطلح الجديد تطلق هذه الكلمة «الوعى» على من يتعامل مع الأحداث بذهنية متحركة وفكر جيّد، وعليه فعبارة «اُذنٌ واعية» تعنى الشخصية التى تستوعب الحدث وتحفظه لتستفيد منه على مستوى التطبيق والممارسة ولا تتركه فى طيّات النسيان كما هو الحال فى المثال المعروف «يسمع من هذه الاُذن ويخرجه من اُذنه الاُخرى» فالإنسان الواعى لا يتعامل مع مستجدات الواقع بهذه الصورة بل يسمع بكلا اُذنيه ويحفظ ما سمعه فى قلبه ليكون صاحب الاُذن الواعية، والعين البصيرة، والقلب السليم، والعقل المتفكّر.

www.makarem.ir

من هو صاحب الأُذن الواعية ؟

بالرغم من أن الآية الشريفة لها مفهوم واسع وشامل لجميع الأفراد الذين يتّسمون بهذه السمة «الأُذن الواعية» ولكن طبقاً لما ورد فى الروايات الكثيرة فى تفسير هذه الآية فإنّ المصداق الأتم والأكمل للأُذن الواعية هو الإمام على (عليه السلام).

وقد ورد فى بعض الروايات أنه عندما نزلت هذه الآية الشريفة قال النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)مخاطباً للإمام على (عليه السلام) :

«**سَأَلْتُ اللهَ اَنْ يَجْعَلَها اُذُنَکَ يا عَلِيُّ**».

ويقول الإمام على (عليه السلام) : بعد هذه الواقعة كنت إذا سمعت شيئاً من النبى أحفظه ولا أنساه.

وقد ورد فى روايات أُخرى أيضاً أن النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) دعا بهذا الدعاء أوّلاً ثمّ نزلت الآية الشريفة.

أما الرواية المذكورة آنفاً فقد وردت فى مصادر متعددة لأهل السنّة وكنموذج على ذلک نشير إلى بعضها :

١ ـ القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن[١].

٢ ـ العلاّمة المتقى الهندى فى منتخب كنز العمّال[٢].

٣ ـ العلاّمة الآلوسى فى روح المعانى[٣].

٤ ـ العلاّمة الواحدى النيشابورى فى أسباب النزول[٤].

٥ ـ أبو نعيم الاصفهانى فى حلية الأولياء[٥].

٦ ـ الطبرى فى تفسيره[٦].

---

١ . الجامع لأحكام القرآن : ج ١٨، ص ٢٦٤ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٥١.

٢ . منتخب كنز العمّال : ج ٥، ص ١٤٨ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٥١.

٣ . روح المعانى : ج ٢٩، ص ٤٣ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٥٣.

٤ . أسباب النزول : ص ٣٣٩ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٤٨.

٥ . حلية الأولياء : ج ١، ص ٦٧ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٤٨.

٦ . تفسير الطبرى : ج ٢٩، ص ٣١ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٤٧.

www.makarem.ir

٧ ـ الزمخشری فی الكشّاف[١].

٨ ـ الثعلبی فی تفسيره[٢].

٩ ـ العلاّمة الأُندلسی المغربی فی البحر المحيط[٣].

١٠ ـ الگنجی فی كفاية الطالب[٤].

ورغم أن الفخر الرازی يتحرک فی مباحث الإمامة والولاية من موقع التعصّب الكبير إلاّ أنه نقل حديثاً طريفاً ذيل الآية الشريفة، فبعد أن ذكر دعاء النبی للإمام علی (عليه السلام) حول نزول هذه الآية قال نقلاً عن أميرالمؤمنين :

«**فَما نَسيتُ بَعْدَ ذلِکَ وَما كَانَ لِی اَنْ اَنْساهُ**»[٥].

أی أن قلب الإمام علی أصبح خزانة الوحی الإلهی ومركز الكلمات النبويّة بعد دعاء النبی الأكرم (صلی الله عليه وآله) له.

التناقض فی كلام الشيخ روزبهان

وقد ذكر الشيخ روزبهان فی ردّه علی العلاّمة الحلّی عندما وصل إلی هذه الآية الشريفة وقال :

لمّا نزلت هذه الآية، قال رسول الله (صلی الله عليه وآله) **لعلی** (عليه السلام) **سألت الله تعالی أن يجعلها أُذنک، قال علی : «فَما نَسيتُ بَعْدَ هذَا شَيئاً». وهذا يدلُّ علی علمه وحفظه وفضيلته.**

وذكر الشيخ روزبهان بعد نقله لهذا الحديث الشريف : إنّ هذه الرواية تدلُّ علی علم الإمام علی وحافظته القوية وفضيلته السامية.

---

١ . الكشّاف : ج ٤، ص ١٣٤ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٤٩.

٢ . نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٤٩.

٣ . البحر المحيط : ج ٨، ص ٣٢٢ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٥١.

٤ . كفاية الطالب : ص ١١١ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٥٠.

٥ . التفسير الكبير : ج ٣٠، ص ١٠٧ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٤٩.

www.makarem.ir

ولكنه بعد أن ذكر الرواية الشريفة وما عقّب عليها من عبارات فى ذيلها فى مدح على قال : ولكنّ هذه الاُمور لا تدلُّ على إمامته وخلافته بعد الرسول مباشرة[1].

والجواب على هذا الكلام واضح، لأن أحد دعائم الإمامة وأركانها هو العلم والمعرفة، وبما أن الإمام هو خليفة الرسول فيجب أن يستوعب الشريعة وتعليمات النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)كاملاً ويكون بالتالى حلاّلاً لمشكلات الناس ومن البديهى أن اللازم للإمامة والخلافة هو أن يكون الخليفة بمستوىً كبير ومرتبة عالية من العلم والمعرفة ليكون مستحقاً للخلافة وأهلاً لقيادة الاُمّة إلى ساحل النجاة، ولذلک نقول إنّ علىّ ابن أبى طالب وباعترافكم أعلم وأفضل من جميع من يدعى الخلافة بعد رسول الله، فأىُّ عاقل يبيح لنفسه أن يختار شخصاً آخر للخلافة مع وجود مثل هذه الشخصية العظيمة ؟

وعلى هذا الأساس فكيف تدلُّ هذه الآية الشريفة على علم الإمام على (عليه السلام)وتقواه العظيمة ولا تدلُّ على خلافته وإمامته ؟ أليس هذا من التناقض ؟

ملاحظة ظريفة من الفخر الرازى

الفخر الرازى فى تفسيره لكلمة «اُذنٌ واعية» يطرح هذا السؤال :

لماذا وردت «اُذنٌ واعية» بصورة المفرد والنكرة ولم ترد بصيغة الجمع والمعرفة ؟

ثمّ يجيب على هذا السؤال بثلاث اُمور :

١ ـ «**للايذان بأنّ الوعاة فيهم قلّة**» فإنّ الله تعالى يريد بهذا التعبير إفهام المخاطبين بأن أصحاب الاُذن الواعية قليلون وغير معروفين بين الناس.

٢ ـ «**لتوبيخه الناس بقلّة من يعى منهم**» فأراد الله تعالى بهذه العبارة توبيخ الناس وذمّهم على قلّة من يأخذ الاُمور من موقع الوعى والفهم السليم.

---

١ . احقاق الحقّ : ج ٣، ص ١٥۴.

www.makarem.ir

٣ ـ «**للدّلالة على أنّ الاذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن الله فهى السّواد الأعظم عند الله وأنّ ما سواه لا يلتفت إليهم**»[١] فصاحب الأُذن الواعية يعادل جمع غفير من الناس فى واقع الأمر.

ومع الإلتفات إلى هذا البيان وكذلک ما ورد فى الروايات من أن المراد بالأُذن الواعية هو على بن أبى طالب (عليه السلام)، تكون النتيجة أنّ مصداق هذه الآية الشريفة هو أميرالمؤمنين (عليه السلام)وهذا المطلب يؤيد ما ورد فى شأن النزول ومن دعاء النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)للإمام على (عليه السلام).

على مع الحقّ والحقّ مع على

ومن أجل توضيح الأبعاد المختلفة من شخصية الإمام على (عليه السلام) وامتيازات وخصائص خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالحقّ نلفت نظر القارئ الكريم إلى ثلاث روايات وردت فى مصادر أهل السنّة :

١ ـ ينقل الطبرانى عن أُمّ سلمة زوجة الرسول عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال :

عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ لا يَفْتَرِقانِ حَتّى يَرِدا عَلَيَّ الْحَوْضَ[٢].

سؤال : عندما يقول النبى «على مع القرآن والقرآن مع على» فماذا يقصد بذلک ؟ هل يقصد أن الإمام على كان يحمل معه القرآن دائماً، أو أن مراده هو أنه (عليه السلام)حافظ للقرآن، أو مراده شيء آخر ؟

الجواب : إنّ مراده من هذه الجملة هو أن تفسير القرآن والعلم بآياته ومعارفه موجود لدى علىّ بن أبى طالب (عليه السلام) ولا يفترق عنه وكذلک العمل بمضامينه ودستوراته فإنها تتجسد فى سلوكيات أميرالمؤمنين فهو العالم والعامل بالقرآن الكريم، فالعلم فى القرآن والعمل به لا ينفكّان عن الإمام على (عليه السلام)، وهذا فى الحقيقة

١ . التفسير الكبير : ج ٣٠، ص ١٠٧.

٢ . نور الأبصار : ص ٨٩ .

www.makarem.ir

امتياز كبير وفضيلة عظيمة لم ترد فى حقّ أى واحد من أصحاب النبى (صلى الله عليه وآله).

دعاء النبى (صلى الله عليه وآله) **فى حقّ على** (عليه السلام)

٢ ـ وقد أورد الحاكم النيشابورى فى كتاب «مستدرک الصحيحين» بسند صحيح ومعتبر عن الإمام على (عليه السلام) أنه قال :

قالَ : بَعَثَنى رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله) **إلَى الْيَمَنِ فقُلْتُ يا رَسُولَ اللهِ بَعَثْتَنِى وَاَنَا شابٌّ اَقْضِى بَيْنَهُم وَاَنَا لا اَدْرِى ما الْقَضاءُ، فَضَرَبَ صَدْرِى ثُمَّ قالَ** (صلى الله عليه وآله) **: «اللّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ وَثَبِّتْ لِسانَهُ» فَوَالَّذِى فَلَقَ الْحَبَّةَ[1] ما شَكَكْتُ فِى قَضاء بَيْنَ اثْنَيْنِ بَعْدُ[2].**

فطبقاً لهذه الرواية الشريفة فإن الإمام على (عليه السلام) كان يقضى بالحقّ دائماً ببركة دعاء النبى(صلى الله عليه وآله)له ولم يتفق له أن يشک أو يتردد فى مورد من الموارد.

على (عليه السلام) **أفضل القضاة !**

٣ ـ جاء شخص إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال :

عن الصادق عن أبيه (عليهما السلام) : إنّ ثوراً قتل حماراً على عهد النبى (صلى الله عليه وآله) فرفع ذلک إليه وهو فى أناس من أصحابه فيهم أبوبكر وعمر، فقال : يا أبابكر اقضِ بينهم، فقال : يا رسول الله بهيمة قتلت بهيمة ما عليهما شىء. فقال (صلى الله عليه وآله) : يا عمر اقض بينهم. فقال مثل قول صاحبه. فقال : يا على اقض بينهم. فقال : نعم يا رسول الله، إن كان الثور دخل على الحمار فى مستراحه ضمن أصحاب الثور، وإن

---

١ . يعدّ هذا القَسَم مهماً جداً، ولذا ورد ذكره بكثرة فى روايات المعصومين، فعندما تنفتح الحبّة عن نبتة زاهرة من بطن الأرض يكون حالها حال الجنين الذى يخرج من بطن أُمّه، فجميع القوانين الحاكمة على ظاهرة ولادة الجنين، حاكمة كذلک على خروج النبتة من الحبّة.

٢ . مستدرک الصحيحين (نقلاً عن نور الأبصار : ص ٨٨) حيث نقل الرواية المذكورة عن مستدرک الصحيحين : ج ٣، ص ١٣٥، ولكن مع تفاوت يسير.

www.makarem.ir

كان الحمار دخل على الثور فى مستراحه فلا ضمان عليهم. فرفع النبى(صلى الله عليه وآله)يده إلى السماء فقال : الحمد لله الذى جعل منى من يقضى بقضاء النبيين[١].

فقال النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) تأييداً لقضاء الإمام على (عليه السلام) فى هذا المورد :

«اَقْضاكُمْ عَلِيٌّ»[٢].

إن قضاء الإمام على (عليه السلام) فى هذه الواقعة هو المصداق لما ورد فى فقه الشيعة كقاعدة كلية وهى «عندما يكون السبب أقوى من المباشر فالسبب ضامن» وفى القصة المذكورة آنفاً كانت البقرة هى المباشرة للقتل وصاحب البقرة الذى تركها حرة ولم يربطها هو المسبب للقتل، وبما أن السبب أقوى لمكان العقل والشعور وليس للحيوان ذلک العقل والشعور ولهذا فالسبب هو الضامن[٣].

وطبقاً لما تقدّم فصاحب «الأُذن الواعية» هو الإمام على (عليه السلام) الذى لا يفترق عن القرآن الكريم وأعلم المسلمين بأمر القضاء وأفضل الصحابة وأعرفهم بكتاب الله، ومع الأخذ بنظر الإعتبار ما تقدّم فإن الله تعالى إذا أراد أن ينصب شخصاً للخلافة والإمامة بعد النبى الأكرم(صلى الله عليه وآله) فهل يعقل أن ينصب شخصاً آخر لهذا المقام غير الإمام على (عليه السلام) ؟ ولو قلنا بأن هذا المقام يتم باختيار الناس فهل يقرر العقلاء وأصحاب الفكر مع وجود الإمام على (عليه السلام)بكلُّ هذه الفضائل والصفات السامية، انتخاب غيره لهذه المهمة ؟

نرى أن من اللازم أن نتوجه مرّة أُخرى إلى الله تعالى ونرفع أيدينا بالشكر والثناء من صميم القلب على هذه النعمة العظيمة وهى أن وفقنا لاتباع مثل هذا الإنسان الكامل

---

١ . قضاء أميرالمؤمنين : ص ١٩٣.

٢ . نور الأبصار : ص ٨٨ .

٣ . كما هو الحال فيما لو دعى صاحب البيت شخصاً لضيافته، وكان فى البيت كلب هار يهجم على الغرباء ولم يخبر صاحب البيت ضيفه بأمر هذا الكلب ولم يهتم لدفع الخطر عن الضيف، فلمّا دخل الضيف إلى البيت هجم عليه الكلب وجرحه، فهنا يضمن صاحب البيت، لأن الكلب وإن كان هو المباشر، وصاحب البيت هو السبب، إلاّ أن السبب هنا أقوى من المباشر، فيكون الضمان عليه.

www.makarem.ir

والعظيم وجعلنا من شيعة الإمام على (عليه السلام) وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام) ونشكر كذلک آباءنا وأُمهاتنا الذين عرّفونا بالإمام على (عليه السلام) وعملوا على تربيتنا بحبّ هذا الإنسان العظيم وولايته ونشكر أيضاً جميع المعلمين والأساتذة والعلماء على طول التاريخ على ما تحمّلوا من أتعاب ومشقّات لكى يرفعوا لواء الولاية فى هذا البلد الإسلامى العريق «ايران» ونطلب من الله تعالى أيضاً :

إلهنا، أرزقنا العشق والمودّة الدائمة لهذا الإمام العزيز واحيى قلوبنا وأرواحنا بهذه الولاية والمحبّة واجعل نسلنا وذريتنا إلى يوم القيامة من شيعة الإمام على (عليه السلام)الحقيقيين.

ربّنا، اغثنا فى اللحظات الحرجة وساعات الإحتضار ومواقف المحشر والقيامة بالإمام على وأهل بيته الطاهرين.

إلهنا وفّقنا إلى أن نكون فى أعمالنا وأقوالنا من أتباع أهل البيت (عليهم السلام) بحيث ننال بذلک رضاک والمنزلة عندک.

□□

www.makarem.ir

آية صالح المؤمنين

١٢

«سورة التحريم / الآية ٤»

أبعاد البحث

الآية الشريفة المذكورة آنفاً هى الآية المعروفة بآية «صالح المؤمنين» وهى من جملة الآيات التى تدلُّ باعتراف الشيعة وأهل السنّة على فضيلة اُخرى من فضائل الإمام على (عليه السلام)الكثيرة، والحديث عن دلالة هذه الآية على فضيلة أميرالمؤمنين (عليه السلام) وارتباطها بمسألة الولاية والإمامة سيأتى فى الأبحاث اللاحقة بالتفصيل.

شأن النزول

هذه الآية هى الآية الرابعة من آيات سورة التحريم، وقد وردت روايات عديدة فى أسباب نزول هذه السورة فى كتب الحديث والتفسير والتاريخ عن الشيعة والسنّة انتخبنا أشهر تلك الروايات وأنسبها وهى :

كان رسول الله يذهب أحياناً إلى زوجته (زينب بنت جحش) فتبقيه فى بيتها حتّى «تأتى إليه بعسل كانت قد هيّأته له (صلى الله عليه وآله) ولكن لمّا سمعت عائشة بذلك

www.makarem.ir

شقّ عليها الأمر، ولذا قالت : إنّها قد اتّفقت مع «حفصة» إحدى «أزواج الرسول» على أن يسألا الرسول بمجرّد أن يقترب من أى منهما بأنّه هل تناول صمغ «المغافير»[١] وفعلاً سألت حفصة الرسول (صلى الله عليه وآله)هذا السؤال يوماً وردّ الرسول بأنّه لم يتناول صمغ «المغافير» ولكنه تناول عسلاً عند زينب بنت جحش، ولهذا أقسم بأنّه سوف لن يتناول ذلک العسل مرّة أُخرى، (خوفاً من أن تكون زنابير العسل هذا قد تغذّت على شجر صمغ «المغافير») وحذّرها أن تنقل ذلک إلى أحد (لكى لا يشيع بين الناس أنّ الرسول قد حرّم على نفسه طعاماً حلالاً فيقتدون بالرسول ويحرّمونه أو ما يشبهه على أنفسهم، أو خوفاً من أن تسمع زينب وينكسر قلبها وتتألّم لذلک).

لكنها أفشت السرّ فتبيّن أخيراً أنّ القصة كانت مدروسة ومعدّة فتألّم الرسول (صلى الله عليه وآله) لذلک كثيراً فنزلت عليه الآيات السابقة لتوضّح الأمر وتنهى من أن يتكرر ذلک مرة أُخرى فى بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)[٢].

وجاء فى بعض الروايات أنّ الرسول ابتعد عن زوجاته لمدّة شهر بعد هذا الحادث[٣]، انتشرت على أثرها شائعة أنّ الرسول عازم على طلاق زوجاته، الأمر الذى أدّى إلى كثرة المخاوف بينهن[٤] وندمن بعدها على فعلتهن.

الشرح والتفسير

أصحاب وأنصار النبى(صلى الله عليه وآله)

نرى من اللازم فى تفسير الآية مورد البحث إلقاء نظرة إجمالية على الآيات السابقة لها لتوضيح المراد منها.

---

١ . «مغافير» صمغ يؤخذ من أشجار الحجاز باسم «عرفط» له رائحة كريهة.

٢ . أصل هذا الحديث مذكور فى صحيح البخارى : ج ۶، ص ١٩۴، والتوضيحات المذكورة بين الأقواس مقتبسة من مصادر أُخرى (انظر التفسير الامثل : ج ١٨، ص ۴۴٠).

٣ . تفسير القرطبى: ذيل الآيات مورد البحث.

۴ . تفسير (فى ظلال القرآن) : ج ٨، ص ١۶٣.

www.makarem.ir

بلا شک أن شخصية كبيرة مثل شخصية النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) لا تتعلق بذاته وشخصه كواحد من الناس بل تتعلق بجميع أفراد المجتمع الإسلامى والمجتمع البشرى أيضاً، وعليه فلو واجه مؤامرة فى بيته ومن أقرب الناس إليه فإنّ هذه المؤامرة رغم كونها خاصّة ومحدودة بدائرة صغيرة إلاّ أن ذلک لا يعنى أن نمرُّ عليها مرور الكرام ومن موقع عدم الإهتمام فإنّ حيثية النبوّة وهذا المقام العظيم لا ينبغى أن يكون «والعياذ بالله» أُلعوبة بيد هذا وذاک، فلو فُرض أن واجه النبى مثل هذه الحال فلابدّ أن يتعامل مع هذا الموقف بجديّة وقاطعيّة لئلاّ يسرى الأمر إلى موارد أُخرى.

الآيات الأُولى من سورة التحريم فى الحقيقة تتضمن أمراً قاطعاً من الله تعالى لنبيّه الكريم أن يتّخذ موقفاً صارماً من هذه الحادثة، ومن أجل حفظ كرامة النبى وحيثيته تقول الآية :

(يا أَيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما اَحَلَّ اللهُ لَکَ تَبْتَغی مَرْضاتَ اَزْواجِکَ).

ومعلوم أن هذا التحريم لم يكن تحريماً شرعياً بل كما سيأتى توضيحه فى الآيات اللاحقة أنه كان بمثابة قَسَم من النبى الكريم (صلى الله عليه وآله)، ونعلم أن القسم على ترک بعض المباحات لا يعدُّ من الذنوب، وعليه فإنّ جملة «لِمَ تحرّم» لم ترد بعنوان عتاب وتوبيخ بل هو نوع من الشفقة واللطف، كما يقال لمن يتعب نفسه كثيراً فى خدمة الآخرين ومن دون أن يعود عليه إلاّ بالنفع القليل : لماذا تتعب نفسک كثيراً وتعمل كلّ هذه الأعمال ولا تنتفع منها إلاّ القليل ؟

(وَاللهُ غَفُورٌ رَحيمٌ)، ثمّ إنّ الله تعالى يختم الآية الشريفة بالغفران والرحمة للزوجات اللواتى سببّن وقوع هذه الحادثة فيما لو صدقن فى التوبة إلى الله تعالى، أو هى إشارة إلى أنّ الأفضل للنبى الكريم (صلى الله عليه وآله) أن لا يقسم مثل هذا القسم بحيث يحتمل أن يتسبب فى إقدام بعض زوجاته على مستوى الجرأة والجسارة.

وتضيف الآية التالية (قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ اَيْمانِكُمْ) وبهذا جعل الله تعالى كفّارة القسم ليتحرر الإنسان من قَسَمه ولا يتورط فى الذنب فى الموارد التى يكون ترک العمل

www.makarem.ir

مرجوحاً «من قبيل الآية مورد البحث» فى هذه الصورة يجوز حنث اليمين ولكن لأجل حفظ حرمة اليمين فالأفضل دفع كفّارة.

(وَاللهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَليمُ الْحَكيمُ) وهو الذى بيّن لكم طريق النجاة والتخلّص من هذه الأيمان وفتح لكم أبواب حلّ المشكل بحكمته، ويستفاد من الروايات الشريفة أن النبى الأكرم(صلى الله عليه وآله) بعد نزول هذه الآية أعتق رقبة وتحرر من القسم الذى حرّم بواسطته ما كان حلالاً له.

وتتحرّك الآية التى بعدها على مستوى شرح وبيان الواقعة بتفصيل أكثر وتقول :

(وَاِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إلى بَعْضِ أَزْواجِهِ حَديثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَاَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَاَعْرَضَ عَنْ بَعْض).

فهنا تتحدّث الآية الشريفة عن حديث النبى (صلى الله عليه وآله) لبعض أزواجه فى سرّ معيّن ولكنّ هذه الزوجة لم تحفظ السرّ بل أفشته وأعلنت عنه، ولكن ماذا كان هذا السرّ ومن هى الزوجة التى تحدّث النبى معها وأطلعها على هذا السرّ فسوف يأتى فى بحث شأن النزول لاحقاً.

ويتّضح من مجموع هذه الآيات القرآنية أنّ بعض نساء النبى (صلى الله عليه وآله) مضافاً إلى توجيه الإساءة إليه بكلامهنّ فإنّهنّ لم يحفظنّ السرّ معه والذى يعتبر أهم العناصر فى العلاقات الزوجية بأن تكون الزوجة وفيّة لزوجها وتحفظ أسراره، ولكننا نرى خلاف ذلک فى بيت النبوّة، ومع ذلک فنلاحظ أن سلوک النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) مع كلّ هذه التعقيدات والمواقف السلبية من بعض زوجاته إلاّ أنه لم يكن مستعداً للكشف عن جميع السرّ الذى أفشته زوجته ويوّبخها على ذلک بل اكتفى بالإشارة إلى بعضه فقط «عرّف بعضه وأعرض عن بعض» ولذا ورد فى الحديث الشريف عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) أنه قال :

ما اسْتَقْصى كَريمٌ قَطُّ لاَنَّ اللهَ يَقُولُ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَاَعْرَضَ عَنْ بَعْض[1].

ثمّ تتوجه الآية بالخطاب إلى الزوجتين مورد البحث وتقول :

---

١ . الميزان : ج ١٩، ص ٣٣٨.

www.makarem.ir

(اِنْ تَتُوبا إلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما) فلو انتهيتما من إساءة النبى (عليه السلام) وتبتما إلى الله فإنّ ذلک يعود عليكما بالنفع لأنّ قلوبكما قد انحرفت بهذا العمل عن خطّ الحقّ وتلوثت بالذنب.

والمراد بهاتين الزوجتين كما صرّح به المفسّرين من الشيعة والسنّة : «حفصة» بنت عمر

بن الخطّاب و«عائشة» بنت أبى بكر[1]، وبما أن مثل هذه الحالات السلبية تعتبر ظاهرة خطيرة فى بيت النبوّة فيما لو تكررت فى المستقبل فإنّ الله تعالى يحذّرهما فى هذه الآية من الإستمرار فى سلوک هذا الطريق الشائن ويقول :

(وَاِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَاِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِکَ ظَهِيرٌ).

وهذا التعبير يشير إلى هذه الحقيقة وهى أن هذه الواقعة قد أضرّت بالنبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)كثيراً وآلمت قلبه الطاهر إلى درجة أن الله تعالى يهبُّ للدفاع عنه، ورغم أن القدرة الإلهية كافية فى عملية الدفاع عن النبى إلاّ أن القرآن الكريم أضاف إليها حماية جبرئيل والمؤمنين الصالحين والملائكة فى دفاعهم عن رسول الله.

من هو صالح المؤمنين ؟

إنّ ما يلفت النظر فى الآية المذكورة ويقع فى البحث هو أنه : ما المراد من عبارة «صالح المؤمنين» ؟ هل يقصد بها شخص معيّن، أو أن هذا التعبير شامل لجميع المؤمنين الصالحين ؟

بلاشک أن «صالح المؤمنين» له معنى شامل وعام بحسب الظاهر حيث يستوعب جميع المؤمنين الصالحين والمتقين رغم أن كلمة «صالح» قد وردت فى هذه الجملة بصيغة المفرد لا الجمع، ولكن بما أنها استعملت بمعنى الجنس فيستفاد منها المفهوم

---

١ . يقول ابن عبّاس : «سألت عمر : من اللتان تظاهرتا على النبى من أزواجه ؟ فقال : تلک حفصة وعائشة. قال : فقلت والله إن كنت لأُريد أن أسألک عن هذا منذ سنة فما أستطيع هيبة لک، قال : فلا تفعل ما ظننت أن عندى من علم فاسألنى فإن كان لى علم أخبرتک به، قال : ثمّ قال عمر : والله إن كنا فى الجاهلية ما نعدّ النساء أمراً حتّى أنزل الله فيهنّ ما أنزل وقَسَم لهنّ ما قَسَم.(صحيح البخارى : ج ۶،ص ۱۹۵،سورة التحريم).

www.makarem.ir

العام، ولكن لاشكّ أن مفهوم «صالح المؤمنين» له مصداق أتمّ وأكمل، ويستفاد من خلال الروايات المتعددة أن هذا المصداق الأكمل والفرد الأتم هو «أميرالمؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام)» وهذا المعنى ذكره الكثير من علماء أهل السنّة فى كتبهم ومن ذلک :

١ ـ العلاّمة الثعلبى[١].

٢ ـ العلاّمة الگنجى فى كفاية الطالب[٢].

٣ ـ أبوحيان الأندلسى[٣].

٤ ـ السبط ابن الجوزى[٤].

٥ ـ السيوطى فى الدرّ المنثور[٥].

٦ ـ الآلوسى فى روح المعانى[٦].

٧ ـ الحاكم الحسكانى فى شواهد التنزيل[٧].

٨ ـ العلاّمة البرسويى فى روح البيان[٨].

٩ ـ ابن حجر فى الصواعق[٩].

١٠ ـ علاء الدين المتقى فى كنز العمّال[١٠].

وقد ذكر الحاكم الحسكانى الحنفى فى ذيل هذه الآية الشريفة «ثمانية عشر رواية» من طرق مختلفة تؤكد على أن المراد بكلمة «صالح المؤمنين» هو على بن أبى طالب، ونكتفى هنا بذكر ثلاث روايات منها :

---

١ . العمدة لابن بطريق : ص ١٥٢ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٣١١.

٢ . كفاية الطالب : ص ٥٣ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٣١١.

٣ . البحر المحيط : ج ٨، ص ٢٩١ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٣١٢.

٤ . التذكرة : ص ٢٦٧ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٣١٢.

٥ . الدرّ المنثور : ج ٦، ص ٢٤٤ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٣١٣.

٦ . روح المعانى : ج ٢٨، ص ١٣٥ نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٣١٤.

٧ . شواهد التنزيل : ج ٢، ص ٢٥٤ ببعد.

٨ . روح البيان : ج ١٠، ص ٥٣.

٩ . نقلاً عن نفحات القرآن : ج ٩، ص ٢٩٩.

١٠ . نقلاً عن نفحات القرآن : ج ٩، ص ٢٩٩.

www.makarem.ir

١ ـ تقول اسماء بنت عميس إنّنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول :

صالِحُ الْمُؤْمِنينَ عَلِيُّ بْنُ أَبى طالِب[١].

٢ ـ وينقل ابن عبّاس عن النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) أنه قال عن أميرالمؤمنين على بن أبى طالب(عليه السلام) :

هُوَ صالِحُ الْمُؤْمِنينَ[٢].

٣ ـ ويقول عمّار ابن ياسر إننى سمعت على بن أبى طالب (عليه السلام) يقول : دعانى رسول الله (صلى الله عليه وآله)وقال :

أَلا اُبَشِّرُکَ ؟ قُلْتُ : بَلى يا رَسُولَ اللهِ وَما زِلْتَ مُبَشِّراً بِالْخَيْرِ ! قالَ : قَدْ اَنْزَلَ اللهُ فيکَ قُرْآناً. قُلْتُ : وَما هُوَ يا رَسُولَ اللهِ ؟ قالَ : قُرِئْتَ بِجَبْرَئيلِ ثُمَّ قَرَأَ : وَجَبرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنينَ...[٣]

وخلاصة الكلام أن الروايات الواردة فى هذا المورد كثيرة وقد ذكر المفسّر المعروف «البحرانى» فى تفسيره «البرهان» بعد أن ذكر رواية فى هذا المجال عن محمّد بن عبّاس أنه نقل ٥٢ حديثاً وروايةً حول هذا الموضوع من طرق الشيعة وأهل السنّة ثمّ نقل بعض هذه الأحاديث.

والنتيجة هى أن الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) يعتبر أفضل ناصر ومعين لرسول الله (صلى الله عليه وآله)بعد الله تعالى وجبرئيل الأمين، وعليه فمن يكون مؤهلاً لمقام الخلافة والإمامة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)غيره ؟ ألا تعتبر هذه الروايات دليلاً على أن على بن أبى طالب (عليه السلام) أفضل أفراد الاُمّة وأعلاهم شأناً بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟

وإذا كان هكذا وأراد الله تعالى أن ينصب شخصاً لمقام الخلافة والإمامة بعد النبى الأكرم فهل تسمح الحكمة الإلهية بأن يختار الله تعالى شخصاً آخر غيره لهذا المقام ؟ وإذا أراد الناس والعقلاء أن يختاروا لهم شخصاً لحيازة هذا المقام المهم فهل يسمح

١ . شواهد التنزيل : ج ٢، ص ٢٥۶، ح ٩٨٢.

٢ . شواهد التنزيل : ج ٢، ص ٢٥٨، ح ٩٨٧.

٣ . شواهد التنزيل : ج ٢، ص ٢٥٩، ح ٩٨٩.

www.makarem.ir

العقل السليم أن يختاروا شخصاً غير من كان أفضل ناصر ومعين لنبى الإسلام بعد الله وجبرئيل ؟

أجل، فإنّ الإمام على (عليه السلام) كان يعيش النصرة الدائمة للنبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) فى جميع المواقف والأحداث والميادين وأنه الأولى بحيازة مقام الخلافة بعد النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله).

توصية الآية

نستوحى من عبارة «صالح المؤمنين» أن الآية الشريفة توصى الجميع بالإيمان والصلاح والخير، وتوصى جميع أتباع أميرالمؤمنين أن لا يتوقفوا على عتبة «قبول الإسلام» بل يتحركوا من موقع تعميق الإيمان بالله وباليوم الآخر وأن يمتد هذا الإيمان إلى أعماق وجدانهم وقلوبهم ويتجسد على مستوى الجوارح وممارسة الأعمال الصالحة ليكونوا من صالح المؤمنين.

□□

www.makarem.ir

آية الإنذار والهداية

١٣

«سورة الرعد / الآية ٧»

أبعاد البحث

هذه الآية الشريفة أيضاً من الآيات المتعلّقة بولاية وإمامة أميرالمؤمنين (عليه السلام)حيث بحث فيها العلماء والمفسّرون أبحاثاً متنوعة، ويستفاد من الروايات أنها تدلُّ مضافاً إلى ولاية أميرالمؤمنين (عليه السلام) ولاية وإمامة جميع الأئمّة المعصومين (عليهم السلام)كما سيأتى تفصيل ذلک فى الأبحاث القادمة.

الشرح والتفسير

ذرائع مختلفة

(وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) والظاهر من هذه الآية الشريفة أن الكفّار طلبوا هذه المرّة أمراً منطقياً لأنّ كلّ نبى لابدّ له لإثبات حقانيّته وأنه مرسل من الله تعالى من معجزة يثبت فيها هذا الإدعاء، وهنا طلب الكفّار معجزة من نبى الإسلام (صلى الله عليه وآله)، ويجيبهم الله تعالى على طلبهم المعقول هذا بقوله :

www.makarem.ir

(اِنَّما اَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْم هاد).

تناسب صدر الآية وذيلها

سؤال : هل هناک تناسب وانسجام بين صدر الآية الشريفة وذيلها ؟ وهل أن الجواب على طلب المشركين من النبى بأن يأتيهم بآية ومعجزة هو «إنّما أنت منذر...» ؟

الجواب : لأجل العثور على الترابط بين صدر الآية وذيلها لابدّ من مراجعة الآيات الأُخرى التى تتحدّث عن طلب الكفّار للمعجزة من النبى الكريم (صلى الله عليه وآله).

ويحدّثنا القرآن الكريم فى الآيات ٩٠ ـ ٩٣ من سورة الإسراء على لسان المشركين :

(وَقالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ) هنا يقول الكفّار بإننا لن نؤمن لما تقول حتّى تأتينا بمعجزة، ثمّ طلبوا منه سبع معاجز كما نريد ونشتهى، أى أن المعجزات التى تأتى بها من دون أن تكون مطابقة لميلنا ورغبتنا فلا فائدة فيها، بل لابدّ أن تكون المعجزة حسب رغبتنا وميلنا[1].

ويستفاد من ظاهر الآية أنهم ذكروا سبع معاجز فى دائرة طلبهم وتوقعهم من النبى، والظاهر أن هذا الطلب صدر من أشخاص متعددين كلٌّ واحد منهم طلب معجزة معيّنة :

١ ـ (حَتّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً) فأوّل معجزة طلبوها من النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)هو أن يفجر لهم فى أرض الحجاز وصحراءها المحرقة عيناً تفيض بالماء الزلال وتفور بالمياة العذبة ليشرب منها الناس ودوابهم ويسقون مزارعهم.

٢ ـ (أَوْ تَكُونَ لَکَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيل وَعِنَب فَتُفَجِّرَ الأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً) وهذه المعجزة أيضاً لها بعد فى إحياء الأراضى الميّتة وعمران المنطقة من خلال إيجاد بساتين مليئة بأشجار العنب والنخيل وتجرى من خلالها المياه.

---

١ . انظر تفصيل شأن النزول لهذه الآيات فى التفسير الامثل : ج ٧ ذيل الآية.

www.makarem.ir

٣ ـ (أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً) وهنا نرى طلباً غير معقول وهو أنهم أرادوا من النبى أن يدعو الله تعالى لإنزال العذاب عليهم على شكل مطر من الأحجار السماوية لهلاكهم، وهذا الطلب إذا تحقّق فإنهم سيؤمنون ويذعنون لدعوة النبى.

٤ ـ (أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً) وهكذا نرى إنّ الإنسان عندما يصل به العناد واللجاجة إلى أعلى المراتب لا يلتفت إلى ما يقول، فهؤلاء لم يقولوا : إذهب بنا إلى الله والملائكة بل طلبوا من النبى (صلى الله عليه وآله) أن يأتى إليهم بالله والملائكة ويحضرهم عندهم.

٥ ـ (أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُف) والطلب الخامس لإثبات النبوّة أنهم أرادوا أن يبنى النبى لنفسه قصراً مجللاً بالذهب والزخارف والنقوش، لأن سكّان مكّة كانوا فقراء غالباً فلو أنک كنت تملک مثل هذا القصر العظيم والجذّاب فهذا يدلُّ على أنک مرسل من الله تعالى.

٦ ـ (أَوْ تَرْقى فِي السَّماءِ) والذريعة السادسة هى أنهم طلبوا من النبى لإثبات صدق دعواه أن يطير فى السماء أمام أعينهم ليذعنوا للحقّ ويؤمنوا بدعوته.

٧ ـ (وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّکَ حَتّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ) وتمادى بعض الكفّار فى عنادهم ولجاجتهم وطلبوا من النبى مضافاً إلى طيرانه فى السماء أمام أعينهم عليه أن يأتيهم بكتاب من الله إليهم ليقرؤوه.

وكما ترون أن هذه المعاجز السبعة المذكورة فى الآية الشريفة تتعلّق بعضها بعمران وإحياء الأرض، وبعض آخر تتضمن الهلاک والموت لهؤلاء المعاندين والمغرورين، والقسم الثالث يتضمن أعمال غير معقولة وغير منطقية، والقسم الرابع لا يتعدّى أن يكون مجرد ذريعة واهية وليس طلباً حقيقياً.

لو كان الأنبياء يتحرّكون فى تعاملهم مع أقوامهم من موقع القبول لكلِّ مقترحاتهم والإتيان بالمعجزات كما يرغبون فإنّ بعض الجهلاء والمعاندين والمتذرّعين سيطلبون كلّ يوم معجزة من نبيّهم وسيكون الدين الإلهى ملعبة بأيديهم، ولهذا فإن الله تعالى كان

www.makarem.ir

يعطى لكلِّ نبى من الأنبياء معجزة أو معجزات عديدة لبيان حقّانيته وإثبات رسالته ولا يهتم لمطالبات مثل هؤلاء الأشخاص اللجوجين.

ومع الإلتفات إلى هذا المقدمة المطوّلة نعود إلى الآية الشريفة حيث تقول الآية (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ).

وفى الجواب على هذا الطلب المعقول حسب الظاهر يمكن القول : إنّ نبى الإسلام قد أتى بالمعجزة من الله تعالى بحيث عجز الجن والإنس عن الإتيان بمثلها كما تصرّح الآية ٨٨ من هذه السورة :

(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الاِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْض ظَهِيراً).

فعندما جاء النبى (صلى الله عليه وآله) لهم بمعجزة من الله تعالى لن يتمكنوا من الإتيان بمثلها مضافاً إلى معجزات أُخرى، فلا معنى لطلبهم معجزة أُخرى من النبى الكريم، ولذلک أمر الله تعالى أن يقول فى جوابهم : (اِنَّما اَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْم هاد) فمسؤوليتک هى الإنذار والتحذير وليست الإتيان بالآية والمعجزة فإننا نحن الذين نقرر شكل المعجزة وكيفيتها، ولكلِّ قوم شخص يهديهم إلى الحقّ.

وعلى هذا الأساس يتّضح التناسب والإنسجام بين صدر الآية وذيلها.

من هو المنذر والهادى ؟

ولغرض توضيح معنى هاتين المفردتين يمكننا البحث فى هذا الموضوع من طريقين :

الأوّل : تفسير الآية بدون ملاحظة الروايات

فهل تعنى هذه الآية الشريفة أن النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) هو «المنذر» وهو «الهادى» ؟ أو أنه منذر فقط والهادى شخص آخر ؟

وهنا توجد ثلاث نظريات فى تفسير هاتين الكلمتين :

www.makarem.ir

١ ـ يرى البعض أن هاتين الكلمتين تعودان كلاهما إلى النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)، فهو المنذر وهو الهادى فى نفس الوقت.

ولكن الإنصاف إن هذا القول مجانب للصواب ولا ينسجم مع ظاهر الآية ولا يتناسب مع أجواء الفصاحة والبلاغة فى اللغة العربية، لأنّ هاتين الكلمتين لو كانتا تعودان على شخص واحد فمقتضى الفصاحة والبلاغة أن تقول الآية :

(أَنْتَ لِكُلِّ قَوْم مُنْذِرٌ وَهاد) لا أن تكون كلمة «هاد» فى جملة مستقلة ومنفصلة عن الجملة الأُولى، وعليه فإنّ الظاهر من الآية أن تكون كلمة «هاد» متعلّقة بشخص آخر غير نبى الإسلام (صلى الله عليه وآله) حيث ينبغى استكشافه من خلال القرائن والشواهد الأُخرى.

٢ ـ وذهب آخرون إلى أن «المنذر» يعود إلى النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) بينما «الهادى» يعود إلى الله تعالى، فالنبى هو المنذر للناس، والله تعالى هو الهادى لكلِّ قوم إلى الصراط المستقيم وطريق الحقّ.

ولكن يمكن أن يقال فى مقام الجواب أن هذه النظرية أيضاً لا تنسجم مع ظاهر الآية الشريفة لأن كلمة «هاد» وردت فى هذه الآية «نكرة» فى حين أن الله تعالى هو أعرف المعارف وأجلى ما يكون عن الخفاء والتنكير، مضافاً إلى أن ظاهر الآية يدلُّ على وجود «هاد» لكلِّ قوم من الأقوام السالفة لا أن الهادى لجميع الأقوام هو شخص واحد، وعليه فإنّ هذا التفسير لا يتناسب مع أجواء الآية الشريفة.

٣ ـ هو أن يقال بأن الهادى شخص آخر غير الله تعالى وغير نبيّه الكريم، فهل يمكن أن يكون المقصود بهذه الكلمة هم العلماء من كلِّ قوم وطائفة ؟ كلا، لا يمكن أن يكون المقصود هو العالم من كلِّ قوم، لأن كلمة «هاد» وردت نكرة كما تقدّم، والنكرة تدلُّ على الوحدة، أى أن لكلِّ قوم وطائفة هاد واحد من الناس، فمن هو هذا الشخص الهادى للأُمّة الإسلامية ؟

ومع الأخذ بنظر الإعتبار مجموع ما تقدّم من أبحاث فى تفسير هذه الآية يمكن القول فى شرح معناها والمراد منها كما يلى :

www.makarem.ir

«أيُّها النبى : أنت المنذر والمؤسس للرسالة الإسلامية والدين الإسلامى ولكلِّ دين هناک شخص بمثابة الحافظ والحارس لهذا الدين والذى يأخذ بعهدته هداية الناس إلى الله تعالى وسوقهم إلى الحقّ».

ومن جهة أُخرى فإنّ اتحاد السياق يقتضى أن يكون تعيين هذا الهادى ونصبه من قبل الله تعالى، كما أن المنذر وهو النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) معيّن ومنصوب من الله تعالى.

وعلى هذا الأساس فإنّ الهادى لا يقصد به الله تعالى أو النبى أو علماء الأُمّة بل يجب أن يكون شخصاً آخر معيّناً ومنصوباً من قبل الله تعالى.

ومن جهة ثالثة فإنّ الشخص الوحيد الذى ورد فى حقّه نصٌّ صريح من رسول الله (صلى الله عليه وآله)على ولايته وإمامته هو الإمام على (عليه السلام) ولا يوجد نصٌّ فى هذا الشأن لغيره من الصحابة، وحتّى أن علماء أهل السنّة لم يدّعوا مثل هذا الإدعاء، وعليه فلو قلنا أنّ «المنذر» هو رسول الله و «الهادى والإمام» هو الإمام على (عليه السلام) المنصوب لهذا المقام من قبل الله تعالى وبواسطة نبيّه الكريم فإنّ هذا المعنى يتناسب مع أجواء الآية الشريفة.

الطريق الثانى : تفسير الآية بملاحظة الروايات الشريفة

وهناک روايات عديدة ناظرة إلى بيان المراد من هذه الآية الشريفة حيث نشير هنا إلى خمسة نماذج منها، ثلاثة منها من مصادر وكتب أهل السنّة ورواية واحدة من مصادر الشيعة، أما الرواية الخامسة فمذكورة فى كتب الفريقين.

١ ـ يقول ابن عبّاس الراوى والمفسّر المعروف :

لَمّا نَزَلَتْ (أَنْتَ مُنْذِرٌ ولِكُلِّ قَوْم هاد) وَضَعَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله) **يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ، فَقالَ : أَنَا الْمُنْذِرُ وَلِكُلِّ قَوْم هاد، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ عَلَى مِنْكَبِ عَلِيٍّ، فَقالَ : أَنْتَ الْهادِى يا عَلِيّ، بِکَ يَهْتَدِى الْمُهْتَدُونَ مِنْ بَعْدِى**[1].

١ . الدرّ المنثور : ج ۴، ص ۴۵.

www.makarem.ir

هذه الرواية الشريفة مذكورة فى مصادر أهل السنّة وهى صريحة على أن المقصود بـ «الهادى» هو على ابن أبى طالب (عليه السلام).

٢ ـ وجاء فى كتاب «شواهد التنزيل»[١] و«الدرّ المنثور» عن أبى برزة الأسلمى أنه قال :

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وآله) **يَقُولُ** : (إنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ) **وَضَعَ يَدَهُ عَلى صَدْرِ نَفْسِهِ، ثُمَّ وَضَعَها عَلى صَدْرِ عَلِيٍّ وَيَقُولُ** (لِكُلِّ قَوْم هاد)[٢].

وهذه الرواية أيضاً مذكورة فى كتابين من الكتب المعتبرة لدى أهل السنّة، وقد رواها شخص آخر غير ابن عبّاس ونجد أنها تصرّح بأن «الهادى» هو على بن أبى طالب (عليه السلام).

٣ ـ وجاء فى كتاب «مستدرک الصحيحين» المعروف لدى علماء أهل السنّة، رواية فى تفسير الآية المذكورة عن الإمام على (عليه السلام) نفسه :

عَنْ عَلِيٍّ : (إنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْم هاد) **قالَ عَلِيٌّ** : **رَسُولُ اللهِ** (صلى الله عليه وآله) **الْمُنْذِرِ وَأَنَا الْهادِى**[٣].

وطبقاً لهذه الرواية المذكورة فى كتاب آخر من كتب ومصادر أهل السنّة المعروفة أن الإمام على (عليه السلام) هو الهادى.

سؤال : من المعلوم فى علم الدراية والحديث أن الراوى لو روى حديثاً يتضمن مدحه والثناء عليه فإنّ هذه الرواية لا تكون مقبولة، فكيف يمكن الإستدلال بالرواية المذكورة آنفاً على المطلوب والحال أن الراوى هو الإمام على (عليه السلام) نفسه ؟

الجواب : إنّ هذا الكلام صحيح بالنسبة إلى غير المعصومين، ولكن بالنسبة إلى المعصومين الذين لا يتصور فى حقّهم الخطأ والذنب فغير صادق، والإمام على (عليه السلام)باعتقاد جميع الشيعة معصوم، وكذلک يرى أهل السنّة أن الأحاديث والروايات

١ . شواهد التنزيل : ج ١، ص ٢٩٨.

٢ . الدرّ المنثور : ج ٤، ص ٤٥.

٣ . مستدرک الصحيحين : ج ٣، ص ١٢٩.

www.makarem.ir

الواردة عن جميع الصحابة وأحدهما الإمام على (عليه السلام)، حجّة ودليلاً شرعياً، وعليه فالإشكال المذكور مردود وغير وارد لدى كلا الفريقين.

٤ ـ ما ورد فى مصادر الفريقين العامّة والخاصّة من حديث الإسراء حيث رواه أهل السنّة عن ابن عبّاس[١] ورواه علماء الشيعة عن ابن مسعود، ويروى هذان عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذه الرواية، حيث قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

لَمّا اُسْرِىَ بى اِلَى السَّماءِ لَمْ يَكُنْ بَيْنِى وبَيْنَ رَبّى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلا نَبِىٌّ مُرْسَلٌ وَلا حاجَةٌ سَأَلْتُ إلاّ أَعْطانِى خَيْراً مِنْها، فَوَقَعَ فِى مَسامِعِى (إنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْم هاد)فَقُلْتُ : إلهى أَنَا الْمُنْذِرُ، فَمَنِ الْهادِى ؟ فَقالَ : يا مُحَمَّد ذاكَ عَلِىٌّ بْنُ أَبى طالِبٍ غايَةُ الْمُهْتَدِين، إمامُ الْمُتَّقِينَ، قائِدُ الغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ[٢]; وَمَن يَهْدِى مِنْ اُمَّتِكَ بِرَحْمَتِى إلَى الْجَنَّةِ[٣].

هذه الرواية الجذّابة والشيقة تبيّن بجلاء تطبيق الآية محل البحث على النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)والإمام على (عليه السلام) فى السماء.

توصيات آية الولاية والإنذار

هذه الآية الشريفة لا تقتصر على بيان بعض البحوث الإعتقادية والتاريخية، بل تتضمن توصيتان لجميع المسلمين والشيعة فى عصرنا الحاضر وتفتح لهم أبواب الحياة الكريمة والعقيدة السليمة فى هذا الزمان وجميع الأزمنة وبإمكانها فيما لو جسّدها الإنسان على مستوى الممارسة والعمل أن تحلّ كثيراً من مشكلاته فى حركة الحياة :

١ ـ التعصّب هو الحجاب والمانع !

---

١ . شواهد التنزيل : ج ١، ص ٢٩٦.

٢ . جملة «قائد الغرّ المحجلين» ورد فى روايات عديدة. و«الغرّ» جمع «أغرّ» وهو الأبيض النورانى، ويقال للشخص ذى الوجه النورانى «أغرّ»، وأما «محجّل» فمن «حَجَل» وهو نوع من الطير الأبيض، ثمّ اطلق على الفرس الأبيض، ثمّ على كلّ شخص ذى سمعة طيبة ومكانة مرموقة فى المجتمع، وعليه فيكون معنى الجملة «قائد الوجهاء والشخصيات الراقية فى المجتمع».

٣ . تفسير فرات الكوفى : ص ٧٨.

www.makarem.ir

يستفاد من المقطع الأوّل لهذه الآية الشريفة أن الإنسان لا يمكنه أن يصل بأدوات التعصّب واللجاجة إلى أى مرتبة من مراتب المعرفة والكمال الإنسانى، فلو أراد الإنسان أن يدرک الحقّ والحقيقة فينبغى عليه أن يتحرّک فى خطّ الحقّ من موقع التسليم والإذعان لا من موقع التفسير بالرأى وتحكيم الآراء المسبقة وإتّباع الأهواء النفسية، ولهذا نرى أن الآيات القرآنية والروايات الشريفة قد نهت بشدّة عن «الجدال بالباطل» وحذّرت من عاقبة إتّباع هذا الطريق المنحرف للوصول إلى الحقّ، حيث يقول القرآن الكريم فى الآية الثالثة من سورة الحجّ :

(وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِى اللهِ بَغَيْرِ عِلْم وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطان مَرِيد).

فالمجادلة بالباطل فى هذه الآية الشريفة قد جعلت رديفاً لإتباع الشيطان المريد، وهذا يعنى أن الإنسان إذا صار فى خطّ الجدل والمراء وتعامل فى حواره مع الآخرين بلغة التعصّب والإبتعاد عن المنطق فإنه يكون قرين «الشيطان المريد».

ونقرأ فى الروايات الإسلامية ما يؤكد هذا المضمون من أن أحد الحجب والموانع المهمة للإيمان والوصول إلى مرتبة اليقين هو الجدال بالباطل والمناقشة مع الطرف المخالف بلغة الإتهام وعدم التمسک بالبرهان المنطقى والعقلانى، فقد ورد عن النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) قوله :

«**ما ضَلَّ قَوْمٌ إلاّ أُوْتُوا الْجِدالَ**»[1].

فطبقاً لهذه الرواية الشريفة أن العامل الوحيد للضلالة والإبتعاد عن الحقّ هو البحث غير المنطقى والجدال من موقع الخصومة والتعصّب المذهبى.

سؤال : لماذا كانت جميع أسباب وعوامل الضلالة والزيغ تمتد بجذورها إلى الجدال بالباطل ؟

الجواب : لأن الإنسان لو وجد فى نفسه إذعاناً وتسليماً للحقّ فإنّ الدعاة إلى الحقّ كثيرون فى هذه الدنيا وبإمكان الإنسان أن يجد طريق الهداية والإيمان الصحيح بيسر

١ . بحار الأنوار : ج ٢، ص ١٣٨.

www.makarem.ir

وسهولة، وقد ورد أن الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) فى جوابه لهارون الرشيد عندما طلب منه الموعظة والنصيحة قال :

«ما مِنْ شَىء تَراهُ عَيْناکَ إلاّ وَفِيهِ مَوْعِظَةٌ»[1].

أى أن جميع ما فى الأرض من كائنات ومخلوقات وظواهر طبيعية هى فى الحقيقة موعظة لمن فتح قلبه على الله والحقّ، فالسماء بكلِّ ما تحوى مجرّات عظيمة وشموس منيرة ما هى إلاّ موعظة، ظاهرة الزمان والمكان موعظة، الحوادث المفرحة والمرّة موعظة، أجل فكلّ هذه الاُمور تكون موعظة بشرط أن يتمتع الإنسان باُذنٌ واعية وعينٌ بصيرة وفؤاد حىّ.

وتأسيساً على هذا فإنّ الحقّ لا يخفى على طلاّب الحقّ وعشّاق الحقيقة، ومن وقع فى وادى الضلالة والإنحراف فإنه يعانى من مشكلة فى واقعه النفسانى قبل كلِّ شىء وبالتالى يعيش مرض الجدال بالباطل.

وقد أتّضح ممّا تقدّم أنه لا تفاوت بين المباحث والمواضيع الدينية والأخلاقية والسياسية وأمثال ذلک، فمثلاً ما نقرأه فى الصحف والإعلام حول المسائل السياسية يتدخل فيه هذا العنصر بالذات، أى أن كلُّ طرف من الأطراف المتنازعة لا يريد أن يذعن ويسلّم للحقّ بل يريد أن يحكّم رأيه ويفرض نظره على الآخرين بعيداً عن معايير الحقِّ والإنصاف، وإلاّ فإنّ تشخيص الحقّ فى المسائل السياسية لا يكون مشكلاً وعسيراً أيضاً، ولكن عندما تتدخل المسألة فى إطار التعصّب المذهبى والمنافع الشخصية والحزبية فإنّ الإنسان يبتعد عن أجواء الحقّ وسيختفى نور الحقّ بغشاوة سميكة من ظلمات الأهواء النفسانية.

ونقرأ فى رواية اُخرى عن أميرالمؤمنين ومولى المتقين أنه قال :

«اَلْجَدَلُ فِى الدِّينِ يُفْسِدُ الْيَقِينَ»[2].

---

١ . ميزان الحكمة : باب ٤١٢٠، ح ٢١٧١١.

٢ . ميزان الحكمة : باب ٤٩٢، ح ٢٢٨٥.

www.makarem.ir

لأن الإنسان عندما يعيش حالة الجدل الدائم مع الآخرين فتدريجياً يطرح رغباته وميوله وأفكاره الشخصية المستوحاة من الأهواء النفسية فى لباس الدين والمذهب ويتصور أن هذا الرأى ما هو إلاّ قراءة سليمة للدين وللمفاهيم القرآنية.

والخلاصة أنه ورد النهى الشديد والأكيد فى الآيات والروايات الشريفة عن الجدل بالباطل، وأما الجدل بالحقّ والحوار المنطقى والهادف والذى يقوم على أساس الأدلّة والبراهين العقليّة ويكون الهدف منه هو إيضاح الحقيقة واستجلاء كوامن الحقّ من دون أن تكون رغبة لدى الطرفين فى الإستعلاء والغلبة والتفوق على الخصم فإنّ مثل هذا الجدال والحوار ليس فقط لا إشكال فيه بل هو مأمور به من قبل الله تعالى، حيث نقرأ فى الآية ١٢٥ من سورة النحل قوله :

(وَجادِلْهُمْ بِالَّتى هِىَ أَحْسَنُ).

٢ ـ الإقتداء بالهادى

والتوصية الثانية للآية الشريفة والتى تستفاد من المقطع الثانى لها هى أن المسلمين لو أرادوا الهداية إلى الله تعالى والسير فى خطّ التقوى والإيمان فلابدّ أن يتّخذوا الإمام على (عليه السلام)قدوة وعلى أساس من كونه «هادياً» للمسلمين.

الإمام على (عليه السلام) فى أخلاقه وسلوكياته وأقواله وكتبه المشحونة بالمعارف العالية والمفاهيم السامية وكلماته القصار المليئة بالموعظة والحكمة، وتاريخ حياته الملىء بالدروس والعبر، وآداب معاشرته وأخلاقه الجذّابة مع الآخرين، ومديريته القوية والرصينة،

وأُسلوب تعامله وتفاعله مع الأحداث والأشخاص والأقوام من الداخل والخارج، وأخيراً إرشاداته وتعليماته الإنسانية كلُّها يمكن أن تكون أُسوة وقدوة لجميع المسلمين فى حركتهم الدنيوية وسلوكهم المعنوى فى خطّ التكامل الأخلاقى والإلهى.

ونحن الذين ندّعى الولاية لهذا الإمام العظيم وندّعى أننا من أتباعه فما هو مقدار الفاصلة بين حياتنا وتعاملنا وأفكارنا مع حياة ذلك الإمام وأفكاره وأخلاقه ؟ لنرى طعام الإمام على (عليه السلام) كم كان زهيداً وبسيطاً، ولباسه فى أوج اقتداره وحكومته

www.makarem.ir

كم كان رخيصاً وساذجاً، فهل أن زخارف الدنيا وتجملاتها استطاعت أن تقيّد الإمام على (عليه السلام) وهو فى أعلى مواقع القدرة بحبائلها وأن تؤسره بأسلاكها، بل نقرأ فى التواريخ أن تشييع الإمام ومراسم تكفينه ودفنه كانت بسيطة للغاية، ولكن مع الأسف أنّ بعض من يدّعى أنه شيعة على (عليه السلام)يعيش فى عالم الزخارف الدنيوية البرّاقة وقد أصبح أسيراً لاحابيلها الموهومة، بل إنّ المراسم التى تجرى لهم بعد وفاتهم من بذل الطعام ومجالس الفاتحة والعزاء مليئة بالمظاهر البرّاقة ومشحونة بعناصر الهوى والفخفخة بحيث لا نجد شبهاً بينها وبين مجالس العزاء الحقيقية بل قد تنفق فى هذه المجالس ملايين الدنانير من دون أن تكون الدوافع سليمة والغايات إلهية.

وقد سمعت قبل مدّة خبراً قد يكون مفرحاً من جهة ومثيراً للقلق من جهة اُخرى، وهو :

«مات أحد الأشخاص فقرر أولياء الميت وأبناؤه أن ينفقوا مصارف مجلس العزاء ومراسم الفاتحة على الاُمور الخيرية، فجلسوا لمحاسبة نفقات مجلس العزاء هذا فتبيّن أنه قد يصل إلى خمسة ملايين تومان، فقرّر هؤلاء الأبناء أن ينفقوا هذا المبلغ على البنات من العوائل الفقيرة لكى يأمّنوا لهم جهاز العرس وأثاث البيت الزوجى بدلاً من صرفه على مجلس العزاء والفاتحة، فكان هذا المبلغ يكفى لتجهيز عشرة بنات، أى يكفى لتكوين عشر عوائل جديدة ومحتاجة».

هذا الخبر هو مقلق ومثير للتشويش من جهة المبالغ الطائلة التى تصرف على مجالس العزاء هذه، ومن جهة اُخرى مفرح ومثير للإرتياح والإنبساط بأن يقوم أولياء الميت وورثته بخطوة مهمة مستوحاة من العقل والوجدان ويقرّروا إنفاق ذلك المبلغ الكبير على اُمور خيرية وإنسانية.

ما المانع من أن يقوم المسلم بإنفاق مثل هذه المبالغ الكبيرة على اُمور إنسانية وموارد خيرية بدلاً من بذلها لمظاهر خاوية وتشريفات زائفة ؟

عزيزى القارئ : إنّ توفير مقدّمات الزواج للشباب المحتاجين ليست وظيفة وتكليف الوالدين فقط بل هو تكليف عام لجميع المسلمين كما تقول الآية الشريفة :

www.makarem.ir

(وَأَنْكِحُوا الأيامى مِنْكُمْ وَالصّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَإِمائِكُمْ)[1].

فهذه الوظيفة فى الحقيقة تتعلق بجميع أفراد المجتمع، ولا يقتصر الحال على مسألة الزواج بل سائر المشكلات والمعضلات التى تواجه الشباب والفتيات فى مجتمعاتنا الإسلامية حيث ينبغى أن نمدُّ لهم يد العون ونسعى فى حلّ مشاكلهم والتخفيف من آلامهم وهمومهم فى حركة الحياة من قبيل مشكلة «العطالة» التى تمثل العامل المهم لكثير من المفاسد الإجتماعية، وكذلک مشكلة «المسكن» ومشكلة «التحصيل الدراسى» وأمثال ذلک.

ينبغى علينا وبالإلهام من سيرة أميرالمؤمنين (عليه السلام) أن نتحرر من قيود وأسر التشريفات والظواهر البرّاقة والإبتعاد عن منزلقات الزخارف الدنيوية ونعيش البساطة والطهارة والنقاء فى الحياة الفردية والإجتماعية بل يجب على الحكومة الإسلامية مضافاً إلى توفير المناخ المناسب لمثل هذه السلوكيات والقيم الأخلاقية والثقافية لجميع أفراد المجتمع أن يقوم المسؤولون أنفسهم بالعمل بهذا المبدأ المقدّس لكى يمكنهم فى حال إصلاح هذه الأزمة الإجتماعية والإدارية، إصلاح قسم مهم من الفساد الإقتصادى والتخلف الإجتماعى الذى تعانى منه البلدان الإسلامية وبالتالى يتسنّى للمسلمين التخلص من التبعية للأجنبى والإستعمار الذى لا يفكر إلاّ فى مصالحه الشخصية ومنافعه المادية، ونستطيع إن شاء الله ببركة ذلک الإمام الهمام أن نحفظ عزّة وكرامة الأُمّة الإسلامية ونحلّ مشكلاتها.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لاستماع قول الحقّ ويرزقنا أُذناً واعية لفهم هذه التعليمات المهمة الواردة فى دائرة المفاهيم القرآنية ثمّ يوفقنا لتجسيد هذه المفاهيم على مستوى العمل والتطبيق والإستفادة من ثمراتها الكثيرة وبركاتها العميمة إنه أرحم الراحمين... آمين يا ربّ العالمين.

---

١ . سورة النور : الآية ٣٢.

www.makarem.ir

آية خير البريّة

١٤

«سورة البيّنة / الآية ٧ و ٨»

أبعاد البحث

هذه الآية الشريفة أيضاً من الآيات التى تتعلّق بموضوع الإمامة والخلافة، وتدلُّ بدقائق عباراتها الظريفة على أحقيّة مقام الإمامة والخلافة للإمام على (عليه السلام)، ولا يوجد فيها اختلاف على مستوى السياق والمدلول «خلافاً للآيات السابقة» وأما كيفية الإستدلال بهذه الآية لإثبات الولاية والإمامة فيحتاج إلى دقّة وتدبّر خاصّ كما سيأتى بيانه لاحقاً.

الشرح والتفسير

أفضل المخلوقات وشرّها

www.makarem.ir

من أجل إيضاح المراد من الآية الشريفة «آية خير البريّة» واستجلاء المفهوم منها نرى

من الضرورى أن نشرع بشرح الآية السادسة من سورة البيّنة :

(إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ وَالْمُشْرِكينَ فى نارِ جَهَنَّمَ خالِدينَ فِيهَا).

أى أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين لم يقبلوا بالإسلام وكذلك المشركون وعبادة الأوثان يشتركون فى العاقبة والمصيرالأُخروى فجميعهم يردون جهنم خالدين فيها.

(أُولئِکَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ).

وهذا هو السبب فى أنهم مخلّدون فى نار جهنم، وكأن هذه الجملة وردت فى مقام الدليل لبيان سبب خلود هؤلاء فى نار جهنم[1].

ويستفاد من الآيات السابقة لهذه الآية الشريفة أن هؤلاء ليسوا من الكفرة العاديين بل هم طائفة من الكفّار الذين فهموا الرسالة الإلهية واتّضحت لديهم الحجّة والبيّنة وعلموا بحقّانيّة الإسلام والرسالة السماوية ولكنّهم مع ذلک أصرّوا على عنادهم ولجاجتهم وانطلقوا فى عداءهم مع الحقّ والعدل من موقع الخصومة والعدالة، وعليه فإنّ هذه الآية لا تشمل كلُّ الكفّار والمشركين وأهل الكتاب حتّى لو تحرّكوا فى خطّ الباطل والكفر من موقع الجهل والغفلة، فالخطأ الذى ينطلق من موقع الغفلة والإندفاع العفوى ليس كالخطأ الذى ينطلق من موقع التمرّد والجحود مع وعى الموقف ووضوح الرؤية.

---

١ . عبارة «أُولئک هم شرّ البريّة» عبارة قارعة مثيرة، وتعنى أنّه لا يوجد بين الأحياء وغير الأحياء موجود أفل وأسوأ من الذين تركوا الطريق المستقيم بعد وضوح الحقّ وإتمام الحجّة وساروا فى طريق الضلال، مثل هذا المعنى ورد أيضاً فى قوله تعالى : (إنّ شرّ الدواب عند الله الصمّ البكم الذين لا يعقلون)الأنفال : ٢٢. وكذلک فى قوله سبحانه يصف أهل النار : (أُولئک كالأنعام بل هم أضلّ أُولئک هم الغافلون) الأعراف : ١٧٩. وهذه الآية مورد البحث تذهب فى وصف هؤلاء المعاندين إلى أبعد ممّا تذهب إليه غيرها، لأنها تصفهم بأنهم شرّ المخلوقات. (التفسير الامثل : ج ٢٠، ص ٣٦۴، ذيل الآية).

www.makarem.ir

وبعد أن ذكرت الآية الشريفة شرّ المخلوقات تحرّكت الآية التى بعدها لبيان أفضل المخلوقات وقالت :

(إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالحاتِ أُولئِکَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّة).

فقد ذكرت هذه الآية الشريفة لأفضل مخلوقات الله ثلاث صفات وخصوصيات :

١ ـ «**الَّذينَ آمَنُوا**» فالخصوصية الأُولى لهؤلاء هى إيمانهم بالله تعالى والنبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)ويوم القيامة، وعليه فإنّ المشركين وجميع الأشخاص الذين لا يدينون بدين الإسلام خارجون عن هذه الدائرة ولا يتّصفون بهذه الصفة الكريمة.

٢ ـ (وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ) الخصوصية الثانية للأشخاص الذين هم «خير البريّة» هو أنهم يتحرّكون فى واقعهم الإجتماعى من موقع العمل الصالح الذى يستوحى مقوّماته من الإيمان والإعتقاد فى عالم القلب والروح.

«العمل الصالح»[1] يتضمن معنىً عاماً وشاملاً، وقد ورد فى الروايات الشريفة أن أدنى مرتبة له هو «**اِماطَةُ الأذى عَن الطَّريقِ**» وأعلى مرتبة له هو اعتناق دين الحقّ والشهادة بالتوحيد «**وأعْلاها شَهادَةُ اَنْ لا اِلهِ إلاّ الله**»[2].

والخلاصة أن الصفة الثانية لهؤلاء هى أنهم يعملون الأعمال الصالحة.

٣ ـ (ذلِکَ لَمِنْ خَشِيَ رَبَّهُ) الخصوصية الثالثة لهؤلاء الأشخاص هى أنهم يتمتعون بمقام «الخشية» من الله تعالى، فمضافاً للإيمان والعمل الصالح فإنهم يعيشون حالة الخشية والخضوع والإذعان للحقّ تعالى والتسليم لأوامره وتعليماته.

سؤال : هل أن «الخشية» هى شىء آخر غير الإيمان والعمل الصالح ؟

الجواب : نعم، إنّ الخشية مرتبة أعلى من الإيمان والعمل الصالح، والظاهر أنها تعنى الإحساس بالمسؤولية، فتارةً يعيش الإنسان الإيمان والعمل الصالح ولكن ذلک لا يعنى أنه يتحلّى بعنصر الإحساس بالمسؤولية ولا يكون إيمانه وعمله الصالح مسترفداً من إحساسه بالمسؤولية بل بسبب العادة والتربية وأجواء الأُسرة والمحيط الإجتماعى،

---

١ . لبيان أهمية العمل الصالح يكفى أن نعلم أن هذه العبارة وردت فى القرآن الكريم سبعين مرّة تقريباً.

٢ . عوالى اللئالى : ج ١، ص ٤٣١، والرواية أعلاه وردت فى صحيح مسلم، كتاب الإيمان، الباب ١٢، ح ٥٨، مسند أحمد : ج ٢، ص ٣٧٩.

www.makarem.ir

وتارةً أُخرى يتحرّک الإنسان فى إيمانه وعمله الصالح على أساس من أحساسه بالمسؤولية، فمثل هذا الإنسان يتعامل مع الأحداث والأشخاص والمواقف المختلفة من منطلق إحساسه بالمسؤولية ويكون سلوكه وممارساته فى حركة الحياة الفردية والإجتماعية قائمة على هذا الدافع النفسانى والوجدانى.

والنتيجة هى أن «خير البريّة» هم الذين يتمتعون بثلاث صفات : الإيمان، العمل الصالح، الإحساس بالمسؤولية.

وبعد ان تنتهى الآية الشريفة من تعريف «خير البريّة» وتبيين صفاتهم وخصائصهم تتعرض كذلک لبيان أجرهم وثوابهم عند الله وتقول :

(جَزائُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتُ عَدْن تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الاَنْهارُ).

إنّ ثواب «خير البريّة» فى الدار الآخرة يتضمن الثواب المادى والمعنوى على السواء، لأن الإنسان مركّب من جسم وروح، فجسمه يطلب الثواب المادى، وروحه تشتاق إلى الثواب المعنوى.

أما الثواب المادى لهؤلاء الصالحين فهو عبارة عن الجنّة الخالدة والبساتين اليانعة التى تجرى من تحت أشجارها الأنهار[1] والمياة العذبة بصورة دائمة.

البساتين على نحوين :

١ ـ البساتين التى تردُّ إليها المياه من خارجها ويتمُّ سقى أشجارها بالماء بين كلِّ حين وآخر وعلى فواصل زمنيّة معيّنة، فالمياه لا تجرى دائماً فى جداولها وسواقيها.

٢ ـ البساتين التى تتوفر فيها المياه بصورة دائمة وتجرى فى سواقيها وبين أشجارها، وبلاشک أن مثل هذه البساتين تنعم أشجارها بطراوة خاصّة ومشهد جذّاب ولا يخشى عليها الجفاف والذبول، فبساتين الجنّة التى تقدّم وصفها فى الآية الشريفة هى من النوع الثانى، فهى خضراء يانعة دائماً.

---

١ . صفة «الخلود» يمكن استفادتها من كلمة «عدن» بمعنى الخالدة، ويقال «معدن» للأشياء المعدنية الثابتة والمستقرة فى ذلک المكان بصورة دائمية.

www.makarem.ir

(خالِدينَ فِيها أَبَداً) فكما أن الكفّار والمشركين وأهل الكتاب الذين وقفوا من الرسالة الإلهية موقف المعاند والعدو مخلدون فى نار جهنم، وكذلک المؤمنون الذين يعيشون الإحساس بالمسؤولية ويترجمون إيمانهم وإحساسهم هذا على مستوى الممارسة والأعمال الصالحة هم مخلدون فى الجنّة أيضاً.

(رَضِيَ اللهُ عَنْهُم وَرَضُوا عَنْهُ) وتشير هذه الجملة إلى الثواب المعنوى لهؤلاء المؤمنين، وهو أن الله تعالى ينعم عليهم بالمواهب الاُخروية العظيمة إلى درجة أنهم يعيشون الرضا والسرور الفائق، ومن جهة اُخرى فإنّ لطف الله تعالى ورحمته بهؤلاء يبلغ إلى الحدّ الذى يرضى الله عزّوجلّ عنهم.

فما أعظم هذا المقام الشامخ، وما أعظم هذه المرتبة السامية التى لا تتصور فوقها مرتبة فى عالم الكمال والنعمة والسعادة.

والنتيجة التى نستخلصها من هذه الآيات الشريفة الثلاث أنها ذكرت خصوصيّات «شرُّ البريّة» وعقوباتهم فى الدار الآخرة، وكذلک صفات وخصوصيّات «خير البريّة» وأجرهم وثوابهم عند الله فى يوم القيامة.

خير البريّة فى الروايات

سؤال : هل أن المفهوم من هذه الآية الشريفة عام أو خاصّ ؟

وبعبارة اُخرى : هل أنّ «خير البريّة» يشمل جميع المؤمنين الذين يعملون الصالحات، أو يتحدد بفئة خاصّة منهم ؟

الجواب : ومن أجل التوصل إلى جواب هذا السؤال نرى من اللازم الرجوع إلى الروايات الواردة فى شأن نزول هذه الآيات الكريمة :

طبقاً للروايات الكثيرة الواردة فى مصادر وكتب الشيعة وأهل السنّة أن النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)ذكر فى تفسير «خير البريّة» أنهم : علىّ وشيعته، وقد وردت هذه الروايات فى كتب مختلفة، منها :

www.makarem.ir

١ ـ «**شواهد التنزيل**» لمؤلفه الحاكم الحسكانى[١].

٢ ـ «**الصواعق المحرقة**» تأليف ابن حجر الهيثمى[٢]

٣ ـ «**الدرّ المنثور**» للسيوطى[٣].

٤ ـ «**نور الأبصار**» لمحمّد الشبلنجى[٤].

٥ ـ «**تفسير الطبرى**»[٥].

٦ ـ «**روح المعانى**» للآلوسى[٦].

٧ ـ «**المناقب**» للخوارزمى[٧].

٨ ـ «**فتح الغدير**» للعلاّمة الشوكانى[٨].

وقد أورد صاحب كتاب «شواهد التنزيل» فى كتابه هذا أكثر من عشرين رواية فى ذيل آية خير البريّة، وقد اخترنا منها ثلاث روايات كنموذج لتقرير المطلوب، وهى كالتالى :

الف) يقول جابر بن عبدالله الأنصارى الصحابى المعروف : كنت جالساً مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)وجماعة من أصحابه عند الكعبة، وإذا بعلىّ قد ظهر لنا من بعيد، فلمّا رآه رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال لأصحابه :

«قَدْ أَتاكُمْ أَخى، ثُمَّ الْتَفَتَ إلَى الْكَعْبَة، فَقالَ وَرَبِّ هذهِ الْبُنْيَة ! إنَّ هذا وَشِيعَتَهُ هُمُ الفائزونَ يَوْمَ الْقيامَة، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ : أَما وَالله إنّهُ أَوَّلُكُمْ إيماناً بالله، وَاقْوَمُكُمْ بأمر الله وَأَوفاكُم بِعَهْدِ الله وَأَقْضاكُمْ بِحُكْمِ الله وَأَقْسَمُكُمْ بِالسَّوِيَّةِ وَأَعْدَلُكُمْ

١ . الحاكم الحسكانى النيشابورى من علماء أهل السنّة فى نيشابور، و«حسكان» قرية من قرى نيشابور، ويعتبر من العلماء المعتدلين والبعيدين عن التعصّب، وقد سعى لجمع جميع الروايات الواردة فى شأن نزول آيات القرآن الكريم فى كتابه.

٢ . الصواعق المحرقة : ص ٩٦ نقلاً عن نفحات القرآن : ج ٩، ص ٢٦١.

٣ . الدرّ المنثور : ج ٦، ص ٣٧٩ نقلاً عن نفحات القرآن : ج ٩، ص ٢٦٠.

٤ . نور الأبصار : ص ٧٠ و ١١٠ نقلاً عن نفحات القرآن : ج ٩، ص ٢٦١.

٥ . تفسير الطبرى : ج ٣٠، ص ١٧١.

٦ . روح المعانى : ج ٣٠، ص ٢٠٧.

٧ . المناقب الخوارزمية : ص ٤٢١، طبعة طهران نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٢٨٩.

٨ . فتح الغدير : ج ٥، ص ٤٦٤، طبعة مصر نقلاً عن احقاق الحقّ : ج ٣، ص ٢٩١.

www.makarem.ir

فِي الرَّعيَّةِ وَأَعْظَمُكُمْ عِنْدَ اللهِ مَزِيَّةً. قالَ جابِرُ فَأَنْزَلَ الله : (إنَّ الَّذينَ آمَنُوا... خَيْرُ البَرِيَّة) فَكانَ عَلِيٌّ إذا أَقْبَلَ قالَ أَصْحابُ مُحَمّد : قَدْ أَتاكُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَ رَسُول الله»[1].

ويستفاد من العبارة الواردة فى ذيل هذه الرواية الشريفة أنها كانت مشهورة بين المسلمين فى صدر الإسلام، وعليه فإنّ الرواة لها لا يقتصرون على ابن عبّاس وجابر بن عبدالله وأبو برزة.

ب) ويقول جابر فى رواية أُخرى : أنه عندما نزلت آية خير البريّة، التفت النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)إلى على بن أبى طالب (عليه السلام) وقال :

«هُمْ أَنْتَ وَشِيعَتُک، تَرِدُّ عَلَيَّ وَشِيعَتُکَ رَاضِينَ مَرْضِيِّيْنَ»[2].

ج) يقول أبو برزة الأسلمى : عندما نزلت آية خير البريّة قال رسول الله (صلى الله عليه وآله)لعلى بن أبى طالب :

«هُمْ أَنْتَ وَشِيعَتُکَ يا عَلِيّ، وَميعادُ ما بَيْنى وَبَينکَ الْحَوْضُ»[3].

د) ويروى ابن عساكر فى شرح هذه الآية الشريفة «آية خير البريّة» عن عائشة رواية طريفة، (ورغم أن عائشة لم تكن على علاقة جيّدة مع على بن أبى طالب وقد قامت بوجهه فى حرب الجمل) قال :

«وفى رواية لعائشة عن عطاء قال سألت عائشة عن على فقالت : ذاک خير البشر لا يشک فيه إلاّ كافر»[4].

والنتيجة أنه طبقاً للروايات الكثيرة الواردة فى تفسير آية خير البريّة أن المراد من «خير البريّة» هو على بن أبى طالب (عليه السلام).

سؤال : ويطرح الآلوسى فى روح المعانى سؤالاً بهذه الصورة :

---

١ . شواهد التنزيل : ج ٢، ص ٣٦٢.

٢ . شواهد التنزيل : ج ٢، ص ٣٦٠.

٣ . شواهد التنزيل : ج ٢، ص ٣٥٩.

٤ . احقاق الحقّ : ج ٢، ص ٢٨٨.

www.makarem.ir

إذا كان المراد من خير البريّة هو على بن أبى طالب (عليه السلام) فهل أنه أعلى مقاماً من رسول الله(صلى الله عليه وآله) ؟ لأنّ كلمة «خيرالبريّة» فى الآية الشريفة وردت بشكل مطلق، ومفهومها أن المصداق لها هو أفضل من جميع الناس.

الجواب : لو تدبرنا فى مضمون الآية الشريفة لأتضح الجواب عن هذا السؤال، لأنه كما تقدّم أن أحد الشروط التى لابدّ أن تتوفر فى «خير البريّة» هو الإيمان، أى الإيمان بالله والرسول وسائر مبادئ وأحكام الإسلام، وعليه فإنّ الإمام على من جهة اعتقاده وإيمانه العميق بالله تعالى ورسوله الكريم هو خير البريّة، فكيف يمكن أن يكون الإمام على وبسبب اعتقاده وإيمانه برسول الله هو خير البريّة وفى نفس الوقت يكون أعلى مرتبة من رسول الله(صلى الله عليه وآله)نفسه ؟ ولهذا السبب ورد فى رواية جابر بن عبدالله الأنصارى المذكورة فى منابع أهل السنّة أنّ علىّ بن أبى طالب خير البريّة بعد رسول الله.

سؤال آخر : ما هى العلاقة بين الآية الشريفة وبين مسألة الإمامة والخلافة لأميرالمؤمنين(عليه السلام) ؟ وعلى فرض أن يقبل أهل السنّة بأن على بن أبى طالب هو خير البريّة كما ورد فى رواياتهم، ولكن كيف يمكن الإستدلال بهذه الآية على إمامته وخلافته بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله) ؟

الجواب : بالنسبة إلى طريقة تعيين الخليفة بعد النبى هناك اختلاف بين الشيعة وأهل السنّة، فالشيعة يرون أن الخليفة والإمام بعد رسول الله يجب أن يكون منصوباً ومعيّناً من قبل الله تعالى[1]، إذن فتعيين الخليفة فى نظر الشيعة هو أمر انتصابى لا انتخابى، ولكنّ أهل السنّة يرون أن تعيين الخليفة بعد النبى هو أمر انتخابى ويجب أن يختاره الناس إماماً وزعيماً لهم، فإذا حظى بموافقة الناس وانتخابهم له صار خليفة لرسول الله.

١ . لأنّه كما تقدّم سابقاً لابدّ أن يكون خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) معصوماً، وملكة العصمة لا يدركها سوى الله تعالى، إذن فيجب أن يكون تعيين الخليفة المعصوم من قبل الله تعالى.

www.makarem.ir

وطبعاً إنّ هذا الإختلاف فى مفهوم وطريقة تعيين الخليفة لا يؤثر فى المفهوم من الآية الشريفة لأنه لو كانت الخلافة انتخابية أو انتصابية فإنّ الإمام على هو الوحيد اللائق لهذا المقام، لأنه لو كانت انتصابية كما يعتقد الشيعة فمع وجود الإمام على الذى هو خير البريّة وأفضل مخلوقات عالم الوجود فإنّ الله الحكيم لا يختار شخصاً آخر غيره لهذا المقام وإلاّ لكان منافياً لمقتضيات الحكمة الإلهية، ولو كانت المسألة انتخابية فهل يعقل مع وجود أفضل الناس وأعلمهم أن يختار العقلاء شخصاً آخر لهذا المقام ؟

من الواضح أن ما يعتذر به البعض من أنّ المسلمين فى ذلک الزمان لم يكونوا يعرفون الأفضل والأعلم هو عذر غير مقبول مع وجود كل هذه الروايات الكثيرة التى مرّت سابقاً ومع اشتهار مقام الإمام على (عليه السلام) ومناقبه وفضائله بعنوان إنه «خير البريّة».

ومع الإلتفات إلى ما تقدّم يتّضح جيّداً ارتباط الآية الشريفة مع مسألة الولاية والإمامة.

السؤال الثالث : إنّ الأفضل عادةً يكون شخصاً واحداً لا أكثر، وعليه كيف يكون الإمام على وشيعته هم الأفضل ؟

الجواب : إنّ مقام أفضل الخلق له مراتب، فيمكن أن يكون أحد الأشخاص على رأس الهرم فى سلسلة الأفاضل، وهناک أشخاص آخرون يقعون فى المراتب التى تلى هذه المرتبة، وهناک طائفة ثالثة أدنى منها وهكذا، وعليه فإنّ الإمام على يقف على رأس الهرم فى الأفضلية ويأتى شيعته فى المراحل الدانية.

والنتيجة لجميع هذه الأبحاث أن «خير البريّة» ومن يحوى الصفات الثلاثة : الإيمان، العمل الصالح والإحساس بالمسؤولية، هم على وشيعته.

توصيات آية خير البريّة

إنّ هذه الآية الشريفة والروايات الواردة فى تفسيرها تتضمن توصيات مختلفة، منها :

www.makarem.ir

١ ـ نظام القيم فى الإسلام

إنّ قيمة كلُّ دين أو مذهب تكمن فى منظومة القيم لذلک الدين أو المذهب، وببيان أوضح : إنّ كلُّ دين أو مدرسة فكرية وفلسفية تدور حول محور أساسى، وذلک المحور يكون بمثابة النظام القيمى والمعيار الذى ترسل فيه معالم ذلک الدين والمدرسة الفكرية، وكمثال على ذلک :

الف : ذكرت الآيات الكريمة فى حديثها عن منظومة القيم الأخلاقية للمجتمع الفرعونى الطاغوتى كما ورد ذلک فى الآية ٥١ من سورة الزخرف على لسان فرعون :

(وَنادى فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِ قالَ يا قَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْکُ مِصْرَ وَهذِهِ الأَنْهارُ تَجْرى مِنْ تَحْتِى أَفَلا تُبْصِرُونَ).

هنا نرى أن فرعون يفتخر بتسلطه على مصر واستلامه زمام الأُمور فى حكومة مصر، تلک الحكومة المستبدة والديكتاتورية، وهذا السياق القرآنى يعبّر فى الحقيقة عن نظام القيم فى حكومة فرعون، وعلى هذا الأساس فالإنسان الجيّد فى نظر فرعون والفراعنة هو الحاكم والمتسلط على الناس حتّى لو كان متوغلاً فى الفساد والجريمة والظلم، أما الإنسان السافل والساقط فهو من يعيش بعيداً عن أجواء السلطة والحكومة حتّى ولو كان من الناحية الأخلاقية يتّصف بأفضل الصفات والفضائل الأخلاقية، ولهذا اعترض فرعون على موسى ودعواه النبوّة والرسالة من الله تعالى وقال :

(فَلَوْلا أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَب أَوْ جاءَ مَعَهُ الْمَلائِکَةُ مُقْتَرِنِينَ)[1] (ليؤيدوا كلامه من كونه مرسل من الله تعالى).

أى أن موسى (عليه السلام) وطبقاً لرؤية الفراعنة ونظامهم الأخلاقى كان يعيش بعيداً عن أجواء القدرة والثروة والحكومة إذن فلا يستحق مقام النبوّة والرسالة.

والنتيجة هى أن المعيار الأخلاقى فى النظام الفرعونى هو القدرة والثروة والزينة.

---

١ . سورة الزخرف : الآية ٥٣.

www.makarem.ir

ب : وهناک بعض الأنظمة الأخلاقية فی بعض المجتمعات والمذاهب الأُخری تعتبر أن کثرة الأموال والأولاد والثروة هی المعيار، کما ورد فی الآية الشريفة ٣٥ من سورة سبأ :

(وَقالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالاً وَأَوْلاداً وَما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ).

فهؤلاء يعيشون بنظام من القيم الأخلاقية التی تدور حول محور القوی الإنسانية والإقتصادية، وطبقاً لهذه العقيدة وهذه الرؤية فإنّ الإنسان الجيّد والمحترم هو من يتمتع بأموال کثيرة وثروة طائلة وأبناء کثيرين وخاصّة إذا کان هؤلاء الأبناء ذکور کما هو حال العرب فی زمن الجاهلية حيث کانت العائلة السعيدة هی التی يتوفر فيها کثرة فی الأولاد الذکور، لأن ذلک يمنحهم القدرة علی القتال والغارة وعمليّات السلب والنهب أو ينتفع الأب من معونتهم فی أعماله الشخصية والإجتماعية.

والخلاصة أن مثل هذا النظام الأخلاقی يعتمد بالدرجة الأُولی علی مبدأ القوّة البشرية والکثرة فی الأموال والأولاد.

وأمّا بالنسبة إلی الرؤية الإسلامية ومنظومة القيم فی دائرة المفاهيم القرآنية فإنها تختلف عمّا تقدّم من النظم والمعايير الثقافية، فکلٌّ ذلک لا يعدّ فی نظر الإسلام معياراً وقيمةً ذات أهميّة علی مستوی حياة الإنسان الأخلاقية والمعنوية رغم أنها قد تنفع أحياناً فی کونها وسيلة وأداة للتوصل بها إلی الأهداف المقدسة والغايات الدينية فتکون مطلوبة وإيجابية حينئذ.

القرآن الکريم يردُّ علی ما ذکرناه آنفاً من النظام القيمی للطائفة الأخيرة ويقول :

(وَما أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِی تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفی إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً فَأُولئِکَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بِما عَمِلُوا وَهُمْ فی الْغُرُفاتِ آمِنُونَ)[1].

فهذه الآية الشريفة وضمن رفضها للنظام الأخلاقی الذی يستوحی مقوماته من القوّة البشرية والإقتصادية تطرح النظام الأخلاقی والمعيار القيمی فی دائرة المفاهيم الإسلامية وتذکر «الإيمان» و«العمل الصالح» کمفردات معيارية للنظام الأخلاقی فی الإسلام، لأن

١ . سورة سبأ : الآية ٣٧.

www.makarem.ir

هذه الأُمور هى التى توصل الإنسان إلى معراج الكمال المعنوى وتقوده فى حركته الصاعدة نحو الله تعالى لا المال والأولاد والأُمور الدنيوية الأُخرى.

ويقول تبارک وتعالى فى الآية ١٣ من سورة الحجرات ضمن اعتبار التقوى محور آخر من محاور النظام الأخلاقى فى الإسلام ويخاطب الناس كافة :

(يا أَيُّهَا النّاسُ إنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَر وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ إنَّ اللهَ عَليمٌ خَبيرٌ).

عندما جاء الإسلام بنظام أخلاقى جديد يقوم على الإيمان والعمل الصالح والتقوى فإنه استبدل القيم الجاهلية القديمة بهذه القيم السماوية والإنسانية وخلق بذلک تحولاً عظيماً فى هيكلية المجتمع البشرى وقدّم إلى البشرية أشخاصاً مثل «أبى ذرّ» و «سلمان» و «ميثم التمّار» بدلاً من «أبى جهل» و«أبى لهب» و«أبى سفيان».

إنّ آية «خير البريّة» تقرر إنّ منظومة القيم فى الإسلام تقوم على أساس «الإيمان» و «العمل الصالح» و«الإحساس بالمسؤولية» وتقرر بأن أفضل الناس هم الذين يتميّزون بهذه السمات الأخلاقية والدينية الثلاث، ولكننا نرى مع الأسف فى عالمنا المعاصر أن قيم

الجاهلية عادت لتحكم من جديد فالإنسان الأفضل هو الذى يمتلک دولارات أكثر أو يتمتع بقدرة اقتصادية أعظم أو يمتلک قوّة عسكرية أكبر، ولكن كلّ هذه الأُمور لا تعدّ معياراً أساسياً فى منظومة القيم والمفاهيم الإنسانية.

٢ ـ تاريخ ظهور الشيعة

يتصور البعض أو يلقّن نفسه بهذا المفهوم الزائف عن الشيعة، وهو أن الشيعة ظهرت إلى الوجود كمذهب وتيار إسلامى منذ زمن الصفويين أو بعد ذلک وليس لهم امتداد تاريخى فى القرون السابقة.

ولكن يتضح بطلان هذا التصور بمجرّد إلقاء نظرة عابرة على ما ورد فى الروايات الإسلامية وكتابات المؤرّخين ومن ذلک ما ورد فى الروايات الشريفة فى ذيل آية «خير البريّة» والتى تقدّم ذكرها وأن كلمة «الشيعة» ذكرت لأوّل مرّة على لسان الرسول

www.makarem.ir

الأكرم (صلى الله عليه وآله)وأراد منها أتباع على بن أبى طالب (عليه السلام)، وعلى هذا الأساس فإنّ تاريخ ظهور الشيعة يتزامن مع تاريخ ظهور الإسلام وقد سبق ظهور هذا المذهب جميع المذاهب الإسلامية الأُخرى.

ومع الأخذ بنظر الإعتبار هذا الأمر يتّضح جيّداً أن بعض الأشخاص الذين يتحركون من موقع الغفلة أو التغافل أو العناد على مستوى اتهام الشيعة والتعريض بهم بما تقدّم، هم بعيدون عن الحقّ والصواب ومشمولون لقول الشاعر :

وَإِن كُنْتَ لا تَدْرى فَتِلْکَ مُصِيبَةٌ * وَإِنْ كُنْتَ تَدْرى فَالْمُصِيبَةُ أَعْظَمُ**

أى أن بعض العلماء من الفرق الإسلامية إذا لم يكونوا يعلمون بهذه الأحاديث والروايات وغير مطّلعين عليها فهذه مصيبة (بحيث إنّ الإنسان الذى يدّعى العلم يجهل هذه الروايات).

وإذا كانوا مطّلعين عليها ولكنهم ينكرونها ويتغافلون عنها من موقع العناد والتعصّب فمصيبتهم أعظم وأكبر.

إلهنا أحفظنا من التورط فى منزلقات التعصّب الأعمى وأبعدنا عن آثاره المشؤومة وعواقبه الوخيمة.

٣ ـ ماذا تعنى كلمة الشيعة ؟

سؤال : إنّ الروايات الواردة فى هذا البحث تصف شيعة الإمام على (عليه السلام) كأنهم أفضل من خلق الله تعالى، ومع الإلتفات إلى هذا المقام السامى للشيعة، نريد أن نعرف من هم هؤلاء الشيعة ؟

الجواب : وفى المقام الجواب على هذا السؤال لابدّ من استعراض معنى كلمة «الشيعة» والبحث فيها من ثلاث جهات :

ففى البداية نبحث المعنى اللغوى لهذه الكلمة، ثمّ موارد استعمالها فى القرآن الكريم، فى الثالثة نستعرض بعض الروايات التى تتعرض لوصف الشيعة الحقيقيين.

الف : الشيعة فى اللغة : إنّ هذه الكلمة «الشيعة» تعنى فى اللغة «الإنتشار مع القدرة»، فالشىء الذى يمتد وينتشر فى مناطق مختلفة مع القدرة والقوّة يطلق عليه

www.makarem.ir

«شيعة» والنتيجة أن الشيعة فى اللغة تطلق على الفئة والجماعة المنتشرة والقوية فى نفس الوقت.

ب : الشيعة فى القرآن : وردت هذه الكلمة فى القرآن الكريم فى أربعة موارد، أحداها ما ورد فى شأن النبى إبراهيم (عليه السلام) فى سورة الصافات، الآية ٨٣ و ٨٤ :

(وَاِنَّ مِنْ شيعَتِه لاَبْراهيمَ * إذْ جاءَ رَبَّهُ بَقَلْب سَليم).

هذه الآية الشريفة وصفت إبراهيم بأنه من شيعة النبى نوح (عليه السلام)، أى أنه استمرار لخطّ النبى نوح (عليه السلام)، والآية الثانية ترسم معالم التوفيق الذى ناله إبراهيم فى هذا المجال حيث توجه إلى خالقه وربّه بقلب سليم[1] من أدران الشرک وتلوثات الخطايا.

والآية الاُخرى التى وردت فيها كلمة الشيعة هى الآية ١٥ من سورة القصص حيث تتعرض هذه الآية إلى قصة موسى (عليه السلام) وتقول :

(وَدَخَلَ الْمَدينَةَ عَلَى حين غَفْلَة مِنْ أَهْلِها فَوَجَدَ فيها رَجُلَيْن يَقْتَتِلانِ هذَا مِنْ شيعَتِه وَهذا مِنْ عَدُوِّه فَاسْتَغاثَهُ الَّذِى مِنْ شيعَتِه عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّه...).

كلمة «شيعة» فى هذه الآية الشريفة اُطلقت على أتباع النبى موسى (عليه السلام) ويمكننا أن نستوحى من هذا التعبير أن النبى موسى كان قد شكّل جماعة له قبل النبوّة وربّاهم على طريق الحقّ والإيمان.

والنتيجة هى أن كلمة شيعة فى الآيات أعلاه وردت فى حقّ بعض الأنبياء وأتباعهم.

ج : الشيعة فى الروايات : لقد وردت كلمة «شيعة» فى الروايات الشريفة بشكل واسع ومستفيض، ونكتفى هنا بذكر ثلاث نماذج منها :

١ ـ ما ورد فى خطاب الإمام على لأحد أصحابه ويدعى «نوف البكالى» قال :

---

١ . ورد فى تعريف القلب السليم فى الروايات أنه القلب الذى لا يوجد فيه غير الله، أى حتّى الاُمور التى يريدها الإنسان من المقام والثروة والمرأة والأطفال والصحّة والأمان فإنما يريدها للتقرب إلى الله تعالى، ولو أرادها الإنسان بصورة مستقلة ووقعت فى قلبه من دون غاية التقرب إلى الله فإن مثل هذا القلب لا يكون سليماً، وقد وردت عبارة «القلب السليم» فى القرآن مرتين، أحداهما فى سورة الشعراء : الآية ٨٩، والاُخرى فى سورة الصافات : الآية ٨٤. (وللمزيد من التفاصيل فى معنى القلب السليم يراجع التفسير الامثل، ذيل تفسير هاتين الآيتين).

www.makarem.ir

«أَتَدْرى يا نَوْفُ مَنْ شيعَتِى ؟»

فقال نوف : لا وَاللهِ.

فشرع الإمام يبين له أوصاف الشيعة الحقيقيين ومن ذلک أنه قال : «رُهْبانٌ بِاللَّيْلِ وَأُسْدٌ بِالنَّهار»[1] فيعيشون فى الليل الشوق والمناجاة والتبتل إلى الله تعالى، وفى النهار يتحركون فى دفاعهم عن الإسلام وخدمة المسلمين من موقع الإخلاص والشجاعة الفائقة ولا تأخذهم فى ذلک لومة لائم.

٢ ـ وورد فى رواية أُخرى فى أوصاف الشيعة :

«إِنَّما شَيعَتُنا أَصْحابُ الأَرْبَعَة الأَعْيُنِ؛ عَيْنانِ فِى الرَّأْسِ وَعَينانِ فِى الْقَلْبِ»[2]

أى أن الشيعى ينبغى أن يكون شخصاً قوياً، شجاعاً، واعياً، يقظاً، فاهماً وعالماً لا أن يكون ساذجاً وسطحياً ويتعامل مع الأحداث من موقع الهويمات والأوهام الهشة والمطلقات الخاوية.

٣ ـ وقال شخص للإمام الباقر (عليه السلام) : «الحمد لله على كثرة شيعتكم».

فنظر إليه الإمام نظرة ذات مغزى وقال له : إنما تقوله عن شيعتنا :

هَلْ يَعْطِفُ الْغَنىُّ عَلَى الْفَقيرِ ؟ وَيَتَجاوَزُ الْمُحْسِنُ عَنِ الْمُسِىءِ وَيَتَواسَوْنَ ؟

قُلتُ : لا.

قالَ : لَيْسَ هؤُلاءِ الشِّيعَةُ، الشِّيعَةُ مَنْ يَفْعَلُ هَكَذا[3].

أجل، فإنَّ الشخص الشيعى يجب أن يكون قائم الليل يقظ وعامل فى النهار ويتعامل مع الواقع والأحداث بمنطق العقل والفهم السليم ويساعد الفقراء والمساكين ويعفو عن المسيئين ويشارک الناس فى همومهم ويواسيهم فى غمومهم.

□□

١ . بحار الأنوار : ج ٧٥، ص ٢٨.

٢ . الكافى : ج ٨، ص ٢١٥.

٣ . بحار الأنوار : ج ٧١، ص ٣١٣.

www.makarem.ir

آية الحكمة

١٥

«سورة البقرة / الآية ٢٦٩»

أبعاد البحث

بلاشک إنّ الإسلام له دور هام وأساسی فی ترویج العلم وتشویق الناس إلی سلوک طریق المعرفة أکثر من جمیع الأدیان الإلهیة والشرائع السماویة، ولذلک فلو قیل عن الإسلام بأنه دین العلم والمعرفة فلایعدُّ هذا الکلام جزافاً، والآیة مورد البحث من جملة الآیات التی عبّرت عن «الحکمة والمعرفة» بأنها «خیر کثیر»، أما ما هی علاقة الآیة الشریفة بفضائل أمیرالمؤمنین(علیه السلام) ؟ فسیأتی فی الأبحاث اللاحقة ونسأل الله تعالی أن یجعلنا من جملة هؤلاء الأشخاص الذین رزقوا الحکمة وأدرکوا حقائق الاُمور، آمین یا ربّ العالمین.

الشرح والتفسیر

الحکمة هی الخیر الکثیر !

(یُؤْتِی الْحِکْمَةَ مَنْ یَشاءُ) ذکروا للحکمة معانی کثیرة من قبیل : «أن الحکمة عبارة عن معرفة أسرار عالم الوجود» و«العلم بحقائق القرآن» و«الوصول إلی الحقّ علی مستوی

www.makarem.ir

القول والعمل» وأخيراً «الحكمة هى معرفة الله»[1] ويمكن جمع هذه المعانى كلّها بمعنى ومفهوم واسع.

وبما أن القرآن الكريم تحدّث فى الآية السابقة (الآية ٢٦٨ من سورة البقرة) أن الله تعالى وعد أن يبارك على الإنفاق وأن يغفر لمن ينفق فى سبيل الله وحذّره من وسوسة الشيطان وتخويفه من الفقر، ففى هذه الآية الشريفة أشار إلى هذه الحقيقة القرآنية وهى أن «الحكمة» هى الأداة والوسيلة للتمييز بين «الإلهى» و«الشيطانى» وبذلک يستطيع الإنسان أن يتخلص من وساوس الشيطان ويبعد نفسه عن الوقوع فى مصائده وفخاخه.

وأما فى عبارة «من يشاء» فلا تتضمن أن الله تعالى يرزق الحكمة والمعرفة بدون مبرر وبطريقة عشوائية بل إنّ مشيئة الله وإرادته مقرونة دائماً مع الحكمة، أى أنه لا يعطى الحكمة لمن لا يستحق ولا يليق بها، بل يؤتى الحكمة ويروى عطش الإنسان لها فيما لو كان الإنسان قابلاً لها ومستعداً لتقبلها.

(وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثيراً).

وبالرغم من أن الله تعالى هو الذى يؤتى الحكمة لعباده إلاّ أن هذه الآية لم تذكر الفاعل لهذا العطاء، بل اقتصرت على القول «ومن يؤتَ الحكمة» وهذا التعبير يشير إلى أن الحكمة والمعرفة بذاتها حسنة وجيّدة من أى مكان حصل عليها الإنسان فلا يختلف حالها فى الحسن باختلاف مصدرها، والملفت للنظر أن الآية الشريفة تقرر هذه الحقيقة، وهى أن كلّ من رزق العلم والمعرفة والحكمة فقد رزق الخير الكثير لا «الخير المطلق» لأنّ الخير المطلق أو السعادة المطلقة لا تكمن فى العلم والحكمة فقط بل إنّ العلم والحكمة هى أحد أدوات الخير والسعادة.

(وَما يَذَّكَّرُ إلاّ أُولُوا الألْبابِ) «تذّكر» يعنى حفظ العلوم والمعارف فى واقع النفس والروح و«الألباب» جمع «لُب» وبما أن لُب الشىء هو أهم جزء من أجزائه وأفضل أقسامه ولذلک اطلق على العقل كلمة «لُب» لأنه أفضل أجزاء الإنسان، فالآية الشريفة تقول : إنّ أصحاب العقل والمعرفة هم فقط الذين يدركون هذه الحقائق، ويتذكرونها

١ . وردت الإحتمالات الأربعة مع ستة احتمالات أُخرى فى «مجمع البيان» : ج ٢، ص ٣٨٢.

www.makarem.ir

وينتفعون منها،

ورغم أن جميع الناس يتمتعون بالعقل «سوى المجانين» ولكنّ أُولوا الألباب لا يقال لجميع العقلاء بل المراد الأشخاص الذين يستخدمون عقولهم ويتحركون فى سلوكهم العملى من موقع الإستفادة من نور العقل وضياء الحكمة ويتدبّرون فى أُمورهم.

الإمام على (عليه السلام) **صاحب الحكمة**

إنّ آية الحكمة هذه تدلُّ على أن «كلُّ من رُزق الحكمة فقد رُزق الخير العميم والكثير» ولكنها ساكتة عن مصداق هذا المفهوم العام ولا تقرر من هو هذا الشخص فى الواقع الخارجى، ولكن الروايات العديدة المذكورة فى طرق الشيعة وأهل السنّة ذكرت بأن الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام) هو المصداق لها وهو الذى يتمتع بالحكمة الإلهية، وهنا نستعرض بعض هذه الروايات :

١ ـ ذكر «الحاكم الحسكانى» العالم السنّى المعروف نقلاً عن «ربيع بن خيثم» أنه ذكر على(عليه السلام) عنده فقال :

لَمْ اَرَهُمْ يَجِدُونَ عَلَيْهِ فِى حُكْمِهِ وَاللهُ تَعالى يَقُولُ : «وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ اُوتِىَ خَيْراً كَثيراً»[1].

٢ ـ ويقول ابن عبّاس : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

مَنْ أَرادَ أَنْ يَنْظُرَ إلى إبْراهِيمَ فِى حِلْمِهِ وَإلَى نُوح فِى حِكْمَتِهِ وَاِلى يُوسُفَ فِى إجْتماعِهِ فَلْيَنْظُرْ إلى عَلِىِّ بْن اَبى طالِب[2].

ونفس هذه الرواية وردت بشكل آخر عن «ابن الحمراء» حيث يقول : كنّا عند رسول الله(صلى الله عليه وآله) فجاء على بن أبى طالب (عليه السلام) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

مَنْ سَرَّهُ اَنْ يَنْظُرَ إلى آدَمَ فِى عِلْمِهِ وَنُوح فِى فَهْمِهِ وَإبْراهيمَ فِى خُلَّتِهِ فَلْيَنْظُرْ إلى عَلِىِّ بْنِ أبى طالِب[1].

---

١ . شواهد التنزيل : ج ١، ص ١٠٧، ح ١٥٠.

٢ . شواهد التنزيل : ج ١، ص ١٠٦، ح ١٤٧.

www.makarem.ir

٣ ـ وفى رواية أُخرى عن ابن عبّاس يقول :

«كنت عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسئل عن على، فقال :

قُسِّمَتِ الْحِكْمَةُ عَشْرَةَ أَجْزاءَ، فَأُعْطِيَ عَلِيٌّ تِسْعَةَ اَجْزاءَ وَأُعْطِيَ النّاسُ جُزْءاً وَاحِداً»[٢].

هذه المضامين الواردة فى الروايات الشريفة توضح بصورة جيّدة أن الشخص الذى رُزق الحكمة والمعرفة فى الأُمّة الإسلامية بعد رسول الله هو على بن أبى طالب (عليه السلام) وأنه لا يصل إليه أحد من الصحابة فى العلم والمعرفة، وبما أن أهم ركن من أركان الإمامة هو العلم والحكمة والمعرفة فإنّ أجدر الناس لهذا المقام بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو على بن أبى طالب (عليه السلام).

سعة علم الإمام على (عليه السلام) وحكمته

إنّ دائرة علم على بن أبى طالب (عليه السلام) وحكمته واسعة إلى درجة أن شعاع نور علمه بلغ مبلغ اعترف به حتّى مخالفيه ولم يقدروا على إنكاره بل كانوا يرجعون إليه فى قضاياهم وما تشتبک عليهم من الأُمور، فكان مرجعاً علمياً لهم حيث كان الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه يرجعون إليه فى كثير من التعقيدات العلميّة والمشاكل الفقهيّة أيّام المحنة والسكوت الطويل، والأمثلة على ذلک كثيرة فى تاريخ صدر الإسلام ونكتفى هنا بذكر نماذج منها :

١ ـ المرجعية العلمية للإمام على(عليه السلام)

يقول أنس ابن مالک خادم رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إنّ رسول الله قال لعلى بن أبى طالب (عليه السلام) :

«اَنْتَ تَبيّنُ لاُمَّتِى ما اخْتَلَفُوا فِيهِ بَعْدِى»[١].

---

١ . شواهد التنزيل : ج ١، ص ٧٩، ح ١١٦.

٢ . شواهد التنزيل : ج ١، ص ١٠٥، ح ١٤٦.

www.makarem.ir

وأحد وظائف الإمامة والولاية المهمة هى حفظ حريم القرآن وخزانة العلوم النبوية ونقلها بصورة صحيحة إلى العلماء والفقهاء وشرح ما أشكل عليهم من مفاهيم وأحكام إلهية، وتتّضح أهمية هذا الدور والوظيفة للإمامة فيما لو علمنا أن الكثير من الاُمم والبلدان التى حققت انتصارات على اُمم اُخرى كبيرة ولكنها عجزت فى نفس الوقت عن التصدّى للثقافة الأجنبية وبالتالى لم تستطع حفظ ثقافتها ودينها وغلبت أخيراً على أمرها كما هو الحال فى هجوم المغول على البلاد الإسلامية وانتصارهم فى ميادين القتال والحرب على المسلمين إلاّ أنهم سرعان ما غُلبوا فى مقابل القرآن والإسلام واعتنقوا بذلک الإسلام بل أصبحوا من المدافعين عنه والمروّجين له.

الإمام على (عليه السلام) اهتم بعد رحيل رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهذا الأمر المهم جدّاً «الثقافة الإسلامية» وشرع بجمع القرآن وأقسم على أن لا يرتدى رداءه ويخرج من البيت قبل إتمام هذه المهمة إلاّ أن يكون خروجه للصلاة[٢]، ثمّ شرع بتعليم وتفسير القرآن الكريم فى ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وظاهره وباطنه، إلى أولاده وتلاميذه كالإمام الحسن والحسين (عليهما السلام)وابن عبّاس وابن مسعود وأمثالهم كما تعلّمها من رسول الله (صلى الله عليه وآله)وليكون ذلک حصناً ثقافياً للاُمّة الإسلامية أمام الغزو الثقافى والعقائدى الذى قد يتعرض له علماء الإسلام فى ظلّ الفتوحات الكثيرة واختلاط الحضارات والثقافات السائدة بين الأقوام البشرية حينذاک وليأمن حاجة المسلمين الفقهية والحقوقية من هذه المعارف الإلهية ويبيّن الاُصول العقائدية والأحكام الفقهية وغيرها من المسائل الثقافية بأفضل وجه وأحسن صورة للمسلمين.

٢ ـ الإمام على (عليه السلام) باب مدينة العلم

وقد ورد فى صحيح الترمذى أن النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) قال :

---

١ . مستدرک الصحيحين : ج ٣، ص ١٢٢، وكنز العمّال : ج ٦، ص ١٥٦، والمرحوم التسترى فى إحقاق الحقّ : ج ٦،ص ٥٢ و ٥٣،إضافة إلى المصدرين المذكورين وردت هذه الرواية فى أربعة كتب اُخرى أيضاً.

٢ . الإستيعاب : ص ١١٠٩ والاحتجاج للطبرسى : ص ٢٣٩.

www.makarem.ir

«اَنَا دارُ الْحِكْمَةِ وَعَلِيٌّ بابُها»[١].

ومن المسلّم أن كلُّ من أراد الدخول فى الدار فعليه أن يردها من بابها كما ورد فى الآية الشريفة ١٨٩ من سورة البقرة (وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ اَبْوابِها) وعليه فكلُّ من أراد العلم والمعرفة والوصول إلى خزائن الحكمة لدى النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) فعليه أن يبدأ مساره من الإمام

على (عليه السلام) فهو مفتاح هذه الخزائن ويطلب منه العلم والمعرفة.

٣ ـ الإمام على (عليه السلام) وتفسير القرآن

مع مراجعة سريعة إلى تفاسير القرآن الكريم يتّضح جيّداً أن الإمام على (عليه السلام)كان على قائمة المفسّرين وأئمّة التفسير كما ذكر ذلك السيوطى حيث قال : «إنّ أكثر ما ورد فى التفسير من الخلفاء هو من على بن أبى طالب»[٢].

ويعدّ ابن عبّاس على رأس المفسّرين فى صدر الإسلام وكان فى ذلك تلميذاً للإمام على(عليه السلام) وعندما قيل له : ما علمك إلى علم ابن عمّك ؟ قال : كالقطرة بالنسبة إلى البحر[٣]. وهكذا نقرأ فى كتب التاريخ أن تلامذة الإمام على (عليه السلام) فى مكّة والمدينة والكوفة كان لكلٍّ منهم مدرسة للتفسير.

٤ ـ الإمام على (عليه السلام) واضع علم النحو

لقد أمر الإمام على (عليه السلام) لغرض صيانة القرآن من التحريف اللغوى والأدبى أبا الأسود الدؤلى أن يكتب قواعد علم النحو كما علّمه أُصوله ومبادئه، ثمّ إنّ أبا الأسود الدؤلى وبالإستفادة من علم النحو هذا عمل على إعراب القرآن الكريم[٤].

---

١ . صحيح الترمذى : ج ٥، ص ٦٣٧ (نقلاً عن نفحات القرآن : ج ٩) وهناك روايات كثيرة بهذا المضمون، ولكن بما أن الرواية أعلاه ذكرت كلمة (الحكمة) فقد أوردناها خاصة، والروايات الأُخرى من قبيل «أنا مدينة العلم وعلى بابها» مستفيضة وقد أورد منها فى البحار : ج ٤٠، ١٢ رواية فى هذا المعنى.

٢ . الاتقان : نوع ٨٠، طبقات المفسّرين.

٣ . شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد : ج ١، ص ١٨ و ١٩.

٤ . طبقات النحويين : ج ٧، ص ١٤.

www.makarem.ir

٥ ـ الإمام على (عليه السلام) **وعلم الكلام**

يقول ابن أبى الحديد فى مقدمة شرح نهج البلاغة : إنّ علم الكلام هو أشرف العلوم وقد اقتبسه العلماء من الإمام على (عليه السلام)[١].

ويقول الأربلى فى كشف الغمّة إنّ أئمّة الكلام يعنى الأشاعرة، المعتزلة، الشيعة والخوارج، كلُّهم ينتسبون إلى ذلك الإمام[٢].

٦ ـ الإمام على (عليه السلام) **وعلم الفقه**

مضافاً إلى فقهاء الإمامية الذين أخذوا فقههم من الإمام على (عليه السلام) نرى أن أحمد ابن حنبل أخذ فقهه من الشافعى، والشافعى أخذ فقهه من محمّد بن الحسن ومالک، ومحمّد بن الحسن تعلم الفقه من أبى حنيفة، وتعلّم كلٌّ من مالک وأبو حنيفة الفقه على يد الإمام الصادق (عليه السلام)، وفقه الإمام الصادق (عليه السلام) ينتهى إلى جدّه على بن أبى طالب (عليه السلام)[٣].

٧ ـ الإمام على (عليه السلام) **وعلم الباطن**

يقول الدكتور أبو الوفاء الغنيمى التفتازانى أُستاذ جامعة القاهرة وشيخ الطريقة فى مقدّمته على كتاب «وسائل الشيعة» : «إنّ المشايخ وأصحاب الطريقة كالرفاعى، البدوى، الدسوقى، الگيلانى وهم من أجلّة علماء أهل السنّة يصلون بطريقتهم إلى أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) ومنهم إلى الإمام على (عليه السلام) ومنهم إلى النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) لأنّ النبى (صلى الله عليه وآله) قال : «**انا مدينة العلم وعلىّ بابها**»[٤] وهذه الحقيقة لدى العرفاء والتى تسمّى بعلم المكاشفة وعلم الباطن لم يملكها أحد سوى الإمام على (عليه السلام)[٥]، وهناک شواهد كثيرة فى أكثر كتب أهل السنّة على اختصاص الإمام على (عليه السلام)بهذا العلم، وكمثال على ذلک نرى أن عمر بن الخطّاب عندما أراد

---

١ . شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد : ج ١، ص ١٧.

٢ . كشف الغمّة : ج ١، ص ٢١.

٣ . شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد : ج ١١، ص ١٨.

٤ . تفصيل الكلام فيما يتعلق بعالم الذر فى التفسير الامثل : سورة الأعراف ، الآية ١٧٢.

٥ . كيهان فرهنگى : الرقم ١٨۴، ص ١۶.

www.makarem.ir

استلام الحجر قال : أُقبّلک وإنّی لأعلم أنک حجر لا تضرُّ ولا تنفع ولکن کان رسول الله بک حفیاً، ولولا أننی رأیت رسول الله یقبلک ما قبلتک.

فقال له الإمام علی (علیه السلام) : بلی، والله إنه لیضرّ وینفع، قال : وبمَ قلت ذلک یا أباالحسن ؟ قال : بکتاب الله تعالی. قال : أشهد أنک لذو علم بکتاب الله تعالی، فأین ذلک من الکتاب ؟ قال : قول الله عزّوجلّ : (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَی أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّکُمْ قَالُوا بَلَی شَهِدْنَا)... فلمّا أقروا له بالربوبیة کتب أسماءهم فی رقّ وأودعه هذا الحجر ثمّ قال له : اشهد لمن وافاک بالموافاة یوم القیامة... فقال عمر : لا عشتُ فی اُمّة لست فیها یا أباالحسن (بتلخیص).

٨ ـ الإمام علی (علیه السلام) **وخلافة النبی** (صلی الله علیه وآله)

لقد اتّضحت من خلال الأبحاث السابقة للقارىء الکریم هذه الحقیقة، وهی : أن الشخص الذی یعترف الجمیع (الموافقون والمخالفون والأصدقاء والأعداء) أنه أعلم الناس وأفضلهم بعد رسول الله (صلی الله علیه وآله) هو اللائق لمقام الخلافة والإمامة بعد النبی الأکرم (صلی الله علیه وآله)لا غیر، ولهذا ورد أن النبی الأکرم (صلی الله علیه وآله) ذکر فی خطبته الغرّاء فی غدیر خمّ هذین المطلبین (المرجعیّة العلمیّة والخلافة) وقال :

«**مَعاشِرَ النّاسِ ! هذا اَخِی وَوَصِیّی وَواعِی عِلْمِی وَخَلیفَتِی**»[1].

والتأمّل والتفکّر بهذه الخصوصیات الأربع المذکورة فی هذا الحدیث الشریف تبیّن حقائق کثیرة لطلاّب الحقیقة :

١ ـ «**أخی**» : فلو أن الإنسان أراد إظهار احترامه وتقدیره لمن یکبره فی السنّ فإنه یعبّر عنه بکلمة «أبی» وعندما یرید إظهار المحبّة والعاطفة بالنسبة إلی من هو أصغر منه سنّاً فیقول عنه «ابنی» وعندما یرید إظهار العلاقة والمحبّة لمن یکون ردیفه فی السنّ فإنه یعبّر عنه بأنه «أخی» لأن الاُخوة المعنویة تعنی الإرتباط الروحی القریب بین شخصین علی أساس المساواة، وعلیه فإنّ عبارة «أخی» فی الحدیث الشریف تتضمن حقیقة کبیرة، وهی أن الإمام علی (علیه السلام) فی واقعه وشخصیته یساوی النبی (صلی الله

١ . الغدیر : ج ٣، ص ١١٧.

www.makarem.ir

عليه وآله) أو أن شخصيته تقترب إلى حدٍّ كبير إلى شخصية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وبعبارة اُخرى إنّ كلمة «أخى» تتضمن المفهوم والمعنى الذى ورد فى آية المباهلة «أنفسنا وأنفسكم».

٢ ـ «**وصيّى**» : طبقاً لعقيدة أهل السنّة فإنّ الأنبياء لا يورثون، وعليه فإنّ الإمام على (عليه السلام)لا يكون وصيّاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فى مجال الأموال والثروة، ونعلم أن النبى لم يخلف من ذريته عند وفاته سوى فاطمة الزهراء (عليها السلام) ولذلک لا معنى لأن يكون الإمام على (عليه السلام)وصيّاً على أبنائه وذريته، وعلى هذا الأساس فإنّ الإمام على (عليه السلام)وصى رسول الله (صلى الله عليه وآله)فى المسائل المتعلقة بالدين، أجل إنّ النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله)ولغرض تكميل واستمرار الدعوة السماوية والدين الإلهى جعل من الإمام على (عليه السلام) وصيّاً له على هذا الأمر.

٣ ـ «**واعى علمى**» : «وعى» على وزن «سعى» ويراد بها كما ذكر أهل اللغة : حفظ الشىء فى القلب، أى أن يتفكر الإنسان فى شىء معين ويحفظه فى قلبه ويجعله نبراساً له ومصباحاً يضىء طريق حياته، وعليه فإن الإمام على (عليه السلام) قد وعى جميع العلوم النبوية والمعارف الإلهية وجعلها تحت اختيار المسلمين ليستضيئوا بنورها ويسلكوا فى خطّ الهدى والعقيدة والرسالة بضوءها.

فهل يصحّ مع وجود مثل هذه الشخصية الممتازة أن نقلد اُمور الخلافة وزمام تدبير الاُمّة بيد شخص آخر ؟

٤ ـ «**وخليفتى على من آمن بى**» : وفى الحقيقة إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى هذه الجملة ـ التى تعتبر نتيجة منطقية للجملات الثلاث المتقدمة ـ لم يدع ذريعة واحدة للمخالفين، وأعلن بصريح العبارة للعالم أجمع استخلافه للإمام على (عليه السلام) من بعده، فلم يكتف (صلى الله عليه وآله)بكلمة «خليفتى» لئلاّ يقول أهل البدع والأهواء «إن مراد النبى هو الوصاية على الأهل والأولاد لا الخلافة على المسلمين»، فقد بيّن النبى (صلى الله عليه وآله)بصريح العبارة وبأفضل بيان خلافة وإمامة الإمام على (عليه السلام)وأولاده على جميع المسلمين إلى قيام القيامة.

www.makarem.ir

النتيجة : انه بالرغم من أن الضرورى هو التأكيد على مرجعيّة أهل البيت (عليهم السلام)العلميّة وعلى رأسهم الإمام على (عليه السلام)، إلاّ أنّ فصل مسألة الإمامة عن الخلافة أمر خطير وخطأ كبير ويترتب عليه لوازم سلبية كثيرة لا يلتزم بها أحد.

«وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين»

انتهى

www.makarem.ir

الفهرس

المقدّمة ...٥
الكتاب الحاضر ...٥
ملاحظات ...٦

الفصل الأول

آيات الخلافة والولاية على المسلمين

آية التبليغ ...١١
أبعاد البحث ...١١
الشرح والتفسير ...١١
إنتخاب الخليفة مرحلة نهائية للرسالة ...١١
الطريق الأوّل : تفسير الآية بغض النظر عن الشواهد الأخرى ...١٤
تطبيق العلامات الثلاث على مسألة الولاية ...١٦
الطريق الثانى : تفسير آية التبليغ فى دائرة الروايات ...١٨
توصيتان فى آية التبليغ ...٢٠
واقعة الغدير ...٢١
مضمون روايات الغدير ...٢٢
توضيحات ...٢٥
١ ـ معنى الولاية والمولى فى حديث الغدير ...٢٥
٢ ـ سورة المعارج تؤيد حديث الغدير ...٢٧
٣ ـ كيفية ارتباط هذه الآية بما قبلها وبعدها ...٣٠
آية إكمال الدين ...٣٣

www.makarem.ir

أبعاد البحث ...٣٣
الشرح والتفسير...٣٣
يوم إكمال الدين والنعمة ...٣٣
أيّ يوم هو ذلک اليوم ؟ ...٣٤
الطريق الأوّل : تفسير الآية بدون الاستعانة بالقرائن الخارجية ...٣٥
المراد من إكمال الدين ...٣٧
اعتراف جذّاب من الفخر الرازى ...٣٩
الطريق الثانى : تفسير الآية فى ضوء الروايات الشريفة ...٤٣
كلام الآلوسى العجيب ...٤٦
توصية الآية الشريفة ...٤٧
١ ـ الولاية تبعث على يأس الأعداء ...٤٧
٢ ـ إتمام الدين وإكمال النعمة فى ظلّ الولاية ...٤٧
مباحث تكميلية ...٤٨
١ ـ الولاية مسألة أساسية فى الإسلام ...٤٨
٢ ـ الولاية ذات جهتين ...٤٩
آية الولاية ...٥١
أبعاد البحث ...٥١
الشرح والتفسير...٥١
علائم الولى...٥١
الطريق الأوّل : تفسير الآية مع غض النظر عن الروايات الشريفة ...٥٢
«ولى» فى استعمالات القرآن ...٥٣
المراد من الولى فى الآية محل البحث ...٥٥
مصداق «الّذين آمنوا» فى الآية الشريفة ...٥٦
الطريق الثانى : تفسير الآية بلحاظ الروايات الشريفة ...٥٧
ملاحظتان ...٥٩
شبهات واشكالات ...٦٠

www.makarem.ir

الإشكال الأوّل : كلمة إنّما لا تدلّ على الحصر ...٦٠
الإشكال الثانى : إعطاء الخاتم فعل كثير مبطل للصلاة ...٦١
الإشكال الثالث : الخاتم الثمين ...٦٢
الإشكال الرابع : إنّ هذا العمل لا ينسجم مع حضور القلب ...٦٣
الإشكال الخامس : لماذا تعود الضمائر فى الآية إلى الجمع ؟ ...٦٥
الإشكال السادس : ماذا تعنى ولاية الإمام علىّ (عليه السلام) فى حياة النبى (صلى الله عليه وآله) ؟ ...٧١
الإشكال السابع : ما هو المراد من الزكاة ؟ ...٧٢
ملاحظة مهمة جداً ! ...٧٥
توصية آية الولاية ...٧٦
آية أُولى الأمر ...٧٩
أبعاد البحث ...٧٩
الشرح والتفسير...٧٩
من هم أُولى الأمر ؟ ...٧٩
حدود إطاعة أُولى الأمر ...٨٠
اختلاف النظريات حول معنى أُولوا الأمر ...٨١
تفسير الآية فى ظلال الروايات...٨٥
أهمية حديث الثقلين ...٨٦
أسئلة وأجوبة ...٩٠
غزوة تبوك...٩١
توصيات الآية ...٩٥
آية الصادقين ...٩٩
أبعاد البحث ...٩٩
معرفة إجمالية لسورة التوبة ...٩٩
ألف ـ أسماء السورة وعلة تسميتها...٩٩
ب ـ زمان نزول آيات سورة التوبة...١٠١

www.makarem.ir

الشرح والتفسير...١٠٢
من هم الصادقين ؟ ...١٠٣
نظرية علماء أهل السنّة...١٠٤
تفسير آية الصادقين بضميمة الآيات الأُخرى ...١٠٥
الصادقين فى الروايات ...١١١
توصية آية الصادقين ...١١٢

الفصل الثانى

آيات فضائل أهل البيت (عليهم السلام)

آية التطهير ...١١٧
أبعاد البحث ...١١٧
مقدّمة ...١١٧
الشرح والتفسير...١١٨
آية التطهير، برهان واضح للعصمة ...١١٨
من هم أهل البيت ؟ ...١٢٣
الجواب على الأسئلة ...١٣٠
آية المودة ...١٣٣
أبعاد البحث ...١٣٣
نظرة إلى الآيات السابقة ...١٣٣
الشرح والتفسير...١٣٥
مودّة أهل البيت، أجر الرسالة ...١٣٥
من هم القربى ؟ ...١٣٦
تفسير «القربى» فى نظر الشيعة...١٣٨
نظرات أهل السنّة فى معنى «القربى» ...١٣٩
اعتراف مفروض ...١٤٠
تفسير المودّة فى كلمات الإمام الصادق (عليه السلام) ...١٤٤
تفسير آية المودّة من خلال الروايات ...١٤٥

www.makarem.ir

ملاحظات مهمة ...١٤٩
معطيات آية المودّة ...١٥٠
مراتب المحبّة ...١٥٢
ميثم التمّار، العاشق الخالص ...١٥٢
آية المباهلة ...١٥٥
أبعاد البحث ...١٥٥
مقدّمة ...١٥٥
١ ـ المباهلة آخر الدواء ...١٥٥
٢ ـ ماذا تعنى المباهلة ؟ ...١٥٦
الشرح والتفسير...١٥٦
الدعوة إلى المباهلة...١٥٦
هل تحققت المباهلة ؟ ...١٥٧
من هم أبناءنا، نساءنا، أنفسنا ؟...١٥٩
آية سورة الدهر ...١٦٣
أبعاد البحث ...١٦٣
شأن النزول...١٦٣
الشرح والتفسير...١٦٥
الخصائص الخمسة لأهل البيت : ...١٦٥
آيات الأجر والثواب ...١٦٩
المقارنة بين الثواب الدنيوى والأُخروى ...١٦٩
النعم الاثنا عشر فى الجنّة ...١٧٠
ماذا يعنى الشراب الطهور ؟...١٧٤
شبهات وردود ...١٧٥
١ ـ سورة الإنسان مكّية ...١٧٦
٢ ـ التعارض بين الوجوب والإستحباب ...١٧٨
٣ ـ آيات سورة الدهر عامة أو خاصّة ؟ ...١٨٠

www.makarem.ir

توصيات الآية ...١٨١
١ ـ أهميّة إسداء المعونة إلى المحتاجين ...١٨١
٢ ـ المعيار فى العمل ليس كميّته ...١٨٢
٣ ـ إنعكاس آيات سورة الدهر فى الأشعار ...١٨٣
آية التوبة لآدم ...١٨٥
أبعاد البحث ...١٨٥
الشرح والتفسير...١٨٥
التوبة والإنابة إلى الله تعالى ...١٨٥
دروس من قصة آدم وحواء ...١٨٦
توسل النبى آدم ...١٨٨
ماذا كانت الكلمات ؟ ...١٨٩
هل أن التوسل مشروع ؟ ...١٩٢
أقسام التوسل ...١٩٣
مقام التوحيد ومكانته السامية ...١٩٤
أقسام التوحيد ...١٩٥
الأشاعرة والتفسير الخاطىء للتوحيد الأفعالى ...١٩٦
هل ينسجم التوسل مع التوحيد ؟ ...١٩٨
التوسل فى القرآن ...٢٠١
التوسل بالعظماء والأولياء بعد وفاتهم ...٢٠٢
التوسل فى الروايات ...٢٠٣
لا تجوز العبادة لغير الله...٢٠٥

الفصل الثالث

آيات الفضائل الخاصّة بالإمام علىّ (عليه السلام)

آية ليلة المبيت ...٢١١
أبعاد البحث ...٢١١
شأن النزول...٢١١

www.makarem.ir

اعترافات علماء أهل السنّة ...٢١٣
الشرح والتفسير...٢١٤
التجارة الرابحة ...٢١٤
المعاملة مع الله ...٢١٤
المقارنة بين المعاملات الثلاث ...٢١٥
مقارنة أُخرى ...٢١٦
جمال التعبير فى آية ليلة المبيت ...٢١٦
إرتباط آية ليلة المبيت مع الآيات التى قبلها ...٢١٧
ارتباط آية ليلة المبيت بولاية أميرالمؤمنين (عليه السلام) ...٢١٩
الجواب عن بعض الشبهات...٢٢٠
١ ـ آية ليلة المبيت تتعلق بالآمرين بالمعروف ...٢٢٠
٢ ـ إنّ الآية مورد البحث واردة فى شأن أبى ذرّ ...٢٢٠
٣ ـ إنّ الآية الشريفة تتعلّق بجميع المهاجرين والأنصار ...٢٢١
٤ ـ هل يعلم الإمام على (عليه السلام) بموته أو حياته ؟ ...٢٢١
٥ ـ من هو المخاطب للنبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) ؟ ...٢٢٣
بقى هنا أُمور ...٢٢٣
١ ـ أشعار حسّان ابن ثابت فى وصف الواقعة ...٢٢٣
٢ ـ مصير الإمام على (عليه السلام) فى تلك الليلة ...٢٢٤
٣ ـ الله تعالى يباهى بإيثار أميرالمؤمنين (عليه السلام) ...٢٢٥
توصية الآية ...٢٢٦
كلّ شىء فى سبيل نيل رضا الله ...٢٢٦
آية سقاية الحاج ...٢٢٩
أبعاد البحث ...٢٢٩
شأن النزول...٢٢٩
ملاحظة مهمّة ! ...٢٣٢
الشرح والتفسير...٢٣٢

www.makarem.ir

الإيمان بالله، أفضل الأُمور ! ...٢٣٢
إرتباط آية سقاية الحاج مع الإمامة ...٢٣٤
اعتراف أحد علماء السنّة ...٢٣٤
توصية الآية ...٢٣٥
الإتّباع العملى لأولياء الدين ...٢٣٥
بحثان ...٢٣٧
١ ـ لماذا لم يرد إسم الإمام على (عليه السلام) فى القرآن ؟ ...٢٣٧
٢ ـ لماذا لم يقضِ النبى (صلى الله عليه وآله) على المنافقين ؟ ...٢٣٨
آية النصرة ...٢٤١
أبعاد البحث ...٢٤١
الشرح والتفسير...٢٤٢
التعبئة الكاملة والإستعداد التام ...٢٤٢
من هم المؤمنون ؟ ...٢٤٤
توصية الآية ...٢٤٧
الدفاع عن الإسلام بكلّ القوى ...٢٤٧
آية علم الكتاب ...٢٤٩
أبعاد البحث ...٢٤٩
لا تقبلوا أمراً بدون دليل ...٢٤٩
الشرح والتفسير...٢٥١
الشهود على النبوّة ...٢٥١
كيفية شهادة الله ...٢٥١
من هو الذى «عنده علم الكتاب» ؟ ...٢٥٢
كيف يشهد الإمام على (عليه السلام) بالنبوّة ؟ ...٢٥٣
المقارنة بين آصف بن برخيا وعلى بن أبى طالب (عليه السلام) ...٢٥٥
آية المؤذّن وآية الأذان ...٢٥٧
أبعاد البحث ...٢٥٧

www.makarem.ir

تفسير الآية ٤٢ من سورة الأعراف ...٢٥٨
حوار أهل الجنّة وأهل النار ...٢٥٨
من هو المؤذّن ؟ ...٢٦٠
هل أنّ مقام المؤذّن يعدّ فضيلة ؟ ...٢٦١
تفسير الآية ٣ من سورة التوبة ...٢٦٢
الإختلاف فى الجزئيات ...٢٦٥
الشرح والتفسير...٢٦٥
الإنذار الهام للمشركين ...٢٦٥
هل تعدّ هذه المهمة فضيلة ؟ ...٢٦٧
ارتباط آية الأذان والمؤذّن ...٢٦٨
الحكمة فى تغيير المأمور بإبلاغ آيات سورة البراءة ...٢٦٩
آية المحسنين ...٢٧١
أبعاد البحث ...٢٧١
الشرح والتفسير...٢٧١
أظلم الناس ! ...٢٧١
من هو «الذى جاء بالصدق» ومن «صدّق به» ؟ ...٢٧٤
الفخر الرازى المخالف الوحيد ...٢٧٥
آية السابقون الأولون...٢٧٧
أبعاد البحث ...٢٧٧
الشرح والتفسير...٢٧٧
السابقون فى الإسلام ...٢٧٧
أوّل رجل مسلم ...٢٨٠
قيمة الإيمان قبل البلوغ ...٢٨٣
أوّل المؤمنين، امتياز كبير ...٢٨٧
توصية الآية ...٢٨٩
معرفة الفضائل مقدّمة للعمل ! ...٢٨٩

www.makarem.ir

آية المحبّة...٢٩١
أبعاد البحث ...٢٩١
التوغّل والنفوذ فى القلوب أهم رأس مال القادة ...٢٩١
الشرح والتفسير...٢٩٣
إرتباط الإيمان والعمل الصالح بمسألة النفوذ فى القلوب ...٢٩٣
شأن نزول آية المحبّة ...٢٩٤
التفاسير الأُخرى للآية مورد البحث ...٢٩٦
توصية الآية الشريفة ...٢٩٧
الشيعة بمثابة السراج المنير ...٢٩٧
مباحث أُخرى ...٢٩٨
١ ـ نفوذ المحبّة فى قلوب الجميع ...٢٩٨
٢ ـ مفهوم العمل الصالح فى القرآن...٢٩٩
آية السابقون ...٣٠١
أبعاد البحث ...٣٠١
مضمون سورة الواقعة ...٣٠١
الشرح والتفسير...٣٠٢
من هم السابقون ؟ ...٣٠٢
الإمام على (عليه السلام) المصداق الأتم والأكمل للسابقين ...٣٠٤
تفسير السابقين على لسان النبى (صلى الله عليه وآله) ...٣٠٦
آية أُذُن واعية...٣٠٩
أبعاد البحث ...٣٠٩
الشرح والتفسير...٣٠٩
قصة الأنبياء ...٣٠٩
من هو صاحب الأُذن الواعية ؟...٣١١
التناقض فى كلام الشيخ روزبهان ...٣١٣
ملاحظة ظريفة من الفخر الرازى ...٣١٤

www.makarem.ir

على مع الحقّ والحقّ مع على ...٣١٥
دعاء النبى (صلى الله عليه وآله) فى حقّ على (عليه السلام) ...٣١٥
على (عليه السلام) أفضل القضاة ! ...٣١٦
آية صالح المؤمنين ...٣١٩
أبعاد البحث ...٣١٩
شأن النزول...٣١٩
الشرح والتفسير...٣٢٠
أصحاب وأنصار النبى(صلى الله عليه وآله) ...٣٢٠
من هو صالح المؤمنين ؟ ...٣٢٣
توصية الآية ...٣٢٦
آية الإنذار والهداية ...٣٢٧
أبعاد البحث ...٣٢٧
الشرح والتفسير...٣٢٧
ذرائع مختلفة ...٣٢٧
تناسب صدر الآية وذيلها ...٣٢٨
من هو المنذر والهادى ؟ ...٣٣٠
الأوّل : تفسير الآية بدون ملاحظة الروايات ...٣٣٠
الطريق الثانى : تفسير الآية بملاحظة الروايات الشريفة ...٣٣٢
توصيات آية الولاية والإنذار ...٣٣٤
١ ـ التعصّب هو الحجاب والمانع ! ...٣٣٤
٢ ـ الإقتداء بالهادى ...٣٣٦
آية خير البريّة ...٣٣٩
أبعاد البحث ...٣٣٩
الشرح والتفسير...٣٣٩
أفضل المخلوقات وشرّها ...٣٣٩
خير البريّة فى الروايات ...٣٤٣

www.makarem.ir

توصيات آية خير البريّة ...٣٤٧
١ ـ نظام القيم فى الإسلام ...٣٤٧
٢ ـ تاريخ ظهور الشيعة ...٣٥٠
٣ ـ ماذا تعنى كلمة الشيعة ؟ ...٣٥١
آية الحكمة ...٣٥٥
أبعاد البحث ...٣٥٥
الشرح والتفسير...٣٥٥
الحكمة هى الخير الكثير ! ...٣٥٥
الإمام على (عليه السلام) صاحب الحكمة ...٣٥٧
سعة علم الإمام على (عليه السلام) وحكمته ...٣٥٨
١ ـ المرجعية العلمية للإمام على(عليه السلام) ...٣٥٨
٢ ـ الإمام على (عليه السلام) باب مدينة العلم ...٣٥٩
٣ ـ الإمام على (عليه السلام) وتفسير القرآن...٣٦٠
٤ ـ الإمام على (عليه السلام) واضع علم النحو ...٣٦٠
٥ ـ الإمام على (عليه السلام) وعلم الكلام ...٣٦٠
٦ ـ الإمام على (عليه السلام) وعلم الفقه...٣٦١
٧ ـ الإمام على (عليه السلام) وعلم الباطن ...٣٦١
٨ ـ الإمام على (عليه السلام) وخلافة النبى (صلى الله عليه وآله) ...٣٦٢
الفهرس...٣٦٥